

مجلة المؤرخ العربي أكتوبر ٢٠١٦ م



مجلة المؤرخ العربي

يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

العدد الرابع والعشرين
أكتوبر ٢٠١٦ م



جميع المراسلات ترسل باسم الأستاذ الدكتور رئيس اتحاد المؤرخين العرب

مقر الأنشطة : ١٠ شارع فؤاد بدواني – مدينة نصر - القاهرة

تليفون : ٢٢٨٧٠٠٩٠ - فاكس : ٢٢٨٧٠٠٩١

Email : arabhistoryso@hotmail.com

مقر المؤتمرات: القاهرة الجديدة – التجمع الأول – بجوار سنترال التجمع الأول

www.arabhistoryso.net

هذه المجلة

- ١ . مجلة المؤرخ العربي مجلة تاريخية بحثية، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة.
- ٢ . تستهدف المجلة إظهار الحقيقة التاريخية لموضوع محدد صافية نقية، بعيدة عن أي تيارات سياسية أو عقائدية.
- ٣ . البحوث التي تنشر فيها محكمة، تعبر عن وجهة نظر أصحابها، وهيئة التحرير غير مسئولة عما يرد من آراء علمية.
- ٤ . تصدر مؤقتاً سنوياً في أكتوبر من كل عام، علي أن تصلها البحوث المقدمة للنشر في كل عدد في موعد غايته نهاية شهر فبراير من نفس العام.
- ٥ . لا يزيد البحث المقدم للنشر عن خمسة وعشرين صفحة، مكتوب علي الكمبيوتر ويقدم من نسختين ورقيتين ونسخة أخرى علي الاسطوانة CD.
- ٦ . تعد الخرائط والرسوم وغيرها من الإيضاحات بالحرر الصيني علي ورق الرسم، قابلة للاستنساخ المباشر.
- ٧ . يشترط ألا يكون العمل المقدم قد سبق نشره، أو قدم للنشر في أية جهة أخرى، ويكتب الباحث تعهداً بعدم تقديمه للنشر في أي جهة أخرى بعد قبوله للنشر بالمجلة.
- ٨ . لا ترد أصول الأعمال المقدمة سواء قبلت للنشر أو لم تقبل.
- ٩ . يرد عنوان البحث في رأس الصفحة الأولى، متبوعاً باسم المؤلف مقروناً بوظيفته وجهة عمله.
- ١٠ . ترتب الهوامش والتعقيبات التفصيلية بترقيم موحد في نهاية العمل.
- ١١ . يراعي في إعداد قائمة المراجع ما يلي :
 - (أ) تسجيل أسماء المؤلفين أو المحققين أو المترجمين أو المراجعين، متبوعة بعنوان الكتاب ثم مكان النشر ثم اسم الناشر، ثم تاريخ النشر، مع بيان الطبعة
 - (ب) مقالات الدوريات تبدأ باسم صاحب المقال، ثم عنوان المقال، ثم اسم الدورية، ثم رقم المجلد والعدد والمجلة وتاريخه، ثم أرقام الصفحات التي يقع فيها المقال.
 - (ج) الرسائل الجامعية يتم تسجيل اسم صاحب الرسالة، وعنوانها، والجامعة التي أجازتها، واسم المشرف، وتاريخ الإجازة.

- ((المحتويات)) -

م	الاسم	الموضوع	ص
أ	أ.د. حسنين محمد ربيع رئيس الاتحاد	كلمة الافتتاح	٥
ب	أ.د. زبيدة محمد عطا رئيس تحرير المجلة	كلمة التحرير	٧
١	د. محي الدين النادي أبو العز كلية الآداب - جامعة المنيا	الهروب والنفي في سوريا خلال الألف الثاني ق.م	٩
٢	د. عماد عبد العظيم أبوطالب كلية الآداب - جامعة الفيوم	ميناء عصيون جابر (تل الخليفة) (دراسة تاريخية)	٥٣
٣	د. عبد اللطيف فايز علي كلية الآداب - جامعة الفيوم	وظيفة الـ "جنوستير" في مصر في عصر الرومان	٧٩
٤	د. علاء محمد عبد الغني حسن الجامعة العربية المفتوحة - الكويت	رستاق اسفرايين في القرنين الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين)	١١٧
٥	د. عمرو عبد العزيز منير كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي	الصراع الإسلامي البيزنطي في السير الشعبية العربية قراءة في كتاب "فتوح مصر المحروسة على يد سيدي عمرو بن العاص رضي الله عنه"	١٦٥
٦	د. أحمد صالح عبد الغني كلية الآداب - جامعة حلوان	السرور في الأنس (دراسة وثائقية في كتب النوازل)	٢٠٩
٧	د. محمد أحمد علي بهنسلوي باحث	الفن الحربي المملوكي وأثره علي الفن الحربي للحبشة.	٢٤٩
٨	د. عايد عتيق جريد باحث	الأوقاف وأثرها في المجتمع الكويتي (١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م - ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م)	٢٨٩
٩	د. الشيماء سيد كامل محمد كلية دار العلوم جامعة المنيا	السلطانية عاصمة مغول الأيلخانيين (٧٠٤ - ٧٣٦ هـ / ١٣٠٤ - ١٣٣٥ م)	٣١٥
١٠	د. هشام علي الحسيني كلية الآداب - جامعة حلوان	معركة كوشريل (١٣٦٤ م)	٣٥٩
١١	د. محمد عزيز محمد كلية الآداب - جامعة سوهاج	دور بنك روما الاقتصادي في ولاية طرابلس الغرب "ليبيا" "١٩٠٧ - ١٩١١ م"	٣٩٥
١٢	د. شريف محمد عبد الجواد كلية الآداب - جامعة المنيا	الموقف السوفييتي تجاه اضطرابات بوزنان في بولندا "يونيه - أكتوبر ١٩٥٦"	٤٣٩

كلمة الافتتاح

أ.د. حسنين محمد ربيع

رئيس اتحاد المؤرخين العرب

يسرني أن أقدم هذا العدد الرابع والعشرين من مجلة المؤرخ العربي لعام ٢٠١٦، متضمنا اثني عشر بحثا؛ لعدد من أساتذة التاريخ، بشتى عصوره: العتيقة، والوسيطة، والحديثة، والمعاصرة. وكذلك في تخصصات متنوعة: ما بين حضارة مصر والشرق القديم، أو التاريخ اليوناني الروماني، أو التاريخ والحضارة الإسلامية.

- وقد تقدم بهذه البحوث: مجموعة من أساتذة التاريخ في جامعات: سوهاج، والمنيا، والفيوم، وحلوان، وذلك إلى جانب مشاركة مشكورة من أحد الأساتذة، من الكويت الشقيق.
- أما من حيث مناطق البحث وأماكنه الجغرافية؛ فيلاحظ أن البحوث والدراسات قد طوفت بأماكن متنوعة، فشملت بعض البلدان - قديما - ومنها سوريا. كما شملت التعريف ببعض ما يسمى بـ "الرسائيق" في التاريخ الإسلامي، مع الاهتمام ببعض الموانئ ذات الشهرة المستقيضة في الزمن العتيق، إلى جوار بحث بعض الوظائف المعروفة بمصر في العصر الروماني ودراساتها - وذلك - جنباً إلى جنب الحديث عن انعكاس صورة بعض الصراعات الدولية القديمة في "السير الشعبية"، مع الاهتمام بدراسة بعض المعارك التاريخية، وكيف كان مسارها ومصيرها. مع بحث تأثير بعض الفنون الحربية في بلد بعينه على الفن الحربي في بلد آخر. ولا تخلو الدراسات من تناول بعض الجوانب الاجتماعية مثل: الأوقاف، وتوثيق نظم الزواج في بعض المجتمعات العربية والإسلامية.
- ومن الدراسات التي تناولت موضوعات من العصر الحديث: كيفية استخدام بعض المؤسسات الأوروبية؛ لتكون متكئا لاحتلال بعض المناطق العربية. كما بحثت بعض الدراسات أوضاع بعض العواصم المهمة في الشرق في مطالع العصر الحديث.
- وربما يلاحظ القراء الأعزاء أن بحوث المجلة قد توخت تحقيق بعض الأبعاد المهمة، ومنها:

- إعادة الاهتمام ببعض الموضوعات التي تكاد تكون مطمورة بفعل التراكم الزمني، وتحتاج إلى إزاحة هذه التراكمات التي حجبته على مدى الأحقاب، فعمد البحث إلى تجليتها أمام أنظار القراء، واضحة مرتبة المعلومات، يسيرة التناول .
- وكذلك جمع شتات عناصر بعض الموضوعات التي تناثرت بين شتى المصادر العتيقة، وجاءت الدراسة لتجمع شتاتها، وتعيد ترتيبها وتنسيقها، لتصبح كائنًا بحثيًا سويًا، في عرض علمي سوي، ميسور المنال.
- أوشكت بعض الموضوعات أن تتوارى في زوايا النسيان، فاهتمت أقلام باحثينا وزملائنا باستخراجها، حتى لا تنوّه في غمار توالي الأحداث والأزمان، وبذلك صارت واضحة المعالم، مهيأة للتعقيب والتعليق، والإضافة والحذف، تبعًا لاتجاهات مناهج البحث الحديث.
- وأرجو أن تكون دراسات المجلة وبحوثها في مضامينها وصياغاتها - قد اتسمت بالعمق والجدية الواجبة، وكذلك بالعدالة التي ترضى ضمائر الباحثين في التاريخ.
- ولا شك أن جهود زملائنا، وأيضًا جهود أبنائنا الباحثين الأفاضل؛ توخت - بالقدر الممكن - أن تكشف وجه الحقيقة، دون حيف أو ميل، مع أي غرض أو اتجاه يتنافى مع عدالة المؤرخين.

أ.د. حسنين محمد ربيع

رئيس اتحاد المؤرخين العرب

أستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة

عضو مجمع اللغة العربية والمجمع العلمي المصري

كلمة التحرير

يسعدنا أن يصدر العدد الجديد من مجلة المؤرخ العربي لعام ٢٠١٦ وهو العدد الرابع والعشرون وقد قاربت المجلة ان تحتفل باليوبيل الفضي لها، وخلال هذه الأعوام قدمت المجلة العديد من قطوف الفكر العربي من أقطارنا العربية المختلفة ونشرت دراسات تاريخية متميزة أثرت المكتبة التاريخية العربية، ومجلة اتحاد المؤرخين العرب تعد واحدة من ابرز المجالات العلمية المعتمدة، لها ثقلها العربي والدولي، ونرجو أن تكون المجلة دوما على هذا المستوى العلمي الرفيع.

وهذا العدد يقدم تنوعا علميا تاريخيا طوف بين التاريخ القديم والإسلامي والوسيط والحديث، فإذا عدنا إلى الماضي المجيد. وإلى الألف الثاني ق.م نجد موضوعا عن النفي في سوريا، كذلك ميناء عسيون جابر "تل خليفة"، والنشاط البحري انتقالا لعصر الرومان عن كل الوظائف الرومانية ووظيفة الـ "جنوسيتز" في مصر، انتقالا لتاريخنا الإسلامي حيث تعرض للقرنين الثاني والثالث الهجريين الثامن والتاسع الميلاديين، عن رستاق اسفرايين، ثم الطواف بالأندلس الإسلامية وحضارتها متمثلا في دراسة عن الزواج في الأندلس، انتقالا للغرب الأوربي ومعركة كوشريل ١٣٦٤م. وكان للتاريخ الحديث نصيبه كموقف الاتحاد السوفيتي تجاه اضطرابات بوزنان في بولندا ودور بنك روما الاقتصادي في ولاية طرابلس جنوب ليبيا، وكذلك شمل العدد بحثا في تراثنا الشعبي عن الصراع الإسلامي البيزنطي في السير الشعبية العربية.

كذلك نهيب بالزملاء - كما تعودنا - إثراء مكتبة الاتحاد بمؤلفاتهم القيمة، ويسعدنا تلقي أي مقترحات، لتطوير المجلة .

والله ولي التوفيق،،،

رئيس التحرير

أ.د. زبيدة محمد عطا

هيئة التحرير

أ.د. حامد زيان غانم

أ.د. عفاف سيد صبرة

أ.د. عفيفي محمود إبراهيم

أبحاث
مجلة المؤرخ العربي

التي تصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

العدد الرابع والعشرين

لعام ٢٠١٦

الهروب والنفي في سوريا خلال الألف الثاني ق.م

د. محي الدين النادي أبو العز

مدرس تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة المنيا

المخلص:

تتناول هذه الورقة البحثية: الهروب والنفي من وإلى سوريا القديمة، وذلك من خلال نصوص القوانين والتشريعات والمعاهدات الدولية، وأشهر الحالات التي هربت ولجأت إلى أرض المنفى، سواء في سوريا أو إلى أماكن أخرى. وأقصد بسوريا القديمة: تلك الممالك والمدن التي قامت ما بين الفرات شرقاً وفلسطين غرباً، وهي: مملكة إبلا، ويمحاض، وماري، وأوجاريت، وأمورو، وألalach، وقادش، وموكيش، ونيا، ونوخاشي، وآرام دمشق، وحماة، وغيرها.

مشكلة البحث:

تخلص مشكلة البحث في: تحديد مفاهيم الهروب واللجوء والنفي والتهجير، ومدى التشابه والتداخل فيما بينها، فالهروب واللجوء معناهما الفعلي واحد، ويُعرف معهد القانون الدولي اللجوء بأنه: "الحماية التي تمنحها دولة فوق أراضيها، أو فوق أي مكان تابع لسلطتها، لفرد طلب منها هذه الحماية". والهدف من إقرار مبدأ اللجوء هو: إنقاذ حياة أو حرية أشخاص يعتبرون أنفسهم. عن صواب أو خطأ. مهددين في بلدهم (١). وفي الحقيقة هذا المفهوم لم يختلف عما كان عليه في التاريخ القديم، كما سيأتي الحديث خلال البحث.

والهروب يستعمله اللاجئ كطريقة للإبقاء على منزلته في وقت الأزمة، والاحتماء بملاذ آمن. ومصير الهارب في المنفى مُثَبَّت بتعبير الأكادي لللاجئ (خابيرو^(٢)) *abiru* #^(٣). وبما أن نصوص المعاهدات القديمة، دائماً ما كانت تُطلق مُصطلح الهارب، على اللاجئ - لاسيما السياسي - فإنني سأستخدمه للتعبير عن حالة اللاجئ، حيث إن مصطلح الهروب أشمل من اللجوء، فالهروب يمكن أن يكون لسبب سياسي أوجنائبي، أو اجتماعي، أو ديني، بينما مفهوم اللجوء أضيق من ذلك.

أما بالنسبة للنفي بمعنى "أبعده وغرّبه"^(٤)، فيمكن تقسيمه إلى نفي اختياري ونفي إجباري، أما حالة النفي الاختياري، ففي واقع الأمر يتشابه كثيراً مع الهروب (اللجوء)، حيث يحقق نفس معايير الهروب واللجوء الاختياري. كما يجمع بينهما الأسباب السياسية كمبرر للبعد عن الوطن^(٥)، فعلى سبيل المثال؛ سنوهي الذي هرب باختياره، نستطيع أن نَصِف هذه الحالة بأنها حالة هروب كما وصفها بعض الباحثين^(٦)، وفي نفس الوقت ممكن أن نقول: إنه تم نفيه اختياريًا، كما وصفه بعض الباحثين الآخرين^(٧).

بينما يختلف الهروب (اللجوء) الإجباري عن النفي الإجباري، خصوصاً في الوسيلة، فالهارب المجرى، سواء سياسي أو جنائي، يتخذ وسيلة الهرب إلى مكان يختاره هو، إلى الجهة التي يستشعر أنها ستوفر له الحماية، بينما النفي الإجباري، فتقوم سلطة قوية بإجبار الشخص الذي ينفي على الابتعاد عن وطنه لمكان ما، تحدده وتختاره تلك السلطة^(٨).

النفي الفردي يمكن أن يكون له العديد من التأثيرات والنتائج النفسية المختلفة، على خلاف (المبعدين - المهجرين)، فالنفي الفردي اقتلاع ليس فقط من جغرافيته، ولكن من محيطه الاجتماعي^(٩). ويمكن أن يكون النفي الإجباري لمجموعة كبيرة من الأشخاص، وهنا يتداخل مع مفهوم التهجير.

ولكن في النهاية، وإن اختلفت أسباب الهروب والنفي الإجباري، إلا أن الهدف واحد، وهو: البقاء على قيد الحياة.

الهروب والنفي في القوانين والتشريعات:

ظلت قضية الهروب (اللجوء) من القضايا المهمة في الشرق القديم، فهناك العديد من الأدلة على أهميتها في التشريعات التي تعاملت مع هذه القضية، فكثيراً ما أشارت نصوص القوانين إلى قضية الهروب، كهروب اللاجئين، كما ورد في تشريعات إشنونا الذي يهرب ويذهب إلى المنفى بسبب الضرائب والالتزامات العامة، يفرض عليه العقوبات^(١٠). فيذكر النص أنه: "إذا كره رجل مدينته، وسيدته، وأخذ رجل ثان زوجته، ثم عاد (أي الرجل الأول) فليس له حق المطالبة بزوجه"^(١١)، ومن ثم يتضح أن الهارب تسقط حقوقه المدنية، وتقل مكانته الاجتماعية.

وفرضت هذه التشريعات، على الأرجح، واجب تسليم العبيد الهاربين، والذي يظهر أيضاً في العديد من القوانين الأخرى^(١٢)، فقد كانت جريمة هروب العبيد من أسيادهم هي الجريمة الأكثر شيوعاً، ولا يعاقب عليها العبد نفسه، بل يعاقب عليها كل من ساعده على الهرب أو آوى عبداً هارباً، ووفقاً للقوانين السومرية، فإن عقوبة إيواء العبد الهارب كانت غرامة تتألف من عبد أو من ٢٥ شكيل من الفضة، بينما كان قانون حمورابي أكثر تشدداً في ذلك، فكانت عقوبته الإعدام^(١٣).

كما نصت القوانين الحثية أيضاً على أن: "أي شخص يهرب من حاتي، سواء نبيل تورط في مؤامرة ضد القصر، أو صانع أو فلاح هرب من الضرائب والسخرة، يجب أن يسلم إذا طلب"^(١٤).

ويقدم **Elgavish.D.** عدداً من النصوص التي تتعلق بقضية الهروب من الكتاب المقدس، في سفر التكوين (١٦:٩)، سفر التثنية (١٦:٢٣)، الخروج (٢١:١٤)، صموئيل الأول (١٠:٢٥)، (١٥:٣٠)، ملوك أول (٤٠:٢) ^(١٥).

وفي قوانين حمورابي: كانت عقوبة ارتكاب الزنا مع المحارم (مع البنت) هي النفي، ففي نص المادة ١٥٤: "إذا جامع رجل ابنته ينقل ذلك الرجل من المدينة"^(١٦).

وورد في تشريعات حور محب ما يشير إلى أن عقوبة السلب والنهب كانت جدع الأنف والنفي، فلقد ورد في المادة الأولى منها ما يلي: " إذا أغتصب أحد الموظفين أو أحد الجنود أو أي رجل آخر من أهل البلاد سفينة المزارع التي تحمل خراجاً لتوريدها للملك، ففي هذه الحالة يطبق القانون على الجاني جدع أنفه ونفيه إلى بلده ثارو"^(١٧).

وكذلك نصت القوانين الحثية: "إذا جامع رجل حر أخته، وأمه الحرة، فقد ارتكب جرماً، غير مسموح به، هذا الرجل ينفي إلى بلد آخر غير الذي يقيم فيه"^(١٨).

الهروب والنفي في المعاهدات الدولية:

كانت القوانين القديمة - في الشرق الأدنى القديم - مُلزمة بتسليم العبيد الهاربين، ولكنها لم تشر إلى الهاربين المدنيين الذين فروا إلى الدول الأجنبية، ويمكن العثور على إشارات وجوب تسليم فئات أخرى من الهاربين - غير العبيد- في المعاهدات الدولية، فقد أرادت السلطات استعادة الهاربين على وجه السرعة، وذلك لعدة أسباب أهمها: أن هذا الهارب يمكن أن ينقل أحدث المعلومات عن بلده التي هرب منها، لاسيما فيما يتعلق بالاستخبارات العسكرية، كما أن واجب التسليم استند إلى الاعتقاد بأن الهاربين يخضعون لحكم العبيد لسادتهم، ووفقاً لذلك شملت شروط المعاهدات على تسليم الهاربين مع الدول الأخرى^(١٩).

وتتضح قضية الهاربين (اللاجئين) من المعاهدات التي وقعت بين الدول في الشرق القديم. وتُظهر لنا نوعين من اللاجئين: اللاجئين السياسيين (من النبلاء) واللاجئون من الطبقة الدنيا (من الصناع والفلاحون)^(٢٠).

فقد أظهرت المعاهدات الدولية، والاتفاقيات، والمراسلات الميثانية والحنية، قلقها الشديد تجاه مشكلة الهروب، المشكلة التي كانت تتصل اتصالاً وثيقاً بمسألة اختصاص الدولة القضائي على مناطق حدودها؛ التي حرص كل ملك أن يؤكد سيادته على أرضه وشعبه، وحركة الممتلكات المنقولة عبر الحدود، والتي كانت بطبيعة الحال تحت مسؤوليته، ولذلك ليس من المستغرب أن تنظم الوثائق - بشأن الهاربين - مثل هذه الأمور بين الدول دون استثناء^(٢١).

ونصت المعاهدة التي عقدت بين "نارام سن" ملك أكد ٢٢٩٠ ق.م وعيلام^(٢٢) على أقدم شرط لتسليم هاربين، حيث تعهد فيها الملك "أنا لن أتخذ لاجئاً لنفسى" بمعنى الاقتراض، وقال: إنه لن يقبل أي شخص في قصره من الهاربين من عيلام^(٢٣).

ومما يؤكد حرص الحثيون على تسليم الهاربين: المعاهدة التي عقدت في عام ١٤٥٠ ق.م بين تودخاليا الثاني (١٤٦٠-١٤٤٠ ق.م) و"شوناش شورا Shunashshura" من كيزوواتنا^(٢٤). على أنه يجب تسليم اللاجئين: "إذا هرب هارب من حاتي وذهب إلى كيزوواتنا يجب على شوناش شورا القبض عليه وإعادته لصاحب الجلالة، ولكن إذا كان هناك من يخفي الهارب، واكتشف في منزله. يجب عليه دفع اثني عشر شخصاً من العبيد، وإذا لم يستطع أن يأتي باثني عشرة شخصاً من العبيد، هو نفسه يجب أن يقتل، ولو عبد أخفى هارب، وإذا سيده لم يقم بإعادته بالنيابة عنه - لن يدفع اثني عشر عبداً - إنه يجب التنازل عن العبد نفسه، وتقدير نفس الشيء لـ شوناش شورا^(٢٥)". وفي نص آخر لمعاهدة حاتي مع كيزوواتنا: "إذا أحدث شخص، للملك العظيم، مؤامرة، ثم هرب، ودخل أرض كيزوواتنا، وأرسل الملك العظيم يسأل عن الهارب قائلاً: هكذا هو ثار ضدي، سوف أعيده. الهارب يجب أن يعود"^(٢٦).

وكذلك غزا "تودخاليا الثاني" قبرص، وأخذ منها الجزية، وهناك إشارة إلى معاهدة بين حاتي وقبرص، تتعلق بالاتفاق على تسليم المنفيين^(٢٧).

كما ورد موضوع تسليم الهاربين أيضاً في المعاهدة بين الملك الحثي "أرنوواندا الأول" (١٤٤٠-١٤٢٠ ق.م) ورجال Imerika^(٢٨). وكذلك معاهدة تسليم الهاربين بين "أرنوواندا الأول" و Maddawatta أحد التابعين في منطقة غرب الأناضول^(٢٩).

وقد ورد النص المتعلق بالهروب في معاهدة "شوبيلولوما الأول" (١٣٧٥-١٣٣٥ ق.م) "وشاتي وزا" (ابن الملك الميتاني توشراتا) بشكل غير واضح " إذا هرب هارب من حاتي، ومملك ميتاني لم يقبض عليه..."^(٣٠). وعلى رغم من ذلك حرصت المعاهدة على تناولهم.

وفي المقدمة التاريخية لمعاهدة بين الملك "مرشيلي الثاني" (١٣٣٤-١٣٠٦ ق.م) و "Kupanta-Kurunta"، والتي ركزت على هروب "Mashuiluwa" من وطنه غرب الأناضول، واتخذ من حاتي ملجأ، وكان Mashuiluwa مرحباً به من قبل من "شوبيلولوما الأول"، كما زوجه أحد الأميرات الحثيات، كما اتبع مرشيلي الثاني نفس سياسة أبيه^(٣١).

وفي خطاب من الملك الحثي "خاتوشيلي الثالث" (١٢٧٥-١٢٥٠ ق.م) إلى الملك البابلي "كدشمان - أنليل": "لو رجل ارتكب مخالفة ضد الملك وهرب إلى أرض أخرى، أنه ليس من المقبول قتله.. أخي يسأل ونحن نخبره.. لو أنهم لم يقتلوا الجاني، هم يقتلون التاجر"، فالملك الحثي يناقش: أنه من المستحيل على شعبه قتل تاجر أجنبي يعمل ويتمتع بحماية الملك، عندما تشكوا في قتل الهارب بدون سبب^(٣٢).

كما يجب الإشارة إلى أن واجب التسليم يتم فقط فيما يتعلق بالهاربين الجنائين، وليس المقصود عندما يمر المواطنون الأحرار من بلد إلى آخر، يتم القبض عليهم، كما يتضح من الفقرة التالية من المعاهدة بين "تودخاليا الثاني" و "شوناش شورا": " عندما هرب أناس من أرض إيسوو Isuwa، رعايا الملك العظيم، أمام الملك العظيم، أنا صاحب الجلالة، ذهبت في معركة ضدهم، أنا تغلبت على أرض إيسوو، وهربوا من أمامي، ونزلوا إلى أرض الحوريين، أنا صاحب الجلالة أرسلت إلى حاكم حوري (قائلاً): " أعد رعاياي، ولكن حاكم حوري أرسل لجلالتي " لا، سكان هذه المدن سابقاً، في زمن جدي، جاءوا إلى أرض حوري واستقروا هنا. وبالفعل ذهبوا بعد ذلك هاربين إلى حاتي كلاجئين. الآن، أخيراً اختارت الماشية مستقراً لها. إنهم قطعاً جاءوا إلى أرضي"، ومن النص السابق يتضح أن الجيش الحثي دخل أرض إيسوو وسيطر عليها، ولكن فر أهلها إلى أرض حورانية ووجدوا فيها مأوى، ثم طلب الملك الحثي تسليمهم، ولكن الملك الحوراني رفض، مدعياً أن شعب إيسوو كان شعباً حراً، اختار طوعاً الاستقرار في الأراضي الحورانية^(٣٣).

الهروب والنفي في معاهدات التبعية:

نصت معاهدات الحثيين مع أمراء سوريا الخاضعين على: أن كل تابع عليه أن يقدم الدعم العسكري لسيده الأعلى، ضد الأعداء الخارجيين والتمرديين الداخليين، وأن يسلم الهاريين^(٣٤). ويجب الإشارة إلى أن السيد الأعلى لم يكن لديه أي واجب لتسليم اللاجئين للتابع له، ولكن في الوقت نفسه كان التابع ملتزم بهذا الواجب تجاه سيده الأعلى^(٣٥).

ولهذا عقد الملك الحثي "شوبيلولوما الأول" (١٣٧٥-١٣٣٥ ق.م) معاهدة مع عزيزو حاكم أمورو^(٣٦) كان من ضمن شروطها: وجوب تسليم الفارين إلى السيد الأعلى، ومن بينهم أناس من بلاد حوري وقادش (أو قيدشو - تل النبي حالياً) ونيا^(٣٧). ونوخاشي (بين حلب وحماة). وأن يحدث الشيء نفسه مع الأشخاص الذين يسيئون إلى الملك الحثي^(٣٨). فتذكر المعاهدة: "إذا هرب رجل من أرض حاتي، وجاء إليك، اقبض عليه، وأرسله إلى ملك حاتي، وإذا لم ترسله فقد خالفت القسم"^(٣٩). "إذا كان الهارب من أرض أمورو، ودخل أرض حاتي، أنا، ملك حاتي، سأقبض عليه، وأعيده إليك" و"إذا كان الهارب من بلد حورية أو من بلد آخر، وهو معك أنت، عزيزو، لا تحتجزه، واسمح له في المستقبل الذهاب إلى أرض حاتي، وفي حالة امتناعك، فقد خالفت القسم"^(٤٠).

ولم يتوقف الأمر على تسليم التابعين للهاريين إليه إلى السيد الأعلى، بل إنه ملزم أيضاً بتسليم الهاريين الذين فروا من التابع إلى السيد الأعلى، وعاشوا في بلده - الأخير - ثم فروا عائدين مرة أخرى إلى وطنهم الأصلي، كما يظهر في معاهدة شوبيلولوما الأول مع عزيزو: "مواطني أمورو الذين يعيشون في حاتي، سواء أحد النبلاء أو عبداً من أرض عزيزو، إذا ملك حاتي أعطاهم لك تأخذهم، ولكن إذا ملك حاتي لم يعيدهم لك، وهربوا وجاءوا إليك، إذا أنت عزيزو قبلتهم، إذا أنت سوف تتعدى على القسم"، وهذا الموضوع ورد أيضاً في معاهدة شوبيلولوما مع نوخاشي، كذلك يلتزم التابع بتسليم الأسرى والمجرمين الهاريين إلى بلده^(٤١).

كما يوجد فقرة من معاهدة عزيزو تتعلق بتنظيم قضية الـ NAMRA (المبعدين) لصالح دوبي تيشوب حاكم أمورو - حفيد عزيزو - حسب هذا النص، فإن أناساً من البلدان السورية الأخرى، اتخذوا لهم ملجأ في أمورو، ربما في مناطق الغابات^(٤٢).

وفي المعاهدة التبعية بين دوبي تيشوب؛ التي عقدها مع الملك الحثي مورشيلي الثاني (١٣٣٤-١٣٠٦ ق.م)، (حوالي السنة التاسعة من حكمه) كان من ضمن شروطها: تسليم الفارين وأعداء الملك الحثي أو الإخبار عنهم، وألا ينصح الفارّون بالذهاب إلى الجبال. ويتضح لنا مما سبق: أن شروط المعاهدة تتعلق بأحداث وإجراءات معينة حدثت خلال عهد عزيزو وخليفته أري تيشوب^(٤٣). فيذكر النص "أي هارب من أرض نوخاشي أو من أرض كنزا، أبي حملهم، فإذا هرب أحدهم وجاء إليك، اقبض عليهم وسلمهم إلى ملك حاتي"^(٤٤). "إذ لم تفعل سوف تتعدى القسم"، وهذا الشرط يفسر حركات التمرد في المنطقة، ويخشي مرشيلي أن تتحول أمورو إلى دولة عازلة، تصبح ملجأ لمعارضة سلطته في سوريا. إذا تغاضى عن الهاربين، فإنهم سيصلون من أمورو إلى مصر في نهاية الأمر^(٤٥).

وتنص معاهدة السلام والأخوة بين مصر، في عهد ملكها "رعسيس الثاني"، وخاتي في عام ١٢٥٩ ق.م. والتي تتعلق بالعلاقات المستقبلية، وتسليم الفارين، والعفو عنهم فيما بعد. وهناك فقرة واحدة من المعاهدة تشير إلى سورية بشكل مباشر، إذ تنص على أنه: في حال هروب "كبير" أو "قرية" من مصر، وحصولها على ملجأ في أمورو، يجب على "بينيتشينا" حاكم أمورو أن يسلمهم إلى خاتوشيلي، الذي بدوره عليه أن يسلمهم إلى رعسيس^(٤٦).

وهنا يمارس الملك المصري حقه في طلب تسليم الهاربين من أمورو، ويظهر حاكم أمورو ممثلاً بواجبه نحو تسليمهم^(٤٧). وفي خطاب يكشف عن إجراءات تسليم الهاربين بين مصر وأمورو، من الفرعون إلى عزيزو "انظر! لقد أرسل إليك الملك، سيّدك أسماء أعداء الملك في الخطاب ليد خني"^(٤٨) رسول الملك، فسلمهم إلى الملك، سيّدك، ولا تترك واحداً منهم. و(لكن) قيود النحاس توضع على كواحلهم"^(٤٩).

وبظهر في الوثائق الحثية ملك لـ نوخاشي يدعى تيتي. وقد تلقى معاهدة خضوع من شوبيلوليوما الأول، ربما في الوقت ذاته الذي وقع فيه عزيزو حاكم أمورو معاهدة مع الملك الحثي، ورد فيها أن يسلم الهاربين إلى الملك العظيم مباشرة، بعد دخولهم مملكته، وأن يفعل الشيء نفسه مع أولئك الذين يفترون على الجلالة الملكية الحثية، ويبدو أن الفقرات التالية تتضمن مرسوماً يتعلق بإرسال الهاربين إلى بلدان أخرى غير حاتي^(٥٠).

كما عرض شوبيلوليوما الأول التحالف على نيقدادو ملك أوجاريت، وأبرمت معاهدة بين أوجاريت وحاتي، ووعدت باستلام كل الأسرى والهاربين. كما نصت المعاهدة على كيفية معاملة اللاجئين الذين لم يسلموا إلى الملك الحثي^(٥١). فنصت على: " إذا هرب هارب من حاتي، وجاء إلى أرض أوجاريت يجب على نيقدادو القبض عليه، وإعادته إلى حاتي"^(٥٢). " الهاريون من نوخاشي، أو موكيش (عند مصب نهر العاصي) ، أو من أراضي أخرى.. لن يأخذوا من أيدي نيقدادو، ملك أوجاريت، أو من أيدي أبناءه أو أحفاده"^(٥٣).

وفي معاهد خاتوشيلي الثالث مع نيقمبيا ملك أوجاريت، توضح التزام التابع بـ " إذا هرب هارب من حاتي وجاء إلى أرض أوجاريت، سيقبض عليه نيقمبيا، ويعيده إلى حاتي، وإذا لم يُعده؛ أنت انتهكت القسم، وإذا هرب هارب من أوجاريت وجاء إلى حاتي، ملك حاتي، لن يقبض عليه أو يعيده، ولن يسمح ملك حاتي له بالعودة، وإذا هرب وجاء إلى أوجاريت من خانجيلبات^(٥٤) أو من مكان آخر. نيقمبيا لن يقبض عليه، ولكن سيسمح له بالذهاب إلى حاتي، وإذا أنت قبضت عليه فقد خالفت القسم"^(٥٥).

كما يتعلق مرسوم خاتوشيلي الثالث بالفارين – وربما يعود تاريخ النص إلى عهد نيقمبيا ملك أوجاريت . إذا حاول " مواطنون أحرار"، " خدم الملك" أو " خدم خادم الملك" الانضمام إلى "خابيرو الشمس"، الذين قد يكونون فرقة عسكرية مؤلفة من عناصر اجتماعية عديمة الأصول، تعمل الآن في خدمة الملك الحثي، فإن هؤلاء سوف يؤخذون أسرى ويسلمون إلى ملك أوجاريت^(٥٦). فيذكر المرسوم: " من خاتوشيلي، الملك العظيم، إذا خادم ملك أوجاريت، أو مواطني من أوجاريت، أي أحد يذهب ويدخل إلى أرض الخابيرو، جلالتي، الملك العظيم، لن يأخذه، ولملك أوجاريت، سأعيده، وإذا أحد من مواطني أوجاريت، بيع (كعبد) في بلد آخر، وهرب ودخل بين الخابيرو، أنا الملك العظيم لن أخذه، ولملك أوجاريت، سأعيدهم"^(٥٧).

كما تعهد الملك مرشيلي الثالث (١٢٨٢-١٢٧٥ ق.م) بتسليم الحرفيين من الأحرار الهاريين من أوجاريت، الذين ذهبوا إلى أرض خابيرو، والتي كانت تابعة لأرض الحثيين^(٥٨).

ويشير النص TM.75 B2420 الذي يعد معاهدة بين إبلا وآشور، أو إبلا وأبارسال، وهو مكان أو منطقة مختلفة عن آشور، وتحدث عن تسليم الفارين^(٥٩).

الهروب والنفى في معاهدات المدن السورية:

كان الملوك أصحاب المكانة المتساوية يخضعوا للالتزام يفرضه القانون لعودة اللاجئين والهاربين عند الطلب، ويوجد في المعاهدات التي عقدت بينهم بند تسليم الهاربين، ويقصد بهم أساساً العبيد على وجه الخصوص، فقد وُجد عدد من المعاهدات الدولية بين طرفين متكافئين في نصوص الألاع (تل العطشانة حالياً)، التزم فيها الطرفان تسليم العبيد الهاربين لأسيادهم، والبحث عن عبيدهم في البلاد التي هربوا إليها^(٦٠).

في المعاهدة الأولى ١٤٨٠ ق.م التي عقدها إدرمي مع بيليا Pilliya - منطقة Pilliya هذه في جوار موكيش. وهكذا يبدو التطابق بينها وبين Pilliya التابعة لكيزوواتنا ممكناً - وكان موضوعها الرئيسي تسليم الفارين^(٦١). ويذكر نص بتسليم الهاربين: " الهاربين يجب أن يعودوا.. الهارب من Pilliya، والذي قبض عليه إدرمي يجب أن يعيده لـ Pilliya، والهارب من إدرمي والذي قبض عليه Pilliya يجب أن يعيده إلى صاحبه، إذا كان رجل، سيعطيه مالكة ٥٠٠ شيكل من النحاس مكافئة له، وإذا كانت امرأة، وقال أنه سيعطي ١٠٠٠ شيكل من النحاس كمكافئة له"^(٦٢).

المعاهدة الثانية: حوالي ١٤٦٠ ق.م بين "إر تيشوب" ملك تونيب ونقيميا ملك موكيش والألاع، ابن إدرمي ووريثه، تتعامل بشكل أساسي مع تسليم الهاربين: " إذا كان العبد الهارب، سواء كان ذكر أو أنثى، هرب من بلدي إليك، يجب القبض عليه، وإعادته لي، لو أي شخص آخر قبض عليه وأعطاه إليك، يجب أن تحتفظ به في سجنك، وعند وصول صاحبه، يجب عليك تسليمه، إذا لم يتواجد العبد، أنت يجب مرافقته في المدينة حيث يمكن لصاحبه القبض على الهارب. وفي المدينة التي لا يقيم الهارب فيها، رئيس البلدية، وخمسة من شهوده يجب إعلان اليمين الآتية: "إذا عدي أقام عندك، يجب عليك إبلاغي (مالكة)"، وإذا لم يوافقوا على القسم، يجب عليك إعادة عبده له، وإذا أقسموا وفيما بعد ساعدوا العبد، وجعلوا منهم لصوص، يجب أن تقطع أيديهم من خلاف. وتدفع ستة الآلاف شيكل من النحاس إلى القصر من أجل العبد"^(٦٣).

بالإضافة إلى ما سبق، هناك العديد من الوثائق والمراسلات التي تتعلق بقضية الهاربين في سوريا القديمة. ومنها رسالة من ملك أوجاريت Ibiranu إلى نيقمبيا ملك الألاه، وموضوع هذه الرسالة، تسليم الهاربون الذين ينتمون إلى أسرة نيقمبيا^(٦٤).

كما توجد رسالة من ملك بيروت إلى ملك أوجاريت؛ كتب فيها عن المجرم الذي هرب إلى أوجاريت، وهناك من هرب إلى قبرص، وبناء على ذلك طالب الكاتب المرسل إليه القبض على الرجل وتسليمه لحامل هذه الرسالة^(٦٥).

ويتحدث النص At 101 عن هروب أربعة (ثلاثة نساء ورجل)، وعن إيصال استلام العبيد الهاربين، وهؤلاء العبيد هربوا من حلب، وهذا النص نص قضائي يتعلق بكيفية التعامل في الشئون الدولية الخاصة بهذه المسألة^(٦٦)، فتسليم الهاربين من بلدين مختلفين: الألاه (نقيمبيا ملك الألاه) وحلب (Arnuwar موظف كبير في حلب)، وتوقيع الشهود على هذا الأمر القضائي، وهو تطبيق لاتفاق تسليم الهاربين التي وقعت بين الألاه وحلب^(٦٧)، كما يذكر نفس النص السابق عودة هارب لمدينة Urume - وهو مكان يجب أن يكون خاضعاً لنقيمبيا - وذلك من قبل مسئول من حلب^(٦٨).

وفي حالة الحاكم الذي ينكر وجود الهارب في حدوده، يمكن مناقشته في هذه المسألة، مثل حالة Darish-Libur ممثل ماري في قصر ياريم ليم ملك يمخاض - الذي لعب دوراً نشطاً في إجبار ياريم ليم في تسليم الهاربين - فقد طالب مضيفه تسليم زعماء القبائل الذين هربوا في حرب ضد ماري، وفروا إلى يمخاض، ولكن كان رد ياريم ليم " هؤلاء الملوك ليسوا في أراضي إذا كانوا هنا، وأنا حجبته من زمري ليم، فليسمح أدد سيد حلب، أن يحقق مع ياريم ليم، إذا كان واحد واثنين، أو عشرة جاءوا إلى أراضي أنا ملزم بإعادتهم لزمري ليم، هؤلاء الرجال ليسوا ضمن منطقة نفوذي"، ولكن Darish-Libur عرف أن هؤلاء الرجال كانوا في إيمار (مسكنة حالياً)، وهي منطقة تحت سيطرة ياريم ليم^(٦٩)، لذلك أجابه " إن سلطانك الكامل على إيمار، أليست أرضك؟ فمن سيدي الذي يحتجز هؤلاء الرجال هنا؟" هكذا الكلمات أجبرت ياريم ليم على الاعتراف بالحقيقة، فأعطى أوامر إلى شيوخ إيمار لطرد هؤلاء الرجال^(٧٠).

ومما سبق تتضح تلك القضية بشكل كبير، من خلال المعاهدات والمراسلات الدولية، والتي تظهر لنا نوعين من اللاجئين، لاجئ سياسي من الطبقة العليا (النبلاء)، ولاجنو الطبقة الدنيا (من الصناع أو الفلاحين) ^(٧١).

ف نجد أن الأمراء في كثير من الأحيان يصعب تسليمهم، بينما يمكن لاجئون من الطبقة الدنيا مثل الصناع والفلاحين يسلموا إلى بلادهم ^(٧٢).

وكان اللاجئين العائدون إلى وطنهم لا يساء معاملتهم، ويرجع ذلك إلى قلق الملوك على نقص القوة البشرية العاملة خلال العصر البرونزي المتأخر، ولهذا تضمنت المعاهدات بند تسليم الهاربين، مثلما حدث في المعاهدة المصرية الحثية، وإن كانت حاتي لم تلتزم بإعادة الهاربين إلى تابعيهم ^(٧٣).

وقد اختلفت أوضاع الهاربين إلى أرض الملجأ على حسب سياسة الدولة التي هرب إليها اللاجئ، فمنحة اللجوء، في كل الأحوال لم تتضمن أمانة الهارب الشخصي دائماً، فعندما سقطت ميتاني على يد الآشوريين. على سبيل المثال. هرب قائد العربة الميتاني إلى بلاد بابل ومعه ٢٠٠ عربة بأطقمهم، وتذكر مقدمة المعاهدة بين شوبيلولوما وشاتي وزا ، أن الملك أخذهم إلى جيشه، وقام بإذلالهم ثم قام باغتياله، وكذلك شاتي وزا الذي كان قد لجأ إلى القصر البابلي وهرب فوراً إلى حاتي ^(٧٤).

وأيضاً هناك العديد من اللاجئين الذين طردوا على يد الحكام المحليين، وانتهى بهم الحال إلى الانضمام إلى فرق وقاطعي الطرق، مثل الخابيرو، الذين كانوا أحياناً يستخدمون كقوات غير نظامية، فالأمير إدرمي أجبر على الهروب من حلب، وقضى سبع سنوات مع محاربي الخابيرو، واستعان بهم لاستعادة العرش ^(٧٥). كما سيأتي الحديث عنه.

ويبدو أن اللاجئين من الأمراء كان لهم أهمية كبيرة عند الملوك الذين لجئوا إليهم، فمن المحتمل، كما يفترض Snell، أنهم كانوا يستخدموا كمستشارين في الأمور التي تخص موطنهم الأصلي، أو أوراق للمساومة، أو للوجاهة الاجتماعية لدى الملوك. بينما يختلف الوضع تماماً عند الحديث عن لاجئي الطبقة الدنيا. والذين كانوا في أغلب الأحيان موضوع تسليمهم ضمن مواد هذه المعاهدات ^(٧٦).

حالات الهروب والنفي:

أولاً: الهروب:

إن الهروب (اللجوء) والنفي الاختياري له العديد من الدوافع، أهمها : المشاكل الاقتصادية، والمجاعة، والهروب من العدالة، أو من الأعداء السياسيين^(٧٧). سواء في الداخل أو الخارج، ويمكن عرض هذه الدوافع فيما يلي:

١ - الهروب لأسباب سياسية:

هروب زمري ليم من ماري ولجؤه إلى حلب:

نعرف عن مؤسس مملكة ماري ياجيدو ليم (في حوالي ١٨٢٠ ق.م) أنه أُجِرم في حق إيلاكابكاوبو والد شمش أدد الأول، بعد أن كان حليفاً له^(٧٨). ودخل في صراع معه انتهى بأن تمكن ياجيدليم من طرده من منطقة ترقا (تل عشارة حالياً) وضم مملكته إليه^(٧٩).

ونتعرف من تسمية السنة السابعة لياخدون ليم ابن ياجيدو ليم، بأنها السنة التي أحرق فيها ياحدون ليم غلة أراضي شمش أدد (١٨١٥-١٧٨٢ ق.م)، بما يلقي الضوء على مظهر عدائي، بين شمش أدد الأشوري ومملكة ماري^(٨٠). وقد ورد في أحد نصوص - نص التأسيس^(٨١) - ياحدون ليم أنه قام بحملة عسكرية نحو الغرب وأخرى ضد أمراء ممالك أواسط الفرات^(٨٢).

ولم يرد أي ذكر للحرب التي نشبت بين ملك ماري وملك آشور، ولابد أن يكون توسيع ياحدون ليم لنفوذه، وتدعيمه لسلطته في مناطق أواسط الفرات، قد شكل السبب المباشر لاندلاع الحرب بينهما، ولا نعرف عن تفاصيل هذه الحرب؛ التي فقد ملك ماري في نهايتها عرشه، ونصب الملك الأشوري ابنه يسمخ أدد نائباً له على عرش ماري. وأما ابن ياحدون ليم، المدعو زمري ليم فقد هرب لاجئاً إلى حلب، عاصمة مملكة يمحاض^(٨٣). وبهذا استطاع شمش أدد الأول فرض هيئته على أهم المدن التجارية، في أواسط الفرات^(٨٤).

وتشير إحدى تسميات سنى حكم زمري ليم إلى هذا الحدث: "صعود زمري ليم إلى يمحاض"، كما يشير أحد خطابات ماري إلى صعود زمري ليم إلى حلب، والتي تعني ذهاب زمري ليم لاجئاً إلى يمحاض، بعد مجئ الاحتلال الأشوري وإقامة ملكه في ماري^(٨٥).

وهناك نص من عهد زمري ليم، يذكر ياريم ليم " ملكاً على حلب"، وقد عاش زمري ليم لفترة من الزمن في بلاط ياريم ليم، أي في حلب، قبل أن يصبح ملكاً على ماري^(٨٦). واستطاع ياريم ليم الأول مساعدته في طرد الآشوريين عن عرش آبائه، ومن ثم نشأت علاقة طيبة بين يحاض وماري، في عصر زمري ليم^(٨٧). وهذه العلاقة الطيبة بين ماري وحلب؛ هي التي جعلت زمري ليم يلجأ إلى حلب، وإن كانت تلك العلاقة تمتد جذورها إلى عهد سومو - ابوخ ملك يحاض، فنعلم من نص التأسيس أنه الملك الوحيد الذي وقف بجانب يخدون ليم؛ في حملته على أواسط الفرات^(٨٨).

وبفضل مؤازرة ياريم ليم له؛ استطاع زمري ليم استعادة عرش ماري، بعد طرد يسمح أدد الآشوري. ويُقر زمري ليم في خطاب إلى ياريم ليم: "حقاً إن أبي (أي ياريم ليم، صهره) هو الذي جعلني أستعيد عرشي"^(٨٩). واعتراضاً منه بالفضل، وامتناناً بعودة عرش أبيه إليه، أهدى تمثاله إلى حلب، لينصب أمام إله الطقس المحبوب والمبجل في حلب، ليعبر عن جزيل امتنانه وعمق ارتباطه بصلاة أزيلا^(٩٠).

كما تشير النصوص وقت الاحتلال الآشوري - خلال القرن ١٨ ق.م - لماري؛ إلى هروب الحرفيين وأطباء ونجارين ومغنين وحلاقين وكُتَّاب، ويبدو أنهم توجهوا إلى أرض حلب، حيث أسرة سامو أبوخ، التي كانت على عدااء مع الآشوريين، والتي يمكن أن توفر لهم ملجأ^(٩١). ومن ثم فإنهم اختاروا، بإرادتهم، مكان منقاهم ولجوئهم، والذي سيوفر لهم حياة كريمة، وهو نفس سبب لجوء زمري ليم إليها.

هروب إدريمي ملك الألاخ :

في بداية القرن ١٦ ق.م؛ كانت حلب قد فقدت دورها المهم في شمال سورية، نتيجة الاحتلال الحثي بقيادة موشيلي الأول (١٦٢٠-١٥٩٠ ق.م). ولكن بعد موت موشيلي الأول مرت الإمبراطورية الحثية بمرحلة من الضعف والفوضى، نتيجة الصراعات الداخلية التي حلت بها. ثم استطاعت حلب خلال هذه المرحلة استعادة استقلالها وقوتها، ودورها المهم في المنطقة، وقام على حكمها الملوك شارا-إل وأبا-إل وإليم-إليما والد إدريمي^(٩٢).

وقد أدى الصراع الداخلي في مملكة موكيش (عند مصب نهر العاصي) ^(٩٣) إلى هروب إدريمي إلى المنفى لفترة استمرت حوالي سبع سنوات ^(٩٤). وفيما يبدو أدى هذا الصراع إلى مقتل والد إدريمي، والاستيلاء على المدينة، ومثل هذه الصراعات الداخلية صورت في مراسلات تل العمارنة ^(٩٥)، نتيجة المصالح الداخلية بدعم من قوى أجنبية ^(٩٦).

مما لا شك فيه أن الصراع، أو التمرد، الذي حدث في حلب كان بتأييد من مملكة حوري-ميتاني ^(٩٧)، وأدى سقوط حلب وهرب أسرة إدريمي، نتيجة التمرد الذي حدث فيها، إلى أن يمد باراتارنا ملك حوري-ميتاني نفوذه حتى سواحل البحر المتوسط ^(٩٨).

ويعطي إدريمي بن إليم إليماً، في نقشه المدون على تمثاله - الذي صيغ على شكل "سيرة ذاتية": تقريراً عن الأحداث التي يجب أن تكون، قد جرت، خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر ق.م ^(٩٩).

ويصنف Snell نقش إدريمي كنص أدبي، ويناقش سماته الأدبية، وهو على غرار قصة سنوهي، وكذلك قصة الملك داود ^(١٠٠). وقصة يفتاح في سفر القضاة (١١: ١٠٢) ^(١٠١)، حيث تبدأ القصة بشكل غامض، مثل قصة هروب سنوهي الغامض، حيث يحدث عمل شرير في موطنه حلب، يجبر إدريمي إلى الهروب إلى المنفى، وكذلك العودة إلى بلده بالنسبة لسنوهي أو إدريمي، بنفس المكانة العالية ^(١٠٢).

ففي بداية النص يقدم إدريمي نفسه، ويذكر اسم والده، ويذكر أن تمرداً حدث في حلب مقرر حكم أبيه، وأرغمه هو وأخواته على الهرب إلى مدينة إيمار، حيث يقيم أقرباء أمه ^(١٠٣). فيذكر النقش: "أنا إدريمي بن إليم - أليما، خادم تيشوب، خيبات وشاوشكا سيدة الألاخ، سيدتي. في حلب بيت أبي. حدثت اضطرابات وهرينا (إلى) سادة إيمار أخوة أمي، وسكنا في إيمار" ^(١٠٤).

والجدير بالذكر أنه لا يرد في النص السابق تفاصيل ما حدث في حلب. والنص لا يذكر شيئاً عن هرب إلين - إليما والد إدريمي مع الهاربين إلى إيمار، فيمكن القول أنه قتل خلال التمرد الذي حدث، أو أن موته الطبيعي كان دافعاً للقيام بالتمرد. وكانت إيمار واقعة خارج منطقة نفوذ إليم - إليما، وكانت في القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد تحت سيطرة ملوك يمحاض، وكانت تقوم بينها وبين الألاخ علاقات قوية ^(١٠٥). كما أن فكرة الهروب إلى الأخوال تشبه هروب يعقوب ^(١٠٦)، وأبشالوم ^(١٠٧).

وبعد فترة إقامة في إيمار غادرها إدريمي متوجهاً إلى أرض كنعان، في جنوب غرب سورية، وذلك عبر بادية الشام. أما الأسباب التي دعت إدريمي إلى التوجه إلى أرض كنعان دون سواها، فكانت على ما يبدو قرب هذه المنطقة من البحر، ومن مناطق النفوذ المصري في سورية، مما يسهل الاتصال مع المصريين، وطلب العون منهم إذا دعت الضرورة، من أجل العودة مملكة أبيه. يضاف إلى ذلك أن أرض كنعان كانت ملجأ للعديد من سكان مملكة أليم-إليما^(١٠٨)، كما كان هروب إدريمي إلى أرض كنعان يدل على أنها كانت منطقة متميزة، ومنفصلة عن أرض ملكة الألاخ^(١٠٩). فيقول:

"رحلت وإلى أرض كنعان، وصلت. في أرض كنعان (تقع) مدينة أمياً سكن أناس من حلب، وأناس من أرض موكيش، وأناس من أرض نixي وأناس من أرض أمائي. هم سكنوا (هناك) عندما رأوني (وتأكدوا) أنني ابن سيدهم فإنهم حولي تجمعوا. وهكذا عملت كبيراً وحكمت. ولدى جماعات الخابيرو. أقمت سبع سنوات"^(١١٠).

فيما بعد توصل إدريمي، كما يبدو، إلى اتفاق مع باراتارنا ملك حوري-ميتاني، وعاد إلى الألاخ ليحكم فيها، كملك تابع لمملكة حوري-ميتاني^(١١١).

"سبع سنين باراتارنا الملك القوي ملك الحوريين عاداني. في السنة السابعة إلى باراتارنا الملك ملك الحوريين أرسلت أنوندا وتحديث. عن جهود آبائي بأن آبائي كانوا قد خلدوا إلى الهدوء وأجدادنا (كانوا) طيبين مع ملوك الحوريين، وأنهم فيما بينهم قسماً عظيماً، أقسموا . الملك القوي سمع عن جهود أجدادنا وعن القسم فيما بينهم، وخاف من علامة القسم لأجل محتوى القسم ولأجل جهودنا قبل هديتي الترحيبية، وفي (شهر) كينونو التالي قدمت أضاحي كثيرة وأعدت إليه البيت الهارب في إنسانيتي، في إخلاص، بشكل ودي أقسمت له. لذلك أصبحت ملكاً على الألاخ"^(١١٢). وقد اتفق مع باراتارنا أن الهاريين سوف يتم تبادلهم فقط بعد موافقة الملك الحوري^(١١٣).

وبالتالي أصبح إدريمي ملكاً على الألاخ، وفرض هيمنته على موكيش ونوخاشي ونيا^(١١٤)، من جديد، بعد أن أقسم يمين الولاء لملك ميتاني، والذي يشير إلى عداوة طويلة (سبع سنوات) لباراتارنا، والتي تتطابق مع "السنين السبع" من النفي التي عاشها، كما يشير إلى العلاقات الطيبة، التي كانت قائمة سابقاً بين ميتاني والسلالة الحاكمة في حلب^(١١٥).

كما يمكن أن يشير هذا القسم إلى: أن توسع السيادة الميتانية لم يكن متطابقاً مع زيادة مساحة دولة ميتاني، بل كان في إخضاع مناطق أخرى، عن طريق تأدية يمين الخضوع من قبل السلطات المحلية . ويبدو أن المناطق التابعة للميتانيين، كانت تقوم على الخضوع الشخصي، الذي يربط المناطق الأخرى مع السيد الأعلى، أكثر من دمج هذه المناطق في تركيبة دولة ميتاني^(١١٦).

ومن المفترض، أن تكون قد جرت اتصالات مسبقة مع حوري- ميتاني، فإدريمي نفسه يذكر أنه أرسل رسولاً، إلى باراتارنا في السنة السابعة لنفيه، بعرض جديد للخضوع وهدية مناسبة. وأخيراً أقسم يمين الولاء لباراتارنا، وعقد معه معاهدة لم يصلنا نصها، وربما ظهرت على الأقل في شكل جزئي في السيرة الذاتية، ويشار إلى القسم أيضاً^(١١٧). ومن الأسباب المحتملة التي سهلت عودة إدريمي إلى شمال سورية: حملة تحتمس الأول على شمالي سوريا^(١١٨).

٢- هروب لأسباب اجتماعية:

قضية هروب ابنة السيدة العظيمة:

بعد حادثة نفي إخوة عميشتمرو الثاني ملك أوجاريت- سوف يتناولها الباحث لاحقاً- كان مركزه السياسي مهزوزاً، وكان لابد من تقويته بالمصاهرة مع مملكة أمورو، فتزوج من بنت بينتشينا ملك أمورو.

والقضية التي تسمى " قضية ابنة السيدة العظيمة، التي وصلتنا في صيغة تحكيما تودخاليا الرابع وإني تيشوب^(١١٩)، وفي رسائل لـ شاوشجا مووا ملك أمورو، وفي العديد من الاتفاقات بين هذا الملك وعميشتمرو الثاني. تقول النصوص المتعلقة بذلك: هربت " ابنة السيدة العظيمة" إلى أخواتها (ربما أفراد من عشيرتها أو قبيلتها). فأخبر شاوشجا مووا ملك أمورو بذلك، فأرسل الهاربة إلى المنفى، ولم يسلمها إلى أوجاريت، وأرسل رسالة ودية إلى عميشتمرو الثاني ملك أوجاريت. وفشلت محاولة عميشتمرو الثاني لاستعادة " ابنة السيدة العظيمة " بالقوة. وتدخل تودخاليا الرابع بمرسوم، وترتب على شاوشجا مووا أن يرسل الهاربة إلى أوجاريت، وأن تحل المشكلة باتفاق جديد مع أمورو^(١٢٠).

في النصوص التي تناولت هذه القضية لم تذكر لها اسماً محدداً، ويمكن تعريف هذه السيدة بأنها كانت ابنة بينيتشينا ملك أمورو، وزوجة عميشتمرو الثاني ملك أوجاريت^(١٢١). ومن المحتمل أنه أطلق عليها لقب " ابنة السيدة العظيمة بنت ربعتي"، لأنها كانت ابنة بينيتشينا من زوجته الملكية الحثية المدعوة Gashuliyawiya^(١٢٢)، وبالتالي هي بنت أخت تودخاليا الرابع. وهي في نفس الوقت أخت لـ شاوشجا مووا؛ ملك أمورو الذي خلف بينيتشينا، واقترح البعض تعريف زوجة عميشتمرو باسم Piddu^(١٢٣).

أسباب الهروب

تكشفُ النصوصُ طلاقَ عميشتمرو الثاني، ملك أوجاريت، وأميرة أمورو، تلك فضيحة التي هزّت القصور السورية حولي ١٢٤٥ ق.م. وتركت الأميرة عميشتمرو الثاني، التي اتهمت بارتكاب "المخالفة" ضدّ الملك^(١٢٤). فتصف أحد النصوص الحالة بأنها: " بنت بينيتشينا، ملك أمورو، زوجة عميشتمرو، تسببت في مرض رأسه، وهو تركها للأبد"^(١٢٥). وفي نص آخر " الآن بنت السيدة العظيمة، زوجتك ارتكبت جريمة عظيمة ضدك"^(١٢٦).

ويرجح البعض أن الذنب، أو الجريمة العظيمة الذي ارتكبتها، والتي تسببت في مرض رأس عميشتمرو كانت الزنا، والتي كانت سبباً في الطلاق^(١٢٧)، ويستند أصحاب هذا الرأي إلى النصوص التي ظهرت فيها كلمة الجريمة العظيمة، أو الخطيئة الكبرى، والتي ظهرت أربع مرات في النصوص المصرية والتي تعني الزنا^(١٢٨). وظهرت حوالي خمس مرات في الكتاب المقدس، ويقصد بها الخيانة الزوجية (الزنا)، وتستخدم أيضاً في عبادة الأصنام، وهو أيضاً زنا روحي، حيث الشعور بارتكاب الزنا، وذلك بالانخراط في عبادة الأصنام^(١٢٩).

يقترح Nougayrol أن سبب طلاقها هو: وقوفها إلى جانب المعارضة المؤيدة لمصر في أوجاريت ضد الحثيين، وهذا ما شجع الملك الحثي إزالته هي وأبنائها، وهذا التخمين فقط بسبب نقل بينيتشينا ولاءه من حاتي إلى مصر، قبل معركة قادش^(١٣٠). ويبدو أن تحليل Nougayrol يضع أسباب الطلاق ضمن نطاق سياسي؛ أوسع مما يحتمل.

وهناك من يرى أنها ارتكبت عملاً يستحق العقاب كتآمرها على الملكة - الأم والدة الملك التي كانت تشارك ابنها الحكم، وتحول بينها وبين دورها كملكة وكأم لولي العهد^(١٣١).

ويرجح الباحث أن سبب الطلاق كان الخيانة الزوجية، استناداً على مقتلها على يد زوجها، وهذا العقاب (الموت) هو عقاب الخيانة الزوجية في أغلب قوانين الشرق القديم، ففي قانون إشنونا " يوم يقبض عليها في حزن آخر! يجب أن تموت لا تستمر على قيد الحياة"، وكذلك في المادة ١٢٩ من قانون حمورابي، وكذلك في القوانين الآشورية من العهد الآشوري الوسيط ١٣٦٥-٩١٠ ق.م: " إذا تركت زوجة رجل بيتها وذهبت إلى رجل آخر حيث يسكن، فإذا ضاجعها وهو يعرف أنها زوجة رجل يقتلون الرجل والمرأة"^(١٣٢)، وكذلك في القوانين المصرية القديمة^(١٣٣)، وكذلك في المادة ١٩٧، ١٩٨ من القوانين الحثية، ولا شك هناك تشابه في النظرة للمرأة الخائنة في عموم الشرق الأدنى القديم، وذلك للمؤثرات الاجتماعية وانتقالها نتيجة وجود صلات اقتصادية، منها التجارة التي ربطت بلاد الرافدين وبلاد الشام، بالإضافة للحملات العسكرية^(١٣٤).

وتذكر النصوص أحداث ما بعد الطلاق: هربت بنت السيدة العظيمة من أوجاريت، وعندما وصلت إلى أمورو قام أخوها شاوشجا مووا، ملك أمورو بنفيها بعيداً عنه، ويبدو أنه فعل ذلك لأسباب سياسية، كما سيتضح من مراسلاته مع عميشترو الثاني:

"طارد عميشترو ملك أوجاريت بنت السيدة العظيمة، زوجته، بنت بنيثشينا، ملك أمورو، بعيداً عن بيته وبلده، حتى وصلت إلى أمورو، شاوشجا مووا، ملك أمورو، أرسل أخته بنت السيدة العظيمة، بعيداً عن قصره في أمورو، واسكنها، في مدينة أخرى"^(١٣٥).

تدخل الملك الحثي وملك كركميش:

كانت النزاعات التي تتعلق بهذا الطلاق معاصرة لثلاثة ملوك من أوجاريت وأمورو وكركميش. ووردت هذه القضية في حوالي ١٥ رقيم، وهذه النصوص تشمل سلسلة من القرارات الإمبراطورية؛ أصدرت من قبل الملك تودخاليا الرابع، وأني تيشوب، ورسائل بين عميشترو الثاني وشاوشجا مووا، والتي وضعت شروط طلاقها، ثم المنفي ثم التسليم، ثم الإعدام على يد عميشترو الثاني^(١٣٦).

وترجع أهمية هذه القضية، والتي أدت إلى التدخل الحثي، لأنها " بنت السيدة العظيمة"، وأخواتها أبناء السيدة العظيمة، ولمكانتها المرتفعة التي حصلت عليها من خلال خاتوشيلي الثالث، كأحفاد له من ابنته Gashuliyawiya في أمورو. إن مستوى التدخل الإمبراطوري يوضح منزلة المرأة، وكزوجة لعميشتمرو، لذا كانت محل قلق الإمبراطوري^(١٣٧).

كما أن التدخل الحثي يعكس الاهتمام بتعاقب الملوك في أوجاريت، ويعتبر تنفيذاً فعلياً للمعاهدة التي عقدت بين خاتوشيلي الثالث وبيننشينا.

مرسوم تودخاليا الرابع:

يشهد المرسوم الحثي بزواج بنت بيننشينا من عميشتمرو ويصدق على طلاقها ومنفاهها، ويملي نتائج الطلاق من ناحية ملكيها - وعلاقتها بابنها عندما تترك أوجاريت بعد أن أخذت كل المتعلقات التي جاءت بها من أمورو - فقدها كل ادعاء بعلاقاتها بأطفالها الملكين^(١٣٨).

فتبدأ الأسطر (١-٣) بألقاب الملك الحثي تودخاليا، الملك العظيم، ملك حاتي. (٤-١١) الأحداث الرئيسية التي أدت إلى هذه الحالة. (١٢-٢١) يجب أن تترك بيت عميشتمرو وتأخذ فقط ما جاءت به من أمورو. (٢٢-٤٢) يتعلق موقع ابنها كولي عهد وعلاقتها به، إذا قرر أن يتبع أمه إلى أمورو؛ سيفقد ميراثه ومكانته في أوجاريت، وإذا بقي في أوجاريت وحاول إعادة أمه، وتنصيبها كملكة في أوجاريت بعد وفاة أبيه، سيفقد موقعه وميراثه. (٤٣-٥٠) تمنعها من الاتصال في المستقبل بأبنائها الآخرين من البنات^(١٣٩).

مرسوم كركميش:

يهتم فقط بأملأكها التي حصلت عليها أثناء إقامتها في أوجاريت، واشترط أن كل ملكية حصلت عليها في أوجاريت تعود إلى عميشتمرو^(١٤٠).

فيذكر النص: " في حضور أني تيشوب، ملك كركميش، شاوشجا موا، ملك كركميش، حفيد شاري كوشوخ، ملك كركميش الشجاع، كل شيء يعود إلى بنت بيننشينا، ملك أمورو، من الفضة، ذهب، أو نحاس أو متعلقات برونزية أو منح رسمية أو هدايا، أو عبد أو جارية أو كساء أو كتان، والتي جاءت بها بنت بيننشينا ملك أمورو، كلها تعود إلى عميشتمرو، ملك أوجاريت"، " الآن UtriSarruma في أوجاريت، إذا قال: "أنا سوف اتبع أُمي"....."^(١٤١).

قائمة الأشياء التي يجب أن تعود إلى ملك أوجاريت؛ تشير إلى غنى ومكانة ملكة أوجاريت، وما كانت تحصل عليه من هدايا، كما أن كتابة مرسوم من كركميش يشير إلى أن الموضوع ليس مسألة داخلية. ولكنها قضية تستحق تدخل السلطة الحثية.

ولم يغفل التحكيم التعرض لمصير الأولاد وإصدار القرار بشأنهم. وقد نص هذا القرار بأن تترك للأولاد، أي لولي العهد وأخويه: حرية البقاء في أوجاريت، أو الالتحاق بأهمهم وفقدان حقوقهم، ويبدو أن ولي العهد تخلى عن حقه في الملك^(١٤٢).

وفيما يبدو أن تدخل أني تيشوب ملك كركميش، وإصدار مرسوم، أدى في النهاية إلى تسليم المرأة إلى عميشترو الثاني، فيذكر النص: " في هذه الأيام، شاوشجا مووا، ابن بينتشيينا، ملك أمورو، أخذ بنت السيدة العظيمة، وأعطاهَا لعميشترو، ابن نيقمبيا، ملك أوجاريت"^(١٤٣).

ومن المرجح أنه عندما أصدر الملك الحثي وملك كركميش المراسيم الخاصة بهذه القضية، وأثبتت الخطأ الكبير في حق عميشترو، كل ذلك جعل شاوشجا مووا يوقن بأنه يجب عليه تسليم أخته إلى عميشترو، حتى لا يدخل في مشاكل سياسية مع أوجاريت، فالتزم بقرار مرسوم أني تيشوب، بل وحاول إقناع عميشترو بأنه معه في نفس الجانب، وربما هي محاولة منه لتلطيف المشاعر القاسية التي أدت إلى الطلاق^(١٤٤). فأرسل إليه قائلاً: " في هذه الأيام، شاوشجا مووا، بنت بينتشيينا، ملك هكذا قال لعميشترو ابن نيقمبيا، ملك أوجاريت، الآن بنت السيدة العظيمة، زوجتك ارتكبت جريمة عظيمة ضدك، وأنا، حتى متى سأبقى، وأحرس التي أجرمتك في حق، الآن بنت السيدة العظيمة Rabiti التي أجرمت، خذها أنت، وإذا أردت إقتلها، وإذا أردت إرمها في منتصف البحر، مهما تمنيت، افعله مع بنت السيدة العظيمة.... عميشترو، ابن نيقمبيا، ملك أوجاريت، يعطي ١٤٠٠ شيكل من الذهب لشاوشجا مووا، ابن بينتشيينا، ملك أمورو، لو شاوشجا مووا، ابن بينتشيينا، ملك أمورو، يذهب، يقول لعميشترو، ابن نيقمبيا، ملك أوجاريت، هذا الذهب غير كافي، وأعطني ذهب آخر، هذا اللوح شاهد ضده"^(١٤٥).

وقد بعث الملك عميشترو ألف شيكل من الذهب كدفعة أولية لشاوشجا مووا، وفيما يبدو أنها أموال دفعها عوضاً عن دم بنت السيدة العظيمة، حيث قام الملك عميشترو بقتلها، فيذكر النص: " في هذه الأيام عميشترو، ابن نيقمبيا، ملك أوجاريت، علم أن بنت السيدة العظيمة ماتت، هو أعطى، ألف شيكل من الذهب المصفى إلى شاوشجا مووا، ابن بينتشيينا، ملك أمورو...."^(١٤٦).

كما اهتم مرسوم تودخاليا وأنى تيشوب بأحداث ما بعد قتلها، حيث أكد على عدم مقاضاة عميشترو من قبل شاوشجا مووا، أو أي فرد من أفراد عائلتها: " في المستقبل شاوشجا مووا، ابن بينتشيينا، ملك أمورو، وأبناء السيدة العظيمة، لن يقيموا أي نوع من الدعوى ضد عميشترو، ابن نيقمبيا، ملك أوجاريت، أو أبائه للأبد، لو أنهم سعوا لإقامة أي دعوى، هذا اللوح شاهد عليهم" (١٤٧).

وهناك نص آخر يذكر أيضاً: " في المستقبل شاوشجا مووا، ابن بينتشيينا، ملك أمورو، وأبناء السيدة العظيمة، لن يقاضوا عميشترو، ابن نيقمبيا، ملك أوجاريت، ولو أنهم أقاموا أي دعوة وقالوا " أعطِ لنا تقويضاً لدم أختنا، هذا اللوح شاهد عليهم" (١٤٨).

الرغبة في الحرية:

تعرض رسالة من شمش أد إلى ابنه: أن الطباخين الملكيين كان لديهم رغبة في الهروب لأخذ حريتهم: " الخادمة (Resat-Aya) هربت، هذه الخادمة قُدم لها المساعدة (؟) من قبل طباخك الذي جلب السمك لي ... إذا لم تعثر عليها عند الطباخ، الذي جلب لي السمك، أرسل لي"، وهذا ليس من المستحيل فإن التطلع للحرية جعل هذا الطباخ يقدم لها المساعدة (١٤٩).

وهناك رسالة من ملكة أوجاريت تكتب إلى شخص يدعى Yarmihaddu من أجل استرداد عبد: " رسالة من الملكة إلى Yarmihaddu، أخي، أقول (فيما يتعلق) بالرقيم (الذي قلت فيه) " لديك عبد من الذين أخذتهم ... وأنا، من ناحيتي، أعطي زوجته لك، وإن هذا العبد بذل جهداً في مزرعتي، ولكن هذا العبد عاد لزوجته في منزلك، وأنت سيد ... ، لذا يجب أن يتم القبض على هذا العبد، وتسليمه لي ... " (١٥٠).

٣- الهروب لأسباب جنائية:

أ- هروب مجموعة من المجرمين من مصر إلى أمورو:

في رسالة من الملك أمنحتب الرابع، إلى عزيزو حاكم أمورو، يطالبه فيها بتسليم مجموعة من المصريين الذين أجزموا في حق الملك، وتسليمهم إلى مندوبه خني مكبلين بالأغلال: " انظر! لقد أرسل إليك الملك، سيّدك أسماء أعداء الملك في الخطاب ليد خني رسول الملك فسلمهم إلى الملك، سيّدك، ولا تترك واحداً منهم. و(لتكن) قيود النحاس توضع على كواحلهم، انظر! (ها هم)

الرجال الذين (يجب عليك أن) تسلمهم إلى الملك، سيذك: شرو^(١٥١) مع جميع أبنائه، توبا، ليا^(١٥٢) مع جميع أبنائه، بشياري^(١٥٣) مع جميع أبنائه، الابن الشرعي لمانيا^(١٥٤) مع أبنائه (و) مع زوجاته، الضابط الذي اعتاد التنيس (هو) نفسه (الشخص) الغريب الذي سخر مني، داشرتي^(١٥٥) (و) بعلوما (و) نمخي^(١٥٦) اللص قاطع الطريق (الموجود) في بلاد أمورو نفسها. " (١٥٧). ويبدو أن هؤلاء المجرمين من المصريين اتخذوا طريق الهرب إلى أمورو في مناطق الغابات^(١٥٨)، ومنها الانضمام إلى جماعات الخابيرو.

وفيما يبدو أن الملك أمنتب الرابع أرسل خني عدة مرات ليتسلمهم من أمورو، لأهمية هذا الموضوع، ولكن عزيرو، كعادته المروعة، كان يتهرب من لقاء خني، كما ورد في رسالته التي أرسلها إلى أمنتب الرابع، مدافعاً عن نفسه قائلاً: " والآن، يقول سيدي لي: " لقد اختبأت من وجه خاني". (إن) إلهتك والشمس يعرفون حقاً إذا ما (كنت) مقيماً في مدينة تونيب. " (١٥٩). ولهذا أرسل أمنتب قائلاً: " والآن، لقد سمع الملك، سيذك أنك كتبت إلى الملك ما يلي: " ليت الملك، سيدي يرسل إلي خني رسول الملك ثانية، وليتني أسلم أعداء الملك إلى عهده. " الآن، كما نقول سيأتي إليك، فسلمهم ولا تترك وحداً، منهم. " (١٦٠).

ب- الدين:

في حالات هروب شخص مدين من بلد إلى آخر؛ كان يدفع الضامن كفالة كما تشير أحد الوثائق RS.15.128.161، والتي تذكر أن أحد الضامين دفع كفالة من أجل Matenu والذي هرب إلى بلد آخر، وتذكر الوثيقة RS19.66.116 أنه في حالة هروب كل من Plgn و kli و Talduna و Tarrakanu تدفع كفالة لـ Apsuna ألف شيكل من الفضة، وفي حالة عدم دفعها يتم بيعهم إلى مصر، وتشير الوثيقة RS16.287.37 وغيرها إلى حالات الهروب من الدين، سواء إلى حلب أو إيمار^(١٦١). وفي الوثيقة RS4.449: " يتحدث Ibira هكذا: يقول نيقميا، فلتسمح لبعل أن تحمي حياتك، الآن ... هربوا من عائلتي، وقيموا في Aladxa الآن إلق القبض عليهم، ولكن هم أخذوه بعيداً، إنه مدين بميناً من الفضة... وقد تسببوا في فقدان ثلاثة خيول وهربوا .. " (١٦٢).

ومن الألاخ At.48 : " في حضور الملك Ilimi- Limma و Baaalaya السماك، استلم ٢٤ شيكل من الفضة (وفقاً) لأوزان الألاخ، من Ilimi- Limma ابن Tuttu من أجل Zamatura (زوجته) و Akiya ابنه ... إذا هرب Baaalaya ، أو مات، فإن زوجته وأولاده، أو حد أفراد عائلته، سوف يدفع الدين". ونفس الموضوع تناولته وثيقة At.49^(١٦٣).

ج- التزييف:

ذكرت إحدى وثائق أوجاريت: أنه يوجد في المدينة ثلاثة أفراد ارتكبوا ذنباً عظيماً، حيث زيفوا الختم الملكي وأصدروا وثائق مزيفة. ولم يعاقبهم الملك بالإعدام، ولكن أبعدهم من القصر ومن " أرض المدينة"^(١٦٤).

ثانياً: النفي :

نفي أدو نيراري ملك نوخاشي وعائلته إلى حاتي:

كانت بلاد نوخاشي متحالفة أو خاضعة للميتانيين، إلا أن شوبيلويوما الأول نجح في عقد تحالف مع ملكها شاروبشي، أثناء إعداده لحملة على سوريا، فرد الملك الميتاني توشراتا على ذلك بغزو مملكة شاروبشي، فوجه شاروبشي نداء إلى شوبيلويوما طالباً العون، ولسوء حظ شاروبشي تم اغتياله من أحد أفراد أسرته، قبل وصول المساعدة، وأعادوا المملكة إلى تحالفها السابق مع الميتانيين، تحت حكم ملك جديد وهو أدو نيراري، وظل شوبيلويوما منشغلاً بغزو أرض الميتانيين، ولم يكن لديه وقت للاهتمام بمشكلة نوخاشي، حتى تمكن من اجتياح عاصمة الميتانيين واشوجاني والاستيلاء عليها، وعند عودته إلى غرب الفرات غزا بلاد نوخاشي^(١٦٥).

ونفي الملك الحثي أسرة شاروبشي ملك نوخاشي وملكها أدو نيراري إلى حاتي^(١٦٦). وذلك بعد حملته الناجحة على شمال سوريا، والتي يطلق عليها حملة العام الواحد^(١٦٧). لولاءه الشديد لمصر، كما تذكر أحد رسائل العمارنة " وملك بلاد حاتي كتب إليّ بخصوص عقد تحالف. سيدي ! لقد رفضتُ الرُّقْم والمواثيق، ومازلتُ خادم ملك بلاد مصر"^(١٦٨).

كما تم نفي أكي نيشوب حاكم نيا، والأمير أكيا حاكم أرلختي - وهي مركز إقليمي يقع في مكان ما بين نيا وقطنة - وفرقهم من الماريانو إلى حاتي، بسبب ثورتهم ضد الحثيين، ومهاجمتهم أرض أوجاريت^(١٦٩)، وهم الذين أطلق عليهم المبعدون NAM.RA من نيا، والوارد ذكرهم في معاهدة عزيزو، كجزء من الغنيمة التي أخذها الحثيون خلال هذه الحملة^(١٧٠).

نفي شوتاتارا ملك قادش:

خلال حملة الملك الحيثي شوبيلوليوما على شمال سورية، قام ملك قادش شوتاتارا بمهاجمة الجيش الحيثي، ويؤكد شوبيلوليوما، في مقدمة المعاهدة مع شاتي، وازا، أنه لم يكن لديه نية بمحاربة حاكم قادش، ويبدو هذا معقولاً، نظراً لحقيقة أن ملك قادش كان تابعاً لمصر. ولم يرغب الحيثيون في المغامرة بالدخول في حرب مفتوحة مع مصر، في الوقت الذي كانت فيه مملكة ميتاني، ما تزال قوية، وتقع عند مؤخرة الفرق الحيثية. ونتج عن أعمال قادش العدوانية، نفي الملك شوتاتارا وأيتاكاما إلى حاتي^(١٧١). وتذكر رسائل العمارنة أيتاكاما فقط، وتشير إحداهما^(١٧٢) إلى حكم أيتاكاما في قادش، بعد أن غادر الجيش الحيثي سورية للمرة الثانية وقبل حصار كركميش. هذا يعني أن أيتاكاما، كان قادراً على العودة إلى مدينته وحكمها بمفرده، ذلك بالاتفاق مع الحيثيين. لذلك اعتبر هذا الأخير خائناً في نظر الملك المصري. والجدير بالذكر أنه اغتيل من قبل أحد أولاده، عندما فشلت الثورة ضد الحيثيين^(١٧٣). ووفقاً لنص "مآثر" شوبيلوليوما، فإن مصر ردت على التهديدات الحيثية بإرسال حملة إلى منطقة قادش، خلال عهد الملك حورمحب^(١٧٤).

نفي تيتي ملك نوخاشي:

من الراجح أن تيتي هو حاكم نوخاشي الذي حكم بعد نفي أدو نيراري، وعقد معاهدة خضوع مع شوبيلوليوما. التي ظهرت في الوثائق الحيثية^(١٧٥). لقد قامت ثورات في المدن السورية ضد الحيثيين، وفي نوخاشي المدعو تيتي، فقد ألغى معاهدته مع شوبيلوليوما^(١٧٦)، ظناً منه أن الجيش المصري سيساعده، وأن الوجود الآشوري، بالقرب من منطقة الفرات الأوسط، سوف يقيد القوات الحيثية هناك، لكن الهجوم المصري فشل^(١٧٧). ويبدو أن هذا قد حدث في الوقت الذي كانت فيه مصر، تجدد نشاطاتها في سورية، بقيادة حورمحب. في السنة التاسعة (نحو ١٣١٢ ق.م)^(١٧٨). ويبدو أن حورمحب شجع التمرد السوري ضد الحيثيين^(١٧٩).

ويشير مورشيلي الثاني إلى أحداث تمرد ملوك أرض نوخاشي، وملك أرض كنزا Kinza، حيث كتب مرشيلي غاضباً لنظيره الملك المصري: "ثم... أصبح عدوي، وكتب تيتي إلى رجل مصر قائلاً: أرسل قوات وعربات و.. سوف.. لي فصاعداً وأنا سأنقلب (أعلن التمرد)

وَأَتَيْتُ إِلَى مِصْرَ . أَنَا كَتَبْتُ إِلَى aAma'a قَائِلًا: "مَنْذُ كَانَ تَبْتَئِي فِي خِدْمَتِي، لِمَاذَا لَمْ يَرْسَلْ فِرْقَكَ وَعَرِبَانِكَ بَعِيدًا؟ إِسْمَحْ لَخِدْمِي يَعودُ لِي، aAma'a لَمْ يَسمحْ لَهُ بِالْعُودَةِ لِي" ^(١٨٠).

وَيَبْدُو أَنَّ هَذِهِ الثَّوْرَةَ قَامَتْ فِي الْعَامِ السَّابِعِ مِنْ حُكْمِ مَوْشِيلِي، وَوُجِدَ صَعُوبَةٌ كَبِيرَةٌ فِي إِخْمَادِهَا لِلتَّدْعِيمِ الْمِصْرِيِّ لِهَذِهِ الثَّوْرَةِ ^(١٨١)، وَتَذَكَّرُ وَثِيقَةُ بَرْجَا (رِيْمَا تَقَعُ جَنُوبَ حَلَبَ وَشَرْقَ نَهْرِ الْعَاصِي) أَنَّ الَّذِي شَجَعَهُ عَلَى التَّمْرَدِ: عِلْمُهُ بِأَنَّ حَمَلَةَ مِصْرِيَّةً بِالْقَرَبِ مِنَ الْمُنْطَقَةِ (الْأَسْطُر ١٨-١٩) وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي دَفَعَ مَوْشِيلِي إِلَى اتِّخَاذِ إِجْرَاءَاتٍ فَوْرِيَّةٍ، وَلَكِنْ فَضَّلَ عَدَمَ الذَّهَابِ بِنَفْسِهِ ^(١٨٢). فَأَرْسَلَ قَائِدَهُ Kantuzili لِلتَّعَامُلِ مَعَ هَذِهِ الثَّوْرَةِ، وَشَارَكَهُ شَارِي كُوشُوحَ (حَاكِمُ كَرْكَمِيشَ) فِي إِخْمَادِهَا ^(١٨٣)، وَمِنْ الْمَحْتَمَلِ أَنَّ شَارِي كُوشُوحَ طَلَبَ قُوَّاتٍ مُسَاعِدَةً مِنْ مَلِكِ أَوْجَارِيَّتِ نِيْقَمْبِيَا، لِمُسَاعَدَتِهِ ضِدَّ تَبْتَئِي ^(١٨٤). بَيْنَمَا كَانَ مَوْشِيلِي فِي مَدِينَةِ Ziluna يَنْتَظِرُ الْأَخْبَارَ، وَالتَّتِي وَصَلَتْ بِأَنَّ الْمِصْرِيِّينَ تَرَاوَعُوا، وَتَمَّ أَسْرُ تَبْتَئِي وَسُلِّمَ إِلَى شَارِي كُوشُوحَ، وَالَّذِي أَطْلَقَ سَرَاحَهُ، وَبَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ مَاتَ شَارِي كُوشُوحَ، مِمَّا سَمَحَ لِتَبْتَئِي بِالتَّمْرَدِ مِنْ جَدِيدٍ، فَأَرْسَلَ مَوْشِيلِي قَائِدَهُ Kurunta، فَقَامَ بِتَدْمِيرِ مَخَازِنِ الْحُبُوبِ، لِيُخْضَعَ هَذَا التَّمْرَدُ ^(١٨٥).

وَيَذَكِّرُ مَوْشِيلِي الثَّانِي هَذِهِ الْأَحْدَاثَ، فِي حَوْلِيَاتِهِ لِلْعَامِ السَّابِعِ: أَنَّ أَخُوهُ - مِنْ الْمَفْتَرَضِ أَنَّ يَكُونُ شَارِي كُوشُوحَ - الَّذِي عَهِدَ إِلَيْهِ مَنَفًى نُوخَاشِي، وَالَّذِي أَتَى بِهِ، مِنْذُ فِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ مَعَ زَوْجَتِهِ وَأَطْفَالِهِ لِحَاتِي، وَلَكِنْ شَارَ كُوشُوحَ فَشَلَ فِي تَنْفِيزِ تَعْلِيمَاتِهِ، وَالَّذِي كَانَ مِنَ الْمَفْتَرَضِ أَنَّ يَصْطَحِبَهُ إِلَى حَاتِي، أَعَادَهُ مَرَّةً أُخْرَى، فَشَارَكَ فِي التَّمْرَدِ مَعَ آخَرِينَ مِنْ نُوخَاشِي ^(١٨٦).

وَيَبْدُو أَنَّ مَوْشِيلِي الثَّانِي، فِي عَامِهِ التَّاسِعِ، سَحَقَ هَذَا التَّمْرَدَ، وَلَا تَوْجَدُ أَيُّ إِشَارَةٍ فِي حَوْلِيَّاتِ الْأَعْوَامِ ١٠-١١ وَبَدَايَةِ ١٢ عَنْ تَبْتَئِي، مِمَّا يُوحِي أَنَّهُ هَزَمَ وَلَمْ يَسمحْ لَهُ بِالْبَقَاءِ فِي عَرْشِ نُوخَاشِي، وَيَبْدُو أَنَّهُ هَرَبَ إِلَى مِصْرَ ^(١٨٧)، كَمَا يُشِيرُ النَّصُّ السَّابِقُ عَنْ مَطَالَبَةِ مَوْشِيلِي مَلِكِ مِصْرَ aAma'a وَالَّذِي يَرْجَحُ Miller أَنَّهُ هُوَ حُورُ مَحَبَّ ^(١٨٨). لِذَلِكَ يَبْدُو أَنَّ هَذَا الْوَضْعَ الْإِقْلِيمِي فِي سُورِيَا دَفَعَ مَوْشِيلِي الثَّانِي إِلَى عَقْدِ مَعَاهِدَةٍ مَعَ حُورِ مَحَبَّ ^(١٨٩).

نفي بينتشيـنا حاكم أمورو:

تميز عهد بينتشيـنا ملك أمورو بأشدتاد النزاع المصري الحثي، وقد حاول الاستفـادة من موقع أمورو بين القوى المتصارعة، كما فعل سلفه عزيزو، لكن الوضع كان قد تغير^(١٩٠). وبلغ الصراع المصري الحثي، الذي تركـز على وسط سورية، ذروته في معركة قادش ١٢٧٥ ق.م ففي سنة حكمه الرابعة، قاد رعمسيس الثاني جيشه، وسار بمحاذاة الساحل السوري إلى بلاد أمورو. وظهر، مرة أخرى، في هذه المنطقة، في سنة حكمه الخامسة. وبما أنه لا يوجد دليل على مقاومة أمورو لهذه العمليات المصرية، فقد يدل على أن أمورو أبرمت اتفاقاً قبل ذلك مع مصر^(١٩١). ومن المحتمل، أن يكون تجديد العمليات العسكرية في سورية سبباً في إعادة تقوية أمورو لروابطها مع مصر. مما يعد خرقاً لبنود معاهدة دوبي تيشوب- أبو بينتشيـنا- وحسب مقدمة معاهدة شاوشجا مووا - ابن بينتشيـنا- فإن سكان أمورو قرروا العودة إلى جانب رعمسيس الثاني، أي الثورة ضد موواتالي الثاني ملك الحثيين. ويشير النص نفسه إلى أنه: تبع ذلك صراع بين حاتي ومصر من أجل أمورو ويمكن تأريخ النص السابق مباشرة لحملة رعمسيس الثاني (معركة قادش)، ويمكن أن نشير إلى احتمالين مختلفين لرد فعل أمورو (أي بينتشيـنا) عندما وصلت معلومات عن اقتراب الحثيين، وهما: المقاومة (وبالتالي الهزيمة)، أو الخضوع المباشر (وبالتالي البقاء على قيد الحياة). كان بينتشيـنا واثقاً بأن المصريين سيكونون المنتصرين، لذلك لم يخضع للحثيين. وربما تأثر موقفه هذا بحقيقة أن قوات مصرية، كانت، قد وصلت، وعسكرت في ساحل أمورو. إلا أنه هُزم من موواتالي الثاني، واحتل أمورو^(١٩٢) فقام بخلعه عن العرش^(١٩٣). واستبدله بشخص يدعى شابيـلي^(١٩٤)، ويبدو أن شابيـلي كان على عدااء شديد مع بينتشيـنا، وقد أخذه موواتالي كلاجئ، لذلك عندما وجه بينتشيـنا ولاءه لمصر في معركة قادش ضد موواتالي، تحرك الأخير نحو بينتشيـنا وأزاله من العرش وأقام منافسه^(١٩٥).

أقصى بينتشيـنا عن العرش وأخذ أسيراً، كما جاء في نصوص لاحقة، ونفي إلى حاتي. هناك اعتنى خاتوشيلي، أخو موواتالي وقائد القوات، خلال الحملة على سورية، وأخذه إلى منطقة خاكميش أو Hakpis الواقعة في شمالي الأناضول، تلك المنطقة التي كانت تحكم من قبل خاتوشيلي، وحصل بينتشيـنا هناك على ما يقيم أوده. ومن المؤكد أن خاتوشلي كان ينوي الاستفـادة من بينتشيـنا في خطته السياسية اللاحقة^(١٩٦).

وبعد فترة نفي قضاها في شمال الأناضول: أعاده خاتوشيلي الثالث^(١٩٧). ففي مقدمة المعاهدة بين خاتوشيلي الثالث وبينتشي (١١-١٥) "موواتلي أخي.... خلع بينتشي، ملك أمورو، من عرش أمورو، وأتى به إلى حاتي، أنا في هذا الوقت، أخذته من موواتلي، أخي، وأخذته إلى خاجميشا Haggamishsha، وأعطيته قصرًا، ولم يحدث له أذى من أحد، وقمت على حراسته"^(١٩٨). كما يذكر خاتوشيلي في حواريته هذا النص: "موواتلي، سيدي، خلع بينتشي من ملكية أمورو، ووضع شابيلي ملك في أرض أمورو، ولكن مورشيلي خلع شابيلي من ملكية أرض أمورو، وأعاد بينتشي.."^(١٩٩).

وعقدت معاهدة خضوع بين خاتوشيلي الثالث مع بينتشي، وهناك إشارات إلى علاقات أسرية بين طرفي المعاهدة، بسبب إقامة بينتشي الطويلة نسبياً في الأناضول، وقربه المباشر من خاتوشيلي، وتظهرها أيضاً بعض الرسائل الموجهة من بينتشي إلى الملك العظيم والملكة بودوخيا. والتي تؤكد زواج بينتشي من ابنة هذين الزوجين الملكين المدعوة Gashuliyawiya ثم صارت إحدى بنات بينتشي زوجة لـ Nerikkaili ابن خاتوشيلي. شريطة أن تصبح Gashuliyawiya الملكة في أمورو، كما ورد في المعاهدة^(٢٠٠).

نفي مورشيلي الثالث (أورخي تيشوب) إلى نوخاشي:

كان خاتوشيلي الثالث قد احتل، في عهد أخيه موواتلي، مكانة كبيرة، حيث عينه قائداً على إمارة حاكبيس، ولم يكن مجالاً للعجب أن يحاول مورشيلي الثالث (أورخي تيشوب) بن موواتلي الذي خلف أباه على العرش حوالي ١٢٨٢ ق.م، اختصار أملاكه، ولعله شك في أن لعمه نوايا حول العرش، ولكن لا نعلم أي شيء عن تفاصيل عهده القصير؛ إلا بقدر ما ذكره تقرير خاتوشيلي الثالث، الذي يقص فيه أنه عانى من إهانات أورخي - تيشوب مدة سبع سنوات، ثم أعلن الحرب عليه وعزله، ونفاه إلى نوخاشي^(٢٠١)، حيث أعطى مدناً محصنة، مما قد يشير إلى أن نوخاشي، كانت تعتبر جزءاً وظيفياً من الإمبراطورية الحثية^(٢٠٢).

وهناك احتمال أن هذا الملك قد نفي إلى أوجاريت، استناداً إلى خاتم ملكي اكتشفه شيفر هناك، وعليه رسوم مماثلة في شكلها وترتيبها للرموز المشاهدة على أختام بوغاز كوي، والتي فسرت على أنها للملك مورشيلي الثالث؛ الذي نفاه خاتوشيلي إلى بلاد بالقرب من البحر^(٢٠٣).

وتوجد رسالة موجهة من خاتوشيلي الثالث إلى " كادشمان - أنليل " يشكو فيها: من أن الأخير منذ أن تولى الحكم؛ قد توقف عن إرسال الرسل إلى حاتي - وربما كان لأروخي - تيشوب المنفي يد في ذلك، لأن خاتوشيلي يقص علينا بأن أروخي - تيشوب عندما كان يقيم في نوخاشي ضبط وهو يتآمر مع البابليين^(٢٠٤). كما أنه كتب إلى شلمنصر الأول ملك آشور، وبرغم أنه لم تتوفر لدينا أية معلومات عن الموضوعات التي فاوض حولها البابليين أو الآشوريين، ولكنه بشكل يقيني كان يبحث عن دعم من كلا الملكين، في مساعيه لاستعادة عرشه، ويبدو أن أروخي - تيشوب رأي بإمكانه الاعتماد مبدئياً على دعم الآشوريين وتأييدهم. وخاصة بعد رسالة شلمنصر الآشوري الموبخة لخاتوشيلي، والتي قال له فيها إنه ليس حتى تلك اللحظة من عظماء الملوك، وإنه مجرد بديل الملك العظيم^(٢٠٥)، ولذلك نقل من نوخاشي وأرسل على انفراد إلى البحر؛ وتلك عبارة غريبة قد تكون طريقة من طرق الإشارة إلى جزيرة قبرص^(٢٠٦). ويبدو أن الملك المخلوع فر من منفاه إلى مصر بعد ذلك، وكان موضوعاً لعدة خطابات عثر عليها في أرشيف بوغاز كوي^(٢٠٧).

نفي اثنين من أبناء نيقميا ملك أوجاريت:

نعرف من مرسوم لتوتخاليا الرابع؛ الذي يتعلق بأبناء ملكة أوجاريت أخت ميلكي، الذي ربما صدر في بداية عهد عميشتمرو الثاني. كانت أخت ميلكي، ابنة أر تيشوب ملك أمورو، وزوجة نيقميا ملك أوجاريت، وأماً لعدد من الأولاد (ثلاثة على الأقل) من بينهم عميشتمرو الثاني، ورد في النص: أن اثنين من أولادها، هما خيشمي شاروما وأرار شاروما، نفيا إلى قبرص^(٢٠٨). بعد أن تسلمتا حصتهما من الميراث، وذلك من أجل سلامة حكم عميشتمرو، الذي كان على الأرجح: الابن الأصغر لأخت ميلكي^(٢٠٩). بعد أن أخطأوا ربما خططوا ضد عميشتمرو وضد أمهم أخت ميلكي، والأم هي التي نفتهم إلى قبرص^(٢١٠).

فقد نكر المرسوم الحثي أبناء أخت ملكي وأخوات عميشتمرو، أنهم ارتكبوا جريمة ضد أمهم، وأخيهام الملك، أمهم الملكة أخت ملكي أعطتهم حصتهم في الميراث الذي يتضمن فقد ملكيتهم الخاصة المنقولة، ويتوقف النص الحثي عند هذه النقطة: " ارتكبا خيشمي شاروما وأرار شاروما جريمة ضد أخت ميلكي (أمهم) وضد عميشتمرو (أخوهم) " ^(٢١١). " في حضور جلالتي، تؤدخاليا، الملك العظيم، ملك حاتي، ابن خاتوشيلي، الملك العظيم، حفيد مورشيلي، الملك العظيم، حفيد شوبيلولوما، خيشمي شاروما وأرار شاروما ... ضد أخت ملكي وعميشتمرو، هم فعلوا...، سوياً، مع فضتهم، وذهبهم، وبرونزهم، وأسرتهم، ومناضدهم، وحميرهم، وخرافهم، وكل شيء يعود إليهم... " ^(٢١٢).

بينما يذكر نص كركميش: أن أخت ملكي نفت خيشمي شاروما وأرار شاروما إلى قبرص، وجعلتهم يؤدون يميناً أنهم، ولا أحفادهم، سيتقدمون بأي طلبات أخرى ضد عميشتمرو الثاني، وجعلتهم يقسمون على ذلك^(٢١٣).

قرار ملك كركميش: " في حضور أني نيشوب، ملك كركميش، ابن شاوشجا مووا، ملك كركميش، حفيد شاركوشوخ، ملك كركميش، الشجاع، خيشمي شاروما وأرار شاروما، ضد عميشتمرو، ملك أوجاريت ارتكبا جرماً، أخت مليكي، أمهم، ملكة أوجاريت، أعطتهم حصتهم من الميراث من الفضة والذهب، وأملأهم من كل ما كان لهم، وأرسلتهم إلى قبرص، قبل أن يغادروا جعلتهم يقسمون: في المستقبل خيشمي شاروما وأرار شاروما أو أبناؤهم أو أبناء أبنائهم، لن يتقدموا بأي شكوى تتعلق بميراثهم ضد عميشتمرو، ملك أوجاريت، أو ضد أبناءه أو أبناء أبنائه^(٢١٤).

نتائج البحث:

أولاً: اهتمت أغلب دول الشرق القديم بمسألة الهاربين واللاجئين، وفقاً لمصالحها، ووفقاً للتوازنات الدولية، ويمكن عرض الدول التي اهتمت بالشأن السوري كما يلي:

أ- مصر: اهتمت بتدعيم نفوذها ودورها، واختبار مدى تأثير نفوذها في سوريا، وذلك من خلال المطالبة بتسليم الهاربين من المجرمين في حق القصر المصري، كما يتضح ذلك من خلال حرصها على أن تتضمن معاهدتها مع حاتي بندا يخص تسليم الهاربين من أمور إلى مصر.

ب- حاتي: كانت تستقبلهم وترحب بهم، وتوفر لهم ملاذاً آمناً، وذلك لخدمة مصالحها السياسية، فعلى سبيل المثال: استغلت حاتي أوضاع ميثاني بعد موت توشراتا، والصراعات الداخلية بين أفراد السلالة الحاكمة في قلب ميثاني، التي أدت إلى هرب شاتي وازا ابن المغرور توشراتا، إلى الملك الحثي، الأمر الذي جعل الحثيين يستعملونها كمبرر لعملهم العسكري ضد ميثاني^(٢١٥). هنا سنحت الفرصة لإنشاء دولة حازجة ضد الخطر الآشوري النامي، وهي فرصة لم يتوان الملك الحثي الداهية في انتهازها^(٢١٦). فقام بياشيلي ابن شوبيلويوما، الذي نصبه ملكاً ملك كركميش، وشاتي وازا، باجتياح شمال بلاد الرافدين بنجاح، وأصبح شاتي وازا ملكاً على ميثاني، وصهرًا لشوبيلولوما، مقيداً بمعاهدة اتجاه الملك العظيم. كان ذلك بالنسبة للحكام المحليين في شمال ووسط سورية: خسارة حليف محتمل ضد السيطرة الحثية^(٢١٧)، هذا بالإضافة إلى العديد من الملوك والأمراء السوريين، الذين تناولهم البحث،

واستطاعت حاتي الاستفادة منهم، واستخدمتهم كذريعة للتدخل في الشؤون السورية، كمرحلة مبدئية لفرض معاهدة إخضاع، ومن ثم تدخل ضمن منطقة نفوذها.

ج- حلب: رحبت حلب بالهاريين إليها، وخاصة من حلفائها، مثل زمري ليم، والذي كان حليفاً مهماً لياريم ليم الأول.

د- كنعان: كانت منطقة مهمة لاستقبال العديد من الهاريين، لكونها قريبة من البحر، ومن ثم يسهل الانتقال منها إلى مصر، ولهذا لجأ إليها العديد من الأمراء الهاريين من النفوذ الميتاني، مثل إدريمي.

هـ- أمورو: كانت أمورو مسار اهتمام القوى الدولية، وخاصة مصر وحاتي، ومن ثم شملتها نصوص المعاهدة المصرية الحثية، بتكليف ملكها بتسليم الهاريين، خاصة وأنها كانت قريبة من منطقة الغابات والجبال التي لجأ إليها العديد من الهاريين، والذين كانوا ينضموا إلى اللصوص وفرق الخابيرو، مثلما ذكرت المعاهدة الحثية مع عزيزو CTH.49 التي ذكرت مبعدين NAM.RA، ولهذا حرصت حاتي على ألا تتحول أمورو إلى منطقة عازلة، وملجأ للمعارضة السورية ضد نفوذهم، لذلك اهتمت المعاهدات المتتابعة مع أمورو بتسليم الهاريين: معاهدة عزيزو CTH.49، دوبي تيشوب CTH.62، بينتشي CTH.92، شاوشجا موا CTH.105.

ثانياً: أسباب اختيار مكان النفي قائم على أسباب مختلفة أهمها: العلاقات المباشرة أو الخضوع، أو منطقة آمنة مثل قبرص (حالات النفي أورخي تيشوب- أبناء نيقمبيا) أو نوخاشي (نفي فيها أورخي تيشوب)، فالأولى خضعت للحثيين، وكانت على علاقات طيبة مع أوجاريت، والثانية كانت تحتوي على مدن محصنة، أو منطقة تقع عند أطراف المملكة الحثية، مثل إمارة حاكبيس (نفي فيها بينيتشي).

ثالثاً: كان النفي من ضمن العقوبات التي يعاقب بها المزيغون في أوجاريت (رأس الشمر).

رابعاً: تمتع المنفي بحرية التنقل داخل البلد المنفي إليها، فأورخي تيشوب استطاع الاتصال بالبابليين أثناء إقامته في نوخاشي، لذلك تم إرساله إلى مكان آمن وسط البحر (قبرص).

خامساً: تمتع المنفي بالعديد من الحقوق في أرض المنفى أهمها: تأمين حياته، وتوفير سبل الراحة، فعلى سبيل المثال: حصل بينتشينا على إقامة طبية داخل قصر، بالإضافة لمصاهرة خاتوشيلي الثالث.

سادساً: كفلت مراسيم حاتي وكركميش حماية حقوق المنفيين، سواء لأسباب سياسية أو أخلاقية، مثلاً كفلت لأبناء نيقمبيا ملك أوجاريت ميراثهم، عندما تم نفيهم إلى قبرص، وكفلت لعميشتنمو حقوقه، عندما طلق ابنة السيدة العظيمة.

سابعاً: قرار الموافقة على استقبال اللاجئين أو تسليمهم يرجع إلى سياسة الدولة، فعلى سبيل المثال: رفضت بابل استقبال الأمير الميتاني شاتي وازا، وقتلوا قائد العربية الميتاني، وقام الملك شاوشجا مووا بتسليم أخته حتى لا يدخل في أزمة سياسية مع أوجاريت. في المقابل رفضت دولة حوري ميتاني تسليم هاربين أرض إيسوو إلى حاتي، على اعتبار أنهم أحرار، وكان لهم حرية الاختيار.

ثامناً: لا يجوز للاجئ العودة إلى بلده الأصلي إلا بموافقة ملك البلد التي هرب إليها، وإذا عاد إلى بلده الأصلي، اعتبر من وجهة نظر هذه الدولة هارباً، ويحق لها المطالبة بتسليمه، مثلاً ورد في معاهدة عزيرو CTH.49، وتيتي CTH.53.

تاسعاً: اهتمت القوانين بتسليم الهاربين من العبيد، كما أجازت إمكان الحصول على التعويض بدلاً منهم، كما شددت على عدم جواز مساعدة العبد الهارب، بينما اهتمت المعاهدات الدولية بمسألة الهاربين من الطبقات العليا من الأمراء والملوك، كما شددت على عدم جواز قتلهم، وفرضت تسليمهم على الفور. ونلاحظ أن معاهدات التبعية فرضت على التابع تسليم الهارب إذا كان من حاتي، وفي نفس الوقت لم تفرض هذا الأمر على السيد الأعلى، وإذا كان الهارب من مكان آخر، غير حاتي، يمكن أن يقوم السيد الأعلى بتسليمه.

عاشراً: كان يسمح للسفراء في حالة رفض تسليم الهاربين أو إخفائهم: مناقشة ملوك المنطقة التي هرب إليها، مثلاً حدث مع سفير زمري ليم عند ياريم ليم الأول ملك حلب.

الهوامش:

- (١) عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج٥، بيروت، ص٤٦٧
- (٢) تعني الهارب أو الذي يهرب، وتقابل في السومرية SA. GAZ ، كما أن لها العديد من المعاني الأخرى مثل الببو، والغزاة، والنهايين، والنصوص لم تحدد لهم وطناً أو أرضاً أو بلداً باسم الخابيرو، ولذا فإن تلك المجموعة لم تشكل وحدة سياسية، بل جماعات بدوية متنقلة هامشية، للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى: فيصل عبد الله، خبرو (خا-بي-رو=a-b/pi-ru) مشكلة حقيقة أم مفتعلة، دراسات تاريخية، جامعة البصرة، العدد ٣١/٣٢، (١٩٨٩)، ص ١٥٧، ١٥٨.
- (3) Westbook.R., "Personal Exile in the Ancient Near East", *JAOS*.128, No. 2., 2008, p.319.
- (٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد ٥، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، ص٢٩٧.
- (٥) وفاء أحمد بدار، "موقف مصر من مسألة اللجوء السياسي في الشرق الأدنى القديم"، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد ٥٣، (٢٠٠٣)، ص ٢٤٤.
- (6) Goedicke.H., "The Route of Sinuhe's Flight", *JEA*. 43, 1957, pp.77-85; Goedicke.H., "The Riddle of Sinuhe's Flight", *RdE*. 35, 1984, pp.95-103; Scott M..M., , "What Made Sinuhe Run: Sinuhe's Reasoned Flight", *JARCE* 37, 2000, pp.187-198 .
- (7) Claude.O., "Sinouhé l'égyptien et les raisons de son exil", *Le Muséon* 112, 1999, pp.207-271.
- (٨) وفاء أحمد بدار، المرجع السابق، ص٢٤٤.
- (9) Westbook.R., *JAOS*.128, No. 2., 2008, p.317.
- (10) Ibid, p.317.
- (١١) هاري ساكز، عظمة بابل موجز حضارة وادي دجلة والفرات القديمة، ترجمة وتعليق عامر سليمان، بغداد، ١٩٧٩، ص ٢٢٨-٢٣٠؛ عبد الكريم العلوجي، حموي، ط١، دار الكتاب العربي، سوريا، ٢٠١٠، ص١٢٨.
- (12) Elgavish.D., "Extradition of Fugitives in International Relations in the Ancient Near East", *Jewish Law Association Studies*.14, 2003, p.33.
- (13) Mendelsohn.I., *Slavery in the Ancient Near East*, Columbia, 1978, p.58.
- (14) Beckman. G., 2003, "International Law in the Second Millennium: Late Bronze Age " , in *A History of Ancient Near Eastern Law*, Vol. 1 (ed. R. Westbrook and G.M. Beckman; Handbook of Oriental Studies), Leiden: Brill, 2003, p.753.
- (15) Elgavish.D., *Jewish Law Association Studies*.14, 2003, p.34.

- (١٦) أحمد أمين سليم، حضارة العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٢٩٦؛ أحلام سعد الله الطالب، "ارتكاب المحارم في قانون حمورابي - دراسة مقارنة"، مجلة التربية والعلم، المجلد ١٧، العدد ٣، بغداد، (٢٠١٠)، ص ١٩.
- (١٧) أحمد أمين سليم وسوزان عباس: الجريمة والعقاب في الفكر المصري القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٩، ص ١٧٣.
- (18) Hoffner.A.H., The Laws of The Hittites, Unpublished PhD dissertation University of Brandies, 1963, p.119.
- (19) Elgavish.D., *Jewish Law Association Studies*.14, (2003), pp. 36-7.
- (20) Westbrook.R. 2000, International Law in the Amarna Age, in Amarana Diplomacy: the Beginnings of International Relations (ed Raymond Cohen and Raymond Westbrook, Baltimore. The Johns Hopkins university press, (2000), p.31.; Beckman. G., and Hoffner, A. H., *Hittite Diplomatic Texts*, 1999, p.66.
- (21) Rowe, I.M., "Halab in the XVIth and XVth Centuries B.C. A New Look at the Alalah Material", *WZKM*.8, (1997), p.191.
- (٢٢) من المرجح أن الملك الحادي عشر من أسرة خيتا، والتي كانت تحكم عيلام في مدينة أوان حوالي ٢٢٥٠ ق.م، هو الذي وقع على المعاهدة من الجانب العيلامي مع نظيره الأكدي، وقد عثر على هذه المعاهدة مدونة على لوح من الطين في مدينة سوسة، ودونت هذه المعاهدة بالخط المسماري، للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع: عزة على أحمد: العلاقات العراقية الإيرانية خلال الألف الثالث قبل الميلاد، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠١١، ص ٥٩-٦١.
- (23) Elgavish.D., *Jewish Law Association Studies*.14, (2003), p.37; Beckman. G., Hittite Treaties and the Development of the Cuneiform Treaty Tradition, *Die deuteronomistischen Geschichtswerke*, ed. M. Witte et al., Berlin, 2006, p.292.
- (٢٤) هي كاتونيا في العصر الروماني، والتي ربما كانت تشمل يومئذ الجزء الشرقي من سهول فيلقية، يمكن الرجوع إلى: أ. ر. جرني، الحثيون، ترجمة محمد عبد القادر محمد، راجعه فيصل اللواتي، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٤٥.
- (25) Elgavish.D., *Jewish Law Association Studies*.14, (2003), p.39.
- (26) CTH.26 = Laroche.E., *Catalogues des textes Hittites*, Paris, 1971.
- (27) Knapp.A.B., "KBo 1 26: Alašiya and Hatti", *JCS*.32, No.1, (1980), p.45.
- (28) CTH.133.
- (29) CTH.147.
- (30) Luckenbill.D.D., "Hittite Treaties and Letters", *AJSLL*.37/3, (1921), p.167.
- (31) CTH.68.

- (32) Westbrook.R., *JAOS*.128, No. 2., (2008), p.318.
- (33) Elgavish.D., *Jewish Law Association Studies*.14, (2003), p.40.
- (٣٤) هورست كلينغل، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠-٣٠٠ ق.م، ترجمة سيف الدين دياب، تنقيح: عيد مرعي، دمشق، ١٩٩٨، ص ١٢٧.
- (35) Elgavish.D., *Jewish Law Association Studies*.14, (2003), p.40.
- (٣٦) يشير اصطلاح أمورو أو الأموريين إلى سكان من الشرق الأدنى القديم، وقد استوطن الأموريين في سوريا وفلسطين وبلاد الرافدين، وأسسوا دويلات منها: مملكة ماري (نل الحريري)، وهذا المصطلح غير محدد جغرافياً حتى الألف الثاني ق.م، وتقع تحديداً على طول الساحل الشمالي الشرقي للبحر المتوسط إلى أعلى نهر العاصي، وعاصمتها حازور، وأشهر حكامها عيدي عثيرتا الذي لم تتوقف طموحاته عند السيطرة على منطقة الساحل السوري، بل السيطرة على كل الداخل السوري خلال عهد الملك أمنحتب الثالث، ومات خلال حصاره لمدينة جبيل، وخلفه ابنه صاحب الدور المزوج بين مصر وحاتي، المدعو عزيزو، للمزيد راجع: محي الدين النادي أبو العز، مدينة كين (جبيل) وعلاقتها بمصر حتى نهاية الألف الثاني ق.م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، ٢٠١٤، ص ٢٧٩-٢٨٠؛ Singer, I. , "A concise History of Amurru " Appendix III 1991, pp.35-95.
- (٣٧) السهول السورية الواقعة شرق العاصي الأوسط وجنوب حلب، وهي مستنقعات وادي الغاب، والتي تحدثت عنها نصوص حتشيسوت في الدبر البحري، عن اصطلياد القبلة، راجع هورست كلينغل، المرجع السابق، ص ١٠٦.
- (٣٨) هورست كلينغل، المرجع السابق، ص ١٨٠-١٨١.
- (39) Beckman.G., "New Joins to Hittite Treaties", *ZA*.87, (1997), p.96
- (40) CTH.49; Del Monte.G., *Antologia Della Letteratura Ittita*, Pisa, 2003, p.62
- (41) Elgavish.D., *Jewish Law Association Studies*.14, (2003), p.42.
- (٤٢) هورست كلينغل، المرجع السابق، ص ١٨٣.
- (٤٣) نفسه، ص ١٨٣.
- (44) Miller. L.J., "The rebellion of #atti's Syrian vassals and Egypt's meddling in Amurru", *SMEA*.49, (2007), p.543
- (45) Elgavish.D., *Jewish Law Association Studies*.14, (2003), p.41.
- (٤٦) هورست كلينغل، المرجع السابق، ص ١٣٥.
- (47) Elgavish.D., *Jewish Law Association Studies*.14, (2003), p.41.
- (٤٨) ḥa-an-i: اسم مصري، يعني "أحن نفسك لأمون". وربما كان مندوباً للملك المصري في أمورو. APN, p.72= Hess, Richard S., *Amarna Personal Names*, Eisenbrauns Winona Lake , Indian, 1993.

- (49) EA.162= Moran.W.L., *The Amarna Letters*, Baltimore-Londres, 1992.
- (٥٠) هورست كلينغل: المرجع السابق، ص ١٦٨.
- (٥١) نفسه، ص ١٤٨-١٤٩.
- (52) CTH.66.
- (53) PRU.4, 52= Nougayrol, J., *Le Palais Royal d'Ugarit. Vol. IV: Textes Accadiens des Archives Sud (Archives Internationales)*. Mission de Ras Shamra 9, edited by Claude F.-A. Schaeffer. Paris: Imprimeries Nationale & Klincksieck, 1956; RS 17.369A:8-18 = Ras Shamra.
- (٥٤) هو الاسم الذي أطلقه الميتانيون على سورية الشمالية، في حين عرفها المصريون باسم نهارينا، راجع: شوقي شعث: "مملكة يحاض (حلب)"، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٢٥/٢٦، البصرة. ١٩٨٧، ص ١١٦.
- (55) PRU.4, 96, RS 17.97+ 374; Beckman.G., "Foreigners in the Ancient Near East", *JAOS*.133.2, (2013), p.209
- (٥٦) هورست كلينغل: المرجع السابق، ص ١٥٤.
- (57) PRU.4, 107, RS 17.238:2-19.
- (58) Elgavish.D., *Jewish Law Association Studies*.14, (2003), p.46.
- (٥٩) هورست كلينغل: المرجع السابق، ص ٣٠.
- (60) Elgavish.D., *Jewish Law Association Studies*.14, (2003), p.37.
- (٦١) هورست كلينغل: المرجع السابق، ص ١٠٣.
- (62) Elgavish.D., *Jewish Law Association Studies*.14, (2003), pp.37-38.
- (63) Ibid, p.38.
- (64) Rowe, I.M., *WZKM*.8, (1997), p.191.
- (65) Elgavish.D., *Jewish Law Association Studies*.14, (2003), pp.50-51.
- (66) Rowe, I.M., *WZKM*.8, (1997), p.189.
- (67) Ibid, p.195.
- (68) Casana.J., "Alalakh and the Archaeological Landscape of Mukish: The Political Geography and Population of a Late Bronze Age Kingdom", *BASOR*.353, (2009), p.18
- (٦٩) كانت مملكة يحاض ممتدة الأطراف تتصل من الأناضول شمالاً، ولها منفذ على البحر المتوسط غرباً - ثم إنها متصلة بمملكة قطنة جنوباً- وتتعدى الفرات شرقاً، حيث تضم مدينة إيمار، وهي مدينة مسكنة الحالية ميناء حلب القديم على الفرات راجع: صبحي الصواف: "ملوك حلب من السلالة العمورية في ابتداء الألف الثاني ق.م"، مجلة الحوليات الأثرية السورية، الجزء ١، ٢، المجلد ٧، دمشق ١٩٥٧، ص ١٤٦-١٤٧.

- (70) Sasson. M. J., "Yarim-Lim's War Declaration," in J.-M. Durand and J.-R. Kupper, eds., *Miscellanea Babylonica: Melanges offerts a Maurice Birot* (Paris: Editions recherche sur les civilisations, 1985, pp.253-4; Elgavish.D., *Jewish Law Association Studies*.14, 2003, p.51.
- (71) Beckman. G., Op.Cit, 2003, p.68.
- (72) Beckman.G., and Hoffher.A.H.,Op.Cit, 1999, pp.66.
- (73) Beckman. G., Op.Cit, 2003, p.762.
- (74) Westbrook.R., *JAOS*.128, No. 2., 2008, p.318.
- (75) Ibid, p.319.
- (76) Snell.C.D., *Flight and Freedom in the Ancient Near East*, Leiden: Brill, 2001, p.87
- (77) Westbrook.R., *JAOS*.128, No. 2., 2008, p.319.
- (٧٨) محمد عبد اللطيف، سجلات ماري وما تلقىه من أضواء على التاريخ السياسي لمملكة ماري (من حوالي ١٨٢٠-١٧٦٠ ق.م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص ٢٤ .
- (٧٩) عيد مرعي: "يخدون - ليم ملك ماري (وثيقة تأسيس معبد الشمس (شماش) في ماري"، دراسات تاريخية، العدد ٢٧، ٢٨، البصرة، ١٩٨٧، ص ١٠٠
- (٨٠) محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ٣١.
- (٨١) من التفاصيل عن هذا النص يمكن الرجوع إلى : عيد مرعي: المرجع السابق، ص ٩٩-١٠٧.
- (٨٢) توفيق سليمان، دراسات في حضارات غرب آسية القديمة (الشرق الأدنى القديم " بلاد النهرين/ بلاد الشام)، ط١، دمشق ١٩٨٥، ص ١٦٤
- (٨٣) توفيق سليمان، المرجع السابق، ص ١٦٥.
- (٨٤) هورست كلينغل، حمورابي البابلي وعصره، ترجمة: محمد وحيد خياطة، ط١، دمشق، ١٩٩٠، ص ٤٨.
- (٨٥) محمد عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٤٨-٤٩.
- (٨٦) هورست كلينغل، تاريخ سورية السياسي، ص ٦١.
- (٨٧) شوقي شعث: "العلاقات بين يحاض - حلب - وأوغاريت في مطلع الألف الثانية ق.م"، الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد ٢٩ / ٣٠، الجزء ٢/١، (١٩٨٠)، ص ٦٦.
- (٨٨) توفيق سليمان، المرجع السابق، ص ١٦٤
- (٨٩) محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ٤٧
- (٩٠) هورست كلينغل، حمورابي، ص ٥٤
- (91) Sasson.M.J., "Instances of Mobility among Mari Artisans", *BASOR*.190, (1968), p.51.
- (٩٢) عيد مرعي، "إدريمي ملك الألاه"، دراسات تاريخية، العدد ٢٩-٣٠، (١٩٨٨)، ص ١٠٥.

(٩٣) فيما يبدو أنه كان نفوذ حلب عاصمة موكيش، خلال عهد والد إدريمي، يشمل العديد من المناطق كما ورد في السطر ٢٠ من نقش إدريمي وما يليه: إنه التقى أناساً من حلب وموكيش ونيخي وأميان رعايا والده، مما يعني أن مملكة موكيش كانت تشمل هذه المدن، راجع: محمد عبد اللطيف، الخوريون وصلات مصر بهم في عصر الأسرة الثامنة عشرة (من حوالي ١٥٦٧-١٣٢٠ ق.م)، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، ١٩٨٦، ص ٢٠.

(94) Stim.A.M., Are the Grains All-Alakh? An Archaeobotanical Exploration of Agricultural Practices and Transitions at Late Bronze Age Alalakh (Tell Atchana), Unpublished M. dissertation University of Sheffield, England, 2013, p.4.

(٩٥) تذكر مراسلات تل العمارنة مثل هذه الصراعات الداخلية في المدن الفينيقية، وأشهرها، ما حدث في جبيل، حيث قامت ثورة ضد رب عدي أمير جبيل، نتيجة الصراعات الاجتماعية أضعفت موقف رب عدي، وتزايدت المعارضة ضده في المدينة نفسها، وحتى إذا أخذنا بعين الاعتبار الغرض السياسي والأسلوب الأدبي لهذه الرسائل، فإن التطورات النبوءات السيئة لرب عدي، فقد أجبر على مغادرة مدينته واللجوء إلى بيروت (EA 136,137, 142). وهذا وما تظهره بوضوح رسائل رب عدي التي كتبها من منفاه (EA136-138) ورسالة أمونيرا Ammunira ملك بيروت فيما بعد (EA162). وقاد أخو رب عدي إيلي رايخ Ili-ra pix المعارضة ضده في جبيل، وأجبره على مغادرة المدينة، لذلك اتهمه رب عدي بالتآمر مع عزيزو، غير أن عزيزو لم يدخل المقر السابق لعنوه، ولم تتمج جبيل في منطقة أمورو فيما بعد. تشير الرسالة (EA162:2ff) إلى أمل لرب عدي بالعودة إلى جبيل بمساعدة عزيزو. ولكن، كما يبدو، لم يستعد رب عدي أبداً موقعه في جبيل، ومات (أو أُغتيل) في المنفى (هورست كنغل، تاريخ سورية السياسي، ص ١٧٨-١٧٩). ويبدو محتملاً، أن رب عدي لجأ إلى صيدا بعد إقامته في بيروت (EA162). (van der Toorn.K., "Cuneiform Documents from Syria-Palestine", ZDPV.116, (2000), p.103 (Texts, Scribes, and Schools", حكم المدنية بعد ذلك أخو رب عدي المدعو إلي رايخ، المعروف من خلال بضعة رسائل أرسلها إلى مصر (EA128,139)، وأشير إليه في رسالتين أخريين (EA.67,137) كحليف لعزيزو (هورست كنغل، تاريخ سورية السياسي، ص ١٩١؛ محي الدين النادي أبو العز: المرجع السابق، ص ٢٩٠-٢٩٢).

(96) Rowe, I.M., WZKM.8, (1997), p.183.

(٩٧) مملكة حوري-ميتاني كانت قد نشأت في أعالي بلاد الرافدين واتخذت من واشوكان (ربما تل الفخيرية قرب رأس العين) عاصمة لها. وقد امتدت تلك المملكة من جبال زاغروس شرقاً حتى سواحل البحر المتوسط غرباً، والتي كانت تحاول في تلك الفترة (بداية القرن الخامس عشر ق.م) مد سيطرتها باتجاه الغرب نحو سواحل البحر المتوسط. (عبد مرعي: دراسات تاريخية، العدد ٢٩-٣٠، البصرة، (١٩٨٨)، ص ١٠٥؛ محمد عبد اللطيف، الخوريون، ص ١٨).

(٩٨) عبد مرعي، دراسات تاريخية، العدد ٢٩-٣٠، البصرة، (١٩٨٨)، ص ١٠٦.

(٩٩) فيصل عبد الله، "الأرض والإنسان في الآلاخ في القرنين الثامن عشر"، والخامس عشر ق.م، دراسات تاريخية، العدد ٣٥-٣٦، البصرة، (١٩٩٠)، ص ٢٦٥.

(100) Snell.C.D., Op.Cit, p.10.

- (101) Greenstein.E., Marcus.D., "The Akkadian Inscription of Idrimi", JANES 8, 1976, p.76.
- (102) Westbrook.R., JAOS.128, No. 2., 2008, p.13.
- (١٠٣) عيد مرعي، دراسات تاريخية، العدد ٢٩-٣٠، البصرة، (١٩٨٨)، ص ١٠٥.
- (١٠٤) نفسه، ص ١٠٨.
- (١٠٥) نفسه، ص ١٠٦.
- (١٠٦) العهد القديم، سفر التكوين ٣، ٢٨-٥.
- (١٠٧) العهد القديم، سفر صموئيل الثاني ٣٧، ١٣-٣٩.
- (١٠٨) عيد مرعي، دراسات تاريخية، العدد ٢٩-٣٠، البصرة، ١٩٨٨، ص ١٠٦.
- (109) Rainey.A.F., "A Canaanite at Ugarit", IEJ.13, No.1., (1963), p.43.
- (١١٠) عيد مرعي، دراسات تاريخية، العدد ٢٩-٣٠، البصرة، (١٩٨٨)، ص ١٠٩.
- (١١١) نفسه، ص ١٠٧.
- (١١٢) نفسه، ص ١١٠-١١١.
- (113) Magnetti.L.D., "The Function of the Oath in the Ancient Near Eastern International Treaty", AJIL.72, No.4, (1978), p.819.
- (114) Smith.S., *The Statue of Idri-mi*, London, 1949, p.39.
- (١١٥) هورست كلينغل، تاريخ سوريا السياسي، ص ١٠٢؛ Rowe I. M., WZKM.8, (1997), pp.181-2.
- (١١٦) هورست كلينغل، تاريخ سوريا السياسي، ص ١٠٢.
- (١١٧) نفسه، ص ١٠٣.
- (١١٨) نفسه، ص ١٠٦.
- (١١٩) في أحد الشقافات من وادي الملوك، المحفوظة الآن في المتحف المصري، نقش عليها Wt كركميش واسمه بالهيريوغليفية Intbs، وهو الاسم الذي يقرأ إني تيشوب ملك كركميش، المعروف من المصادر المسمارية المعاصرة، وتابع لملوك حاتي خاتوشيلي الثالث ووريثه تودخاليا الرابع ١٢٥٠ ق.م، وربما عثر على اسمه في مصر كأجزاء من المراسلات بين مصر وحاتي راجع: Barnett.R.D, Černý.J., "King Ini-tešub of Carchemish in an Egyptian Document", JE4.33, (1947), p. 94.
- (١٢٠) هورست كلينغل: تاريخ سوريا السياسي، ص ١٥٦.
- (١٢١) نفسه، ص ١٥٢.
- (١٢٢) نفسه، ص ١٨٦-١٨٧.
- (123) Raymond F. D., The late history of Ugarit (Circa 1260—1182 B.C.), Unpublished PhD dissertation of Hebrew Union College-Jewish Institute of Religion, 1987, pp.93-4; Stieglitz.R.R., "The City of Amurru", JNES.50, No.1, (1991), p.45.

- (124) Roche.C., The Lady of Ugarit, *NEA*.63, No.4, (2000), p.214.
- (125) PRU.4,126; RS17.159.
- (126) PUR.4,141-2 RS17.228:1-20; PUR.4,139; RS17.372A., RS17.360A:1-6.
- (127) Raymond F. D., Op.Cit, p.99.
- (128) Moran.L.W., "The Scandal of the "Great Sin" at Ugarit", *JNES*.18, No.4, (1959), p.280.
- (129) Rabinowitz.j.j., "The "Great Sin" in Ancient Egyptian Marriage Contracts", *JNES*.18, No.1, (1959), p.73.
- (130) Nougayrol.J., "Reviewed Work: *The Claremont Ras Shamra Tablets (= Analecta Orientalia 48)* by Loren R. Fisher, M. C. Astour, M. Dahood, P. D. Miller jr. ", *RA*.66,1972, p.89.
- (١٣١) قاسم الشواف، أخبار أوغاريت وموسيقى من أوغاريت، ط١، دمشق، ١٩٩٩، ص ٥١.
- (١٣٢) أحلام سعد الله الطالبي، "جرائم النساء وجرائم ضد النساء وأحكامها في القوانين الآشورية"، دراسات موصلية، العدد ٢٨، (٢٠١٠)، ص ٨٥.
- (١٣٣) أحمد أمين سليم وسوزان عباس: المرجع السابق، ص ١٧٦.
- (١٣٤) صلاح رشيد الصالحي: "الخيانة الزوجية في الشرق الأدنى القديم من وجهة نظر الأعراف والتقاليد والقوانين القديمة"، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، العدد ٢٠، بغداد، (٢٠٠٩)، ص ١٧١-١٧٦.
- (135) RS1951.1:6-12.
- (136) Thomas.N.C., *Reconceiving the House of the Father: Royal Women at Ugarit*, Unpublished PhD dissertation University of Harvard, 2013, pp.117-8.
- (137) Ibid, pp.121-2.
- (138) Ibid, p.141.
- (139) PRU.4,126; RS17.159, Yaron.R., "A Royal Divorce at Ugarit", *Orientalia*, NOVA SERIES, Vol. 32, No. 1, (1963), pp.22-3.
- (140) Thomas.N.C., Op.Cit, p.141.
- (141) PRU.4,127; RS17.396.
- (١٤٢) قاسم الشواف، المرجع السابق، ص ٥٢.
- (143) PUR.4,139; RS17.372A., RS17.360A:1-6.
- (144) Thomas.N.C.: Op.Cit, p.141.

- (145) PUR.4,141-2 RS17.228:1-41; PUR.4,139; RS17.372A., RS17.360A:1-14.
- (146) PUR.4,139; RS17.372A., RS17.360A:1-7.
- (147) PRU.4, 147; RS17.082:13-24; PRU.4,128; RS17.348:4-12.
- (148) PRU.4,144; RS17.318; RS17.349:17-25 ; PRU.4, 134, RS.16.270:30-34, 41-45; PUR.4,137, RS.18.06+, RS.17.365.
- (149) Sasson.M.J., *BASOR*.190,(1968), p.51.
- (150) RS.96.2039.
- (١٥١) ^mŠa-ar-ru هو اسم مصري، يعني "النَّيْل، الحاكم" ، وهناك العديد من أسماء حورية وأكديّة التي تتشابه معه، انظر: APN, p. 14.
- (١٥٢) ^mLi-e-ia: من المحتمل أن يكون اسماً مصرياً ، وقد يكون اسماً سامياً غربياً من الجذر l'y ، بمعنى "أن يكون قوياً" ، أو من الجذر lwy بمعنى "أن يكون مرتبطاً، متحداً" . انظر: APN, p. 104.
- (١٥٣) ^mPi-iš-ia-ri: اسمه مصري، يعني "هذا أمير أو هذا الأمير، الحاكم" انظر: APN, p.125.
- (١٥٤) ^mMa-an-ia: اسم مصري، يعني "الرأسخ، الحليم" انظر: APN, p. 110.
- (١٥٥) ^mDa-a-šar-ti-i: معنى الاسم غير مؤكد، قد يكون مصرياً بمعنى "علّ الشخص الذي أعطاه إلى الأبد"، وقد يكون هندو- آرياً بمعنى "الأجنبي، الهمجي أو العدو". انظر: APN, p. 66.
- (١٥٦) ^mNi-im-ma-ḥe-e: اسم مصري، قد يعني "سيدّ ريح الشمال" انظر: APN, p. 119.
- (157) EA. 162:67-77.
- (١٥٨) هورست كلينغل، تاريخ سوريا السياسي، ص ١٨٣.
- (159) EA. 161:30-34.
- (160) EA. 162:55-58.
- (161) Hoftijzer.J., Van.Soldt.W.H., "Texts From Ugarit Concerning Security", *UF*.23,(1991), pp.189-193, 200.
- (162) Ibid, p.197.
- (163) Ibid, p.202; Miller.G.I., *Studies in the Juridical Texts from Ugarit*, Unpublished PhD dissertation University of The Johns Hopkins University, 1980, p.297.

(164) PURIII.97-98= Nougayrol, J. "Les Textes Accadiens." In *Le Palais Royal d'Ugarit. Vol. III: Texts Accadiens et Hourites des Archives Est, Ouest et Centrales*, edited by Claude F.-A. Schaeffer. Mission de Ras Shamra 6, xxxiii-xliii, 1-280. Paris: Imprimeries Nationale & Klincksieck, 1955; Westbrook.R., *JAOS*.128, No. 2., (2008), p.319

(١٦٥) تريفور برايس: رسائل عظماء الملوك في الشرق الأدنى القديم، ترجمة: رفعت السيد علي، ط١، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٢٣١-٢٣٢.

(١٦٦) هورست كلينغل، تاريخ سوريا السياسي، ص ١٦٦-١٦٧.

(١٦٧) إن ما يسمى بحملة العام الواحد، التي قام بها شوبيلوليوما، يشار إليها في كثير من رسائل تل العمارنة (7-53,59,164 EA)، وفي المقدمة التاريخية بين شوبيلوليوما وشاتي وازا ملك ميتاني (2-51 CTH)، وبعض نصوص المعاهدات (معاهدة شوبيلوليوما الأول مع نيقمادو ملك أوجاريت (46 CTH)، فبعد أن قوى شوبيلوليوما مكانته في المنطقة الواقعة شمال جبال طوروس، بعد حملته الناجحة في الأناضول، أراد الاستفادة من النزاعات الميتانية الداخلية، فتحالف مع أرتاتاما الثاني، وفي ظل هذه الظروف غامر بالإغارة على شمال سورية، وتقدم حتى وصل إلى نوخاشي الواقعة غرب حلب، فقد احتل حلب وموكيش، وبرر هذا التدخل بناء على طلب أرسله نيقمادو، راجع (هورست كلينغل، تاريخ سوريا السياسي، ص ١٢٣-١٢٤)، وللمزيد من التفاصيل عن حملة شوبيلوليوما على بلاد الشام يمكن الرجوع إلى:

Luckenbill, D.D, *AJSLL*.37/3, (1921),164; Goetze, A., "Hittite Historical Texts", *ANET*, (1969), 318.

(168) EA.51.

(١٦٩) هورست كلينغل، تاريخ سوريا السياسي، ص ١٢٤.

(١٧٠) نفسه، ص ١٦٧.

(١٧١) نفسه، ١٢٤-١٢٥.

(172) EA.151:59-63.

(١٧٣) هورست كلينغل، تاريخ سوريا السياسي، ص ١٧٢.

(١٧٤) نفسه، ص ١٢٥.

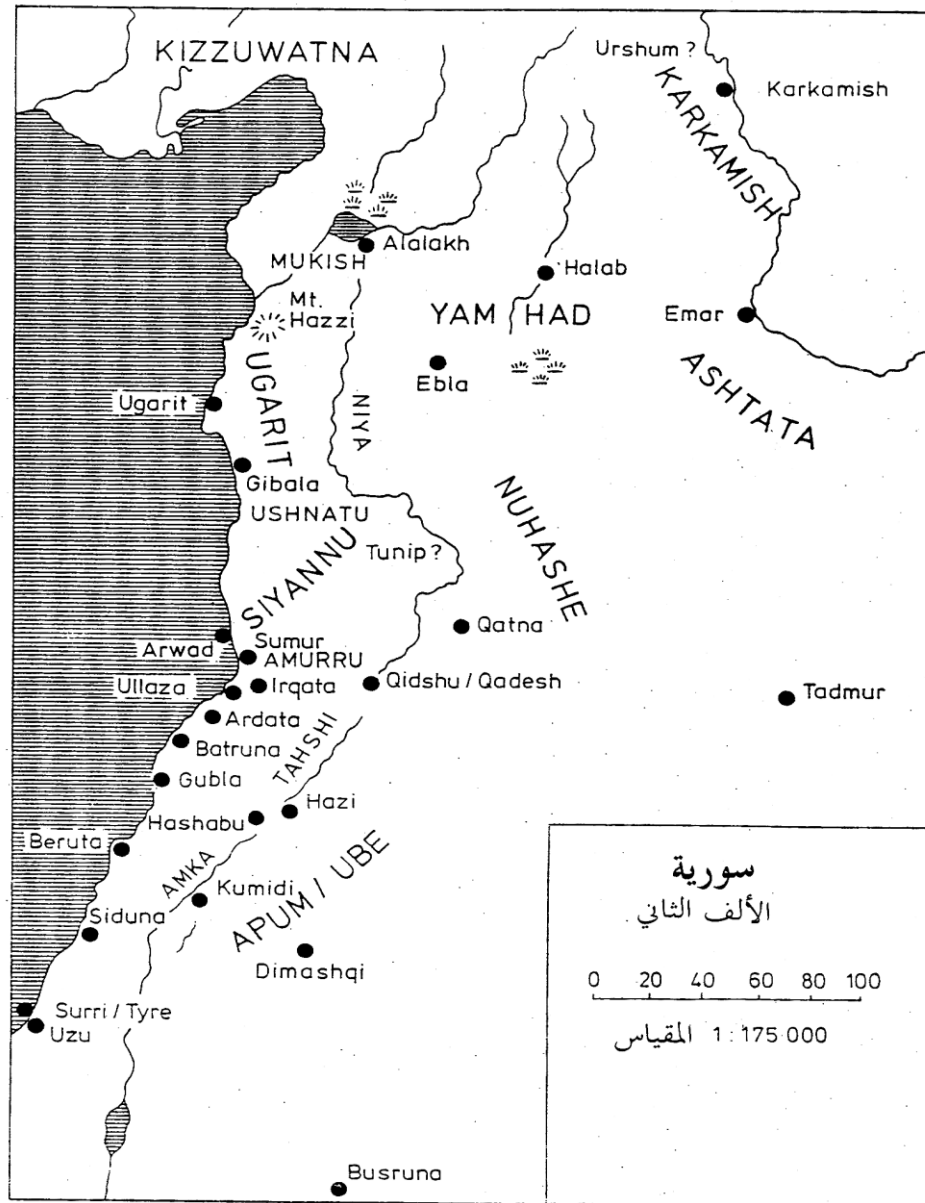
(175) CHT 53.

(176) CHT 53.

(١٧٧) يبدو أن الهجوم المصري كان موجهاً ضد أمور لمعاقيبتها على التمرد على النفوذ المصري حيث يذكر موشيلي الثاني في حواريته: " فيما بعد كتبت له (أي حورمحب) أنت تأخذ الثأر من أمور،

- ولكن هل أنا الذي أخذت أرض أمورو منك؟ أو هل أبي الذي أخذها منك..." راجع: Miller. L.J., *SMEA*.49, (2007), p.538.
- (١٧٨) هورست كلينغل، تاريخ سوريا السياسي، ص ١٣١.
- (179) Lackenbacher.S., , "Ugarit between Egypt and Hatti", *NEA*. 63, No. 4, (2000), p.194.
- (180) CTH.62.
- (181) Miller. L.J., *SMEA*.49, (2007), p.540.
- (182) Bryce.T.R., "Tette and the Rebellions in Nuhassi", *Anatolian Studies* .38, (1988), p.25.
- (183) Miller. L.J., *SMEA*.49, (2007), pp.540-1.
- (184) Bryce.T.R., *Anatolian Studies* .38, (1988), p.25.
- (185) Miller. L.J., *SMEA*.49, (2007), pp.540-1.
- (186) Bryce.T.R., *Anatolian Studies* .38, (1988), p.21.
- (187) Miller. L.J., *SMEA*.49, (2007), p.543.
- (188) Ibid, p.536.
- (189) Bryce.T.R., *Anatolian Studies* .38, (1988), p.26.
- (١٩٠) هورست كلينغل: تاريخ سوريا السياسي، ص ١٨٤.
- (١٩١) نفسه، ص ١٣٣.
- (١٩٢) نفسه، ص ١٨٥.
- (١٩٣) نفسه، ص ١٨٤.
- (١٩٤) نفسه، ص ١٣٤.
- (195) Stefanini.R., "Kub XXI 33 (Bo 487): Mursili's Sins", *JAOS*.48, No.1,1964, p.29.
- (١٩٦) هورست كلينغل: تاريخ سوريا السياسي، ص ١٨٥؛ CTH.92; Beckman. G., and Hoffner,A. H.: OpCit, p.101.
- (١٩٧) هورست كلينغل، تاريخ سوريا السياسي، ص ١٨٤.
- (198) CTH.92.
- (199) Cammarosano.M., "A Coregency for Murs'ili III? ", *Akademie Verlag*, 36, 2009 , p.174.
- (٢٠٠) هورست كلينغل، تاريخ سوريا السياسي، ص ١٨٦-١٨٧.

- (٢٠١) أ. ر. جرنى، المرجع السابق، ص ٥٦.
- (٢٠٢) هورست كلينغل، تاريخ سوريا السياسي، ص ١٧٠.
- (٢٠٣) كلود شيفر، اكتشاف ختم لملك حثي في رأس الشمر (أوغاريت) موسم عام ١٩٥٠، الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد الأول، الجزء الثاني، (١٩٥٠)، ص ٢٧٦.
- (٢٠٤) أ. ر. جرنى، المرجع السابق، ص ٥٨.
- (٢٠٥) تريفور برايس، المرجع السابق، ص ٣٣٩.
- (٢٠٦) أ. ر. جرنى، المرجع السابق، ص ٥٨.
- (٢٠٧) لم يقم الباحث بتحليل مرحلة لجوئه إلى مصر، حيث إنها خارج موضوع البحث، والذي يتناول الهروب والنفي من وإلى سوريا، وللمزيد من التفاصيل حول هذه المرحلة (وفاء أحمد بدار، المرجع السابق، ص ٢٥٤-٢٦٢).
- (٢٠٨) Helft.S., خلال القرن (١٤-١٣ ق.م)، استخدمت حاتي قبرص كمكان مبدئي للنفي راجع: Patterns of Exchange /Patterns of Power: A new Archaeology of the Hittite Empire, Unpublished PhD dissertation University of Pennsylvania, 2010, p.169.
- (٢٠٩) هورست كلينغل، تاريخ سوريا السياسي، ص ١٥٠.
- (210) Liverani, M., "Karkemiš Nei Testi Di Ugarit", *Rivista degli Studi Orientali*. 35, (1960), p.140; Rainey. A. F., "The Kingdom of Ugarit", *BA*.28, No.4, 1965, p.111.
- (211) RS17.035:6-9.
- (212) RS17.035:10-16.
- (213) Thomas.N.C., Op.Cit, p.124.
- (214) PUR.4,121; RS17.352:4-11.
- (٢١٥) هورست كلينغل، تاريخ سوريا السياسي، ص ١٢٦.
- (٢١٦) أ. ر. جرنى، المرجع السابق، ص ٥٢.
- (٢١٧) هورست كلينغل، تاريخ سوريا السياسي، ص ١٢٦.



سوريا خلال الألف الثاني ق.م
نقلًا عن: هورست كلينغل: تاريخ سوريا السياسي، ص ٢٧٩.

ميناء عَصِيون جابر (تل الخليفة) (دراسة تاريخية)

د/ عماد عبد العظيم أبوطالب
مدرس تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم
eaa02@fayoum.edu.eg - كلية الآداب - جامعة الفيوم

الموقع والتسمية:

تقع مدينة "تل الخليفة" على بُعد ٥٠٠ متر شمال خليج العقبة، وعلى بعد أربعة كيلو مترات غرب مدينة العقبة^(١)، ويتوسط موقعها بين مدينتي: "أم الرشراش" و"العقبة الحالية"^(٢)، وكانت الثلاث مناطق (أم الرشراش - العقبة - تل الخليفة) على اتصال تاريخي، حيث لم يوجد منافذ للمياه العذبة بين أم الرشراش وتل الخليفة، ولذا كان يتم إرسال الجمال لجلب المياه، إما من آبار تل الخليفة، أو من العقبة^(٣)، وأشار بعض الباحثين إلى أن عَصِيون جابر كانت تُعد لسانًا يمتد شرق سيناء^(٤).

وتشير التوراة إلى موقع عَصِيون جابر: أنه بجانب منطقة "أيلة"، على شاطئ بحر سُوف، في أرض أدوم^(٥)، وتشمل مساحته حوالي ٤ دونم^(٦)، ويشكل تلاً قليل الارتفاع، حوالي ٤ متر عن الأرض^(٧)، وموقع عَصِيون جابر موقع استراتيجي، من حيث وقوعه على امتداد خليج العقبة على ساحل البحر الأحمر، وكان ملتقى الكثير من الطرق البرية والبحرية،

¹- Glueck, N., "The Topography and History of Ezion-geber and Elath", *BASOR*, 72 (Dec., 1938), p. 2; Sellin, E., "Zur Lage von Ezion-Geber", *ZDPV* 59, H. 1/2 (1936), p. 123; Köhler, L., "Zum Ortsnamen Ezion-Geber", *ZDPV* 59, H. 3/4 (1936), p. 193

²- Pratico, G., "Tell El Kheleifeh", *OEANE*, 3, 1997, p. 293.

³- Glueck, N., Op.Cit, p. 2.

⁴- Robinson, J., The First Book of Kings, Cambridge Bible Commentary. Cambridge: Cambridge University Press, 1972, p. 123.

^٥ - الملوك أول: ٢٦ / ٩.

^٦ - الدونم يعادل ١٠٠٠ متر مربع (كيلو)، وهو مصطلح شائع استعماله أكثر من الكيلو في بلاد الشام.

⁷- Glueck, N., "Albright, W., The First Campaign at Tell el-Kheleifeh (Ezion-geber)", *BASOR* 71 (Oct., 1938), p. 5.

وكان يربط بين عدة مناطق، حيث يصل بين شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام، عبر وادي عربة، ونشطت به التجارة، جعل المنطقة مطمعًا للكثير من الدول المجاورة^(٨).

وبدأت أولى الحفائر في عسيون، عام ١٩٣٨، على يد الأثري الألماني "فريتز فرانك" Frank, F., وهو الذي أشار إلى أن "تل الخليفة" هو الموقع المقصود بعسيون جابر، الوارد في التوراة^(٩)، ثم تابع "نيسلون جلوك" Glueck, N., الحفائر بها في عام ١٩٣٨م، وقام بثلاثة مواسم حفائر فيه، وأكد على أن موقع تل الخليفة الحالي هو عسيون جابر الوارد في التوراة^(١٠). (أنظر أشكال ١، ٢، ٣ التي توضح تطور الحفائر في الموقع)

وفيما يخص الأسماء التي أطلقت على الموقع: فقد وردت في نصوص الملك "شاشانق الأول" (٩٣١ - ٩١٠ ق.م)، على أنها ميناء في منطقة أدوم^(١١)، وكتبت على لوحته باسم ngbry، وكانت المدينة رقم ٧٤^(١٢)، ويرى "سيمونس" Simons, S. أنه عادة ما يحدث خلط بين g و x^(١٣)، وأن النطق الصحيح لها هو "xbry" وليس gbry، وإن كان الباحث يرى أن: من الصعب الخلط بين x و g، كما أن "xbry" قد تشير إلى معنى "الخابيرو" أو "العابيرو".

جاء ذكرها في التوراة في عدة مواضع، أهمها: أنه مكان استقر به جزء من العبرانيين قبل وصولهم إلى برية صين "قادش"، حيث تشير التوراة: (٣٣) اذتخلوا من

⁸- Malena, S., Fertile Crossroads The Growth and Influence of Interregional Exchange in the Southern Levant's Iron Age I-II Transition, Examined through Biblical, Epigraphic, and Archaeological Sources, PhD Thesis, Published, California Univ. 2015, p. 153.

⁹- Frank, F., "Aus der 'Araba. I. Reiseberichte", ZDPV 57, H. 3/4, 1934, p. 244.

¹⁰- Glueck, N., "The Bible in the Light of Modern Archaeological Discoveries", JES27, No. 8, Israel (Apr., 1954), p. 364.

¹¹- Moon, C., A political History of Edom in the light of recent Literary and Archaeological research, PhD, published, Emory Univ., 1971, p. 111.

¹²- Wilson, K., The Campaign of Pharaoh Shoshnq I into Palestine, PhD thesis, John Hopkins Univ. Published, 2001, p. 179.

¹³- Simons, S. J. Handbook for the Study of Egyptian Topographical Lists Relating to Western Asia. Leiden: Brill. 1937, p. 184.

حُورِ الْجِدْجَادِ وَنَزَلُوا فِي يُطْبَاتَ. ٣٤ ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ يُطْبَاتَ وَنَزَلُوا فِي عَبْرُونََةَ. ٣٥ ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ عَبْرُونََةَ وَنَزَلُوا فِي عَصِيُونَ جَابِرَ. ٣٦ ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ عَصِيُونَ جَابِرَ وَنَزَلُوا فِي بَرِّيَّةِ صِبِينِ (وَهِيَ قَادِشُ) ^(١٤). وجاء ذكرها مرة أخرى في سفر التثنية باعتبارها محطة استقرار في طريق خروج العبرانيين من مصر حيث تذكر التوراة (٨) فَعَبْرُنَا عَنْ إِخْوَتِنَا بَنِي عَيْسُو السَّاكِنِينَ فِي سَعِيرَ عَلَى طَرِيقِ الْعَرَبَةِ عَلَى أَيْلَةَ وَعَلَى عَصِيُونَ جَابِرَ ثُمَّ تَحَوَّلْنَا وَمَزَرْنَا فِي طَرِيقِ بَرِّيَّةِ مُوَابَ ^(١٥).

وورد ذكر عصيون جابر بعد ذلك في سفر الملوك أول، حيث كانت قاعدة للأسطول والسفن التي بناها الملك سليمان عليه السلام (٩٣٦ - ٩٢٤ ق.م)، ويذكر السفر (٢٦) وَعَمَلَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ سُفُنًا فِي عَصِيُونَ جَابِرَ الَّتِي بِجَانِبِ أَيْلَةَ عَلَى شَاطِئِ بَحْرِ سُوفٍ فِي أَرْضِ أَدُومَ. ٢٧ فَأَرْسَلَ حِيرَامُ فِي السُّفُنِ عَبِيدَهُ النَّوَاتِيَّ الْعَارِفِينَ بِالْبَحْرِ مَعَ عَبِيدِ سُلَيْمَانَ، ٢٨ فَأَتَوْا إِلَى أُوْفِيرَ، وَأَخَذُوا مِنْ هُنَاكَ ذَهَبًا أَرْبَعَ مِئَةِ وَزْنَةٍ وَعِشْرِينَ وَزْنَةً، وَأَتَوْا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ ^(١٦).

ثم ورد في سفر الأخبار الثاني (١٧) حِينَئِذٍ ذَهَبَ سُلَيْمَانُ إِلَى عَصِيُونَ جَابِرَ وَإِلَى أَيْلَةَ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فِي أَرْضِ أَدُومَ. ١٨ وَأَرْسَلَ لَهُ حُورَامُ بَيْدَ عَبِيدِهِ سُفُنًا وَعَبِيدًا يَعْرِفُونَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا مَعَ عَبِيدِ سُلَيْمَانَ إِلَى أُوْفِيرَ وَأَخَذُوا مِنْ هُنَاكَ أَرْبَعَ مِئَةِ وَخَمْسِينَ وَزْنَةً ذَهَبٍ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ ^(١٧). ثم جاء ذكره مع ملك يهوذا "يهوشافاط" واتحاده مع أخزيا ملك إسرائيل لإنشاء السفن فيه، حيث تذكر التوراة (٣٥) ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ اتَّحَدَ يَهُوشَافَاطُ مَلِكُ يَهُوذَا مَعَ أَخْزِيَا مَلِكِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي أَسَاءَ فِي عَمَلِهِ. ٣٦ فَأَتَحَدَ مَعَهُ فِي عَمَلِ سُفُنٍ تَسِيرُ إِلَى تَرَشِيشَ فَعَمِلَا السُّفُنَ فِي عَصِيُونَ جَابِرَ ^(١٨).

واستمرت عصيون جابر تُعرف بهذا الاسم حتى القرن العاشر قبل الميلاد، ثم استولى الأدوميين عليها مرة أخرى وأطلقوا عليها اسم "أيله"، وأشار عزريا إليها باسم "أيله" وأعاد بناءها بمسمى جديد ليصبح اسمها "إيلات/ أيله" ^(١٩)، ومن المرجح أن الاسم

^{١٤} - سفر العدد: ٣٣ / ٣٣-٦.

^{١٥} - سفر التثنية: ٢ / ٨.

^{١٦} - سفر الملوك أول: ٩ / ٢٦-٨.

^{١٧} - سفر الأخبار الثاني: ٨ / ٨-١٧.

^{١٨} - سفر الأخبار الثاني: ٢٠ / ٣٥-٦.

^{١٩} - Glueck, N., "Ezion-Geber", BA 28, No. 3 (Sep., 1965), p. 85.

"أيله" مشتق من شخص يدعى "أيلاه" وهو أحد النبلاء أو الأمراء الأدوميين^(٢٠). ثم أطلق السكان المحليون عليها اسم تل الخليفة" ليصبح الاسم الحديث لها. ويقسم المؤرخون طبقات عصيون جابر الأثرية، عمومًا، إلى مجموعة عصور أو فترات زمنية، ترتبط بكل طبقة أثرية منها: العصر الأول وهو القرن العاشر قبل الميلاد، وتحديدًا فترة سليمان عليه السلام، والفترة الثانية في القرن التاسع وهي ما تعاصر فترة يهوذا، وتحديدًا عصر يهوشافاط، والفترة الثالثة تعاصر القرن الثامن قبل الميلاد، والعصر الرابع الذي يشمل فترة القرن الثامن حتى القرن السادس قبل الميلاد^(٢١)، أما الطبقة الخامسة فتغطي الفترة من القرن السادس حتى أوائل القرن الخامس قبل الميلاد.

الأهمية التجارية لعصيون جابر في عصر الأدوميين:

كان الفينيقيون أول من استوطن عصيون جابر، ثم الأدوميون والمؤابيون^(٢٢)، واستوطنها بعد ذلك الآراميون الذين وجدت لهم الكثير من نماذج الفخار والاستراكا^(٢٣)، وبما أن عصيون جابر تقع في نطاق أدوم فكان الأدوميون أكثر سكانها، ويُنسب الأدوميون إلى أدوم، وهو "عيسو بن اسحاق بن إبراهيم الخليل"، وتطلق التوراة عليهم "أدوم فقط"، وهناك من يعتبرهم مشتركين في الهجرة الآرامية، ولكنهم سبقوا الإسرائيليين^(٢٤)، وكان موطنهم في أقصى جنوب بلاد شرق الأردن، وجنوب وادي الحسا؛ الذي ينساب إلى الطرف الجنوبي من البحر الميت، وهو الإقليم المعروف في التوراة باسم "سعير"^(٢٥)، واتخذوا من "سالع" عاصمة لهم، والتي عرفت بعد ذلك باسم "البتراء"، وبالإضافة إلى مدينتهم المهمة - البتراء - كانت هناك مدن أخرى أنشأها الأدوميون مثل تمناء، و"عصيون جابر".

^{٢٠} - انظر سفر التكوين، ٣٦ / ٤١، الأخبار أول، ١ / ٥٢

^{٢١} - Glueck, N., "The Third Season of Excavation at Tell el-Kheleifeh", **BASOR** 79, (Oct., 1940), p. 13.

^{٢٢} - Gordon, C., "The Authenticity of the Phoenician Text from Parahyba", **Orientalia** 37, No. 1 (1968), p. 79.

^{٢٣} - Rosenthal, F., "The Script of Ostrakon No. 6043 from Ezion-Geber", **BASOR** 85, (Feb., 1942), p. 9.

^{٢٤} - محمد بيومي مهران: الشرق الأدنى القديم (٨)، بلاد الشام، الإسكندرية، ١٩٩٠، ص ٢١٧.

^{٢٥} - تكوين : ٣ / ٣، يشوع : ١١ / ٢٤، حزقيال ٣ / ٣٥، ١٥ / ٧.

وكانت عصيون جابر منطقة زراعية خصبة، قبل قدوم الأدوميين إليها، وربما كانت زراعتها وخصوبة أرضها هي التي دفعت الأدوميين إلى منع مرور العبرانيين منها، حتى لا يتم تدمير محاصيلها^(٢٦)، وربما ذلك ليس سبباً مبرراً لمنع عبور العبرانيين، حيث إنها لم تكن وحدها المنطقة الخصبة في جنوبي بلاد الشام، شرق وجنوب الأردن، ولكن ربما يرجع منعهم إلى توتر العلاقات بينهم وبين العبرانيين، وقد استمرت سيطرة الأدوميين على أرض أدوم ومنها "عصيون جابر" قبل قدوم العبرانيين أنفسهم^(٢٧)؛ ومثلت للأدوميين ميناءً مهماً للتجارة يربطها بمناطق الشرق الأدنى القديم، لاسيما مصر وشبه الجزيرة العربية، وسوريا وفلسطين^(٢٨)، وبجانب تلك الأهمية التجارية: فقد مثلت لهم أهمية عسكرية لحماية حدود مملكتهم، وخاصة في العصر الحديدي^{٢٩}، ولذا كانت هدفاً مهماً لداوود الملك^(٣٠)، فيما بعد، يجب السيطرة عليه^(٣١).

وقام الأدوميين بتعمير عصيون جابر وإدارته، حتى سيطرة الإسرائيليين عليه^(٣١)، وتم العثور على الكثير من البقايا الفخارية التي ترجع إلى فترة الأدوميين^(٣٢)، وكان الفخار من النوع المميز ذي النقوش والأشكال الهندسية، وربما لا يعود للأدوميين فقط، ولكن من المحتمل أن بعضه كان من نواتج التجارة العابرة والمارة بعصيون جابر واستقرارها للتموين، أو اعتبارها كـ "نُزُل" مؤقت^(٣٣). وتتوّع هذا الفخار بين أواني للطبخ،

²⁶- Glueck, N., Albright, W., *The First Campaign*, p. 9.

²⁷- Albright, W.F., "Ostrakon No. 6043 from Ezion-geber", *BASOR* 82 (Apr., 1941), p. 15.

²⁸- Lyon, D., *A Study of the Ancient Edomite: An Examination of the Civilization of the Nation of Edom and Its Relationship to Israel*, M.S Thesis, Published, Wilfred Laurier Univ., 1974, p. 38.

²⁹- Glueck, N., "The Civilization of the Edomites", *BA* 10, No. 4 (Dec., 1947), p. 78.

³⁰- Lyon, D., *Op. Cit*, p. 50.

^{٣١} - تجدر الإشارة إلى أن التوراة ذكرت أن الرب قد حرّم أرض أدوم على إسرائيل، انظر : تثنية: ٢/٤-٦.

³²- Mazar, E., "Edomite Pottery at the End of the Iron Age", *IEJ* 35, No. 4 (1985), p. 263.

³³- Dayton, J., *Midianite and Edomite pottery*, Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, Vol. 2, Proceedings of the Fifth Seminar for Arabian

وكؤوس، وأكواب، وكسرات فخارية تعود للآشوريين - وخاصة في العصر الآشوري الحديث، حيث توسعت سيطرتهم على شرق الأردن، وبعض مناطق شبه الجزيرة العربية- والأدوميين والمديانيين^(٣٤)، وصُنِع بعضها يدويًا والآخر عن طريق عجلة فخارية^(٣٥)، وتميز كثير منه بأنه ذو نقوش ورسومات^(٣٦)، وتم تأريخ كثير منه ويعود للعصر الحديدي الثاني^(٣٧)، واختلط كثير من هذا الفخار بالفخار القادم من مصر وبلاد اليونان وبلاد العرب^(٣٨)، وربما جاء ذلك نتيجة للدور التجاري المهم؛ الذي كانت تمثله عصيون جابر في استيراد وتصدير البضائع التجارية، والتي بالطبع كان منها الفخار. وقد تم العثور على ختم يحمل عبارة: "قوسانال خادم الملك"، مكتوب بالعبرية، ويؤرخ للقرن الثامن قبل الميلاد تقريبًا^(٣٩)، وغير معروف من هو الملك المشار إليه، لكن يرجح "جلوك" أن مقطع "قوسانال" Qosanal يشير إلى اسم أدومي، إذا قارناه باسم "قاوس" Qaus معبود المنطقة الأدومي، وربما كان قوسانال مبعوثًا أو مندوبًا، من قبل ملك ما، وظيفته متابعة عمليات شحن البضائع والتجارة^(٤٠)، وتم العثور أيضًا على كسرات فخارية شملت عدة حروف أرجعها جلوك إلى الأدوميين^(٤١). (شكل رقم ٤).

Studies held at the Oriental Institute, Oxford 22nd and 23rd September, 1971 (1972), p.25.

³⁴- Pratico, G., "Nelson Glueck's 1938-1940 Excavations at Tell el-Kheleifeh: A Reappraisal", **BASOR** 259 (Summer, 1985), p. 24.

³⁵- Glueck, N., "Some Edomite Pottery from Tell el-Kheleifeh", **BASOR** 188 (Dec., 1967), p. 11.

³⁶- Ibid., p.13.

³⁷- Glueck, N., "Some Ezion-Geber: Elath Iron II Pottery", **ErIsr** 9, 1969, p. 53.

³⁸- Bienkowski, P., Steen, E., "Tribes, Trade, and Towns: A New Framework for the Late Iron Age in Southern Jordan and the Negev", **BASOR** 323, (Aug., 2001), p. 26.

³⁹- Moon, C., Op. Cit, p. 194.

⁴⁰- Glueck, N., "Ezion-Geber: Solomon's Naval Base on the Red Sea", **BA** 1, No. 3 (Sep., 1938), p. 16.

⁴¹- Glueck, N., "Some Edomite Pottery from Tell el-Kheleifeh", **BASOR** 188 (Dec., 1967), p. 9; Thareani, Y., "The Spirit of Clay: "Edomite Pottery"

وتم العثور على بعض الأسماء التي ربما كانت تخص بعض المعبودات عند الأدوميين^(٤٢). وقد استمرت السيطرة الأدومية على عصيون جابر حتى قيام مملكة داوود عليه السلام، وتوحيده للعبرانيين، وسيطرته عليها، ولكن ذلك لم يمنع الأدوميين من القيام بثورات ضد الإسرائيليين، من حين لآخر.

عصيون جابر خلال فترة المملكة الموحدة في عصرى داوود وسليمان عليهما السلام :

تولى داوود عليه السلام قيادة العبرانيين، وتمكن من توحيدهم تحت سلطة واحدة، بعدما فتك التفوق بدولة طالوت، واتجه بعد ذلك إلى إخضاع الممالك المجاورة، وبدأها بمملكة مؤاب^(٤٣)، ثم عمون بعد ذلك^(٤٤)، ثم اتجهت قواته إلى أدوم، ورغم بعدها نسبياً عن مملكة داوود عليه السلام، إلا أنها كانت تمثل أهمية كبيرة لداوود عليه السلام، فهي تمكنه من الوصول مباشرة إلى خليج العقبة، عن طريق مينائها المهم "عصيون جابر"، وبالتالي يفتح الطرق أمامه لساحل البحر الأحمر وتجارته، كما أن أدوم نفسها - ووادي عربة عموماً - كانت تحتوي على الكثير من الرواسب المعدنية؛ التي كان أهمها النحاس والحديد، الذي استغله داوود عليه السلام كثيراً^(٤٥).

وكانت مخزونات النحاس والحديد قد استخرجت من أدوم، واشتهرت في عهد سليمان عليه السلام بدرجة كبيرة، ولعل أفضل هذه المعامل من جهة الإعداد والبناء: ما وجد في الطبقة " ط "؛ التي تحوي مخلفات أقدم الفترات الخمس الرئيسية لعمران هذا الموقع^(٤٦)، وحرص داوود عليه السلام على الاهتمام بعصيون جابر كمركز تجاري مهم وعمل على ربطها بدمشق للسيطرة على طرق التجارة^(٤٧).

and Social Awareness in the Late Iron Age", *BASOR* 359 (August 2010), pp. 35 ff.

⁴²- Glueck, N., Albright, W., *The First Campaign*, p. 17.

^{٤٣} - صموئيل ثان ٨ / ٢ .

^{٤٤} - صموئيل ثان: ١٠ / ٥-١٠.

⁴⁵- Noth, M., *the History of Israel*, London, 1965, p. 196.

ويتوافق ذلك مع ما جاء في القرآن الكريم عن استخدام داوود عليه السلام للحديد، وتسخير الله له الحديد، حيث تشير الآية القرآنية (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا مَقْضِيًّا يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) سورة سبأ الآية ١٠-١١.

^{٤٦} - محمد بيومي مهران: الشرق الأدنى القديم (٨) ، بلاد الشام ، الإسكندرية ، ١٩٩٠، ص ٢٩١.

⁴⁷- Moon, C., *Op. Cit*, p. 151.

ويبدو أن شهرة عصيون بالتعدين لم تكن منذ عصر داوود وسليمان عليهما السلام فقط، بل إن منطقة وادي عربة عموماً اشتهرت بتعدينها، وصهر الحديد والنحاس وتصديره منذ أواخر العصر البرونزي المتأخر، وبدايات العصر الحديدي المبكر^(٤٨)، وازدهرت بها فئة الحدادين، واشتهر الكينين "السكان الأوائل للمنطقة" بصناعة الحديد^(٤٩).

وامتاز عصر الملك سليمان ﷺ بنشاط تجاري كبير، وحُصِّصت بعض فصائل العربات الحربية لخدمة الشأن التجاري، عندما لا تكون هذه العربات في حالة الدفاع عن الدولة، ولذا عمل سليمان ﷺ على السيطرة على الطرق التجارية المهمة في سوريا وفلسطين، والتي كانت قائمة منذ عصر أبيه داوود ﷺ، واحتفظ بسيطرة كاملة على طرق القوافل التي كانت تمر عبر أرض الأدوميين، واهتم بتأمين تلك الطرق والمراكز التجارية، والتي كان أهمها: ما يمر عبر "تل الخليفة"، ودعم تلك السيطرة بإقامة علاقات ودية مع المناطق المجاورة لتأمين تلك الطرق، مثل تحسين العلاقات مع ملك مصر، وملك صور "حيرام" الذي ساعد سليمان ﷺ في حماية الطرق التجارية عبر المدن الفينيقية.

واتجه سليمان ﷺ نحو البحر؛ ليفتح لبلاده أبواب التجارة مع البلاد الواقعة على سواحل البحار، في الوقت الذي لم يَألف فيه العبرانيين ركوب البحر وملاحته، لذا فقد اتفق مع "حيرام" ملك صور: على إنشاء أسطول من السفن كان مركز صناعته في "عصيون جابر"، وقد تم العثور على مسامير كبيرة الحجم من الحديد والنحاس الممزوج بالحديد، وقطع حبال غليظة وكتل من القار "وبالفعل أرسل حيرام له ثمانية آلاف من رجاله لبناء أسطول من عشرة سفن"^(٥٠).

وأدرك سليمان ﷺ أهمية مملكة سبأ، فبخلاف المشهد الديني عن تبعية ملكة سبأ لسليمان ﷺ، وعبادتها لله وحده وترك عبادة الشمس^(٥١)، فإن مملكة سبأ، في حد

⁴⁸- Rothenbeir, B., "Ancient Copper Industries in the Western Arabah", *PEQ* 94, (1962), p. 56.

⁴⁹- Glueck, N., Albright, W., *The First Campaign*, p. 6.

^{٥٠} - محمد بيومي مهران: بلاد الشام، ص ٢٨٩.

^{٥١} - يشير د. محمد بيومي مهران - رحمه الله - أن إسلام ملكة سبأ كان لله تعالى وليس استسلام لسليمان ﷺ، وهذا ما عبرت عنه الآية القرآنية الكريمة (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، سورة سبأ، الآية ٤٤. وهكذا اهتدى قلبها واستتار، وعرفت أن الإسلام لله وحده ليس استسلاماً لأحد من خلقه، حتى وإن كان سليمان ﷺ، النبي الملك، صاحب المعجزات، وأن الذين يدعون بضم مملكة سبأ لملك سليمان إنما يخطئون فهم دعوة الرسل، فهم لا

ذاتها، تعد مملكة تجارية؛ تمثل عُقدة مهمة من عُقد طريق التجارة البري القادم من الجنوب، وهذا الموقع يسمح لها أن تستقبل سلع جنوب شبه الجزيرة العربية، وتمثلت قوة مملكة سبأ تجاريًا في كمية الأطياب والتوابل والذهب التي حملتها ملكتها لسليمان عليه السلام^(٥٢)، ويشير البعض إلى أن زيارة ملكة سبأ لسليمان عليه السلام - بخلاف استجابتها لدعوته الدينية - قد يكون من باب الترويج لتجارة ملكتها سبأ، فالنشاط التجاري بين المملكتين يمثل نشاطاً رئيسياً، وبعد أن استقر الوضع لسليمان عليه السلام، بعد تحقيق الكثير من الإنجازات على صعيد المشاريع المعمارية، أو فيما يتعلق ببناء أسطوله في تل الخليفة على البحر، فيبدو أن الوقت قد حان ليؤمن تجارته البرية، وفي المقابل ضمان مصالح التجارة البرية لمملكة سبأ أيضاً، التي كانت التجارة تمثل عمودها الفقري^(٥٣).

ولم تكن "تل الخليفة" لسليمان عليه السلام ميناءً تجاريًا فحسب، ولكنها كانت كذلك مركزاً صناعياً، وفي الواقع كان اختيار موقعها موفقاً، بين تلال أدوم من الشرق، وتلال فلسطين من الغرب، حيث يمكن الاستفادة، بأقصى حد، من الريح التي تهب من الشمال، إذ تبلغ أقصى سرعتها في وسط وادي عربة، وذلك للانتفاع بها في تأجج النار اللازمة للتعدين، هذا فضلاً عن أن أدوم، وكل المنطقة الواقعة بين البحر الميت وخليج العقبة، غنية بالنحاس والحديد^(٥٤)، ونقرأ في التوراة عن "أرض حجارته حديد، ومن جبالها تحفر نحاساً"^(٥٥)، ومن هنا عصيون جابر - بالإضافة إلى وادي عربة والنقب - مركزاً لصهر الحديد والنحاس في عهد سليمان عليه السلام^(٥٦).

وتم العثور على الكثير من المعالق الحديدية والسنانير والأطباق المعدنية^(٥٧)، ويرى "جلوك" أنها بمنزلة مدينة ومجمع صناعي مهم^(٥٨)، وكان يعمل بمصاهرها

يريدون ملك الناس ودنياهم، وإنما يريدون هدايتهم إلى عبادة الله وحده، وإلى الإيمان بشرائعه، انظر: محمد بيومي مهران: بلاد الشام، ص ٣٠٠.

٥٢ - هشام عبد العزيز ناشر: التجارة وأثرها في تطور ممالك اليمن القديمة، رسالة دكتوراة، غير منشورة، جامعة عدن، ٢٠٠٩، ص ٨٣.

٥٣ - هشام عبد العزيز ناشر: التجارة وأثرها في تطور ممالك اليمن القديمة، ص ٨٥.

٥٤ - محمد بيومي مهران: بلاد الشام، ص ٢٩٠.

٥٥ - تننية: ٨ / ٩.

56- Hyatt, P., "Solomon in All His Glory", *JBR* 8, No. 1 (Feb., 1940), p. 29.

57- Glueck, N., Albright, W., *The First Campaign*, p. 13.

ومصانعها الكثير من العبيد^(٥٩)، كما اشتهرت صناعة الغزل والنسيج، وظهر ذلك في بقايا الحبال التي وجدت بها، بالإضافة لصناعة السلال والحصير^(٦٠).

كانت عصيون جابر مكانًا مهمًا لصناعة السفن وإنتاج النحاس والحديد^(٦١)، فقد جعل منها الملك سليمان ﷺ ميناءً تجاريًا^(٦٢)، وقاعدة تنطلق منها سفنه وأسطوله ورحلاته^(٦٣)، وذكرت التوراة: أن سفن الملك سليمان ﷺ عادت إلى عصيون جابر بعد رحلة استمرت ثلاث سنوات^(٦٤)، ورجَّح بعض الباحثين أنه إذا كان ما ورد في التوراة صحيحًا، فإن طول تلك الفترة ربما يشير إلى دوران هذه السفن حول إفريقيا، وعودتها مرة أخرى لميناء عصيون جابر، مستنديين على خريطة من عام ١٧٦٤م، تشير إلى رحلة أسطول الملك سليمان ﷺ من عصيون جابر إلى أوفير^(٦٥) ومنها إلى ترشيش التي أشارت - أي الخريطة - إلى وقوعها جنوب إسبانيا ؟^(٦٦).

وتنوعت بعصيون جابر الكثير من الصناعات لتوريدها للخارج^(٦٧)، وقامت بعدة أدوار مهمة منها: أنها كحصن، وكان هذا الحصن كأنه حارس لحدود مملكة سليمان

⁵⁸ - Glueck, N., "The Second Campaign at Tell el-Kheleifeh (Ezion-geber: Elath)", **BASOR** 75 (Oct., 1939), p. 10.

⁵⁹ - Glueck, N., *The Third Season*, p. 4.

⁶⁰ - Glueck, N., Albright, W., *The First*, p. 13.

⁶¹ - Capelli, P., "L' Ideologia Del Mare E Del Porto Nell'Antico Testamento", **EVO** 8 (1985), p. 120.

⁶² - Glidden, H., "A Comparative Study of the Arabic Nautical Vocabulary from Al-'Aqabah, Transjordan", **JAOS** 62, No. 1 (Mar., 1942), p. 68.

⁶³ - Avigad, N., "A Hebrew Seal Depicting a Sailing Ship", **BASOR** 246, (Spring, 1982), p. 60 .; Glueck, N., *Ezion-Geber: Solomon's Naval Base*, pp. 13-16.

^{٦٤} - ملوك أول: ١٠ / ٢٢ ، أخبار ثاني: ٩ / ٢١.

^{٦٥} - وهي مدينة يقصد بها بلاد العرب وسُميت أوفير نسبة إلى أوفير بن بقطان من نسل سام الذي سكن بين ميثا وجبل المشرق، وأشار بطليموس الجغرافي في وصفه لليمن أن أوفير على شاطئ البحر الهندي (المحيط الهندي) في جنوب البلاد العربية، ويشير د. محمد بيومي مهران إلى أنها تقع في الحانب الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية، محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، ج ٢، ص ٧١٠.

⁶⁶ - Stieglitz, R., "Long-Distance Seafaring in the Ancient near East", **BA** 47, No. 3 (Sep., 1984), p. 141.

⁶⁷ - Glueck, N., Albright, W., *The First Campaign*, p. 12.

الملك، وحصن عصيون جابر، بحالته العسكرية، يعود لعصر سليمان عليه السلام، وتم إنشاؤه فوق بعض التلال، وتم إنشاء الميناء في عصيون جابر تزامناً مع إنشاء سليمان عليه السلام للأسطول فيه، بمعاونة حيرام ملك صور^(٦٨)، وهو الآن عبارة عن كومة من التراب، بعدما كان مركزاً تجارياً وصناعياً، وموطناً لبعض الحاميات العسكرية^(٦٩). وتميز بوفرة معادنه، حتى إن البعض أسماه "منجم سليمان"، وتم صهر النحاس بها، وهذا ما يفسر وجود بقايا بعض المداخن^(٧٠)، وتشير بقايا تلك المداخن إلى أن عمليات الصهر والتكرير استمرت بها لفترة كبيرة، حتى إنه تم العثور على أجزاء من النحاس المنصهر على سطح الأرض، أثناء بداية الحفائر^(٧١)، ولم تكن فقط عصيون جابر مركز تعدين لسليمان عليه السلام، بل استغل مناطق التعدين في الكثير من المناطق المجاورة مثل: تماء شمال غرب عصيون جابر^(٧٢)، ولكن تبقى عصيون جابر أكثرها أهمية، حتى إنها أصبحت لا تقل أهمية، من حيث التجارة، عن مدينة القدس^(٧٣).

وبجانب كونها حصناً قوياً وقاعدة بحرية تجارية مهمة للملك سليمان عليه السلام، تم استخدام أجزاء منها "كمخازن وصوامع للغلال"، وبلغت مساحة منطقة المخازن حوالي ٤٥ x ٤٥ م، ووُظِّفت كمخزن للحبوب ومؤونة للجنود والقوافل التجارية التي تمر منه^(٧٤)، وهذه الصوامع ربما كانت خاصة بتموين الحاميات العسكرية المتمركزة في عصيون جابر. (شكل رقم ٥)

⁶⁸- Blakely, J., Judahite Refortification of the Lachish Frontier, M.S Thesis, Wilfred Laurier Univ., Published, 1981, p. 23.

⁷⁰- Ibid., p. 73.

⁷¹- Glueck, N., Albright, W., Op. Cit, p. 6.

⁷²- Wright, G., " More on King Solomon's Mines", *BA* 24, No. 2 (May, 1961), p. 59.

⁷³- Glueck, N., *The Second Campaign*, p. 12.

⁷⁴- Glueck, N., *Ezion-Geber*, p. 69.

بالإضافة لكونها مستودعاً أو "تُزلاً" لاستقبال البخور والتوابل من المناطق المختلفة، وإعادة تصديرها لمناطق أخرى^(٧٥)، وكانت البضائع والسلع تأتي من مصر إلى عسيون جابر، ثم يتم تصديرها إلى مناطق أوفير وأدوم وكنعان وشبه الجزيرة العربية، وبلاد الرافدين وصور^(٧٦)، ومن تلك السلع: الذهب والفضة والعاج، وبعض أصناف الزينة^(٧٧).

وقد استعان سليمان ﷺ بالكثير من الأدوميين في العمل في ميناء عسيون جابر، في الصناعة والصحهر^(٧٨)، مما دفع الكثير منهم للهرب من معسكرات العمل، وانضموا للملك "حدد" زعيم الأدوميين، والذي كان كثيراً ما يقوم بحملات ضد سليمان ﷺ والإسرائيليين، وتمكن من إخراج بعض مناطق أدوم من سيطرة الإسرائيليين^(٧٩).

تل الخليفة بعد عصر سليمان ﷺ:

يبدو أن ملوك يهوذا قد فطنوا إلى الموقع الاستراتيجي لعسيون جابر، على البحر فكانوا يتركون فيها حامية عسكرية، ولكن تم محاصرة المدينة من قبل الأدوميين من جميع الجهات، مما دفع الحامية للاستسلام. وتم تدمير المدينة، وقطعت الاتصالات بين يهوذا وبين المدينة. وعمل يهوشافاط (٨٦٧ - ٨٤٦ ق.م)، على تنمية النشاط البحري مع منطقة أوفير، فاستخدم عسيون جابر لموقعها المتميز في عملية التصدير، كما استغل موقعها البحري المتميز في إحياء التجارة مع المناطق العربية^(٨٠)، ولكن فشل مخطط يهوشافاط في تنمية تلك التجارة، وإعادتها كما كانت في عصر سليمان ﷺ، بسبب ضعف يهوذا نفسها، بالإضافة إلى ثورة أدوم في عصر يورام بن يهوشافاط^(٨١)، وعادت عسيون جابر، مرة أخرى، إلى سيطرة الأدوميين، ولكن لم يتوفر لهم القدرة الاقتصادية،

⁷⁵ - Moon, C., *A political History of Edom*, p. 111.

⁷⁶ - Ibid., p. 160.

⁷⁷ - Ibid., p. 160.

⁷⁸ - Mendelsohn, I., "State Slavery in Ancient Palestine", *BASOR* 85 (Feb., 1942), p. 17.

⁷⁹ - Moon, C., Op. Cit, p. 161.

⁸⁰ - Glueck, N., *the Topography*, p. 7.

^{٨١} - سفر الملوك الثاني ٨ / ٢٠-٢٢، سفر الأخبار الثاني ٢١ / ٨-١٠.

ولا العسكرية، لجعلها مثلما كانت في عصر سليمان عليه السلام^(٨٢)، ثم شنّ أمصيا (٧٩٧-٧٧٩ ق.م) عدة حملات على عصيون جابر وسالع، وانتهت بخضوعهما التام له^(٨٣)، ويشير سفر الملوك الثاني^(٨٤) وسفر الأخبار الثاني^(٨٥) إلى أن عزريا (٧٨٥-٧٣٤ ق.م) أعاد بناء المدينة التي فقدت مرة أخرى على يد الأدوميين، وفي ذلك أيضاً إشارة إلى أن عصيون جابر استمرت، لفترة من الزمن، تحت سيطرة الأدوميين تارة، ويهوذا تارة أخرى، ومن المؤكد أن السبب الرئيسي في الرغبة في السيطرة عليها هو: الموقع التجاري والعسكري المتميز لها، على ساحل البحر الأحمر وخليج العقبة^(٨٦).

واستمرت عصيون جابر تقوم بنفس الدور التجاري، في عهد كل من عمري (٨٧٦-٨٦٩ ق.م) وأخاب (٨٦٩-٨٥٠ ق.م) في مملكة إسرائيل، وكانت تستقبل السلع والمواد التجارية من صور والمدن الفينيقية، عبر المدن التي كانت تحتلها مملكة إسرائيل، وتصديرها إلى أوفير وشبه الجزيرة العربية وغيرها^(٨٧)، بل إن الطريق التجاري (فينيقيا- فلسطين- عصيون جابر) أصبح منافساً للطريق التجاري (مصر- فينيقيا)^(٨٨)، وأصبحت بوابة تجارية ومدخلاً ومنفذاً تجارياً لشبه الجزيرة العربية^(٨٩)، وإن لم يكن الوحيد، حيث كان هناك ميناء "قنأ" قرب عدن، وميناء "الوجه" في أقصى شمال غرب شبه الجزيرة العربية، على الساحل الشرقي للبحر الأحمر^(٩٠)، وتم العثور على الكثير من

⁸² - Glueck, N., *Ezion-Geber*, p. 84.

⁸³ - Glueck, N., the *Topography*, p. 7.

^{٨٤} - سفر الملوك أول: ١٤ / ٢٢.

^{٨٥} - سفر الأخبار الثاني: ٢٦ / ١-٢.

⁸⁶ - Glidden, H., *A Comparative Study*, p. 68.

⁸⁷ - Yeivin, S., "Did the Kingdoms of Israel Have a Maritime Policy?", *JQR* 50, No. 3 (Jan., 1960), p. 219.

⁸⁸ - Miller, J., *The Omride Dynasty in the Light- of Recent Literary and Archaeological Research* (unpublished Ph. D. dissertation, EmoryUniversity, 1966), p. 196.

⁸⁹ - Glueck, N., "Ezion-Geber: Elath, the Gateway to Arabia", *BA* 2, No. 4 (Dec., 1939), p. 38.

^{٩٠} - علاء عبد المحسن شاهين: تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ص ٢٠٨، ٢٥٨.

النقوش العربية في عصبون جابر^(٩١)، كما حرص يريعام الثاني (٧٨٦ - ٧٤٦ ق.م) على تطوير التجارة، ومد الطرق التجارية، بين حماة وعصبون جابر^(٩٢)، وكانت عصبون جابر بالنسبة له: من أهم الموانئ البحرية التي تم استخدامها في أعمال الصيد، وقام ملوك مملكة إسرائيل بهذا الدور عندما احتلوا الميناء^(٩٣)، وتم العثور على ختم ينتمي لأحد ملوك يهودا وهو " يوثام "^(٩٤). (شكل رقم ٦).

العلاقات التجارية لتل الخليفة مع المناطق المجاورة والخارجية:

العلاقات المرجحة مع مصر: كانت الأهمية الاقتصادية والموقع الاستراتيجي، لعصبون جابر، معروفاً لدى بعض قبائل سيناء، وكانت بينهم علاقات تجارية، وبالتأكيد تلك العلاقات التجارية تحت وصاية الإدارة المصرية وبوساطة، وتم العثور على مصاهر النحاس في سيناء، وكان يتم جلب بعض المواد الخام من سيناء ومناجمها لصهر بعضها في عصبون جابر، وازداد هذا الاتصال، بدرجة كبيرة، خلال عصر الدولة الوسطى^(٩٥). كما تم العثور، في عصبون جابر، على أنواع من الفخار الذي يشير إلى طقوس الحج، أو الزيارات إلى المناطق المقدسة، وتشير تلك الأواني الفخارية إلى: وجود تجارة رائجة وواسعة مع شبه جزيرة سيناء، بوصفها مركزاً تجارياً مهماً^(٩٦)، بالإضافة إلى الكثير من نماذج العقيق والجمشت وبعض الأختام^(٩٧). وجاءت إشارات للأدوميين "كمنطقة" في نصوص الملك رمسيس الثاني، حيث أشار إلى أنه "نَهَبَ جَبَلُ سَعِيرٍ" ، وجبل سَعِيرٍ معروف أنه ضمن المناطق الأدومية

⁹¹- Boneschi, P., "Les Monogrammes Sud-Arabes de la Grande Jarre de Tell El-Heleyfeh (Ezion-Geber)", **RDSO**, 36 (1961), pp. 213-23.

⁹²- Poulsen, O., The Samaria Region During the Israelite Period: An Urban Study, M.S Thesis, published, Wilfrid Laurier Univ., 1986, p. 141.

⁹³- Capelli, P., *L' Ideologia Del Mare*, p. 119.

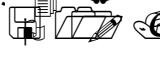
⁹⁴- Avigad, N., "The Jotham Seal from Elath", **BASOR** 163 (Oct., 1961), p. 19.

⁹⁵- Glueck, N., Albright, W., *The First Campaign*, p. 7.

⁹⁶- Ibid., p. 15.

⁹⁷- Glueck, N., *The Second Campaign*, p. 20.

المهمة، ومدينة سعير مدينة أدومية وردت في بعض النصوص الأكديّة والسامية وتعني "الشعر"، وربما أطلق ذلك عليها لكثرة غابتها وأخشابها^(٩٨).

ويرجح أن عصيون جابر كانت تحت السيطرة المصرية، وخاصة في عصر الدولة الحديثة، فكان تجاري مهم، مثل عصيون حاي، لا يخفى عن عيون الفرعون المصري، وما يدعم ذلك: وجود منطقة تسمى  في نصوص الملك سيتي الأول (١٣١٤-١٣٠٤ ق.م)، ويرجح "جوتيه" أنها منطقة عين الغديان شمال إيلاّت بـ ١٥ كم^(٩٩)، ومن المحتمل أن المقصود بها "عصيون جابر"، وعمل الملك سيتي الأول على استغلال مناجم النحاس بوادي عربة وعصيون جابر (أي قبل داود وسليمان عليهم السلام بـ ٣٠٠ عام على الأقل) فليس من المعقول أن يكون الفرعون على بُعد كيلومترات قليلة من هذه الموقع المهم ولا يسيطر عليه! ويدعم ذلك أيضًا، ما ورد في "بردية أنسطاسي^٦"، حيث أشارت إلى سيطرة رمسيس الثاني (١٣٠٤-١٢٣٧ ق.م) على بعض مناطق الأدوميين^(١٠٠)، وكتبت أدوم في بردية أنسطاسي بـ  وأشار "جوتيه" إلى أنها تُعني "أرض أدوم"^(١٠١).

واستمرت السيطرة المصرية على مناطق أدوم أكثر في عصر رمسيس الثالث، وأشارت "بردية هاريس" إلى أن رمسيس الثالث قام "بتحطيم سكان سعير والقبائل البدوية، ودمّر خيامهم وماشيّتهم، وأخذ منهم الجزية، وأعطاهم التاسوع المقدس، وجعلهم كالعبيد في منازلهم"^(١٠٢)، ونتج عن تلك الحملات العسكرية المصرية، على أدوم، أن ظهرت لديهم الحاجة الملحة لتأسيس نظام سياسي وعسكري؛ يدافع عنهم وقت الهجمات الخارجية، وكانت وفاة رمسيس الثالث فرصة مناسبة ليلملوا دولتهم ويؤسسوها، لتصبح مملكة قوية بعد ذلك.

وأثناء حملة الملك "شاشانق الأول" على فلسطين قام بتدمير مدينة عصيون جابر، ووردت في نصوص شاشانق الأول على الكرنك^(١٠٣) على أنها ميناء في منطقة

⁹⁸ - Moon, C., *A Political History of Edom*, p. 4.

⁹⁹ - DG, IV, p. 23.

¹⁰⁰ - Clédat, J., "Notes sur l'isthme de Suez (suite)", *BIFAO* 21, 1923, p. 149.

¹⁰¹ - DG, I, p. 126.

¹⁰² - Moon, C., *Op. Cit*, p. 133.

^{١٠٣} - قام شارل نيمس بدراسة الكثير من نصوص ونقوش معبد الكرنك، انظر :

أدوم^(١٠٤)، وبعد تدميرها تم قطع طرق التجارة الواصلة بينها والبحر المتوسط، مما أدى إلى تراجع أهميتها التجارية لوقت ما^(١٠٥)، ثم بعد ذلك تم إنشاؤها، مرة أخرى، واستخدامها كحصن قوي، وتم إنشاء أسواره وحوائطه من الطوب اللبن^(١٠٦).

ويشير البعض إلى العثور على الكثير من أواني النبيذ المستوردة من اليونان، التي أخذت طريقها عبر عسقلان وغزة ثم عصيون جابر، وتم العثور على كسرات فخارية حملت بعض كتابات تشير إلى بعض المبالغ المالية؛ والشحن لتلك البضائع التي تم استلامها، ولكن صيغة كتابة تلك النصوص مشابهة لما وجد في مصر، وتحديدًا في إلفنتين^(١٠٧)، وتؤرخ للقرن الخامس قبل الميلاد، وهي نفس الفترة التي استوطن فيه اليونان مصر بصفة واضحة، ولذا فمن المرجح أن طريق التجارة لتلك الأواني الفخارية لم يكن (بلاد اليونان- عسقلان- غزة- عصيون جابر) ، بل من المرجح أنها كانت قادمة من مصر عبر سيناء، وخاصة إذا عرفنا أن سيناء كانت مصدرا رئيسيا لتصدير المواد الخام لعصيون جابر نفسها.

ازدهرت التجارة بين مصر وآسيا، وأخذ ميناء عصيون جابر كمنفذ تجاري مهم للصادرات المصرية؛ لشبه الجزيرة العربية ومنها للعراق وفلسطين، بالإضافة للساحل السوري. ويدعم ذلك: وجود صلات تجارية بين ميناء القصير المصري، على البحر الأحمر عصيون جابر في عصر سيطرة الأنباط على أدوم^(١٠٨)، وباعتبار أن عصيون جابر كانت تقع في طريق الحجاج، ولذا من المؤكد أن دورها كـ "نزل" أو "استراحة" أو "مركز تموين" - قد أعطاه أهمية كبيرة في هذا الدور^(١٠٩). وتم العثور على تماثيل

Nims, Ch., *Reliefs and Inscriptions at Karnak*, Chicago, University of Chicago Press, 1954.

¹⁰⁴ - Ibid., p. 111.

¹⁰⁵ - Yeivin, S., *Did the Kingdoms*, p. 212.

¹⁰⁶ - Glueck, N., *Ezion-Geber*, p. 82.

¹⁰⁷ - Glueck, N., *Ezion-Geber: Elath*, p. 41.

¹⁰⁸ - Parker, T., "Preliminary Report on the 1994 Season of the Roman Aqaba Project", *BASOR* 305, (Feb., 1997), p. 40.

¹⁰⁹ - Mayerson, P., "The Pilgrim Routes to Mount Sinai and the Armenians", *IEJ* 32, No.1. (1982), p. 47.

لبعض المعبودات المصرية في عسيون جابر مثل المعبودة "باستت"، وبعض التماث التي تحمل "عين حور"^(١١٠).

علاقتها مع شبه الجزيرة العربية:

قامت علاقات تجارية بين عسيون جابر و بلاد العرب، مستغلة مينائها المتميز في نقل التوابل والبخور^(١١١)، وتم العثور فيها على حرفين يعودان للخط الجنوبي "المسند" خط الجزيرة العربية المبكر، ويؤرخان للقرن الثامن قبل الميلاد، ويحمل أحدهما حرف "ألف" والآخر حرف "ص". ويرى البعض أن تلك الحروف ربما ترجع للمعنيين، الذي كانوا على اتصال تام مع عسيون جابر، وكانوا يحتكرون تجارة المرّ والبخور واللّبّان، في جنوب الجزيرة العربية، وربما كان الممثل، أو المندوب التجاري، لمعين يقيم في عسيون جابر^(١١٢)، وذكر "بليني"^(١١٣) و"سترابو"^(١١٤) أن المعنيين أقدم من أقام علاقات تجارية في جنوب الجزيرة العربية، واحتكروا تجارة البخور والمرّ.

ثمّ تصبح عسيون جابر، بعد فترة، ضمن مملكة الأنباط، وصارت تسمى أيلة/إيلات، وكانت مقرّاً وموطناً للأنباط، جعلوا منها مدينة كبيرة وميناءً مهماً^(١١٥)، واستغلوا هذا الميناء في تسيير أعمال التجارة الخاصة بهم، فبعدما كانت تجارتهم برية، أصبحت بفضل هذا الميناء تجارة بحرية، بل صنعوا السفن التي تمكنهم من الإبحار مع مختلف مناطق الشرق القديم، وخاصة مع الساحل السوري، وساعدهم في ذلك قرب هذا الميناء من حاضرتهم المهمة "البتراء"، بل توسعوا في السيطرة حتى استولوا على مناطق مؤاب^(١١٦).

واستغل الأنباط الموقع الجغرافي الذي استوطنوا فيه، حيث كان مهماً لمرور التجارة الدولية، بين جنوب الجزيرة العربية وبين بلاد الشام وموانئها ومصر، واعتبر الأنباط أنفسهم، في بداية أمرهم، حماة لتلك التجارة، مقابل مكافآت يدفعها إليهم أصحاب تلك التجارة، ولكنهم فيما بعد تعلموا الأساليب التجارية، فانقلوا من وضع

¹¹⁰ - Glueck, N., Albright, W., *The First Campaign*, p. 13.

¹¹¹ - Ibid., p. 8.

¹¹² - Glueck, N., *The Second Campaign*, p. 19.

¹¹³ - Pliny, Nat. Hist., ed. Mayhoff, VI: 28 (32);

¹¹⁴ - Strabo, Geography, XVI, IV, 2

¹¹⁵ - Retzleff, A., "A Nabataean and Roman Domestic Area at the Red Sea Port of Aila", *BASOR* 331 (Aug., 2003), p. 45.

^{١١٦} - إحسان عباس: تاريخ دولة الأنباط، عمان، ١٩٨٧، ص ٣٣.

الحامي للتجارة إلى وضع التاجر صاحب القافلة أو البضائع المتاجر فيها، فانتقلوا بذلك من حالة الوساطة والتنقل، إلى المتاجرة بأنفسهم، فدرّ ذلك عليهم أرباحاً طائلة عادت بالنفع على حياتهم الاقتصادية والسياسة، وبسبب هذا الوضع ذهب بعض الباحثين إلى القول: بأن التجارة كانت عصب الكيان البشري النبطي، وهذا ماجعل الباحثين يسعون إلى تفسير كل شيء في حياتهم-أي الأنباط- في ضوء التجارة^(١١٧).

علاقاتها مع اليونان:

تم العثور على العديد من الأواني والأكواب التي يرجع أصلها إلى بلاد اليونان، ومن المؤكد أن هذه الأواني وجدت طريقها عبر عسقلان، ثم غزة، ثم إلى أيلة عن طريق التجارة^(١١٨)، وربما كانت أيلة نفسها مركز تصدير لهذه الأواني إلى المناطق المختلفة ومنها شبه الجزيرة العربية ومصر، مقابل تصدير سلع شبه الجزيرة العربية الثمينة مثل: التوابل والبخور إلى مناطق تفتقر إليها.

حصون عسيون جابر:

كان لعسيون جابر مجموعة حصون خارجية لحمايتها، تلاها مجموعة بوابات تؤدي إلى داخل المدينة^(١١٩)، وأشارت التوراة إلى عسيون جابر باعتبارها حصناً عسكرياً مهماً، له عدة بوابات^(١٢٠)، وتتشابه بواباتها، بشكل كبير مع بوابات مجدو، وهذا يؤكد أن من قام بـ (إعادة) بناء حصون عسيون جابر؛ هو نفسه صاحب المباني بالطبقة الرابعة في "مجدو" نل المتسلم، وهو الملك سليمان^(١٢١).

وكانت الحصون التي أنشئت في عصر يهوذا لها أهمية اقتصادية كبيرة، بجانب الأهمية العسكرية، ليس فقط في أمور التعدين، ولكن في استيراد وتصدير الخامات والمواد التجميلية وأغراض الزينة، من الجزيرة العربية، للمناطق المختلفة والعكس^(١٢٢).

^{١١٧} - شوقي شعث: مدن القوافل في شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام، مجلة التراث العربي، العدد ٩٦، ٢٠٠٤، ص ١٤٨.

^{١١٨} - Glueck, N., *The Second Campaign*, p. 19.

^{١١٩} - Ibid., p. 13.

^{١٢٠} - Burrows, M., "How Archaeology Helps the Student of the Bible", *BA* 3, No. 2 (May, 1940), p. 16.

^{١٢١} - Aharoni, Y., "Forerunners of the Limes: Iron Age Fortresses in the Negev", *IEJ* 17, No. 1 (1967), p. 1.

ومع مناطق شرق إفريقيا^(١٢٢)، وكانت عصيون جابر متحكمة، بشكل كبير، في تلك الطرق التجارية، أو على الأقل ما يقابل المصطلح الحديث "ترانزيت" للبضائع والتجارة، وكانت من طرق التجارة الآمنة بين القدس وإيلات^(١٢٣)، وبلغت درجة كبيرة من الازدهار التجاري، حتى إن الميناء كان في كثير من الفترات مزدحمًا بالسفن والتجار، وقدر الباحثين سكانها بحوالي ١٠٠٠ نسمة^(١٢٤).

ولحماية هذا الموقع التجاري المهم، فقد تم إحاطته بعدة حوائط وجدران، وتم تدعيم هذه الجدران بغرفات ملاصقة لتلك الحوائط^(١٢٥)، ومن المرجح أن تلك الغرف كانت خاصة بالحرس، أو الجنود المسؤولون عن تأمين المدينة، ومما يؤكد ذلك: وجود الكثير من الفتحات بها كانت تستخدم لأغراض عسكرية، واستفاد منه الإسرائيليون في حماية حدودهم على تخوم الأدوميين^(١٢٦)، ووجدت ثلاث غرف مربعة الشكل بجوار جدران الحصن في الشمال، وثلاث غرف أخرى مستطيلة الشكل في الجنوب^(١٢٧)، بالإضافة إلى وجود حجرات مشابهة في الغرب والشرق^(١٢٨)، وبلغ متوسط مساحات بعض الغرف على النحو التالي : ٢,٣٠ م^٢ / ٤,٧٥ م^٢ / ٣,٦٢ م^٢ / ٣,٧٥ م^٢ / ٢,٣٣ م^٢ / ٢,٣٩ م^٢، ووجدت بوابات ذات أربع غرف أدت نفس الدور في تدعيم وتحصين جدران المدينة، ووجد ذلك النموذج في كثير من المدن الإسرائيلية، وتم توظيفه بوصفه حصناً لحماية المدينة، وتميز بقوته، وكان يتم إنشاؤه في مكان متميز في الموقع^(١٢٩)، ووجدت هذه

¹²²- Van Beek, G., "Frankincense and Myrrh in Ancient South Arabia", *JAOS* 78, 1958, p. 146.

¹²³- Aharoni, Y., Op. Cit, p. 2.

¹²⁴- Glueck, N., Albright, W., *The First Campaign*, p. 13.

¹²⁵- Aharoni, Y., Op. Cit, p. 9.

¹²⁶- Aharoni, Y., Op. Cit, p. 18.

¹²⁷- Blakely, J., *Judahite Refortification of the Lachish Frontier*, M.S Thesis, Wilfred Laurier Univ., Published, 1981, p. 147.

¹²⁸- Pratico, G., *Nelson Glueck's 1938-1940*, p. 13.

¹²⁹- Ibid., p. 14.

¹³⁰- Shiloh, Y., "The Four-Room House Its Situation and Function in the Israelite City", *IEJ* 20, No. 3/4 (1970), pp. 180-190..

البوابات، ذات الأربع غرف، في الطبقة الرابعة تحديداً، في تل الخليفة^(١٣١)، وبلغت أبعاد البوابة ذات الأربع غرف التي وجدت في عصيون: حوالي ١٦,٥ م للحائط الشمالي، ١٥,٥ م للشرقي، ١٧,٥ م للجنوبي، و ١٠,٦ م للغربي^(١٣٢) وتشبه تلك التي وجدت في "مجدو" في الطبقة الرابعة أيضاً، وكان يتم استخدام تلك الغرف، أيضاً، في أمور تجارية، ربما كاستراحات ونُزل.

وتميزت بوابات حصن عصيون جابر بالضخامة، من حيث السُمك والارتفاع، وتتشابه بشكل كبير مع تلك البوابات التي وجدت في تل حلف وقرقميش، في الطبقات التي تعود لعصر سليمان^(١٣٣)، في إشارة واضحة إلى أن نظام بناء الحصون والمباني، في عصر سليمان^(١٣٤) كان متقارباً ومتشابهاً بشكل كبير^(١٣٥)، وكان يتم بناء جدران الحصن من نماذج متفاوتة من الطوب^(١٣٥)، ومتداخله بعضها مع بعض، وبلغ ارتفاع بعض جدران الحصن حوالي ١٢ قدم^(١٣٦).

وبتلك التحصينات: مثلت تل الخليفة حصن برّيا وبحريا قويا، لحماية الطرق التجارية في ما بين شبه الجزيرة العربية وسيناء وفلسطين^(١٣٧). وكان المدخل والمنفذ الرئيسي، في عصيون جابر، ما هو الذي في الجنوب بمواجهة البحر^(١٣٨)، ومن يستطيع السيطرة على عصيون جابر يمكنه السيطرة على مناطق أخرى في فلسطين خاصة، مثلما فعل "شاشانق الأول الذي استطاع أن يستولى على عصيون جابر^(١٣٩)، وتابع سيره إلى مدينة مجدو التي تتحكم، هي أيضاً، في التجارة في منطقة جبل الكرمل، وترتبط بين وسط فلسطين والساحل، وملتقى التجارة الآتية من مصر جنوباً، إلى سوريا شمالاً، ولعبت دوراً مشابهاً لعصيون جابر، فقد كانت تقع وسط هذا الهلال الذي يضم: سوريا وفلسطين

¹³¹- Jang, D., The Iron Age II City Gates in Palestine: The Textual and Archaeological Evidence, PhD, published, The Southern Baptist Theological Seminary, Kentucky Univ., 2006, p. 82.

¹³²- Ibid., p. 98.

¹³³- Glueck, N., *Ezion-Geber*, p.84.

¹³⁴- Mashal, Z., "A Casemate-Wall at Etzion-Geber", *BIES* 25, 1961, pp.157 ff.

¹³⁵- Glueck, N., *Ezion-Geber: Elath*, p.53.

¹³⁶- Glueck, N., *The Third Season*, p. 4.

¹³⁷- Ibid., p. 5.

¹³⁸- Glueck, N., *Ezion-Geber: Elath*, p. 39.

¹³⁹- Glueck, N., *The Third Season*, p. 5.

والأردن ومصر، وبموقعها المتميز الواقع عند مدخل وادي عرا، فكانت تُطل على جبل الكرمل الذي ينفذ على البحر المتوسط^(١٤٠).

نتائج البحث:

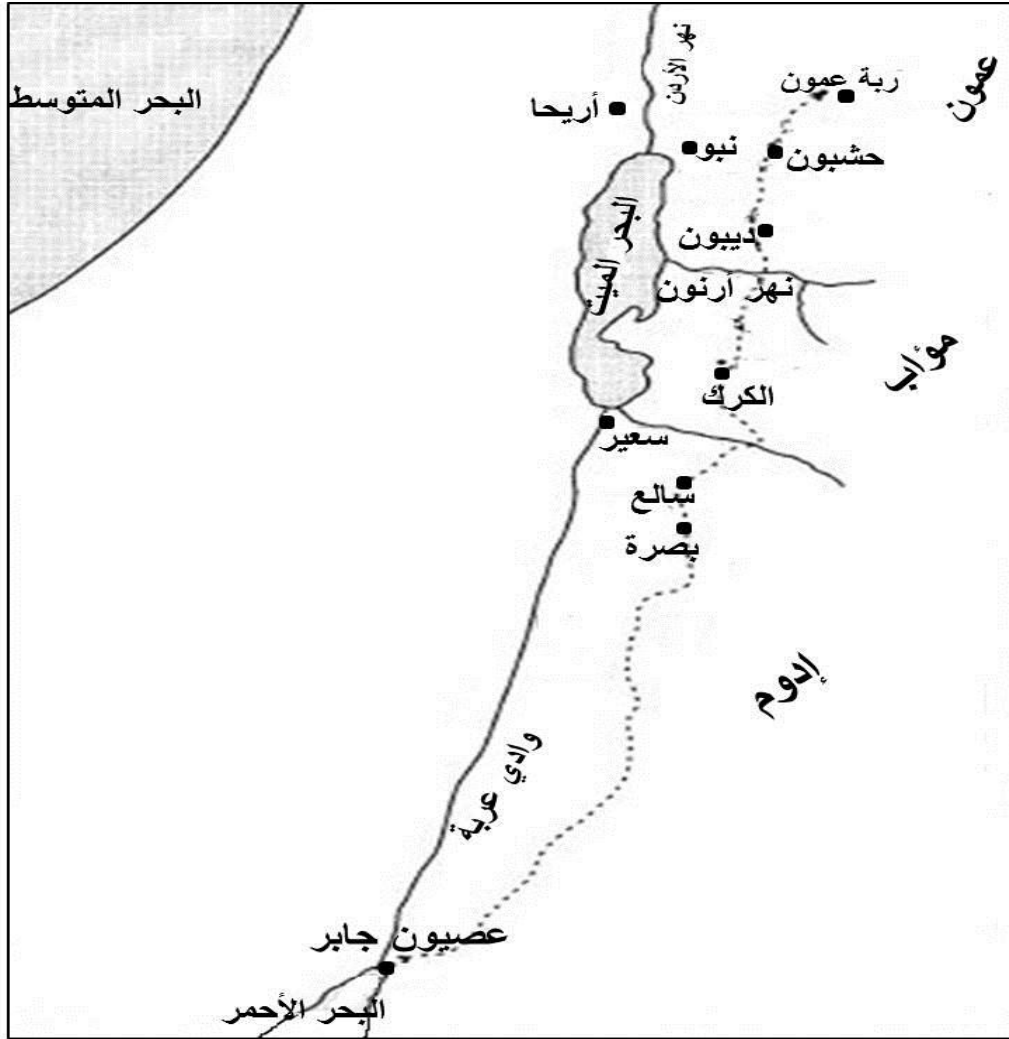
- إن السيطرة المصرية على عصيون جابر - ذات الصلة التجارية مع سيناء - ربما لم تكن لكونها موقعاً تجارياً فحسب، بل ربما نظر إليها الفراعنة على أنها امتداد طبيعي للأراضي المصرية، وكان هناك ترابط دائم بين كل من سيناء وميناء القصير؛ وبين ثل الخليفة، وهذا ما يدعم الحق التاريخي لمصر في منطقة إيلات، ومجاورتها؛ وتحديداً " أم الرشراش".
- دعمت مصر تواجد الكبير في منطقة أوم وتمناء ومجاورتها، بما فيها عصيون جابر، وظهر ذلك في بناء معبد للمعبودة "حتحور" في وادي عربة بجوار مناجم النحاس، مثل ما كان يحدث في سيناء.
- ربما فقدت مصر منطقة عصيون جابر مع ما فقدته من أجزاء إمبراطوريتها في آسيا وفلسطين، بداية من نهاية الأسرة العشرين وحتى العصر المتأخر، وهذا ما ظهر بشكل واضح من وقوع فلسطين تحت سيطرة العبرانيين.
- لم تكن عصيون جابر وليدة عصر سليمان عليه السلام ، بل قامت بدورٍ مهم قبل عصره، واستغل الأدوميين موقعها في تنمية تجارتهم مع المناطق المختلفة.
- لا يمكن إنكار أنها شهدت فترة ازدهار في عصر سليمان عليه السلام ، ولكنها ليست الفترة الوحيدة التي كانت فيها قوية ومزدهرة.
- تنتهي علاقة عصيون جابر بالعبرانيين مع وفاة سليمان عليه السلام ، اللهم إلا بعض النشاط - غير المكتمل - للملك يهوذا فاط، فلم تعد السيطرة الإسرائيلية على أوم قوية، وهذا ما ظهر في الثورات المتعددة ضد الإسرائيليين، حتى إن سيطرة "أمصيا" و"عزريا" لم تستمر طويلاً، بل إن الأدوميين استطاعوا الاستقلال، ولم يكتفوا بذلك، بل قدموا الدعم للملك البابلي "نبوخذ نصر الثاني"، أثناء حصاره للقدس، من باب الانتقام مما فعله الإسرائيليون بهم.
- في فترات القوة "المبتسرة" التي كانت تمر بها مصر، في العصر المتأخر، كانت عصيون جابر ضمن اهتماماتها، وهذا ما ظهر، بشكل واضح، في حملة شاشانق الأول على فلسطين، حيث كانت عصيون جابر من ضمن المناطق التي ذكرها واستولى عليها، وجاءت على لوحته المشهورة في فلسطين، وظهر أيضاً بوضوح مع عصر الملك "نخاو الثاني" - ثاني ملوك الأسرة السادسة والعشرون - الذي استولى عليها واستفاد من موقعها الجغرافي المتميز.

^{١٤٠} - عماد عبد العظيم أبوطالب: مدينة مجدو بفلسطين دراسة تاريخية حضارية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، ٢٠١٤، ص ١٤٨.

- حاول الكثير من القوى التي استولت على عصيون جابر حمايتها وتحصينها، لأهميتها التجارية، ولكونها مركز دعم لوجيستي وتموين للتجارة المارة بها .
- لم تقتصر أهمية عصيون جابر على بكونها موقعاً وميناءً تجارياً، بل تم توظيفها في بعض الفترات كحصن عسكري، وتم تحصينها بقوة، من أجل حماية المدينة نفسها كملتقى تجاري مهم، ومن أجل حماية حدود الدولة التي كانت تسيطر عليها، خاصة وأنها تقع على أطراف البحر الأحمر وخليج العقبة، وتعد منفذاً مباشراً للبحر.
- منحت كل تلك المزايا، التجارية والعسكرية، لعصيون جابر دوراً مهماً في إقامة علاقات متميزة، على المستوى التجاري، تحديداً مع مصر وشبه الجزيرة العربية واليونان، وبلا شك مع مناطق ساحل البحر المتوسط.

قائمة الاختصارات

- BA:** *the Biblical Archaeologist* .Amer. School of Oriental Research –
(Ann.Arbor, Mich., New Haven).
- BASOR:** *Bulletin of the American Schools of Oriental Research in* –
Jerusalem and Baghdad, (New Haven).
- BIES:** *Bulletin of the Israel Exploration Society.*Jerusalem. –
- BIFAO:** *Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale (Le* –
Caire)
- DG:** *Gauthier (H) Dictionnaire des Nomes Géographiques 7 Vols,* –
1925-1929(le Caire)
- ErIsr:** *Eretz-Israel. Archaeol. and Geogr. Stud. Bialik Inst. (* –
Jérusalem).
- EVO:** *Egitto e Vicino Oriente: de Pisa Univ.Roma.* –
- IEJ:** *Israel Exploration Journal . Jerusalem.* –
- JAOS:** *Journal of the American Oriental Society (New Haven)* –
- JBR:** *Journal of Bible and Religion.* –
- JEA:** *Journal of Egyptian Archaeology. Egypt Explor. Soc.* –
(London).
- JES:** *The Journal of Educational Sociology.* –
- JQR:** *Jewish Quarterly Review.(Philadelphia- Penns)* –
- OEANE:** *Oxford Encyclopedia of Ancient Near East, Oxford, 1997.* –
- Orientalia:** *Orientalia Comment. Periodici Pontif. Inst. Biblici. Rome .* –
- PEQ:** *Palestine Exploration Quarterly, (London).* –
- RDSO:** *Rivista degli studi oriental.* –
- Syria:** *Syria, Published by , Institut Francais du Proche-* –
Orient,(Paris).
- ZDPV:** *Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins. Deutsch. Evang.* –
Inst. für Altertumswiss, Wiesbaden.



خريطة رقم (١) ممالك شرق الأردن وموقع تل الخليفة "عصيون جابر" نقلاً عن:

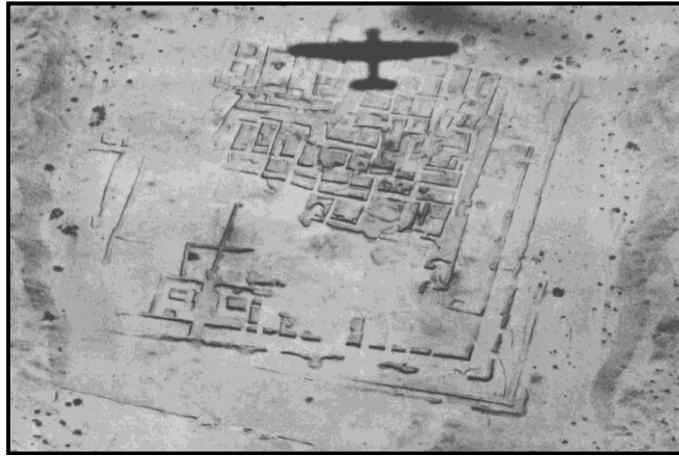
MacDonald, B., "East of the Jordan", Territories and sites of the Hebrew Scriptures, Boston, 1939, Fig. 8.

تعريب الباحث

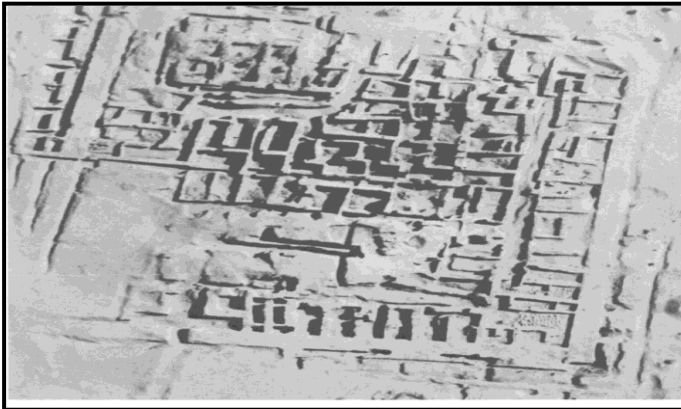


شكل رقم (١) موقع تل الخليفة عام ١٩٣٨

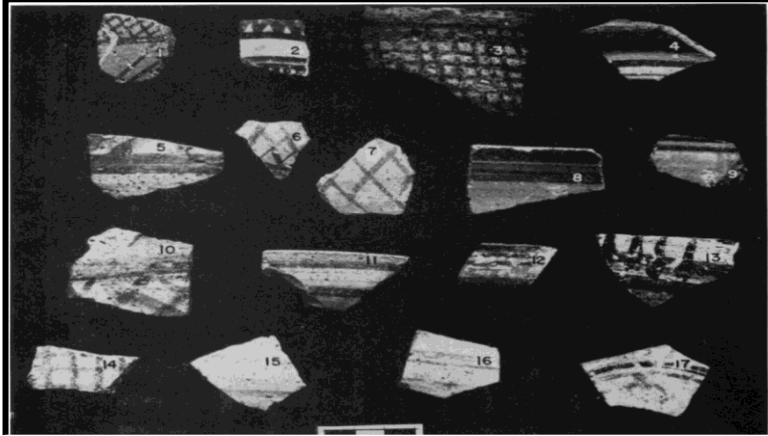
Pratico, G., Nelson Glueck's 1938-1940 Excavations at
Tell al-Khalifa.



شكل رقم (٢) موقع تل الخليفة عام ١٩٣٩



شكل رقم (٣) موقع تل الخليفة عام ١٩٤٠



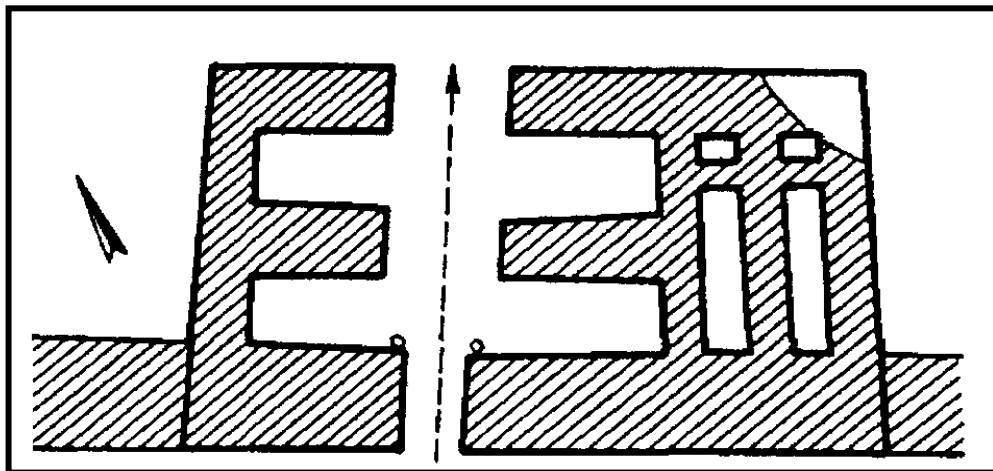
شكل رقم (٤) نماذج من قطع فخار إدومي من تل الخليفة
Glueck, N., Some Edomite Pottery from Tell el-Kheleifeh, Fig. 2.



شكل رقم (٥) حوائط لصوامع غلال في عصيون جابر
Glueck, N., Ezion-Geber, p. 69

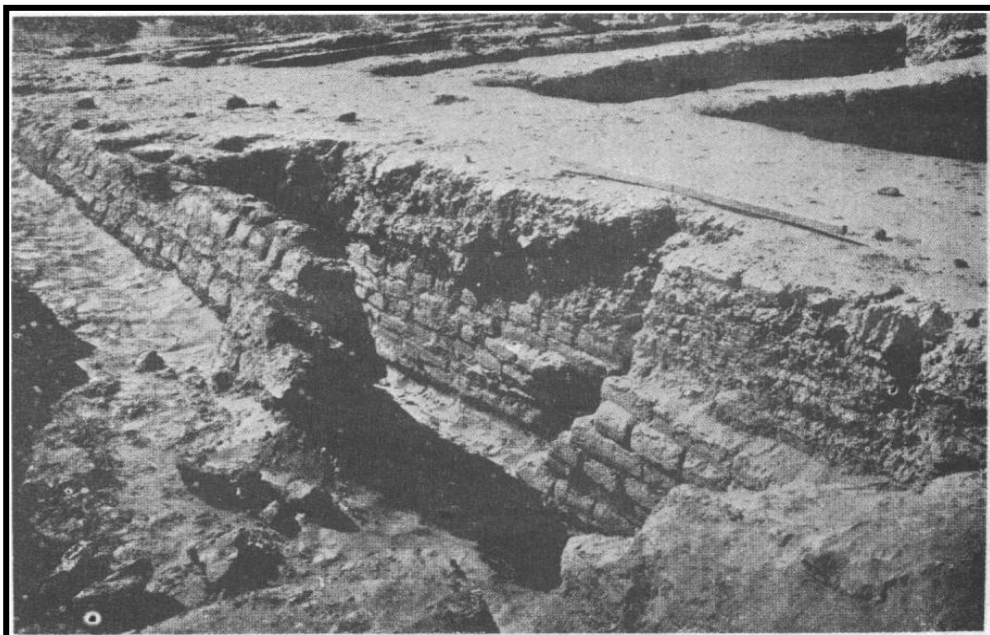


شكل رقم (٦) ختم خاص بملك يهوذا " يوثام "
Avigad, N., The Jotham Seal from Elath, , Fig. 1-3



شكل رقم (٧) بوابة حصن تل الخليفة في العصر الحديدي

Jang, D., The Iron Age II City Gates in Palestine, Fig. A 23.



شكل رقم (٨) جزء من حائط حصن تل الخليفة

Glueck, N., The Third Season of Excavation at Tell el-Kheleifeh, Fig. 2.

وظيفة الـ"جنوستير" في مصر في عصر الرومان

د. عبد اللطيف فايز علي

مدرس التاريخ اليوناني - الروماني

كلية الآداب - جامعة الفيوم

الدراسات السابقة:

الدراسة الوحيدة التي تناولت "الجنوستير"، هي مقالة "هانز شيفر" التي نُشرت

عام ١٩٤٩م، تحت عنوان: "Hans. Schaefer, Γνωστήρ και έγγραφήτης"

Museum Helveticum, 6 (1949), 49-55

وأُعيد نشرها مرةً أخرى عام ١٩٦٣م، تحت نفس العنوان.

Schaefer Hans, "Gnoster kai egguetes" Probleme der Alten

Geschichte (Göttingen, 1963) pp. 178-185.

ويتناول هانز شيفر من خلال مقالته هذه: مصطلح الجنوستير من خلال ما ورد من

إشارات عند بعض قدامى المؤرخين، أمثال كسينوفون^(١) (Xenophon) (٤٣٠-٣٥٤ ق.م)،

وبوليبيوس^(٢) (Polybius) (٢٠٠-١١٨ ق.م)، وكيف أنَّ هذا المصطلح دخل مصر في العصر

البطلمي عن طريق اليونانيين، ودلل على ذلك من خلال ما ورد من إشارات عن المصطلح في

برديات زينون، وخاصة البردية (P.S.I., 4. 341. I. 9 (256/5 B C))^(٣)، ثم أشار إلى

استمرار المصطلح في العصر الروماني، مستشهداً بإحدى برديات أوكسيرينخوس (P. Oxy. 9. 9.

211-212 A. D) (1196, v. I. 20)، وأن الجنوستير خلال العصرين البطلمي والروماني؛ كان

يساعد في العديد من الأعمال العامة المختلفة، مثل عنق العبيد، وطلبات الفحص.^(٤)

(1) Hans. Schaefer, "Γνωστήρ και έγγραφήτης" Museum Helveticum, 6 (1949),

pp. 49- 50, 52, 54, 55.

(2) Ibid., p. 50.

(3) Ibid.

(4) Hans. Schaefer, Op. Cit., pp. 53-55.

ولقد اقتصر حديث هانز شيفر على الجنوستير كـ"مصطلح"، منطلقاً من خطاب الملك الفارسي قورش الثاني (٥٥٩-٥٣٠ ق.م) الذي ورد عند كسينوفون في كتابه "تربية قورش" (Cyropaedia)، والذي ورد به مصطلحا "جنوستير" و "إنجويتيس" وهو كالتالي:

"εἰ δέ τις χρημάτων προσδεῖσθαι νομίζει εἰς ἐμπολὴν, γνωστῆρας ἐμοὶ προσαγαγὼν καὶ ἐγγυητὰς ἧ μὴν πορεύσεσθαι σὺν τῇ στρατιᾷ, λαμβανέτω ὧν ἡμεῖς ἔχομεν. ἐγὼ μὲν δὲ ταῦτα προαγορεύω: εἰ δέ τις τι καὶ ἄλλο δέον ἐνορᾷ, πρὸς ἐμὲ σημαίνεται" (5)

"لو أن أي تاجر يعتقد أنه في حاجة إلى مزيد من المال لشراء مؤن، فليحضر لي من الأوراق ما يثبت أنه جدير بالاحترام وما يثبت هويته، وشهودا (γνωστῆρες) وضمنا (καὶ ἐγγυητὰς) على ذهابه مع الجيش، وسوف يحصل على مبلغ معين من ما لدينا من اعتماد مالي"

كما قارن هانز بين مصطلحي "الجنوستير" و"الإنجويتيس"، وبين مصطلح ثالث ورد عن بوليبيوس^(٦)، هو مصطلح "بيبايوتيس" "βεβαιωτής" ويعني أيضاً الضامن. وبينما انصب حديث "هانز" في مقالته على الجنوستير كـ"مصطلح"، وتأصيله ومقارنته بما يقابله من مصطلحات أخرى، من خلال كتابات "كسينوفون" و"بوليبوس"، وكيف انتقل هذا المصطلح إلى مصر في بداية العصر البطلمي، وكيف أنه انتقل بنفس المدلول، بمعنى شاهد أو ضامن، مستشهداً ببرديتين إحداهما في العصر البطلمي، والأخرى في العصر الروماني - كما أوضحنا عاليه - فإن هذا البحث قد اهتم بالجنوستير كـ"وظيفة" ظهرت في بدايات العصر البطلمي، من خلال برديات زينون، واستمرت خلال العصر الروماني. كما اهتم هذا البحث بتطور المصطلح، واستخداماته المتعددة، وأشكاله المختلفة كجنوستير الحي، والقبيلة، والمدينة، والأشخاص الذين تولوه، ومدة شغل الوظيفة.

(5) Xenophon, Cyropaedia, 6. 2. 39.

(6) Polybius, Histories, II. 40, 2; IV. 40, 3.

كما تناول هذا البحث بالدراسة ظهور وظيفة جنوستير القرية (وهي الوظيفة التي لم يشر إليها هانز لا من قريب ولا من بعيد)، في مطلع القرن الرابع وطبيعتها وتطورها، والأشخاص الذين تولوها، والمهام الموكلة إليهم، وكيفية ترشحهم لهذا الوظيفة، ومدة شغل الوظيفة. فضلاً عن أن هذه الدراسة قد اعتمدت على جميع الوثائق البردية، تقريباً، التي ورد بها إشارات إلى وظيفة الجنوستير، مما أتاح للباحث الوقوف على طبيعة هذه الوظيفة ومراحل تطورها.

وبعد هذا العرض يمكننا القول أن الـ "جنوستير" (γνωστήρ) هو الشخص الذي يشهد على شيء ما، أو الذي يعرف أو يضمن حقيقة شيء ما، كما أنه هو الشخص الذي يعرف شخصاً ما معرفة شخصية، أو يحدد هويته ويتعرف عليه، والـ "جنوستير" هي اسم الفاعل من الفعل "جيجنوسكو" (γίγνώσκω) أي "أن يعرف"^(٧).

وقد وُجد لفظ الجنوستير، كـ "شاهد" (μάρτυρος) أو كـ "ضامن" (ἐγγυητής) منذ العصر البطلمي، حيث ذكر في وثائق زينون وكيل أعمال ضيعة أبولونيوس (Apollonius) وزير مالية بطلميوس الثاني فيلادلفوس (Ptolemy II Philadelphus) (٢٨٢-٢٤٦ ق.م)^(٨)، بينما جاء أول ذكر للجنوستير، في العصر الروماني، من خلال وثيقة مؤرخة بنهاية القرن الأول قبل الميلاد (ربما يرجع تاريخها الدقيق إلى عام ٢٥ ق.م)^(٩)، ولكن فقدان الجزء السابق على كلمة جنوستير هو ما جعلنا لا نستوضح ماهية اللقب، في ذلك الوقت المبكر من العصر الروماني، كما أننا نجد أن الوثائق البردية منذ

(7) Liddell & Scott. Greek-English Lexicon, Oxford, 2001, p. 144.

تتطابق كلمة "γνωστήρ" مع المصطلح اللاتيني cognitor والتي تعني محام أو وكيل أو شاهد. كما أن الاسم "جنوسيس" (γνώσις) هو الاسم الذي أتت منه تسمية مذهب الغنوسية (Gnosticism).

(8) P.Cair.Zen.1. 59019, l. 9 (260-258 BC)= PSI. 4. 444; PSI. 4. 341. l. 9 (256/5 B C).

(9) P. Oxy. 12. 1479, l. 1 (Late 1st Cent. BC).

بداية العصر الروماني (نهاية القرن الأول ق.م)، وحتى بداية القرن الرابع الميلادي قد خلت من أية إشارة للجنوستير في القرية، وأن كل الإشارات المتعلقة بالجنوستير تشير إلى وجوده في المدينة^(١٠)، كما سوف يتضح من خلال ما سنعرضه من وثائق.

لقد ارتبط الجنوستير في الوثائق البردية بظهوره كـ "شاهد" (μάρτυρος)، أو "ضامن" (ἐγγυητής)، أو "كفيل" (ἀσφάλειος)، أو مُصَادِق على صحة شيء ما، حيث نجده ضامناً لعق مجموعة من العبيد في مجموعة من الوثائق البردية^(١١).

(¹⁰) SB. 20. 14469, ll. 9-10 (AD 302- 306, Hermupolis Magna).

(^{١١}) ومنها بردية من أوكسيرينخوس مؤرخة بحكم الإمبراطور دوميتيان (٨١-٩٦م)، نجد فيها أن الجنوستير هو الضامن لعق إحدى الإماء. P. Oxy. 38, 2843, ll. 25-26 (86 A. D, Oxyrhynchus)

- وفي وثيقة مؤرخة أيضاً بحكم الإمبراطور دوميتيان، نجد أن الضامن لعق إحدى الإماء، وأنه يضمن أنها أو أي من ذويها لن يُطالب بمبلغ الفدية (λύτρα) الذي دُفع مُقابل عتقها. P. Oxy. 4. 722. ll. 31-34 (91 or 107 A. D Oxyrhynchus). هذه البردية إما أنها مؤرخة بالعام العاشر من حكم الإمبراطور دوميتيان، أي عام ٩١ ميلادية، أو أنها مؤرخة بالعام العاشر من حكم الإمبراطور تراجان (٩٨-١١٧م) أي عام ١٠٧ ميلادية، وإن كان محرر البردية يفضل تأريخها بالعام العاشر من حكم الإمبراطور دوميتيان. (Note, 1, (p. 202)

- وفي وثيقة ترجع إلى عهد الإمبراطور تراجان نجد أن الجنوستير "هارثونيس" هو الضامن لعملية عتق أحد العبيد P. Turner. 19. l. 7 (A.D 101 Oxyrhynchus)

- وفي وثيقة من أوكسيرينخوس، تعود إلى عهد الإمبراطور أنطونيوس بيوس، نجد أن الجنوستير سارابيوس بن أسكليبياديس هو الضامن لعملية عتق أمة-138 (P. Oxy. 4. 723. l. 4 161 A. D Oxyrhynchus).

- وفي وثيقة تعود إلى عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس (١٦١-١٨٠م)، نجد أن الجنوستير أبولونيوس هو الضامن لعملية عتق أمة P. Stras. 4. 238. l. 23 (A.D177/8, Arsinoites)

وفي بردية مؤرخة بعهد الإمبراطور أنطونيوس بيوس (Antonius Pious) (١٣٨-١٦١م)، نجد الجنوستير شاهداً على عقد شراء عبد يبلغ من العمر سبعة عشر عاماً، يُدعى حربوقراط (Herpocrates)^(١٢). وفي إحدى برديات أوكسيرينخوس^(١٣)، وهي عبارة عن عقد زواج بين سارابيون (Σαραπίων)، بن إيودايمون (Εὐδαίμων) وبين ثايس (Θαίς) ابنة سارابيون، نجد أنَّ الجنوستير ديوجينيس (Διογένης) بن هيراكس (Ίέραξ)، مُصادق على العقد أو شاهد عليه، ومقرّر بصحة ما جاء فيه.

وفي العديد من الوثائق البردية^(١٤) نجد "الجنوستيريس" (γνωστῆρες) شهوداً على طلبات الفحص (ἐπίκρισις)^(١٥) المقدمة من فئات محددة من سكان مصر، حيث

- وفي وثيقة تعود إلى عهد الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس (١٩٣-٢١١م)، نجد أنَّ الجنوستير هيراكلوس هو الضامن لعملية عتق أمة. P.Turner. 26. I. 16. (A.D 193-8 Arsinoites).
- وفي وثيقة مؤرخة أيضاً بعهد الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس، نجد أنَّ الجنوستير زينور بن سارابيون (Ζήνων Σαραπίων) هو الضامن لعملية عتق أمة تدعى زوسيمي (Ζωσίμη). P. Freib. 2. 10 (A.D195/6 Ptolemais Euergetis (Arsinoites).
- (¹²) SB. 5. 7555. II. 14-15 (154 A. D).
- (¹³) P. Oxy. 3, 496, I. 16 (127 A. D, Oxyrhynchus).
- (¹⁴) P. Hamb. 31. II. 20-22 (103 A. D Arsinoites) = P. Stras. 5. 340; P. Diog. 5, II. 17-19 (AD132/3, Arsinoites); P. Diog. 6, II. 27-30 (A.D 142, Arsinoites); P. Diog. 7, II. 29-32 (A.D 142, Arsinoites); SB. 1. 5217, II. 23-26 (A.D 148, Theadelphia); SB. 1. 5217, II. 23-26 (A.D 148, Theadelphia); SB. 4. 7427, II. 8-15 (AD168/9 Karanis); BGU. 4. 1032, II. 11-14 (AD173, Arsinoites); P. Oxy. 12. 1451, II. 27-29 (175 A. D, Oxyrhynchus); P. stras. 5. 385. I. 10 (187 A. D, Arsinoites); P. Oxy. 18. 2186, II.13-14 (260 A. D); P.Mich. 14, 676, II. 19-20 (AD 272, Oxyrhynchus).

يشهد الجنوستيريس على أن مُقَدِّم الطلب لم يستخدم أدلة زائفة، وأنَّ كل البيانات الواردة بالطلب صحيحة، وكان عدد الشهود (الجنوستيريس) في الغالب ثلاثة شهود، ومثال على ذلك: أننا نجد في بردية مؤرخة بالعام ١٠٣ ميلادية، مواطناً رومانياً يدعى لوكيوس كورنيليوس أنتاس (Λούκιος Κορνηλίου Ἀντάς) يقدم طلب فحصه هو وأبنائه الثلاثة، وأنه قدَّم ثلاثة شهود (جنوستيريس)، هم: كلوديوس (Κλαύδιος)، وإجناطيوس نيجر (Ἰγνάτιος Νίγερ)، ويوليوس (Ιούλιος)، كي يشهدوا على صحة البيانات الواردة في طلب الفحص، وأن مقدمه لم يستخدم أيَّة أدلة زائفة^(١٦).

ونجد في بردية من أوكسيرينخوس، مؤرخة بالعام ١٦٧ ميلادية، عبارة عن طلبات لمجموعة من الجنود، ومجموعة من المواطنين لإجراء فحص لهم ولـ"عبيدهم"، أن هؤلاء ختموا طلباتهم بتقديم ثلاثة شهود (جنوستيريس) للتصديق على صحة البيانات التي وردت في طلباتهم. ولقد وقع هؤلاء الشهود على الطلب بأسمائهم وأقسموا بالقسم الروماني على عدم تزوير البيانات التي وردت في طلب الفحص^(١٧). وفي بردية من أرسينوي، مؤرخة بالعام ١٧٣ ميلادية، عبارة عن طلب فحص مقدم من أحد المواطنين، شهد على صحة البيانات الواردة في الطلب، وأنَّ مقدم الطلب لم يستخدم أيَّة أدلة زائفة، ثلاثة من الجنوستيريس هم: جايوس فاليريوس فالينس، و ماركوس فاليريوس بريموس، يوليوس ماريوس تيبيريانوس، حيث جاء في نهايتها^(١٨):

(١٥) **الفحص:** هو عملية ابتكرها الرومان لفحص فئات بعينها من السكان، مما استوجب أفراد هذه الفئات التقدم بطلبات لإجراء فحصها، وكان يترتب عليها، تحديد أوضاعهم القانونية والعسكرية، ومنح المواطنة الرومانية، وكذلك الانضمام لطبقة أو فئة بعينها. أنظر: حسن الإبياري، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي في عصر الرومان، دار العلوم بالقاهرة، ٢٠٠٤، ص ٦٤-٦٥، ٧٦.

(١٦) P. Hamb. 1, 31, ll. 20-22 (103 A. D, Arsinoites) = P. Stras. 5. 340.

(١٧) PSI. 5. 447, ll. 23-25 (A.D 167 Oxyrhynchus).

(١٨) BGU. 4. 1032, ll. 11-14 (AD173, Arsinoites).

“...γνωστῆρας, Γάιον Οὐαλέριον Οὐάλεντα, Μάρκον Οὐαλέριον Πρεῖμον, Ἰούλιον Μάριον Τιβ[ερ]εῖνο συνευογραιο[οὔ]ντας αὐτῇ μηδενὶ ἄλλοτρίῳ κεχρησθαι...”

“...الشهود: جايوس فاليريوس فالينس، و ماركوس فاليريوس بريموس، يوليوس ماريوس تيبيريانوس، وقد كتبوا إعلان القسم، و(شهدوا) أنه لم يستخدم أية أدلة زائفة وفي بردية من اوksيرينخوس، مؤرخة بالعام ١٧٥ ميلادية، عبارة عن فحص قام به جوفينكوس فالنس (Ἰουουένκος Οὐάλενας) قائد أسطول الإسكندرية الإمبراطوري، نيابة عن والي مصر جايوس كالفيسيوس (Γαίος Καλουισίος). كما تحتوي على طلب مقدم من مواطنة رومانية تدعى ترونيا بريميلا (Τρουννία Πρεμιλλα)، لفحص ابنها غير الشرعي لوكيوس ترونيوس (Λούκιος Τρουννίος)، وابنتها ترونيا ماركيلا (Τρουννία Μάρκελλα)، بالإضافة إلى ثلاثة من عبيدها، نجد ثلاثة من الجنوستيريس يشهدون على أن لوكيوس ترونيوس أخو ترونيا ماركيلا. ولقد صرح هؤلاء الشهود متضامين بأن مقدمة الطلب لم تستخدم أية أدلة زائفة، وأن كل البيانات الواردة بالطلب صحيحة^(١٩).”

وفي بردية من كرانيس، مؤرخة بالعام ١٨٨ ميلادية، عبارة عن طلب فحص خاص بـ "لونجايوس روفوس"، والي السابق، أجراه نيابة عنه أليوس هيرمولأوس، قائد فرقة تراجان الثانية. ولقد قدم صاحب الطلب ثلاثة شهود من قدامى المحاربين شهدوا على أنه لم يستخدم أية أدلة زائفة^(٢٠).”

“....ἔδωκεν καὶ γνωστῆρας, Μάρκον Αὐρήλιον Πετεσοῦχον, Σερῆνον Πετρώνιον, Ἰούλιον Γέμελλον, τοὺς τρεῖς γ, οὐετρανοὺς συνευογραιοῦντας αὐτῷ μηδενὶ ἄλλοτρίῳ κεχρησθαι....”

(¹⁹) P. Oxy. 12. 1451, ll. 27–29 (175 A. D, Oxyrhynchus).

(²⁰) SB. 4. 7362, ll. 16–20 (A.D 188, Karanis).

"ولقد قدم أيضًا ثلاثة شهود هم: ماركوس أوريليوس بيتيسوخوس، سيرينوس بيترونيوس، يوليوس جميلوس، ثلاثتهم من قدامى المحاربين، وقد كتبوا إعلان القسم، و(شهدوا) أنه لم يستخدم أي أدلة زائفة "

وفي إحدى البرديات المؤرخة بالعام ٢٧٢ ميلادية^(٢١)، وهي عبارة عن طلب فحص مقدم من فتى يدعى ماركوس أوريليوس ثونيس (Θώνις)، بغرض الاندماج في طبقة المنتسبين إلى الجمنازيوم، نجد ثلاثة من الجنوستيريس يُقَسِّمون على صحة البيانات الواردة في طلب الفحص، ويشهدون على صحة نسب مقدم الطلب من ناحية الأب والأم (ربما لإثبات انحدره من أصول متروبوليتانية من ناحيتي الأب والأم معًا). حيث جاء بها^(٢٢):

“...παρέσχον δὲ τῆς ἐπικρίσεως γνωστῆρας καὶ ὁμοίω τὴν Αὐρηλιανοῦ Καίσαρος τοῦ κυρίου Σεβαστοῦ τύχην ἀληθῆ εἶναι τὰ προγεγραμμένα...”

"لقد أحضرت شهودًا (γνωστῆρες) على الفحص، أقسم بحظ أوريليوس قيصر، مولانا، أغسطس، أن ما ذكر آنفًا صحيح." وفي نهاية البردية تأتي توقيعات الجنوستيريس الثلاثة كالتالي^(٢٣): "أنا أوريليوس سارابيون، ابن ديوجينيس (Διογένης)، أمه هي هيلين (Ἑλέν)، من المدينة، أشهد أن ثونيس (Θώνις) هو ابن كوبريوس (Κοπρέος) وثيرموثيون (Θερμουθείον) بالمولد، كما هو موضح. أنا أوريليوس أمويس (Ἀμώις) ابن أفونخيوس (Ἀφυνχίος)، أمه هي أوليس (Ἀώλης).... شاهد متضامن فيما يتعلق بـ "ثونيس"

(21) P.Mich. 14. 676 (A.D 272, Oxyrhynchos). Also, cf., P. Oxy. 18. 2186, l.13 (260 A. D, Oxyrhynchos).

(22) P.Mich. 14. 676, ll. 19–20 (A.D 272, Oxyrhynchos).

(23) P.Mich. 14. 676, ll. 29–34 (A.D 272, Oxyrhynchos).

كما هو موضح. أنا أوريليوس يوستوس (Ιοῦστος)، ابن هيراكلامون (Ηρακλάμων)، أمه هي إيزيس (Ἰσεῖς)، شاهد متضامن فيما يتعلق بـ "ثونيس" كما هو موضح".

كما نجدهم أيضًا شهودًا على طلبات إجراء فحص، بغرض تسجيل مواطنين في طائفة الشبيبة (εφηβεία) في أنطينوبوليس^(٢٤)، حيث نجد في بردية من أنطينوبوليس (تم العثور عليها في كرانيس)، مؤرخة بالعام ١٦٨-١٦٩ ميلادية، عبارة عن طلب فحص للتسجيل في طائفة الشبيبة في أنطينوبوليس: أن صاحب الطلب قدم ثلاثة شهود يشهدون على صحة البيانات الواردة في الطلب، وعدم تزويرها. جاء في نهايتها: ^(٢٥)

“...γνωστῆρες, Γάιος Οὐαλέριος Σερῆνος Νερουϊάνιος ὁ καὶ Ἑστιαεὺς, Γάιος Ἰούλιος Πρίσκος Παυλείνιος ὁ καὶ Ἰσίδειος, Λούκιος Ἀκύλιος Πτολεμαῖος Ὁσειραντινόειος ὁ καὶ Μελειτόριος...”

"الشهود: جايوس فاليريوس سيرينوس، من قبيلة نيرفا حي هستيوس، جايوس يوليوس برسكوس، من قبيلة باولينوس، حي أيزيديوس، لوكيوس أكويليوس بطوليمايوس من قبيلة أوسيرانتينوييس، حي ميليتوريوس".

وفي مجموعة من الوثائق البردية؛ التي تعود إلى عهد الإمبراطور كلوديوس الثاني "القوطي" (Claudius II the gothian) (٢٦٨-٢٧٠ م) والإمبراطور أورليان

⁽²⁴⁾ P. Fam. Tebt. 32 (A.D145-6, Antinoopolis) = SB. 5. 7605 (P. L. Bat. 6. 32); SB. 16. 12744, ll. 4-8 (A.D 171 Antinoopolis).

⁽²⁵⁾ SB. 4. 7427, ll. 8-15 (AD168/9, Antinoopolis); Boak. A. E. R., "The Epikrisis Record of an Ephebe of Antinoopolis Found at Karanis" *JEA*, Vol. 13, No. 3/4 (Nov., 1927), pp. 151-154.

(Aurelian)(٢٧٠-٢٧٥م)^(٢٦)؛ تتعلق بتوزيع حصص من الحبوب كـ"إعانة" على مواطني أوكسيرينخوس: نجد أنَّ الجنوستيريس هم من يؤكدون على أنَّ الشخص المتقدم للحصول على الإعانة، هو شخص قد تم فحصه، ووتحديد هويته؛ وله الحق في الحصول على الإعانة، حيث جاء في نهاية إحدى البرديات الآتي^(٢٧):

I.29- Αὐρήλιος Θεὸν γνωστήρ· οὗτός ἐστιν ὁ διακριθείς, ὃν καὶ γνωρίζω.

I.30- Αὐρήλιος Σαρᾶς ὁ καὶ Ἰσίδωρος γνωστήρ· οὗτός ἐστιν ὁ διακριθείς, ὃν καὶ γνωρίζω.

"جنوستير أوريليوس ثيون، هذا هو الشخص الذي تم فحصه، والذي أحدد هويته أيضًا، جنوستير أوريليوس ساراس، المعروف بـ إيزيدوروس، هذا هو الشخص الذي تم فحصه، والذي أحدد هويته أيضًا "

وفي بردية أخرى جاء الآتي^(٢٨):

(²⁶) P. Oxy. 40. 2892, Col. i. ll. 29-30, Col. ii. ll. 29-30 (AD269 Oxyrhynchus); P.Oxy.40.2895, ll. 25-31 (A.D 269- 270 Oxyrhynchus); P.Oxy.40.2914, Col. i, ll. 18-20, Col. ii, ll. 17-19 (A.D 269 Oxyrhynchus); P.Oxy.40.2894 (AD 270 Oxyrhynchus); P.Oxy.40.2908, Col. ii. ll. 44-47 verso. (A.D 270 Oxyrhynchus); P.Oxy.40.2927, ll. 13-14 (A.D 270-275Oxyrhynchus); P.Oxy.40.2902, col. ii, ll. 22-24 (A.D 272 Oxyrhynchus); P.Oxy. 40.2922, ll. 14-16 (A.D 271-272 Oxyrhynchus).

(²⁷) P. Oxy. 40. 2892, Col. I. ll. 29-30; Col. ii. ll. 29-30 (AD269 Oxyrhynchus).

(²⁸) P.Oxy.40.2902, col. ii, ll. 22-24 (A.D 272 Oxyrhynchus).

“...Αὐρήλιος Σιλβανὸς γνωστήρ ,γνωρίζω τὸν προκείμενον οὕτως ἔχοντα καὶ αὐτός ἐστιν ὁ διακριθεὶς καὶ ἐπὶ τῆς ἀναγορίας ὑπήκουσεν...”

"جنوستير أوريليوس سيلبانوس، أحدد هوية الشخص سالف الذكر، وهو كما وصف، وهو نفس الشخص الذي تم فحصه، وأجاب باسمه من بين جموع الناس"

وفي العديد من الوثائق البردية المتعلقة بتسجيل شهادات الميلاد (ἀπαρχαί): نجد الجنوستيريس شهوداً على صحة البيانات الواردة في طلب التسجيل، أو ضامنين لصحتها، وكذلك على أَنَّ المولود المراد تسجيله هو ابنٌ لمقدم، أو مقدمي الطلب، بل ويشهدون على صحة سن المولود المذكور في طلب التسجيل^(٢٩).

ومثال ذلك ما ورد في بردية^(٣٠)، عبارة عن تسجيل شهادة ميلاد، حيث يقوم الأب جايوس يوليوس نيجر بتسجيل ابنه جايوس يوليوس لونجينوس، البالغ من العمر عشرة أشهر وعشرة أيام، ويشهد ثلاثة جنوستيريس على أن جايوس يوليوس لونجينوس هو ابنه . وعلى صحة ما ورد في طلب التسجيل، ونص البردية كالتالي:

«...Γάιος Ἰούλιος Νίγερ Ὀσιραντινόειος ὁ καὶ Ἑρμαιεὺς ὥς ἐτῶν μζ ὑπὲρ υἱοῦ Γαίου Ἰου]λίου Λογγεῖνου μηνῶν ι ἡμερῶν δέκα εἰς μῆνα Βοηδρομιῶνα Παῦνι θ τοῦ ἐνεστῶτος ιη ἔτους

(²⁹) P. Mich. Mchl. 1, ll. 4-7 (A.D155, Antinooupolis); P. Diog. 2, ll. 6-12 (A.D 197, Antinooupolis) = P.Turner 29; P. Diog. 3, ll. 6-9 (A.D 209 Antinooupolis); P. Ant. 1. 37, l. 6 (AD209/10 Antinooupolis); P. Diog. 4, ll. 4-8 (A.D 212-217, Antinooupolis); P.Oxy.49.3476, l. 11 (A.D 260, Antinooupolis).

(³⁰) P. Mich. Michl. 1, ll. 4-7 (A.D155, Antinooupolis)= SB 12 11103; Sijpesteijn, P. J., SB XII 11103-11130, ZPE, Bd. 34 (1979), pp. 125-128.

Ἀντωνίνου Καίσαρος τοῦ κυρίου. γνωστῆρες, Γάιος Δομίτιος Κλήμης Νερουιάνειος ὁ καὶ Εἰρηنيεύς, Μάρκος Ἀντώνιος Μάξιμος Νερουιάνειος ὁ καὶ Προπατόρειος,ος Ἰούλιος Ἡρακλانيανὸς Ἀδριάνιος ὁ καὶ Ζήνιος..»

" جايوس يوليوس نيجر، من قبيلة أوسيرانتينويوس، حي هيرمايوس، يبلغ من العمر ٤٧ عامًا، نيابةً عن ابنه جايوس يوليوس لونجينوس، يبلغ من العمر عشرة أشهر و عشرة أيام، التاسع من (شهر) بويدروميون ^(٣١) وهو (شهر) بؤنة، في العام الحالي الثامن عشر من حكم أنطونيوس قيصر. الضامنون: جايوس دوميتيوس كليمنس، من قبيلة نيرفا، حي إيريني. ماركوس أنطونيوس ماكسيموس، من قبيلة ثيرميانوس، حي بروباتوريانوس؛ يوليوس هيراكليانوس من قبيلة هادريانوس، حي زينيانوس، " ^(٣٢)

(^{٣١}) Βοηδρομιών: هو شهر أثيني، ويقابل شهر بابة (Φαῶφι) المصري، وشهر سياستوس (Σεβαστός) الروماني، ويمتد من ٢٨ سبتمبر إلى ٢٧ أكتوبر، ولكنه لا يقابل شهر بؤنة (Παῦνι) حيث أن الشهر الأثيني الذي يقابل شهر بؤنة هو شهر "تارجيليون" (Θαργηλιών). وهذا الخطأ ربما يكون مرجعه إما في قراءة الكلمة في النص الأصلي، أو أن كاتب النص اليوناني الأصلي لم يكن على دراية كافية بالتقويم الأثيني.

(^{٣٢}) شهادات ميلاد الجنود الرومان هي إشهارات للميلاد وليست شهادات ميلاد شرعية مثل شهادات ميلاد المواطنين المتمتعين بالمواطنة الرومانية ولذلك؛ لم يكن يُشترط فيها مادة " الثلاثين يومًا".... كما أن هذه البردية تتعلق بمواطنين غير رومان (Peregrini) على الرغم من أنهم يحملون أسماء رومانية وهم بالفعل كانوا مواطنين رومان ولكنهم لم يكونوا رومان أصلاء، وانما متجنسين حصلوا عليها نتيجة الخدمة في الجيش الروماني والتمتع بحق الزواج الكامل الأهلية بعد التسريح المشرف وهؤلاء فضلوا التمتع بحقوق المواطنة في أنطينوبوليس لأنها كانت تمنحهم بعض الإمتيازات .

وفي بردية أخرى^(٣٣): عبارة عن إعلان مقدم إلى مجلس بولي مدينة أنطينوبوليس، يتضمن قسماً لتسجيل شهادة ميلاد (ἀπαρχή) طفلين توأم، يقسم الوالدان من خلاله بتسجيل شهادة ميلاد ابنيهما اللذين يبلغان من العمر ٢٥ يوماً....ويضمن كل من أوريليوس سارابامون وأوريليوس.....الجنوستيريس ما جاء في الإعلان وأن الطفلين يبلغان من العمر ٢٥ يوماً، كما ذكر عاليه. ولقد جاء في نهايتها:

“Αὐρήλιος Σαραπάμμων Ἀμμωνίου Νερουιάνιος ὁ καὶ
Γενεάρχιος . . . παῖδας Αὐρηλίου Αἰμιλιανὸν καὶ Εὐδαίμονα
ἡμερῶν κε ὡς πρόκειται. Αὐρήλιος Σαρα....Παυλίνιος ὁ καὶ
Ὁμόγνιος παῖδας Αὐρηλίου Αἰμιλιανὸν.....”

“أنا أوريليوس سارابامون...بين أمونيوس من قبيلة نيرفا حي جينيارخيوس..الطفلين أوريليوس إميليانوس وأوريليوس إيودايمون يبلغان من العمر ٢٥ يوماً، كما ذكر عاليه. أنا، أوريليوس سارا.....من قبيلة باولينوس حي هوموجنيوس، الطفلين أوريليوس إميليانوس....”^(٣٤)، كما أننا نجد الجنوستيريس شهوداً (ثلاثة شهود) على عملية تسجيل قُصّر كـ"مواطنين" في مدينة أنطينوبوليس^(٣٥)، وكذلك على تسجيل بالغين كـ "مواطنين" في نفس المدينة^(٣٦).

(³³) P.Oxy.49.3476, l. 11 (A.D 260, Antinoopolis).

(³⁴) نلاحظ في هذه الوثيقة أنها تتضمن مواطنين يتمتعون بالجنسية المزدوجة الرومانية والانطينونية (بعد مرسوم كراكلا (٢١٢-٢١٧م) الذي منح الجنسية لرعايا الإمبراطورية والدليل على ذلك أولاً : حمل اسم أوريليوس (الاسم الشخصي للإمبراطور كراكلا) . وثانياً: تسجيل المواليد في اليوم الخامس والعشرين، وقبل مرور شهر على الميلاد وهو الشرط الذي كان ينص عليه القانون الروماني فيما يتعلق بمواليد المواطنين الرومان. وثالثاً: تسجيل المواليد في قبيلة نيرفا وحي جينيارخيوس وهو شرط أساسي فقط للمتمتعين بحقوق المواطنة في انطينوبوليس.

(³⁵) P. Fam. Tebt. 30 (A.D133, Antinoopolis) = SB. 5. 7603 (P. L. Bat. 6.

30); P. Fam. Tebt. 34 (A.D151, Antinoopolis) = SB. 5. 7604.

(³⁶) SB. 16. 12743, ll. 7-12 (A.D 157, Antinoopolis).

وأخيراً، في بردية (٣٧) عبارة عن طلب مقدم إلى حاكم أنطينوبوليس من قِبَل شخص يدعى ليسيماخوس بن هيراكليديس للحصول على الإمتيازات الواجب منحها لمولوده، طبقاً لمرسوم هادريان الخاص برعاية الأطفال، نجد ثلاثة جنوستيريس شهوداً على صحة ما جاء في الطلب، وعلى أن مقدم الطلب ومولوده يُقيمان في أنطينوبوليس. وعلى زواجه وأبوته للطفل. حيث جاء بها:

“παρεχόμενος γνωστήρας τρεῖς τοῦ τε γάμου καὶ τῆς παιδοποιείας”
“أقدم ثلاثة شهود على زواجي و إنجابي للطفل”.

وبعد عرض المواضع التي دُكِرَ بها الجنوستير، نأتى إلى سؤال هام: هل كان الجنوستير موظفاً؟ أم أن الأمر لم يكن يتعدى أن كل فرد كان عليه أن يعثر على شاهد أو ضامن شخصي، وفي بعض الأحيان اثنين أو ثلاثة؟

إنَّ ما ورد في بعض برديات أوكسيرينخوس^(٣٨)، بأنَّ تحرير العقد تم أمام الأجورانوموي (ἀγορανόμοι) ربما يشير إلى أنَّ الجنوستير ربما كان موظفاً تابعاً لمكتب الأجورانوميون (ἀγορανομεῖον)، في مدينة أوكسيرنخوس، والذي كان يشرف عليه الأجورانوموس، حيث كان هناك مكتب يسمى الأجورانوميون في عواصم الأقاليم يشرف عليه الأجورانوموس^(٣٩)، وربما يؤكد ذلك أيضاً وصفه في بردية أخرى على أنَّه كاتب^(٤٠)، حيث أن مكان العمل الطبيعي للجرامتيوس هو الأجورانوميون.

(٣٧) P. Fam. Tebt. 33, ll. 8-9 (A.D151, Antinoopolis) = SB. 5. 7602; also, cf., SB. 16. 12742. ll. 12-13 (A.D157, Antinoopolis).

(٣٨) P. Oxy. 38. 2843, l. 4 (86 A. D, Oxyrhynchus); P. Oxy. 4. 722, ll. 4-5 (91 or 107 A. D, Oxyrhynchus); P. Oxy. 4. 723. l. 2 (138-161 A. D, Oxyrhynchus).

(٣٩) Cockle, W.E.H., “State Archives in Graeco – Roman Egypt from 30 B. C. to the Reign of Septimius Severus” JEA, (1984), p. 8.

(٤٠) P. Oxy. 3. 496, l. 16 (127 A. D, Oxyrhynchus).

“...γνωστήρ ἀμφοτέρων, Διογένης Ἰέρακος γραμματεὺς ἀπὸ τῆς αὐτῆς πόλεως ἐν ἀγυιᾷ τῇ αὐτῇ....”

"المُصادِق نيابة عن الطرفين، كاتب، من نفس المدينة، في نفس الشارع. " وفي مجموعة الوثائق البردية، سألقة الذكر، والمتعلقة بتوزيع حصص من الحبوب كـ"إعانة" على مواطني أوكسيرينخوس^(٤١)؛ نجد الجنوستيريس يُقَرُون بأنَّ الشخص المتقدم للحصول على الإعانة قد تم فحصه (ὁ διακριθείς) ربما تشير إلى أنَّ الجنوستير كان أحد موظفي الدولة المضطلعين بدور ما حيال هذا الأمر (ربما كان يقوم بعمل التحريات اللازمة لإثبات صحة البيانات بعد الفحص، أو شيئاً من هذا القبيل). ويذكر محرر هذه المجموعة البردية: أنَّ الجنوستيريس كانوا نفس الأشخاص الذين يضمنون أشخاصاً مختلفين من نفس الحي، وأنَّهم في الحقيقة موظفون^(٤٢).

ومما قد يوحي لنا، أنَّ الجنوستير كان موظفاً، وجود مصطلح " γνωστήρ " ἀμφοδου، أي "جنوستير الحي" في أوكسيرينخوس، ورد في بردية تحتوى على حساب إمدادات عسكرية، "Ἰσιδῶρος γνωστήρος ἀμφοδου" "إيزيدوروس

(⁴¹) P. Oxy. 40. 2892, Col. i. ll. 29–30, Col. ii. ll. 29–30 (AD269 Oxyrhynchus); P.Oxy.40.2895, ll. 25–31 (A.D 269– 270 Oxyrhynchus); P.Oxy.40.2914, Col. i, ll. 18–20, Col. ii, ll. 17–19 (A.D 269 Oxyrhynchus); P.Oxy.40.2894 (AD 270 Oxyrhynchus); P.Oxy.40.2908, Col. ii. ll. 44–47 verso. (A.D 270 Oxyrhynchus); P.Oxy.40.2927, ll. 13–14 (A.D 270–275Oxyrhynchus); P.Oxy.40.2902, col. ii, ll. 22–24 (A.D 272 Oxyrhynchus); P.Oxy.40.2922, ll. 14–16 (A.D 271–272 Oxyrhynchus).

(⁴²) P. Oxy. 40, p. 86.

جنوستير الحي" ^(٤٣)، وكذلك وجود مصطلح "γνωστήρ φυλῆς" أي "جنوستير القبيلة" في هيرموبوليس، طبقاً لما جاء في برديتين من هيرموبوليس
"Αὐρηλῖος Νεῖλος Ἀμμωνος γνωστήρ φυλῆς..." ^(٤٤)
"أوريليوس نيلوس أمون جنوستير القبيلة...." ^(٤٤)

ويؤكد ذلك أيضاً: تعليق محرر إحدى برديات أوكسيرينخوس ^(٤٥) بقوله: "كان هناك، على الأقل، اثنان من الجنوستيريس لكل حي أو قبيلة"، وهذه بردية عبارة عن إعلان لـ"قَسَم" قام به شخص يدعى بتوللاس (Πτολλᾶς) بن إيسيون (Ἰσίων)، مرشح مع آخرين من قبل كاتب الحي (ἀμφοδογραμματέως) لتولى وظيفة "محصل ضرائب الغلال" (πρακτορεῖς σειτικῶν) في مدينة أوكسيرينخوس، وعلى ظهر البردية وقع شخص يدعى أمونيوس ساراباس (Ἀμμώνιος Σαραπᾶς) كـ"شاهد" وضامن لما جاء في الإعلان ^(٤٦). وربما توحى لنا هذه البردية بأنّ الجنوستير كان يضطلع بأعمال في الحي، وربما كان من مرؤسئ كاتب الحي؛ كما أنّها توحى لنا أيضاً بأنّ الجنوستير كان يضطلع بدورٍ ما في عملية ترشيح المضطلعين بالخدمات الإلزامية، وهذه الأخيرة قد تستقيم مع قول "ماير" (Meyer) "إنّ الجنوستيريس كانوا هم المسؤولين عن الخدمات الإلزامية لمنطقة معينة" ^(٤٧).

⁽⁴³⁾ P. Oxy. I. 43 Verso, Col. ii. I, 20 (295 A.D.)= Chr.Wilck. 474.

⁽⁴⁴⁾ P. Lips. 1. 65, ll. 7-8 (A.D 390, Hermoupolis Magna) = Chrest. Wilck. 404; P. Lips. 1. 66, l. 21 (A.D 390 Hermoupolis Magna).

(لم تذكر صراحةً مصطلح جنوستير القبيلة، P. Lips. 1. 66 وإن كانت البردية الثانية)
ولكنها ذكرت نفس جنوستير الحي المذكور في البردية الأولى وهو أوريليوس نيلوس أمون

⁽⁴⁵⁾ P.Oxy. 40. 2914, (A.D 269, Oxyrhynchus)P. 74, Note. 17.

⁽⁴⁶⁾ P. Oxy. 9. 1196, v. I. 20 (211-212 A. D).

⁽⁴⁷⁾ P. Hamb. 1. 31, Note 20, p. 137.

ولم يقتصر الأمر على وجود جنوستير للحي وآخر للقبيلة، ولكن ربما يوحى - مما مرر بنا من نصوص بردية - بوجود جنوستير (بل ثلاثة) للمدينة، ويؤكد ذلك بردية^(٤٨) عبارة عن إيصال مرسل إلى جنوستيريس "مدينة ممفيس"، بخصوص تحصيل ضرائب، جاء فيها:

“παρὰ Αὐρηλίον καὶ Νεμεσιανοῦ τοῦ..... καὶ τῶν γ γνωστήρων τῆς Μέμφ[εως]....”

"من أوريليوس ونيميسيانوس إلى..... و جنوستيريس ممفيس الثلاثة.....".

وجنوستير المدينة، أو عاصمة الإقليم، ربما هو من كان يعمل تحت إدارة الأجورانوموس، في الأجورانوميون، وربما كان جنوستيريس الاحياء والقبائل تابعين له أيضاً، ولكن يبقى ذلك مجرد احتمال، طالما لم يقدّم دليل مادي.

وربما يمكننا القول إنَّ الجنوستير خلال العصر البطلمي، وفترة غير قليلة من العصر الروماني (ربما حتى نهاية القرن الثاني، مطلع القرن الثالث) كان مجرد شخص يتم الاستعانة به كشاهد أو ضامن لأشخاص وثيق الصلة بهم، ثم تحول بعد ذلك إلى موظف إداري في المدينة، وذلك مع ظهور مصطلح "جنوستير المدينة في مطلع القرن الثالث^(٤٩)، ومصطلحي "جنوستير الحي" نهاية القرن الثالث^(٥٠) و "جنوستير القبيلة في نهاية القرن الرابع^(٥١)".

ويبقى لنا أن نشير إلى أنَّ الجنوستير كان يتم اختياره من بين المتعلمين، أو على الأقل من بين من هم على دراية بالقراءة والكتابة، ودليل ذلك: ورود ما يؤكد معرفتهم بالقراءة والكتابة في الوثائق البردية التي تعرضنا لها في مواضع سابقة، مثل، كتابتهم نيابة عن أشخاص آخرين، أو ورود ذكرهم على أنَّهم جرامتيوس، أو ضمانهم أو شهادتهم على أشياء بعينها، تتطلب الشهادة عليها معرفة ما ورد بها.

(48) P. Leipz. 5, ll. 1-3 (AD 200 – 299, Memphis).

(49) P. Leipz. 5, ll. 1-3 (AD 200 – 299, Memphis).

(50) P. Oxy. I. 43 Verso, Col. ii. I, 20 (295 A.D.)= Chr.Wilck. 474.

(51) P. Lips. 1. 65, ll. 7-8 (A.D 390, Hermoupolis Magna) = Chrest. Wilck. 404; P. Lips. 1. 66, I. 21 (A.D 390 Hermoupolis Magna).

أما من ناحية مهام ما يمكن أن نطلق عليه جنوستير المدينة باعتبار أن القبيلة والحي جزء من المدينة، فبالإضافة للأعمال الكتابية، والعمل كشهود وضمناً، فيبدو أنهم اضطلعوا بدورٍ ما في تحصيل نوع من الضرائب^(٥٢)، وترشيح بعض المضطلعين بالخدمة الإلزامية^(٥٣)، وربما بعض المهام الإدارية الأخرى.

كما أنَّ الجنوستير كان يضمن الأشخاص المضطلعين بالخدمة الإلزامية حيث نجد في بردية^(٥٤) تحتوي على قائمة بالأشخاص الذين وقع عليهم عبء الخدمة الإلزامية، من سكان أحد أحياء هيرموبوليس، أعدها رئيس الحي "الإمفودارخيس" (ἀμφοδάρχη) أسماء الأشخاص المكلفين بالقيام بعبء الخدمة الإلزامية وكفلائهم أو الأشخاص الضامنين (ἐγγυηται) لقيامهم بهذا العبء، ومن بين هؤلاء الضامنين نجد اسم الجنوستير هيراس

“Ἀμμώνιος Πάμαξ, οὗ ἐγγυητὴς Ἡρᾶς γνωστήρ”

“أمونيوس ابن باماكس، ضامنه الجنوستير هيراس”^(٥٥)

ومن خلال الوثائق البردية المتعلقة بطلبات الفحص نلاحظ أنَّ بعض الطلبات المُقدَّمة من خلال الولاية السابقين، أو مَنْ ينوب عنهم من القادة العسكريين، أو المقدمة من الجنود المُسَرَّحين، تحتوي على شهود (جنوستيريس) من قدامى المحاربين^(٥٦). مما يدل على أنَّ بعضهم، أحياناً، كان يتم اختيارهم من قدامى المحاربين.

⁽⁵²⁾ P. Leipz. 5 (AD 200 – 299, Memphis).

⁽⁵³⁾ P. Oxy. 9. 1196, (211–212 A. D); P. Hamb. 1. 31, Note 20, p. 137; P.

Lips. 1. 65 (A.D 390 Hermoupolis Magna) = Chrest. Wilck. 404.

⁽⁵⁴⁾ P. Cairo. Preis. 20 (AD 356–357, Hermoupolis) = P. Cairo Cat. 10470.

⁽⁵⁵⁾ P. Cairo. Preis. 20, l. 17 (AD 356–357, Hermoupolis)

⁽⁵⁶⁾ E. g., P. Diog. 5, l. 17 (AD132/3 Arsinoites); SB. 4. 7362, l. 19 (A.D 188 Karanis).

أما فيما يتعلق بالمدة التي كان يشغلها الجنوستير في وظيفته، فليس لدينا دليل مباشر عليها، ولكن يمكننا من خلال تكرار ذكر أسماء ثلاثة من الجنوستيريس في برديتين أحدهما مؤرخة بالعام ٢٠٩ ميلادية، والأخرى مؤرخة بفترة حكم الإمبراطور كراكلا، أن نستنتج أن مدة شغل الجنوستير لوظيفته هي أربع سنوات:

١	جايوس نيناروس	يوليوس	أنطينوبوليس	P. Diog. 3	209 A. D
٢	لوكيوس إبيماخوس	نونيو	أنطينوبوليس	P. Diog. 3	209 A. D
٣	هيرمياس أمونيوس	أنوبيون	أنطينوبوليس	P. Diog. 3	209 A. D
٤	جايوس نيناروس	يوليوس	أنطينوبوليس	P. Diog. 4	212-217 A. D
٥	لوكيوس إبيماخوس	نونيو	أنطينوبوليس	P. Diog. 4	212-217 A. D
٦	هيرمياس أمونيوس	أنوبيون	أنطينوبوليس	P. Diog. 4	212-217 A. D

فإذا ما افترضنا أن البردية الثانية مؤرخة ببداية فترة حكم الإمبراطور كراكلا، أي عام ٢١٢ ميلادية، مع الأخذ في الاعتبار احتمالية أن هؤلاء الجنوستير قد تولوا الوظيفة مرتين الأولى عام ٢٠٩ م، والثانية عام ٢١٢ م، وهذا احتمال ضعيف، فلو كان من تولى الوظيفة لمرتتين شخص واحد لكان الأمر محتملاً، أما وأن يتولى الوظيفة نفس الأشخاص الثلاثة لمرتتين متباعدتين، فهو أمر يبدو بعيد الاحتمال، لذا يبدو أن فترة الأربع سنوات هي الاحتمال الأقرب.

جنوستير القرية:

ذكر "باجنال" أنَّ وظيفة "جنوستير القرية" (γνωστήρ κώμης) ظهرت عام ٣٢٠ ميلادية^(٥٧)؛ ولكن من خلال بردية من هيرموبوليس، يتبين لنا أنَّ أول ظهور لمصطلح "جنوستير القرية" في الوثائق البردية كان في الفترة ما بين ٣٠٢-٣٠٦ ميلادية^(٥٨)، حيث جاء بها:

"Αὐρηλίῳ Κοπρέα γνωστῆρι Ἰβιῶνος Χύσεως τῆς αὐτῆς τοπαρχίας"

"....أورييليوس كوبرياس جنوستير (قرية) إبيون خوسيوس (Ιβιὼν Χύσεως) التابعة لنفس التوبارخية (توبارخية باسكو (τοπαρχία Πασκώ))"، إقليم هيرموبوليس ماجنا....."

(⁵⁷) Bagnall, R., Egypt in Late Antiquity, Princeton, (1993), p. 221, note, 65.

(⁵⁸) SB. 20. 14469, ll. 9-10 (AD 302-6, Hermupolis Magna).

ومن المحتمل أن تكون وظيفة جنوستير القرية قد ظهرت قبل ذلك التاريخ أيضًا، ربما عام ٢٨٥ ميلادية، إذا ما افترضنا أن ما ورد في "أوستراكا" مؤرخة بهذا التاريخ هو إشارة إلى وجود جنوستير القرية حيث جاء بها:

"ἐν θησαυρῷ κώμης Ἰερᾶς Νεικολάου γενήματος β ἔτους ὀνόματος Σαταβούδς γνωστήρος διὰ Συρωτράτους ὄνοι πέντε, γίνονται σάκκοι ἔτους β Χοίακ ι."

" من صومعة غلال قرية "هييرا نيكولاؤس"، من محصول العام الثاني، باسم ساتابوس الجنوستير، عن طريق سيروتراتوس، سائق الحمار، خمسة أكياس، العام الثاني، العاشر من (شهر) كيهك " من المحتمل أن يكون ساتابوس المذكور في الأوستراكا هو جنوستير قرية هييرا نيكولاؤس التابعة لقسم هيراكليديس إقليم ارسينوي.

O. Mich. 1. 407 (285 A. D, Karanis).

ويتضح لنا من خلال هذه البردية أنَّ القرية كانت تتبع التوبارخية في ذلك الوقت، ولكن مع التغيرات الإدارية التي شهدتها مصر في مطلع القرن الرابع الميلادي، ظهر نظام الباجوس (πάγος)، واختفى نظام التوبارخية من التقسيم الإداري في مصر عام ٣٠٧/٣٠٨ م^(٥٩). وكان الباجوس يتكون من عدة قرى يمثل كل منها كياناً إدارياً مستقلاً، تحت إشراف حاكم الباجوس (πραιποσίτος)، وفي كل قرية عدد من الموظفين منهم جنوستير القرية، ولما كانت القرية تخضع لإشراف الكومارخوس (عمدة القرية)؛ فقد أصبح الجنوستير أحد الموظفين الذين يساعدون الكومارخوس في الأعمال الإشرافية والرقابية^(٦٠). ويؤكد ذلك قول الباحث "أورتيل": بأنَّ الجنوستير كان موظفاً مرئوساً من الكومارخوس^(٦١). كما أنَّ هناك العديد من البرديات التي تؤكد عمل الجنوستير كـ "مساعد" للكومارخوس^(٦٢)، حتى إنَّه كان يقوم بالكتابة نيابةً عن بعض الكومارخوي الذين لا يعرفون الكتابة^(٦٣). ويتضح لنا ذلك من خلال إقرار صادر من عمّتي (κωμάρχοι)

(⁵⁹) Derda. T., "Pagi in the Arsinoite Nome Astudy in the Administration of Fayum in the Early Byzantine Period", **JJP**, 31, 2001, pp. 17, 19; Bagnall, R., Op. Cit., pp. 61-62.

(⁶⁰) Lallemand, J., L'administration civile de l'Egypte de l'avènement de Dioclétien à la création du diocèse (284-382). Contribution à l'étude des rapports entre l'Egypte et l'Empire à la fin du IIIe et au IVe siècle, 1964, pp. 134, 137; Bagnall, R., Op. Cit., pp. 123, 133, 336.

(⁶¹) Oertel, F., Die Liturgie. Studien Zur Ptolemaischen und Kaiserlichen Verwaltung Agyptens. Leipzig,(1917), pp. 176-177.

(⁶²) P. Ryl. 4. 658 (Early fourth century.); P. Stras. 8. 735. (324-5 Hermopolis); P. Lond. 3. 1248 (345 A. D Hermopolis); P. Amh.2.139 (AD 350 Hermoupolis Magna).

(⁶³) P. Lond. 3. 1248 (345 A. D, Hermopolis); P. Amh.2.139 (AD 350 Hermoupolis Magna).

قرية إبيون (Ιβίων) إلى حاكم الباجوس (البرابيسيوس) الثاني عشر لإقليم هيرموبوليس، بشأن ترشيح بعض الأشخاص لشغل وظائف: الكومارخوي، السيتولوجوي (σιτολογοι)، ومحصلو ضريبة الأتونا "الإبيتيتاي" (ἀπαιτῆται ἀννώναις)، كما نجد فيه أنَّ الجنوستير كتب هذا الإقرار نيابةً عن الكومارخوي؛ لأنهم لا يعرفون الكتابة. كما جاء في نهاية البردية:

"Αὐρήλιος Σαραπίων γνωστήρ ἔγραψα ὑπὲρ αὐτῶν γράμματα μὴ εἰδόντων"

"أوريليوس سارابيون الجنوستير، كتب نيابةً عنهما لأنهما لا يعرفان الكتابة" ^(٦٤).

أما فيما يتعلق بمهام الجنوستير، فيمكن إجمالها كالآتي:

١- كان الجنوستير يعمل كـ "كاتب" يكتب نيابةً عن بعض المواطنين الذين لا يعرفون الكتابة، حيث نجد في إحدى البرديات أنَّ الجنوستير "أوريليوس أبوللون" قد كتب نيابةً عن بعض رعاة قرية ماجدولا^(٦٥)، وفي بردية أخرى عبارة عن إقرار من قبل شخص يدعى أوريليوس سيرينوس، من قرية ألباسترين (Ἀλαβαστρίν) التابعة لإقليم أنطينوبوليس، بأنه قد استأجر غرفة من سيدة تدعى أوريليا يوليانا من القرية نفسها. ونجد في هذه البردية أن الجنوستير هو من كتب نيابةً عن المستأجر أوريليوس، وكان شاهدًا (μαρτύρος) على ما جاء في الإقرار^(٦٦). ويُحتمل أنَّ هذا الأمر لم يكن من صلب وظيفته، وإنَّه كان يقوم به تطوعًا.

^(٦٤) P. Amh.2.139, l. 23 (AD 350, Hermoupolis Magna); also, Cf., P. Lond.

3. 1248, ll. 28-29 (345 A. D Hermopolis)

^(٦٥) P. Harrauer 45, ll. 8-10 (A.D316 Hermoupolis Magna)= P. Cairo Cat. 10464.

^(٦٦) SB. 22, ll. 17-20 15620 (A.D 424, Antinopolis).

٢- كان الجنوستير يقوم بتحصيل أنواع مختلفة من الضرائب لحساب الدولة، ويتضح لنا ذلك من خلال العديد من البرديات^(٦٧)، منها بردية عبارة عن إعلان عن قسم مرسل إلى أوريليوس ديوكليس برايبوسيتوس الباجوس الثاني عشر لإقليم هيرموبوليس، من قبل ثلاثة سيتولوجوي و جنوستير يقرون فيه بأن المبالغ المالية التي قاموا بتحصيلها كـ "ضريبة" على بعض المناجم قد دفعوها إلى بنك الدولة^(٦٨)، جاء فيها:

"إلى أوريليوس ديوكليس (Διοκλῆς) ابن... حاكم الباجوس الثاني عشر، لإقليم هيرموبوليس، من أوريليوس كورنيليوس (Κορνηλῖος) بن...، وديديموس (Διδύμος) بن بيتينوس (Πιτίνος)، وديديموس بن أمونيوس (Ἀμμωνίος)، ثلاثة سيتولوجوي، وهاتريس (Ἀτρής) بن بيويس (Πευῆς)، جنوستير (γνωστήρ)، جميعهم من قرية سيسونخا (Σεσόγχα)، في الباجوس الخاضع لسلطتك، ردًا على طلبك الصادر بناءً على أمر سيدي صاحب السعادة، الوالي فلافيوس (Φλαυῖος) ستراتيجيوس، (Στρατηγίος) بشأن الضرائب المقررة على كل أرورا بالنسبة للمناجم (μετάλλων) وأن المبالغ المالية المحصلة قد دفعت إلى بنك الدولة..."

في هذه البردية نجد أنّ هاتريس بن بيويس جنوستير قرية سيسونخا التابعة للباجوس الثاني عشر، يعمل كـ "محصل" للضرائب المقررة على المناجم وتوريدها إلى بنك الدولة.

^(٦٧) P.Charite. 15 (A.D 329. Hermopolis); P. Charite. 26 (A.D 341, Hermopolis); P. Amh.2.140 (A.D 349, Hermoupolis Magna); P. Flor. 3. 344 (400-499 A. D, Hermopolis); P. Flor. 3. 346 (400-499 A. D, Hermopolis); CPR. 5. 26, ll. 604-615 (Hermopolis, 450-499 A. D).

^(٦٨) P. Amh.2.140, ll. 1-9 (A.D 349, Hermoupolis Magna).

وفي بردية أخرى نجد جنوستير يُدعى أوريليوس فيكتور، يقوم بتحصيل نوع غير محدد من الضرائب النقدية، لحساب الدولة في قسمه^(٦٩)، حيث جاء بها:

χρυσοῦ νομισμάτια “Βίκτωρ γνωστῆρος α μέρους κώμης Σκάρ
σθ δ’ καὶ ὑπ(ἐρ) ναύλου χρυσοῦ νομισμάτιον α γίνεται
νομισμάτια σι δ”

" فيكتور جنوستير القسم الأول من قرية سكار. ¼ ٢٠٩ سوليدي من الذهب، ومن أجل أجرة الشحن واحد سوليدي، الإجمالي، ¼ ٢١٠ سوليدي" (٧٠).

٣- يبدو أنَّ الجنوستير كان يقوم بدور ما فيما يتعلق بترشيح الأفراد للخدمة الإلزامية، ويتضح لنا ذلك من خلال بردية^(٧١)، عبارة عن تقرير مرسل من "أوريليوس أبوللو" جنوستير قرية بوبيس التابعة لإقليم هيرموبوليس، إلى "فلافيوس أوليمبيودوروس" حاكم الباجوس الأول، بأسماء المزارعين (γεωργοί) المكلفين بالعمل كمحصولي ضرائب. في هذه البردية نجد أن الجنوستير هو من يقوم بترشيح بعض المزارعين المؤهلين للخدمة الإلزامية للعمل كـ "محصولين" للضرائب في القرية، وإرسال أسمائهم إلى حاكم الباجوس. وإن كان "تفتالي لويس" يرى أنَّ ما ورد في هذه البردية ليس

(٦٩) CPR. 5. 26, ll. 604-615 (Hermopolis, 450-499 A. D).

(٧٠) للمزيد من الدراسات حول هذه البردية انظر:

- Roger S. Bagnall and P. J. Sijpesteijn: "Currency in the Fourth Century and the Date of CPR V 26", **ZPE**, Bd. 24 (1977), pp. 111-124

- Roger S. Bagnall, "Landholding in Late Roman Egypt: The Distribution of Wealth", **JRS**, Vol. 82 (1992), pp. 128-149.

(الزراعية ص ١٤٣)

- H. Hauben, Review, **Mnemosyne**, Vol. 34, Fasc. 1/2 (1981), pp. 183-

185. (يشير "هاوين" إلى أن الضريبة كانت على الأراضي انظر ص ١٨٤)

(٧١) P. Lond. 3. 1249 (346 A. D, Hermopolis).

ترشيحاً رسمياً للقيام بعبء الخدمة الإلزامية؛ لكنه إعداد لقائمة موثقة بالأشخاص المؤهلين للاضطلاع بهذه الخدمة، وأن جنوستير القرية ليس هو الموظف المسئول عن الترشيح للخدمة الإلزامية، ولكنه فقط أعد القائمة نيابةً عن عمدة القرية الذي لا يعرف الكتابة^(٧٢). واستند في رأيه هذا إلى ما ورد في برديتين متعلقتين بتقارير مرفوعة من "كومارخوي" إلى حاكم الباجوس، بشأن ترشيح أفراد لشغل وظائف عن طريق الخدمة الإلزامية^(٧٣)، ثم ورد في نهايتهما أن الجنوستير هو من كتب نيابة عن الكومارخوي. ولكن في هاتين البرديتين كان يذكر في مقدمة البردية صراحةً: أن التقرير مرسل من الكومارخوس أو الكومارخوي إلى برايبوسيتوس الباجوس، ثم يذيل التقرير بإمضاء الجنوستير، ذاكراً أنه كتب نيابة عنه أو عنهم لأنهم لا يعرفون الكتابة، أما في هذه البردية فقد جاء في مقدمة البردية - صراحةً - جملة:

“Φλαυίῳ Ὀλυμποδώρῳ τῷ καὶ Ἀσυνκριτίῳ πραιποσίτῳ α
πάγου νομοῦ Ἑρμοπολείτου παρὰ Αὐρηλίου Απόλλωνος
Ὠρίωνος γνωστῆρος κώμης Πώεως τοῦ αὐτοῦ πάγου”

"إلى فلافيوس أوليمبودوروس يدعى أيضاً "أسينكريتيس برايبوسيتوس" الباجوس الأول التابع لإقليم هيرموبوليس، من "أوريليوس أبوللونوس هوريون" جنوستير قرية بوييس التابعة لنفس الباجوس"

والباحث لا ينكر أن الكومارخوس هو من كان يناط به ترشيح الأفراد للوظائف التي يتم شغلها عن طريق الخدمة الإلزامية، ولكن يبدو أن الجنوستير كان يجمع أحياناً بين وظيفة

(72) Lews. N., "Νοήματα Λεγοντος 66-79., " **BASP**, 8, 1971, p. 15.

(73) P. Amh.2.139, l. 23 (AD 350, Hermoupolis Magna); P. Lond. 3. 1248 (345 A. D, Hermopolis).

الجنوستير ووظيفة الكومارخوس، حيث ورد في برديتين ما يشير إلى جمع الجنوستير ما بين وظيفته ووظيفة الكومارخوس^(٧٤). ولقد جاء في إحداهما:

“παρὰ Θεοφανίου κωμάρχη καὶ γνωστῆρι κώμης Ἰβιδῶνος...”
"من "ثيوفانيس" كومارخوس وجنوستير قرية إبيون..."^(٧٥)

وسواء كان الجنوستير يجمع فعلياً بين الوظيفتين، أم أنه كان يشغل منصب الكومارخوس فقط في فترة خلو المنصب لحين تعيين كومارخوس آخر، يبدو أن الجنوستير كان يقوم بترشيح الأفراد للخدمة الإلزامية على أنه كومارخوس. كما أننا نجد الجنوستير في إحدى البرديات يرفع تقاريره مباشرة إلى البراييوسيتوس باجوس^(٧٦)، وفي أخرى إلى الـ "استراتيجوس" أو الـ "إكزاكتور"^(٧٧). وفي اعتقادي أن الجنوستير ما كان ليفعل ذلك متخطياً رئيسه المباشر، الكومارخوس، وفي وجوده، إلا إذا كان يؤدي وظيفته أو قائماً بأعماله.

٤- يبدو أن الجنوستير كانت تربطه علاقة ما بعملية قياس الأرض، وأنه كان يرفع تقارير بهذا الشأن إلى الاستراتيجوس، ويتضح لنا ذلك من خلال بردية عبارة عن: تقرير مرسل إلى استراتيجوس أو إكزاكتور هيرموبوليس ماجنا، من قبل موظف قياس الأراضي العامة (δημόσιος γεωμέτρου) وجنوستير قرية سينابي (Σιναπή)^(٧٨).

(74) P. Flor. 3. 344 (400-499 A. D, Hermopolis) ; P. Flor. 3. 346 (400-499 A. D, Hermopolis).

(75) P. Flor. 3. 344 (400-499 A. D, Hermopolis).

(76) P. Amh.2.140 (A.D 349, Hermoupolis Magna).

(77) P. Cairo. Preis 8 (321 A. D, Hermoupolis Magna)= CPR. 17. 1 22 (321 A. D).

(78) Ibid.

ولقد كانت وظيفة جنوستير القرية تؤدي كـ "خدمة" إلزامية^(٧٩)، ومن خلال بريدية^(٨٠)، عبارة عن خطابٍ مُبهمٍ مُرسل من خلال شخص يُدعى "هيراكليديس (Herakleides)" إلى آخر يُدعى "سارابيون (لا ندري ما هي وظيفته على وجه التحديد)" - ربما نستنتج أن الجنوستير كان يؤدي عمله كخدمة إلزامية، طبقاً لقول مرسل الخطاب بأن الجنوستير قد أدى ما عليه من أعباء في السنوات الماضية، وربما كانت وظيفته إحدى هذه الأعباء، حيث جاء بها:

“Δημήτριος ὁ γνωστήρ ἡξίωσέν με λέγειν σοι ὥστε αὐτὸν ἄλυπον γενέσθαι ὑπὲρ τῶν προτέρων ἐτῶν”

"ديميتريوس (Demetrios) الـ: "جنوستير" يسألني أن أخبرك أنه (كان في خير حال) أدى ما عليه من أعباء في السنوات الماضية".

أمّا فيما يتعلق بـ "فترة" ولاية جنوستير القرية، يبدو أنها تتطابقت مع فترة ولاية جنوستير المدينة (أو الحي، أو القبيلة)، وهي أربع سنوات، وربما يتسق ذلك مع قول "مايلر" (Maehler) أن فترة ولاية جنوستير القرية كانت أربع سنوات على الأقل^(٨١).

وببقى لنا أن نشير إلى ملحوظة أخيرة: وهي أنه قد مر بنا في بريدية سابقة^(٨٢)، ذكر مصطلح جنوستير القسم الأول لقرية سكار (Βίκτωρ γνωστήρος α μέρους κώμης Σκάρ)، وهذا ربما يشير إلى أن القرية كانت مقسمة إلى عدد من الأقسام الإدارية، وأن هناك جنوستير لكل قسم، ولكن يبدو أن ذلك قد تم في فترة متأخرة، نظراً لأن هذا المصطلح لم يرد في البرديات المؤرخة بالقرن الرابع، أو حتى المؤرخة بأوائل القرن الخامس، كما أن البريدية التي نحن بصددنا الآن مؤرخة بالنصف الأخير من القرن الخامس الميلادي.

(79) Jacqueline Lallemand., Op. Cit., p. 137.

(80) P. Oxy. 12. 1490, ll. 2-4 (320 A. D.).

(81) Maehler. H., Review: P. Charite, **The Classical Review**, Vol. 34, No. 1 (1984), p. 118.

(82) CPR. 5. 26, ll. 604-605 (, 450-499 A. D, Hermopolis).

قائمة بأسماء الجنوستيريس

م	الاسم	المكان	البردية	التاريخ
1	.. بن بيتيسيس	أوكسيرينخوس	P. Oxy. 4. 722	91 or 107 A. D
2	هارثونيس	أوكسيرينخوس	P. Turner. 19	101 A.D
3	كلوديوس	أرسينوي	P. Hamb. 1. 31	103 A. D
4	إجناتيوس نيجر	أرسينوي	P. Hamb. 1. 31	103 A. D
5	يوليوس	أرسينوي	P. Hamb. 1. 31	103 A. D
6	ديوجينيس بن هيراكس	أوكسيرينخوس	P. Oxy. 3. 496	127 A. D
7	يوليوس كريسيوس	أرسينوي	P. Diog. 5	132/3 A. D
8	فاليريوس باولوس	أرسينوي	P. Diog. 5	132/3 A. D
9	جميلوس هيراكليديس	أنطينوبوليس	P. Fam. Tebt. 30	133 A.D
10	سوخوس بطوليمايوس	أنطينوبوليس	P. Fam. Tebt. 30	133 A.D
11	هيرون بطوليمايوس	أنطينوبوليس	P. Fam. Tebt. 30	133 A.D
12	فاليريوس بيرنيكيانوس	أرسينوي	P. Diog. 6 P. Diog. 7	142 A. D 142 A. D

142 A. D 142 A. D	P. Diog. 6 P. Diog. 7	أرسينوي	فلافيوس يوليانيوس	13
142 A. D 142 A. D	P. Diog. 6 P. Diog. 7	أرسينوي	بيثرونيوس كيليراس	14
148 A. D	SB. I. 5217	أرسينوي	لوكريتيوس كرسبوس	15
148 A. D	SB. I. 5217	أرسينوي	يوليوس أنطونينوس	16
148 A. D	SB. I. 5217	أرسينوي	ماجيوس سابينوس	17
151 A. D	P. Fam. Tebt. 34	أنطينوبوليس	لوسانياس ابن ديديموس	18
151 A. D	P. Fam. Tebt. 34	أنطينوبوليس	ديديموس ابن ديديموس	19
151 A. D	P. Fam. Tebt. 34	أنطينوبوليس	بطوليمايوس بن هيراكليديس	20
155 A. D	P. Mich. Mchl.1	أنطينوبوليس	جايوس دوميتيوس	21
155 A. D	P. Mich. Mchl.1	أنطينوبوليس	ماركوس أنطونينوس	22
155 A. D	P. Mich. Mchl.1	أنطينوبوليس	يوليوس هيراكليانوس	23
157 A. D	SB. 16. 12743	أنطينوبوليس	أيزيدوروس هوريون	24
157 A. D	SB. 16. 12743	أنطينوبوليس	أمونيوس ليونيديس	25
157 A. D	SB. 16. 12743	أنطينوبوليس	سوتير هيراكليوس	26
138-161	P. Oxy. 4.	أوكسيرينخوس	سارابيون بن أسكليبياديس	27

A. D	723.			
171 A. D	SB. 16. 12744	أنطينوبوليس	أيزيدوروس امونيوس	28
171 A. D	SB. 16. 12744	أنطينوبوليس	فيلانتينوس امونيوس	29
171 A. D	SB. 16. 12744	أنطينوبوليس	كورنيليوس هيرمياس	30
173 A. D	B G U. 4. 1032	أرسينوي	جايوس فاليريوس فالينس	31
173 A. D	B G U. 4. 1032	أرسينوي	ماركوس فاليريوس بريموس	32
173 A. D	B G U. 4. 1032	أرسينوي	يوليوس ماريوس تيبيريانوس	33
177/8 A. D	P. Stras. 4. 238	أرسينوي	أبولونيوس	34
188 A. D	SB. 4. 7362	أرسينوي	ماركوس أوريليوس بيتيسوخوس	35
188 A. D	SB. 4. 7362	أرسينوي	سيرينوس بيترونيوس	36
188 A. D	SB. 4. 7362	أرسينوي	يوليوس جميلوس	37
193-8 A. D	P. Turner. 26	أرسينوي	هيراكلوس	38
195/6 A. D	P. Freib. 2. 10	بطوليمايوس يورجيتيس	زينور بن سارابيون	39
197 A. D	P. Diog. 2	أنطينوبوليس	ماركوس يوليوس ديوجينيس	40
197. A. D	P. Diog. 2	أنطينوبوليس	ماركوس أنطونيوس فالينس	41
197. A. D	P. Diog. 2	أنطينوبوليس	جايوس لونجينوس ماركوس	42

209 A. D	P. Diog. 3	أنطينوبوليس	جايوس يوليوس نيناروس	43
209 A. D	P. Diog. 3	أنطينوبوليس	لوكيوس نونيوس إبيماخوس	44
209 A. D	P. Diog. 3	أنطينوبوليس	هيرمياس أنوبيون أمونيوس	45
211-212 A.D	P. Oxy. 9. 1196	أوكسيرينخوس	أمونيوس ساراباس	46
212-217 A. D	P. Diog. 4	أنطينوبوليس	جايوس يوليوس نيناروس	47
212-217 A. D	P. Diog. 4	أنطينوبوليس	لوكيوس نونيوس إبيماخوس	48
212-217 A. D	P. Diog. 4	أنطينوبوليس	هيرمياس أنوبيون أمونيوس	49
260 A. D	P. Oxy. 18. 2186	أوكسيرينخوس	ماركوس أوريليوس ماكرينوس	50
260 A. D	P. Oxy. 18. 2186	أوكسيرينخوس	ليون يدعى أيضًا كيركيون	51
260 A. D	P. Oxy. 49. 3476	أنطينوبوليس	أوريليوس سارابامون	52
260 A. D	P. Oxy. 49. 3476	أنطينوبوليس	أوريليوس سارا(بامون).....	53
269 A. D	P. Oxy. 40. 2892	أوكسيرينخوس	أوريليوس ثيون	54
269 A. D	P. Oxy. 40. 2892	أوكسيرينخوس	أوريليوس ساراس	55
269 A. D	P. Oxy. 40. 2914	أوكسيرينخوس	أوريليوس نيميسيانتوس	56
269 A. D	P. Oxy. 40.	أوكسيرينخوس	أوريليوس أريوس	57

	2914			
269-270 A. D	P. Oxy. 40. 2895	أوكسيرينخوس	أوريليوس	58
270 A. D	P. Oxy. 40. 2894	أوكسيرينخوس	أوريليوس أنطونيوس	59
270 A. D	P. Oxy. 40. 2908	أوكسيرينخوس	أوريليوس سيرينوس	60
272 A. D	P. Oxy. 40. 2902	أوكسيرينخوس	أوريليوس سيلبانوس	61
272 A. D	P.Mich. 14. 676	أوكسيرينخوس	أوريليوس سارابيون	62
272 A. D	P.Mich. 14. 676	أوكسيرينخوس	أوريليوس أمويس	63
272 A. D	P.Mich. 14. 676	أوكسيرينخوس	أوريليوس جوسنوس	64
285 A. D	O. Mich. 1. 407	كرانيس	ساتابوس	65
Late 3 rd Cent. A. D	P. Oxy. 12. 1490	أوكسيرينخوس	ديميتريوس.....	66
295 A. D	P. Oxy. I. 43v	أوكسيرينخوس	إيزيدوروس	67
302-3 A. D	SB. 20. 14469	هيرموبوليس	أوريليوس كوبرياس	68
316 A. D	P. Harrauer. 45	هيرموبوليس ماجنا	أوريليوس أبوللون	69

A. D 329	P. Charite. 15	هيرموبوليس	أوريليوس بوليس	70
345 A. D	P. Lond. 3. 1248	هيرموبوليس	أوريليوس بن بيساريون	71
346 A.D	P. Lond. 3. 1249	هيرموبوليس	أوريليوس أبوللو	72
A. D 349	P. Amh. 2. 140	هيرموبوليس	هاتريس بن بيويس	73
350 A. D	P. Amh. 2. 139	هيرموبوليس	أوريليوس سارابيون	74
356-357 A. D	P. Cairo. Preis. 20	هيرموبوليس	هيراس.....	75
390 A. D	P. Lips. 1. 65; 66	هيرموبوليس ماجنا	أوريليوس نيلوس أمون	76
4 Cent.	SB. 20.14586	هيرموبوليس	أوريليوس أنطونينوس	77
424 A. D	SB. 22. 15620	أنطينوبوليس	أوريليوس.....	78
450-499 A. D	CPR. 5. 26	هيرموبوليس	أوريليوس فيكتور	79
400-499 A. D	P. Flor. 3. 344	هيرموبوليس	ثيوفانيوس	80
400-499 A. D	P. Flor. 3. 346	هيرموبوليس	أوريليوس بالوس	81

قائمة الاختصارات:

- J.E.A. = The Journal of Egyptian Archaeology.
- J.J.P. = The Journal of Juristic Papyrology.
- B.A.S.P. = The Bulletin of the American Society of Papyrologists

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر البردية:

- **P. Amh** = The Amherst Papyri, Being an Account of the Greek Papyri in the Collection of the Right Hon. Lord Amherst of Hackney, F.S.A. at Didlington Hall, Norfolk, ed. B.P. Grenfell and A.S. Hunt. London.
- **P. Ant** = The Antinoopolis Papyri. London. I, ed. C.H. Roberts. 1950. II, ed. J.W.B. Bams and H. Zilliacus. 1960. III, ed. J.W.B. Bams and H. Zilliacus. 1967.
- **BGU** = Aegyptische Urkunden aus den Königlichen (later Staatlichen) Museen zu Berlin, Griechische Urkunden. Berlin.
- **P. Cair.Cat** = Greek Papyri, Catalogue général des antiquités égyptiennes du Musée du Caire, Nos. 10001—10869, ed. B.P. Grenfell and A.S. Hunt. Oxford 1903.
- **P. Cair. Preis** = Griechische Urkunden des Aegyptischen Museums zu Kairo, ed. F. Preisigke. Strassburg 1911. (Schriften der Wissenschaftlichen Gesellschaft zu Strassburg 8). Nos. 1-48.
- **P. Cair. Zen.** = Zenon Papyri, Catalogue général des antiquités égyptiennes du Musée du Caire, ed. C.C. Edgar. Cairo.

- P. Charite. = Das Aurelia Charite Archiv, ed. K.A. Worp. Zutphen 1981. (Stud.Amst. XII). Nos. 1-41.
- CPR = Corpus Papyrorum Raineri. Vienna.
- P. Diog. = Les archives de Marcus Lucretius Diogenes et textes apparentés, ed. P. Schubert. Bonn 1990. (Pap.Texte Abh. XXXIX). Nos. 1-68; nos. 1, 10-11 are Latin, the remainder Greek.
- P.Fam.Tebt. = A Family Archive from Tebtunis, ed. B.A. van Groningen. Leiden 1950.
- P. Flor. = Papiri greco-egizii, Papiri Fiorentini (Supplementi Filologico-Storici ai Monumenti Antichi). Milan.
- P.Freib. = Mitteilungen aus der Freiburger Papyrussammlung.
- P. Hamb. = Griechische Papyrusurkunden der Hamburger Staats und Universitätsbibliothek. I, ed. P.M. Meyer. Leipzig-Berlin 1911-1924. II mit einigen Stücken aus der Sammlung Hugo Ibscher, ed. B. Snell and others. Hamburg 1954. III, ed. B. Kramer and D. Hagedorn. Bonn 1984. IV, ed. B. Kramer and D. Hagedorn. Stuttgart and Leipzig 1998.
- P.Harrauer. = Wiener Papyri als Festgabe zum 60. Geburtstag von Hermann Harrauer, ed. B. Palme. Vienna 2001.
- P.Leipz. = Die griechischen Papyri der Leipziger Universitätsbibliothek, ed. C. Wessely. Leipzig 1885.

- P.Lips. = Griechische Urkunden der Papyrussammlung zu Leipzig, I, ed. L. Mitteis. Leipzig 1906. II, ed. R. Dittenhöfer with a note by R. Scholl. Munich/Leipzig 2002.
- P.Lond. = Greek Papyri in the British Museum. London. At present 7 vols.
- P. Mich. Michigan Papyri, Papyri from Tebtunis, edited. By A. E. R. Boak, E. M. Husselman, W. F. Edgar, Ann Arbor, 1933– 1944.
- P.Mich.Mchl. = A Critical Edition of Select Michigan Papyri, ed. E.M. Michael. Diss. University of Michigan, Ann Arbor 1966.
- P. Oxy. = The Oxyrhynchus Papyri. Published by the Egypt Exploration Society in Graeco–Roman Memoirs. London.
- PSI. = Papiri greci e latini. (Pubblicazioni della Società Italiana per la ricerca dei papiri greci e latini in Egitto). Florence. The first eleven volumes were edited by a number of persons under the general direction of G. Vitelli and M. Norsa. A list of reeditions of documentary texts is given by P. Pruneti in Pap.Flor. XIX.2, pp. 475–502.
- P. Ryl. = Catalogue of the Greek and Latin Papyri in the John Rylands Library, Manchester. Manchester. I, Literary Texts, ed. A.S. Hunt. 1911. II, Documents of the Ptolemaic and Roman Periods, ed. J. de M. Johnson, V. Martin and A.S. Hunt. 1915. III, Theological and Literary Texts, ed. C.H. Roberts. 1938. Nos. 457–

551. IV, Documents of the Ptolemaic, Roman and Byzantine Periods, ed. C.H. Roberts and E.G. Turner. 1952.

- SB = Sammelbuch griechischer Urkunden aus Aegypten. (A collection of documentary papyri, ostraca, inscriptions, mummy tablets and related texts published in journals or unindexed catalogues. Begun by F. Preisigke in 1915, continued by F. Bilabel, E. Kiessling, and H.-A. Rupprecht).

- P. Stras. = Griechische Papyrus der Kaiserlichen Universitäts- und Landes-bibliothek zu Strassburg, ed. F. Preisigke. Leipzig.

- P. Turner. = Papyri Greek and Egyptian Edited by Various Hands in Honour of Eric Gardner Turner on the Occasion of his Seventieth Birthday, ed. P.J. Parsons, J.R. Rea and others. London 1981. (Egypt Exploration Society, Graeco-Roman Memoirs 68).

ثانياً: النقوش:

- O. Mich. = Greek Ostraca in the University of Michigan Collection, Part I, Texts, ed. L. Amundsen. Ann Arbor 1935. (Univ. of Mich. Studies, Humanistic Series 34).

ثالثاً: المراجع العربية:

- حسن الإبياري: تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي في عصر الرومان، دار العلوم بالفيوم، ٢٠٠٤.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

- **Bagnall, R** : Egypt in Late Antiquity, Princeton, (1993).
- **Boak. A. E. R**: "The Epikrisis Record of an Ephebe of Antinoopolis Found at Karanis" **JEA**, Vol. 13, No. 3/4 (Nov., 1927).
- **Cockle, W.E.H**: "State Archives in Graeco – Roman Egypt from 30 B. C. to the Reign of Septimius Severus", **JEA**, (1984).
- **Derda. T**: "Pagi in the Arsinoite Nome Astudy in the Administration of Fayum in the Early Byzantine Period", **JJP**, 31, (2001).
- **Hans. Schaefer**, "Γνωστήρ και έγγραφής" *Museum Helveticum*, 6 (1949), 49–55.
- **Lallemand. J**: L'administration civile de l'Egypte de l'avènement de Dioclétien à la création du diocèse (284–382). Contribution à l'étude des rapports entre l'Egypte et l'Empire à la fin du IIIe et au IVe siècle, (1964).
- **Lews. N**: "Νοήματα Λεγοντος 66–79., " **BASP**, 8, (1971)
- **Liddell & Scott**: Greek–English Lexicon, Oxford, (2001).
- **Maehler. H**: Review: P. Charite, **The Classical Review**, Vol. 34, No. 1 (1984).
- **Oertel, F.**: Die Liturgie. Studien Zur Ptolemaischen und Kaiserlichen Verwaltung Agyptens. Leipzig,(1917).

رستاق اسفرايين في القرنين الثاني والثالث الهجريين

الثامن والتاسع الميلاديين

د. علاء محمد عبد الغني حسن

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
الجامعة العربية المفتوحة - الكويت

مقدمة البحث:

حظي رستاق اسفرايين بموقع جغرافي متميز، فهي من المدن المهمة التي تتبع نيسابور بخاصة، وخراسان بعامة، بالإضافة إلى ما تمتعت به من نشاط اقتصادي قامت أركانها على الزراعة، فقد تميزت اسفرايين بخصوبة أراضيها ووفرة محاصيلها، وكفايتها في الغالب لأهلها، وكذلك الصناعة والتجارة، وأيضاً تميز المجتمع الاسفراييني بعناصر سكانية مختلفة الأجناس، من حيث تنوع أطرافه وتعدد طبقاته مع ما بينها من انسجام وتلاؤم. ولعل من أفضل ما تميزت به اسفرايين: العلماء، فقد أخرجت العديد من العلماء الذين طافوا العالم شرقاً وغرباً، وكان لهم إسهامات مميزة وإضافات واضحة في صنوف العلوم المختلفة، من خلال ما قاموا به من تدريس، وتأليف الكتب في مختلف العلوم، وهذا ما ستوضحه الدراسة. وجدير بالذكر في هذه المقدمة الموجزة: الإشارة إلى مقدار الصعوبة التي تواجه من يحاول دراسة هذه المدينة، من نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، نظراً لندرة المصادر التي عنيت بها وبالحديث عنها، وما تبقى من مصادر فحديته ورد بصورة مجمل، في الغالب، حاولنا جاهدين تطويرها لخدمة مقتضيات البحث، وإبراز موضوعاته ومطالبه، ولعل الاعتراف بهذا من الإنصاف الذي يجب أن يكون رائدنا، في هذه الدراسة وغيرها، وفيما يلي: التعريف برستاق اسفرايين، ودورها في الحقبة الزمنية محل الدراسة.

أولاً التعريف برستاق اسفرايين:

قبل الشروع في مادة البحث الأصلية والحديث عن اسفرايين والنواحي المتعلقة بها: أرى أنه من متطلبات البحث، بيان مدلول لفظة رستاق الواردة في العنوان، انساقاً مع ضرورة أن يستهل الباحث بحثه بتعريف غريب مصطلحات العنوان، وبيان مدلولها، فالرستاق كلمة فارسية معربة، الحقوه بقرطاس، ويقال: رزداق، ورسراق، والجمع

الرساتيق، وهو السواد، قال ابن ميادة: هلا اشتريت حنطة بالرسناق، سمراء مما درس إن محزاق.^(١) ورسناق أيضاً هي كورة كثيرة القرى بنيسابور^(٢) الرزداق : لغة في الرسداق، تعريب الرسناق ، قال الجوهري الرزداق: السطر من النخل والصف من الناس، وهو معرب وأصله بالفارسية (رسته) وقيل هي بيوت مجمعة^(٣). وقال ياقوت: رسناق بسمرقند، بينهما سبعة فراسخ، وله قرى نزهه وبساتين كثيرة وأنهار جارية^(٤).

وبعد الانتهاء من التعريف بالرسناق، آن لنا أن نتعرف على معاني اسفرايين، حيث كتبت بأكثر من لفظ كالتالي: أسفرايين^(٥) وأسفرائين^(٦) وأسفراين^(٧) خطها السيوطي بلا همزة^(٨) من المدن الهامة في نيسابور^(٩) بخاصة وخراسان^(١٠) بعامة، فهي بليدة حصينة من نواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان^(١١) بينها وبين نيسابور خمس مراحل^(١٢) واسمها القديم مهرجان، سماها بذلك بعض الملوك لخضرتها ونضارتها، ومهرجان قرية من أعمالها، أصلها من أسفرايين بالباء الموحدة، وأسبر بالفارسية هو الترس، وابين هو العادة، فكأنهم عرفوا قديماً بحمل الترس، فسميت مدينتهم بذلك، وقيل: إن الذي بنى اسفرايين اسفنديار^(١٣) فسميت به، ثم غُيِّرَ لتطاول الأيام، وما زال اسما لقرية قرب المدينة الخربة.^(١٤) ويصفها المقدسي بأنه رسناق^(١٥) نفيس يشقه جادة جرجان، مدينته على هذا الاسم عامرة نفيسة، ليس في مدائن الرساتيق أجل منها^(١٦) وذكر ابن رسته أن "اسفرايين" هي الرسناق الثالث من رساتيق نيسابور.^(١٧) و تقع حالياً في جمهورية إيران.^(١٨)

أما عن مساحة المدينة فقال المقدسي في وصفها إنها: مدينة متوسطة المقدار متحضرة الأهل.^(١٩) وخالفه ياقوت مشيراً إلى صغر حجمها، حيث عبر عنه بصيغة التصغير قائلاً: بليدة حصينة من نواحي نيسابور^(٢٠) وهذه الصيغة، كما هو معروف، من صيغ التصغير الدالة على قلة حجم وشأن من يوصف بها.

وأما وصفه لها بأنها: حصينة، فكلمة حصينة في وصف ياقوت تطلق ويراد بها أحد شيئين: إما حصانة موقعها الجغرافي ومناعته، وصعوبته لكل ناهب ، أو حصانة أسوارها وقلاعها، بما يفيد في الجانب الحضاري الذي أتاح وجود وتوفر مثل هذه الأسوار والقلاع، أو الصراع السياسي الذي صاحب تلك البقعة من الأرض، بما ينبئ عن كونها مستهدفة لغيرها. وخالفهما الحميري واصفاً مساحتها: إنها مدينة كبيرة.^{٢١}

ومما سبق يظهر أمامنا ثلاثة آراء في حجم ومساحة مدينة أسفرايين: تنحصر في الكبير، والمتوسط، والصغير، ولعل الميل إلى أنها متوسطة المقدار هو الراجح.

وفي أسفرايين بعض المشاهد التي جذبت أنظار بعض من الرحالة، لعل منها ما أورده المستوفي: من أنه كان في جامع أسفرايين وعاء عظيم من النحاس، لم ير أعظم منه، فإن محيط حافته الخارجة كان اثنتى عشرة ذراعاً، وكان في شمال المدينة قلعة زر، أي قلعة الذهب.^(٢٢)

نواحي أسفرايين وقراها: ضمت أسفرايين ونواحيها عدة قرى، وأصلها البعض إلى أربعمة وإحدى وخمسين قرية^(٢٣). ومن أعمالها إحدى وخمسون قرية^(٢٤) ولعل هذا العدد من القرى، الموجودة في رستاق أسفرايين، مبالغ فيه ، وفيما يلي إيراد أشهر تلك القرى:

- سنداسب: مدينة صغيرة عامرة، ومنها إلى أسفرايين مرحلة.^(٢٥)
- بُرْمُس: بضم أوله والميم، من نواحي أسفرايين من أعمال نيسابور.^(٢٦)
- مهرجان: معناه بالفارسية "فرح النفس" قد يسقط من الكورة المذكورة أنفا قذق فيقال مهرجان فقط، ومهرجان قرية بأسفرايين لقبها بذلك كسرى قباد بن فيروز، والد كسرى أنو شروان، لحسنها وخضرتها وصحة هوائها^(٢٧) وهي مدينة عامرة الديار والأسواق، كثيرة الخيرات والأرزاق جليلة، لها سور تراب وريض عامر، وشرب أهلها من ماء يأتي إليها جلباً، ومن مهرجان إلى ديواره مرحلتان.^(٢٨)
- بزانة: قرية من قرى أسفرايين.^(٢٩)
- بوازنة: بالزاي والألف والنون، قرية من قرى أسفرايين، منها "أبو محمد عبد الله بن الحارث بن حفص بن الحارث بن عقبة القرشي الصنعاني ثم البوزاني"، من أهل صنعاء وسكن بوزانة، وكان وضاعاً للحديث عن الأئمة، مثل عبد الرزاق، وأحمد بن حنبل وغيرهما: ^(٣٠)
- جوربذ: بسكون الواو والراء وفتح الباء الموحدة والذال معجمة، من قرى أسفرايين من أعمال نيسابور، منها "عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الأسفرايين الجوربذي"^(٣١).
- الحوش: قرية من أعمال أسفرايين من نواحي نيسابور، ينسب إليها "بدل بن محمد بن أحمد الحوشي"، سمع أباه وإسحاق بن راهويه^(٣٢).
- خسروجرد: بضم أوله وجرد بالجيم المكسورة والراء الساكنة والذال، وجيمه معربة عن كاف، ومعناه عمل خسرو، لأن كرد بمعنى عمل مدينة، وينسب إليها "أبو يوسف يعقوب بن أحمد بن محمد الأزهرى الخسروجردى" وغيره توفي في خسروجرد سنة ٢٩٩ وقيل سنة ٣٠٠ هـ / ٩٢٠ م وكان مولده سنة ٢٠٠ هـ / ٨٢٠ م.^(٣٣)

- الخشى والخوشى: واحد يقال للبلدة (خُشّ) بضم فتشديد و (خُوش) بضم فواو ساكنة فشين معجمة خفيفة، من قرى أسفرايين، وخُوش بضم أوله وشين معجمة، قرية من نواحي أسفرايين ينسب إليها "أبو عبد الله محمد بن أسد النيسابوري الخوشي"، سمع ابن عيينة والمبارك والفضيل بن عياض وغيرهم (٣٤).
- زَرْد: بفتح أوله وسكون ثانيه ودال مهملة، ومعناه بالفارسية الأصفر، وهي من قرى أسفرايين من أعمال نيسابور، ينسب إليها "أحمد بن محمد الزردي اللغوي الأديب" (٣٥).
- سَمَنْقَان: بفتح أوله وثانيه ونون ساكنة ثم قاف وآخره نون، بلد بقرب جاجرم من أعمال نيسابور، وهي كورة بين جبلين تشتمل على عدة قرى، أولها متصل بحدود أسفرايين وآخرها متصل بحدود جرجان وجاجرم في غربها، والقصبة بليدة في لحف جبل تسمى "سملقان" والمحدثون يكتبونها بالنون (٣٦).
- شَرْمَقَان: بفتح أوله وسكون ثانيه وبعد الميم قاف وآخره نون، والعجم يقولون جرمقان، بليدة بخراسان من نواحي أسفرايين في الجبال، بينها وبين نيسابور أربعة أيام، وقد خرج منها طائفة من العلماء منهم: "أبو الفضل الشرمقاني"، كان أحد أعيان مشايخ خراسان والعراقيين والشام والجزيرة والحجاز، سمع المسند الكبير والأمهات لأبي بكر بن أبي شيبة، ثم توفي بالشرمقان خامس عشر جمادى الآخرة سنة ١٣٦ (٣٧).
- كُورَان: بالضم وآخره نون من قرى أسفرايين (٣٨).
- (ميكشان): فعرب فقبل (مشیجان) مِشْجَان بالكسر ثم السكون وشين معجمة مفتوحة وجيم وآخره نون، من قرى أسفرايين. (٣٩).
- خانقاه: بين أسفرايين وجرجان. (٤٠).
- التوث قرية بأسفرايين منها: "أبو القاسم علي بن طاهر"، سمع ببغداد "أبا محمد الجوهري" توفي سنة ٤٨٠ هـ / ١١٠٠ م (٤١).
- ايلابستان: قرية بين أسفرايين وجرجان، من عجائبها ما ذكره صاحب تحفة الغرائب: أن بها مغارة يخرج منها ماء كثير ينبع من عين فيها، فرما ينقطع ذلك الماء في بعض السنين أشهراً، فإذا دام انقطاعه يخرج أهل القرية من الرجال بأحسن ثيابهم، والدفوف والشبابات والملاهي إلى تلك العين، ويرقصون عندها ويلعبون، فإن الماء ينبع من العين ويجري بعد ساعة، وهو ماء كثير بقدر ما يدير رحي. (٤٢)

- جاجرم: بعد الألف جيم أخرى مفتوحة وراء ساكنة وميم، بلدة لها كورة واقعة بين نيسابور وجوين وجرجان، تشتمل على قرى كثيرة وبلد حسن، وبعض قرراها في الجبل المشرف على أزاوار قصبه جوين، وهي مدينة بأرض خراسان مشهورة بقرب أسفرايين. بها عين تتبع قناة بين جاجرم وأسفرايين؛ وقيل: من غاص في ماء هذه العين يزول جربه^(٤٣).
- جوربك: قرية من قرى أسفرايين^(٤٤).
- جورزك: قرية من قرى أسفرايين^(٤٥).
- جريوقان من خطة أسفرايين^(٤٦).
- جوش: بفتح الواو، قرية من قرى أسفرايين^(٤٧).
- جوسقان: بالفتح ثم السكون، والسين مهملة مفتوحة، وقاف، وألف، ونون: قرية متصلة بأسفرايين حتى كأنها محلة منها، يسمونها كوسكان، ينسب إليها "أبو حامد محمد بن عبد الملك الجوسقاني" إمام فاضل، تفقه على "أبي حامد الغزالي" ^(٤٨).
- وهذا العدد الكبير من القرى التابعة لمدينة أسفرايين ينبئ عن عظم هذه المدينة، وتواجدها الحضاري والعمراني.

ثناء العلماء على أسفرايين:

- لعل الأهمية الكبيرة لمدينة أسفرايين جعلت العلماء يخصونها بالثناء في كتاباتهم، ومنهم: "أبو الحسن علي بن نصر الفندرجي" حيث قال يتشوق أسفرايين وأهلها:
- سقى الله في أرض أسفرايين عصبتي فما تنتهي العلياء إلا إليهم
وجربت كل الناس بعد فراقهم فما ازدبت إلا فرط ضن عليهم. ^(٤٩)
- ونذكر السمعاني أن "نسا" ^(٥٠) وأبيورد ^(٥١). وأسفرائين عرائس ينشزن على المبتدعين ^(٥٢).

ثانيا: التطور السياسي لأسفرايين خلال فترة الدراسة:

كان لأسفرايين نشاط سياسي ملحوظ، فبعد استقرار الإسلام في الجزيرة العربية، بدأت الفتوحات الإسلامية في جميع الاتجاهات، وكانت أسفرايين من المناطق الأولى التي وصل إليها المسلمون في صدر الإسلام، وقد اختلف المؤرخون حول توقيت فتح أسفرايين، فقول: إنها فتحت في عهد عمر بن الخطاب ^(٥٣). حيث كلف الأحنف بن قيس ^(٥٤) بالتوجه إلى خراسان بعد فرار يزدجرد الثالث، آخر ملوك الفرس، إليها، عقب

هزيمته في معركة نهاوند عام ٢١هـ/٦٤١م^(٥٥). فدخل الأحنف بن قيس يحمل نور الإسلام إلى هذه البلاد، فدخل خراسان وأرسل أحد قواده وهو "عبد الله بن مطرب بن الشخير" لفتح نيسابور، فاتجه إليها، وحاصرها، واستولى عليها بعد مقاومة كبيرة^(٥٦). والواضح أن أسفرايين فتحت مع نيسابور، لأن المصادر لم تخصص وقتا لفتحها يختلف عن توقيت فتح نيسابور، ولم تذكر أن هناك مدنا من توابع نيسابور لم تفتح بعد.

ويترجح لدى الباحث أن أسفرايين فتحت قبل نيسابور، إذ لا يمكن الوصول إلى نيسابور إلا بعد فتح أسفرايين، لكونها في الطريق الواصل إلى نيسابور.

وظلت أسفرايين ونيسابور في استقرار تام، تابعة للدولة الإسلامية إلى نهاية عهد عمر بن الخطاب، والعامين الأولين من عهد عثمان بن عفان، ٢٣ - ٣٥هـ/٦٤٢ - ٦٥٤م، حيث ترك أهل نيسابور ورسايقها الإسلام، على أثر الثورة التي قام بها بني كنانة أخوال كسرى، ووصلت الأخبار إلى عثمان بن عفان، فأرسل إليهم جيشا بقيادة عبد الله بن عامر بن كريز^(٥٧).

وبعد فتح ابن كريز لأسفرايين توجه إلى نيسابور، بعدما استولى على أعمالها وافتتحها، فحاصر أهلها أشهراً إلى أن طلبوا الأمان، على أن يدخل المسلمون المدينة، فأجيب إلى ذلك فأدخلهم ليلاً، ففتحوا الباب وتم الصلح علي جميع نيسابور، فصالحهم على ألف ألف درهم^(٥٨).

وبعد هذا الفتح ظلت أسفرايين إلى نهاية عهد الخلفاء الراشدين في أمن واستقرار، أما في عهد الدولة الأموية فقد انتظمت أسفرايين مثلها مثل باقي رسايق نيسابور. وفي آخر عهد الدولة الأموية: وظهور الدعوة العباسية سرا كانت أسفرايين، من المدن التي أيدت أبا مسلم الخراساني في دعوته كبقية مدن خراسان^(٥٩)، وظلت أسفرايين مثل باقي مدن نيسابور وخراسان في هدوء تام أثناء ولاية أبي مسلم الخراساني عليها، من قبل بني العباس، فقد كانت مصدر اهتمام مثل باقي رسايق نيسابور، وخصوصاً أن أبا مسلم الخراساني كان يقضي أغلب وقته في نيسابور، وبالتالي فقد اهتم بنيسابور ورسايقها فازدهرت وانتعشت حضارياً، ولكن الحال اختلف بعد مقتل أبي مسلم الخراساني علي يد أبي جعفر المنصور، ١٣٦ - ١٥٨هـ/٧٥٤ - ٧٧٥م^(٦٠)، حيث حصل اضطراب سياسي، قامت على أثره ثورة

في نيسابور، ضد الخليفة أبي جعفر المنصور، والواضح أن هذه الثورة طالت أسفرايين، إلا أنها لم تستمر طويلاً فقد استطاع أبو جعفر المنصور القضاء عليها^(٦١).

هذا وقد عانت نيسابور وأسفرايين، وباقي رساتيق نيسابور، معاناة شديدة من ظلم "خطاب بن يزيد" الوالي على نيسابور من قبل الخلافة العباسية، مما دفع الناس أن يشتكوا إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، فأمر عامله على خراسان "عبد الجبار بن عبد الرحمن" بعزل خطاب بن يزيد عن نيسابور، فبعد أن عزل بدأ أهلها يتنفسون الصعداء^(٦٢).

وما أن أصبحت خراسان وأقاليمها تحت حكم الدول المستقلة^(٦٣) إدارياً، تغير الحال تماماً في أسفرايين، فبدأ الازدهار يهب على خراسان، وينتفش اقتصادها ففي عهد الدولة الطاهرية^(٦٤). تمتعت أسفرايين بالحرية لأن الطاهريين كانوا مهتمين برعاياهم، فاصلحوا أحوال البلاد الاقتصادية، وأحسن الرعية بالأمان، وظهر ذلك على المواطن الأسفراييني، وعلى جميع المواطنين الذين هم من رعاياهم، وخصوصاً أنهم اتخذوا من نيسابور عاصمة لهم، وأسفرايين كما بينا رستاق من رساتيق نيسابور، إذا فهي أقرب للاهتمام من قبل الدولة الطاهرية^(٦٥)، فكان للطاهريين مآثر طيبة وأيادٍ بيضاء على نيسابور ورساتيقها، وعلى رأسها أسفرايين، فعلى سبيل المثال ما كتبه "عبد الله بن طاهر" إلى جميع عماله في مختلف أرجاء خراسان: "لقد أخذت الحجة عليكم حتى تستيقظوا من سباتكم، وتتخلصوا من الحيرة، وتجّدوا في صلاح أنفسكم، وتساندوا الفلاح الذي صار ضعيفاً، وامنحوه القوة، فإن الله سبحانه وتعالى جعل الطعام من أيديهم، والسلام من ألسنتهم، وحرّم الظلم عليهم"، وكان يقول أيضاً: " يجب أن يعطى العلم لأهله، ولغير أهله أمان من أن ينبت مع غير أهله".^(٦٦)

إن المتأمل فيما كتبه "عبد الله بن طاهر" يجده أكثر انطباقاً على أهل أسفرايين، فهو رستاق تكثر فيه الأراضي الزراعية والفلاحون كذلك والعلماء، ولعل هذا مدعاة للاهتمام بأسفرايين وأحوال رعيّتها.

وفي الربع الأخير من القرن الثالث الهجري: انتقل الحكم إلى الدولة السامانية^(٦٧) فقد اشتهرت الدولة السامانية بالعدل والإصلاح، وبلغت منزلة عالية ومكانة رفيعة في الحضارة

والرقي والغنى والثروة، وازدهرت في عهدها العلوم والمعارف^(٦٨)، وبالتالي فإن هذا الازدهار والرقي الحضاري أحس به رعايا السامانيين في أسفرايين، وفي كل أنحاء خراسان.

ولعل من الإنصاف أن نعترف أن المصادر، سواء كانت فارسية أو عربية، قد صممت عن الحديث عن أسفرايين من الناحية السياسية والأحداث الداخلية التي حدثت فيها، فمن البدهي أن يكون هناك أمراء على أسفرايين كغيرها من المدن وكذلك عمال وقضاة وغيرها من الوظائف، وخصوصاً أنها كانت عاصمة الرستاق الثالث من رساتيق نيسابور، وبالتالي فقد كان من الصعوبة على الباحث أن يعرف ما جرى من أحداث في أسفرايين، وإنما كان حديثنا السياسي مستقى من الأحداث الخارجية في نيسابور وخراسان. وكذلك فيما ذكر عن الدول المستقلة، في معاملتها لرعاياها، وما يقع في حوزتها، ومنها أسفرايين.

ثالثاً: النشاط الاقتصادي في رستاق أسفرايين :

يعد الازدهار الاقتصادي أساس تقدم حضارات الشعوب، وهو قائم في أصله على عدة مقومات: أساسها الزراعة والصناعة والتجارة، وفي الأسطر التالية سنتحدث عن كل منها بالتفصيل، وأثره في رخاء الحياة في أسفرايين:

تعد الزراعة عصب الحياة، فقد تميزت أسفرايين بخصوبة أراضيها وتقدمها من الناحية الزراعية، فأول ما يواجهنا في حديثنا عن الزراعة: ملكية الأراضي، فلم تكن هناك مشكلة في موضوع ملكية الأراضي في أسفرايين، بل كانت كغيرها من مدن نيسابور وخراسان، فلم أجد في المصادر ما يبين أن أسفرايين تميزت بالنسبة لملكية الأراضي عن مدن نيسابور، فالأرض في أسفرايين، منذ بداية الفتح الإسلامي، بقيت على ما كانت عليه قبل الفتح الإسلامي لها، فالغالبية العظمى من الأراضي الزراعية بقيت بيد أصحابها، لقاء ما يدفعونه من خراج معين للفاطحيين^(٦٩). فبقيت الملكية الخاصة بحوزة الأهالي، فكانت عبارة عن: ملكية تملك ووضع يد، كان متعارفاً عليها بين الناس قديماً، لأن نظام تملك الأرض، بالمعنى المعهود، لم يظهر إلا بعد فترة متأخرة خلال القرن الرابع الهجري^(٧٠)، وبعد الفتح الإسلامي كانت هناك أراضٍ قد أحيها المسلمون بعد أن تركها أصحابها، فاهتموا بها وقاموا على رعايتها، فأصبحت ملكاً خاصاً لهم، ولا يدفع عليها خراج. (لأن من أحيأ أرض الموات فهي له)، فكان المسلمون ملاكاً لهذه

الأراضي الشاسعة يبذلون كل الجهد في زراعتها، ومن هذه الأراضي أرض "يزيد بن المهلب بن أبي صفرة"^(٧١)، والتي كانت منتشرة في أنحاء خراسان، وألت ملكيتها إلى "قتيبة بن مسلم الباهلي"^(٧٢). وأيضا ملاك الأراضي العشرية، وهي الأرض التي بقي عليها أصحابها بعد إسلامهم، فهم أحق بإدارتها ولا يوجد عليها خراج^(٧٣).

أما عن المياه التي تسقي الأرض الزراعية في أسفرايين: فقال عنها الحميري: إن مياهها جارية.^(٧٤) وماء البلد يأتي من نهر يمر من أسفل التل الذي عليه القلعة.^(٧٥) وفي المستنقعات يخرج منها "نهر أترك" فيجري إلى الغرب، ثم ينعطف باتجاه معاكس لمجره الأول، أي إلى الشرق، ويخرج أيضا نهر المشهد^(٧٦).

أما عن النشاط الزراعي في أسفرايين: فقد عرفت أسفرايين قبل الإسلام بالاهتمام بالزراعة، ولما فتحها المسلمون زاد اهتمامهم بالزراعة، وعملوا على تطويرها، وظهر ذلك من خلال ما كتبه المصادر الجغرافية من معلومات قيمة؛ تبين طبيعة أرض أسفرايين وخصوبتها، فرستاق أسفرايين من أشهر رساتيق نيسابور في الزراعة، وبخاصة مزارع الأرز الكثيرة والأعناب الجيدة، فلا غربة أن سميت بالمهرجان، لأنه أطيب أوقات الفصول^(٧٧). وسهل أسفرايين العظيم، قال عنه المقدسي: إن به مزارع الأرز الكثيرة والأعناب، ومدينته على اسمه، عامرة. وكانت تكثر في رساتيقها أشجار الجوز. وهوؤها رطب، ويكثر فيها الأعناب والقمح^(٧٨).

إن الناظر في أمر الزراعة، في أسفرايين، يجد أن أسفرايين بلدة زراعية ذات أرض تميزت بخصوبتها، والذي جعل الزراعة تزدهر في أسفرايين: أن مياه الري كانت متوفرة لكثرة الأنهار، وخصوصا أنه يكثر فيها زراعة الأرز، والأرز كما نعلم يحتاج إلى الماء الوفير، ففيها أنهار جارية تخدم الزراعة، وبهذا فإن الزراعة كانت مصدرا من المصادر الهامة للاقتصاد في أسفرايين.

تعد الصناعة من الأركان الأساسية في ازدهار الاقتصاد، فقد اشتهرت أسفرايين بصناعة الأواني الصفيرية^(٧٩) وبيعها^(٨٠).

وهذه هي الصناعة الوحيدة التي اشتهرت بها أسفرايين، فلم تتكلم المصادر العربية والفارسية عن أي صناعة أخرى اشتهرت بها أسفرايين.

أما عن التجارة: فقد نشطت الحركة التجارية في الدولة الإسلامية، نشاطاً ملحوظاً منذ ظهور الإسلام، فقد شجع الإسلام على التجارة، ومما ساعد على ازدهار التجارة: اهتمام الخلفاء بها، ولعل من أهم ما اهتموا به الأسواق، فالأسواق تمثل بؤرة النشاط الاقتصادي في أسفرايين، إلا أن المصادر صمتت عن أسماء الأسواق في أسفرايين، وكذلك عن مساحتها، فقال الحميري عن اسفرايين: إنها مدينة كبيرة فيها أسواق وخانات^(٨١). وقال المقدسي: إنها ذات أسواق وخصائص عدة^(٨٢)، وقال عنها أيضاً ياقوت: ذات أسواق حسنة وتحوى الكثير من العنب والأرز^(٨٣)، وقال الإدريسي: إن أسفرايين مدينة متوسطة المقدار، متحضرة الأهل، وبها متاجر وأرزاق^(٨٤). وعلينا أن نسلم أن الأسواق دائماً حول المسجد الجامع، حيث يلاحظ في معظم مدن خراسان الارتباط بين السوق والمسجد^(٨٥).

أما الرقابة على الأسواق: فقد خضعت أسواق أسفرايين، كغيرها من أسواق مدن خراسان، لرقابة المحتسب، والذي كان بدوره يقوم بالإشراف على مراقبة الموازين والمكاييل ومنع الغش والتدليس في البيع، وضبط الأسعار ومراقبتها، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والحفاظ على الأمن والنظام داخل السوق، وترتيب الصنائع، فجعل كل حرفة في موضع معلوم، ومن كانت صناعته تحتاج إلى وقود نار، كالخباز والطباخ والحداد، فكان المحتسب يبعد حوانيتهم عن العطارين والبزازين، لعدم المجانسة بينهم، ومنعاً لحصول الأضرار^(٨٦)، وطارد المحتسب، بكل حزم، المنكرات داخل السوق، مثل بيع الخمر وسائر المحرمات^(٨٧)، كما كان يراقب كل ما يجلب من الأطراف مراقبة شديدة، ليتأكد من سلامة البضائع الواردة^(٨٨)، ويقوم المحتسب بالختم على الموازين والمكاييل، بختم وطابع معروف بين العامة، لا يتم التعامل إلا به، وإذا شك في موازين أهل السوق ومكاييلهم عليه أن يختبرها ويعايرها، ويأمر أصحاب الموازين بمسحها وتنظيفها من الأدهان والأوساخ، وعليه المحافظة على شكل السوق، فيجب أن تكون في الارتفاع والاتساع بشكل مناسب، وأن تكون على جانبي السوق ممرات يمشى عليها الناس، وعليه أن يمنع أي أحد أن يخرج مسطبة دكانه عن سمت أركان السقائف والممر الأصلي، لأن هذا عدوان على المارة^(٨٩).

والظاهر أن المحتسب، في أسواق أسفرايين، كان يقوم بدوره على أكمل وجه، واتضح ذلك من خلال وصف الرحالة السابق لها: أنها ذات أسواق حسنة، والحسن إطلاق عام يشمل حسن الترتيب ونظافة المكان وجودته، ومما يدل على نظافة الأسواق وترتيبها وحسن الاهتمام بها، ولفظة حسنة تدل على حسن المكان وحسن النظام، فلو تأخر أحد الوصفين ما صح إطلاق لفظ الحسن كما هو معلوم.

وقد ساعد على ازدهار التجارة في أسفرايين: كونها واقعة في خراسان والتي كانت تتميز بأنها واقعة في مركز الطرق الرئيسية لعبور القوافل بينها وبين الدول المجاورة، فأدى ذلك إلى رواج التجارة، مما جعل ذلك ينعكس على الأسواق، بالإضافة إلى ما تمتعت به خراسان من شبكة طرق عظيمة، ربطت بين كل مدنها^(٩١) وهذه الطرق هي:

- الطريق التجاري من شمال روسيا إلى الشرق: عن طريق بحر قزوين ومنه إلى مرو وبلخ وبخارى وسمرقند وبلاد ما وراء النهر، ومنها إلى الصين، وازدادت أهمية هذا الطريق بعد دخول أهل "البلغار" الإسلام في أوائل القرن الرابع الهجري، وعقدوا مع الولايات الإسلامية، وخاصة خراسان، عقوداً تجارية هامة، ولقد حافظ الحكام منذ العصر الساماني على هذا الطريق الذي اعتبره السلطان "محمود الغزنوي" وخلفاؤه: أهم شريان تجاري بين العالم الإسلامي والهند^(٩٢).

- طريق يبدأ من بغداد إلى الصين: وهو طريق خراسان، ويبدأ من بغداد إلى همذان وقزوين والري ونيسابور، ومرو وبخارى وسمرقند، حيث يتشعب إلى طريقين: شمالاً يتجه إلى خوارزم، وشرقاً يذهب إلى الصين^(٩٣).

وإضافة إلى الطرق الرئيسية السابقة كانت هناك طرق فرعية تتفرع من هذه الطرق؛ يستطيع أهل أسفرايين وتجارها أن يصلوا إلى أغراضهم بواسطة هذه الطرق، بالإضافة إلى ذلك: ارتباط أسفرايين بمدن خراسان الأخرى بطرق هي :

- الطريق من نسا إلى نيسابور: فمن مدينة نسا إلى مدينة أسفرايين - التي من عمالة نيسابور غرباً - أربع مراحل وبينهما قرى وعمارات، ومن أسفرايين إلى طوس^(٩٤) ست مراحل، وبينهما مدينة راوينج وبين راوينج^(٩٥) وفراوه^(٩٦) أربع مراحل، ومن راوينج جنوباً إلى مهرجان: مرحلتان، ومن مهرجان إلى نيسابور مرحلتان وكذلك من أسفرايين إلى مهرجان: خمس مراحل خفاف، وأيضاً من مدينة خان روان إلى مهرجان مرحلة، ومن خان روان إلى نيسابور مرحلة^(٩٧).

• الطريق من جرجان إلى خراسان، فمن جرجان إلى دینارزاري مرحلة، ومنها إلى املوانتوا مرحلة، ومن املوانتوا إلى اجغ مرحلة، ومنها إلى سنداسب مرحلة، ومن سنداسب إلى أسفرايين مرحلة^(٩٨)، ومن نيسابور إلى اسفرايين، وهو آخر عمل نيسابور، خمس مراحل^(٩٩). وهكذا فقد ساعدت هذه الطرق على اتساع النشاط التجاري من وإلى أسفرايين، وكان لها أبلغ الأثر في ذلك.

رابعاً الأوضاع الاجتماعية:

يلاحظ المتأمل في المجتمعات الإنسانية عناصر مختلفة، يفصل بين كل عنصر من هذه العناصر حدود، كل منها له عاداته وتقاليده التي تختلف عن عادات وتقاليده العنصر الثاني، ولكن بعد الإسلام وفتح الدول والأمم الأخرى، أصبح المجتمع الإسلامي يضم عناصر متعددة مختلفة، يعيشون في بيئة واحدة، وينصهرون في مجتمع واحد، يؤثرون ويتأثرون بعضهم ببعض، وكل هذه العناصر عبارة عن طبقات متعددة متفاوتة، وهذا ما توضحه الأسطر القادمة بالتفصيل عن عناصر وطبقات المجتمع في مدينة أسفرايين.

عناصر المجتمع: ضم المجتمع الأسفراييني عنصرين هامين، أسهم كل منهما في تكوين مظاهر الحضارة وهما الفرس والعرب، وأكد على ذلك اليعقوبي^(١٠٠)، ووصف الإدريسي سكان أسفرايين بقوله: مدينة متوسطة المقدار متحضرة الأهل^(١٠١)، ويفهم من قوله متحضرة الأهل بُعد أهلها عن البداوة، ومظاهرها المرتبط في أغلب الأحيان بها، حيث التخلف الحضاري، والعصبيات الغالبة، وقلة الأرزاق في أغلب الأحيان، وشدة وحدة الطبع المعروف عند أهل البادية، وفيما يلي بيان عنصري السكان بالتفصيل:

العنصر الفارسي: يمثل العنصر الفارسي غالبية سكان أسفرايين، وهم أصحاب البلد الأصليين، فهم قد ورثوا مدينة قديمة، ولهم قدرة فائقة على تنظيم الحكم، وإمام كبير بالوسائل التي تزيد الثروة^(١٠٢)، وكان الفرس من أهالي أسفرايين جزءاً من أهل خراسان الذين اعتمد عليهم العباسيون في أواخر العصر الأموي، لانتزاع الحكم، من الأمويين، فاهتم خلفاء بني العباس بالفرس، حيث قال "أبو جعفر المنصور" مخاطباً أهل خراسان: يا أهل خراسان أنتم شعبنا وأنصارنا وأهل دعوتنا^(١٠٣). وبالتالي فإن هذا التكريم الذي حظي به أهل خراسان، في العصر العباسي الأول، يشمل أهالي أسفرايين^(١٠٤)، وظهر

العنصر الفارسي على الساحة منذ بداية القرن الثالث الهجري، حيث كون دولا مستقلة، وكانت أولى هذه الدول: الدولة الطاهرية التي قامت ٢٠٥هـ/٨٢٠م، واتخذت من نيسابور عاصمة لها ^(١٠٥)، ولم يكن توجه الدولة الطاهرية توجهها فارسيا، وساعد على ذلك "عبد الله بن طاهر" الذي مكث في إدارة الدولة مدة طويلة، حتى قيل: إنه لم يعرف حرفا واحدا من الفارسية ^(١٠٦)، وبالتالي اختفت اللغة الفارسية أمام اللغة العربية، وظلت الدولة الطاهرية على هذا النهج إلى أن انتهت على يد الدولة الصفارية، سنة ٢٥٩هـ/٨٧٤م، والتي كانت على النقيض تماما من الدولة الطاهرية، فبدأ "يعقوب بن الليث الصفار" بإحياء اللغة الفارسية، حيث كان يشجع على النطق بها، ويغضب لمن يكلمه باللغة العربية، ويقرب الشعراء الذين كانوا يمدحونه بالفارسية ^(١٠٧) وفي الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ظهرت على الساحة: الدولة السامانية والتي كانت فارسية الأصل، إلا أنها كانت متوازنة، فلم تكن كسابقتها، حيث شجعت اللغة الفارسية، ووازنت بينها وبين اللغة العربية، فقد ترجمت بعض الكتب العربية إلى الفارسية، وكانوا أيضا يشجعون الشعراء الفرس الذين كانوا يقرضون الشعر باللغة الفارسية ^(١٠٨).

ومن خلال ما سبق: يظهر أن العنصر الفارسي كان مهماً منذ دخول الإسلام، فقد كانت الإمارة والوظائف العليا في الدولة وأصحاب القرار بيد العرب، إلا أن الأحوال قد تغيرت في عهد الدول المستقلة، حيث أصبح العنصر الفارسي صاحب الإدارة العليا في البلاد، ولكن التوازن كان ظاهراً بين العناصر الموجودة، والولاء التام للخلافة العباسية.

العنصر العربي: يعد العرب هم العنصر الثاني من عناصر السكان في أسفرايين، منذ بداية الفتح الإسلامي، فقد قامت على أكتافهم أمور جسام، حيث كان يتوجب عليهم تعليم أهل أسفرايين الإسلام، وهو الأمر الذي دفعهم للخروج من شبه الجزيرة العربية، وساعدهم على ذلك الوازع الديني عند الأهالي، فتعلم اللغة العربية عندهم ضرورة يتعبدون بها ويقرؤون القرآن الكريم، وأكد على ذلك "ابن رسته" حيث قال: إن الأهالي أخلط من العرب والعجم ^(١٠٩)، وما هي إلا سنوات قليلة، وتحول المجتمع إلى مجتمع عربي اللسان عربي الثقافة، فصنفت الكتب باللغة العربية في جميع العلوم والمعارف ^(١١٠)، وساعد على انتشار الإسلام في أسفرايين بخاصة وخراسان بعامة: أن أغلب الذين تولوا إمارة خراسان، طوال عصر الراشدين والأمويين، كانوا عرباً، أما في العصر العباسي فقد اشترك مع العرب الفرس، حتى قيام الدولة الطاهرية

٢٠٥م/٨٢٠م، فمنذ استقلال الدولة الطاهرية أصبحت أمور الحكم بيد العنصر الفارسي^(١١١)، وتفاعل العرب مع أهالي البلاد الأصليين وهم من الفرس، واندمجوا معهم وقلدوهم وشاركوهم في الاحتفال بأعيادهم الفارسية، وهذه هي طبيعة العربي أينما حط: يتفاعل مع المجتمع الذي يعيش فيه، فالجنود العرب في خراسان كانوا يتكلمون اللغة الفارسية بقدر ما يتكلمون العربية^(١١٢).

ولعل أكبر دليل على تفاعل العنصر العربي، والدور البارز الذي قام به في المجتمع الأسفراييني: الحركة العلمية التي نبتت في أسفرايين، والمؤلفات القيمة التي ألفها علماء أسفرايين في مختلف المجالات، والتي لم تتوقف عند حدود أسفرايين، بل أثرت في العالم الإسلامي ككل^(١١٣).

طبقات المجتمع: التعاون في الأشكال والأرزاق من مقتضيات سنن أي مجتمع من المجتمعات، لا بد وأن ينقسم إلى طبقات، كل طبقة من هذه الطبقات لها عادات وتقاليد تختلف عن عادات وتقاليد الطبقة الأخرى، فالمجتمع الأسفراييني ليس عن هذا بعيد، فقد ضم العديد من الطبقات، وهي :

طبقة الدهاقين:^(١١٤) كانوا على رأس الطبقات الاجتماعية في أسفرايين، وهم ملاك الأراضي الزراعية، والظاهر أنه كان على رأس رستاق أسفرايين حاكم لإقرار الأمور في أسفرايين، كغيرها من رساتيق نيسابور، والعجيب أن كتب التاريخ والتراجم لم تتكلم عن حكام أسفرايين، وليس معنى ذلك أن يهمل الأمر ولا يذكر، بل لا بد من الإشارة، وإن كان قد ضعف نفوذهم السياسي، إلا أنهم احتفظوا لأنفسهم بوضع اجتماعي خاص بصفتهم من الاقطاعيين، وفي نفس الوقت ممثلون للحكومة في جمع وتحصيل الضرائب المختلفة من المزارعين وصغار الملاك^(١١٥)، واتسمت عيشتهم بالنعومة والترف بسبب الغنى والثراء الفاحش.

طبقة العلماء: كان لهذه الطبقة دورها البارز في مجتمع أسفراييني، فقد عرف لهذه الطبقة دورها العظيم، ليس في أسفرايين فحسب، بل في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، بل كانوا قلبه النابض ولسانه المعبر، فلم ينفصل العلماء عن المجتمع، وهذا الذي أقره وحث عليه الإسلام^(١١٦).

فعلماء أسفرايين ظهر صداهم في العالم الإسلامي ككل، فكانوا يجوبون العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه، بحثا عن العلم، يعلمون ويتعلمون، وتعقد لهم المجالس العلمية، ويعودون

إلى أسفرايين فينعكس ذلك على المجتمع، ودليل ذلك أن أسفرايين كانت على المذهب الحنفي، ثم تحولت إلى المذهب الشافعي^(١١٧)، وخرج من هذه الطائفة الفقهاء والقضاة.

طبقة التجار: تعد طبقة التجار من أهم الطبقات في المجتمع الاسفراييني، فقد استطاع التجار أن يحققوا مكاسب مالية من خلال بيعهم للمواد الاستهلاكية، لسد حاجات الناس اليومية، ومن ثم أصبحت لهم علاقة بالأسواق^(١١٨)، ولم يقتصر تجار اسفرايين على العمل التجاري داخل اسفرايين فحسب، بل خرجوا بتجارتهن إلى مدن خراسان، وغيرها، مما أكسبهم ثراءً، وجعل عيشتهن مترفة، وليس هذا مقصوراً على كبار التجار، بل كان أيضاً صغار التجار يتمتعون بكل ضرورات الحياة، كما كان لبعض التجار ثقافة عالية استمدوها من اختلاطهم بالعلماء^(١١٩)، وبذلك استطاعت طبقة التجار أن تكون لها مكانة مرموقة في المجتمع الاسفراييني، خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين.

طبقة الزراع: الزراع هم عامة المجتمع الأسفراييني، وكانوا يسكنون أسفرايين والقرى التابعة لها، وقد اهتمت الدولة الإسلامية بعد الفتح بالقرى الفارسية عموماً، وبالزراعة وبحال الفلاح، لأن تقدم الزراعة مرهون بالفلاح^(١٢٠)، أما عن وضع الفلاح في أسفرايين: فكان يعمل إما في أملاكه الخاصة أو عند كبار الملاك في أراضيهم^(١٢١)، فكان الفلاحون يتعرضون لحياة قاسية شاقة في زراعة الأرض وربها، بالإضافة إلى أداء الضريبة القاسية التي ربما لا تبقى لهم ما يكفيهم، أضف إلى ذلك: ما يتعرضون له من قسوة عمال الخراج في جباية ضريبة الأرض، والدولة لا تعنى بمشاكلهم، وظلوا على هذا الوضع إلى نهاية القرن الثاني الهجري^(١٢٢)، ولكن مع بداية القرن الثالث الهجري، وفي بعض الفترات منه أثناء حكم الدولة الطاهرية، كان يختلف الوضع تماماً، حيث تحسنت أوضاع الفلاح، وازداد هذا التحسن في عهد الدولة السامانية، فقد ظهر رخاء الفلاح، وبين ذلك ابن حوقل حيث قال: السامانيون لا يرهقون عمالهم في خراسان، وأسفرايين رستاق نفيس من رساتيق نيسابور التابع لخراسان^(١٢٣).

خامساً: الحياة الثقافية:

وفي ميدان العلم برزت مكانة أسفرايين بوضوح، في مختلف فروعه، فكانت ملجأ لكثير من العلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وهذا ما أقر به السمعاني، حيث قال واصفاً أسفرايين: خرج منها جماعة من العلماء في كل فن قديماً وحديثاً.^(١٢٤)

وقال في موضع آخر: كان منها جماعة من العلماء عددهم يفوت الإحصاء^(١٢٥).

وقال ياقوت في وصف أسفرايين: وينسب إليها خلق كثير من أعيان الأئمة^(١٢٦).

وساعد أيضاً على تطور العلم: تنقل علماء أسفرايين بين أرجاء العالم الواسعة، طلباً للعلم والمعرفة، فطافوا في ديار الإسلام حيث الدراسة وطلب العلم، وقام البعض منهم بالتدريس، أما عن أماكن ودور العلم في أسفرايين فتدور بين المسجد، والكتاب، فهما رافدان من الروافد الهامة للعلم في أسفرايين، وفي الأسطر التالية سنتحدث عن كليهما بإيجاز:

الكتاتيب: بدأت الكتاتيب في أسفرايين كمرحلة علمية، قبل الجلوس في حلقات العلم في المسجد، وكان التعليم فيها يقوم على حفظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ الدين الإسلامي، ومبادئ القراءة والكتابة^(١٢٧)، وكانت عادة الكتاتيب أن تبدأ يومها الدراسي في الصباح الباكر، ويستمر حتى الظهر، وبعدها يذهب الأولاد إلى منازلهم لتناول الغداء، ثم يعودون بعد ذلك لمواصلة الدرس إلى صلاة العصر، وينتهي اليوم الدراسي^(١٢٨). ولم تبين المصادر أسماء الكتاتيب التي كانت موجودة في أسفرايين ولا أماكنها.

المساجد: ترجع أهمية المسجد إلى بداية الدعوة الإسلامية، فهو مصلى المسلمين ومدرستهم، فكان المسجد مركز الخطبة والدعاء للأمراء، ابتداء من الخليفة، وفي عهد الدولة العباسية أصبح موطن الدعاء للخليفة العباسي وأمراء الدول المستقلة^(١٢٩)، فكان المسجد، بالإضافة إلى أنه مؤسسة دينية - يكثر فيه حلقات العلم، فهو شبيه بالجامعة في الوقت الحاضر، فكان العلماء سواء من أسفرايين أو غيرها، تعقد لهم حلقات العلم في المسجد، فينهل طلاب العلم من علومهم في تلك الحلقات^(١٣٠)، وقد شجعت الدولة الإسلامية على العلم، واتسمت أسفرايين بالنقد العلمي فسادت فيها حركة علمية منقطعة النظير، لدرجة أن الثعالبي: (يصفها بأوصاف عظيمة فيقول عن طبقة أسفرايين: سقت إلى بحارهم السفائن، فعاب من

محاسنها ما شئت أن تعالين، تجدها أملاء الأفكار والسرائر، طلاع الأبصار والطلائع).^(١٣١) وأيضا هي مخصوصة بإخراج الأفراد كأئوشروان، والذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: (ولدت في زمن الملك العادل) فهو أفضل ملوك العجم وأعدلهم بالإجماع، وإن كانت لأرشيير فضيلة سبق. ومسقط رأس أنوشروان مشهور بإسفرائين^(١٣٢).

وكان نتيجة هذه الجهود المتواصلة أن برز علماء أسفرايين في الحركة العلمية، من خلال ما قاموا به من تأليف الكتب في مختلف العلوم، كعلم الحديث، وعلم اللغة والأدب، وعلم الفقه، وسنن في الأسطر التالية كل علم على حده:

علم الحديث: هو أحد العلوم التي تفردت بها الأمة الإسلامية. وهو منهج لتحديد صحة الأحاديث، والآثار المروية عن النبي محمد عليه الصلاة والسلام أو الصحابة. ويقوم بتقسيمها إلى الصحيح أو الحسن أو الضعيف أو الموضوع. ويدور العلم على دراسة أقوال النبي محمد أو الصحابي أو التابعي، والأفعال والتقريرات والصفات وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها، فهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، ولذا فقد اهتم به علماء المسلمين ومنهم علماء أسفرايين وفيما يلي ذكر بعض أعلام المحدثين في أسفرايين حسب مكانتهم وإنتاجهم العلمي :

• رجاء بن السندي، أبو محمد الأسفراييني: (ت ٢٢١ - ٨٤١ م) من كبار أصحاب الحديث، لكنه مات قبل أن ينتشر ذكره. وقد حدث عن أيوب بن النجار، وأبي خالد الأحمر، وعبد الله بن وهب، وطائفة كبيرة.

وحدث عنه: أحمد بن حنبل، وأبو عبد الله البخاري، ومحمد بن محمد بن رجاء بن السندي حفيده، وجماعة، وليس له شيء في الكتب الستة. ، وقال أبو حاتم: صدوق، كتبت عنه. ^(١٣٣) وذكره السمعاني عازيا إياه إلى علماء تلك الناحية بقوله: كان منها جماعة من العلماء يفوت الإحصاء ولو لم يكن غير رجاء بن السندي وبنيه وأعقابهم فإن فيهم كثرة. ^(١٣٤)

• رجاء بن السندي النيسابوري أبو محمد الأسفراييني (ت ٢٢١ هـ / ٨٤١ م): جد أبي بكر محمد بن محمد بن رجاء من علماء الحديث، روى عن الكثير منهم، فقد روى عن أبي بكر بن عياش، وابن المبارك، وابن عيينة، وابن إدريس، وحفص بن غياث

وغيرهم، والبخاري فيما ذكر صاحب الكمال، قال المزي: ولم أجد له ذكرا في الصحيح، وحفيده أبو بكر محمد بن رجاء، وابن أبي الدنيا، وجعفر بن محمد بن شاكر الصائغ، وروى عنه من أقرانه أحمد بن حنبل، وإبراهيم بن موسى الرازي، وبكر بن خلف ختن المقرئ. قال أبو حاتم: صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحاكم: ركن من أركان الحديث، وفي أعقابه حفاظ محدثون، وقال بكر بن خلف: ما رأيت أفصح منه، وقال أبو بكر: توفي في شوال سنة "٢٢١". قلت وممن روى عنه أيضا: أبو حاتم، والجوزجاني، ذكره الحاكم. وروى عنه: أحمد وابن أبي الدنيا وآخرون، وأورده النباني فقال قال: أحمد بن حنبل قد كتبت عنه ببغداد، وبلغني عنه شيء ولم يصح عنه، بعد ذكره البستي، وثقه أبو حاتم وغيره، وقيل إن البخاري روى عنه (١٣٥).

• عبد الله بن محمد بن مسلم الحافظ الحجة المجود أبو بكر الأسفراييني (٢٣٩ - ٣١٨ هـ/٨٤٢-٩٢١ م): الإمام الحافظ الناقد المتقن الأوحد، أبو بكر، عبد الله بن محمد بن مسلم الأسفراييني، ويقال له: الجوريزي أحد الرحالين، وجمع وصنف. ولد سنة تسع وثلاثين ومئتين، ومات في سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة، أرخه الحاكم أبو عبد الله وقال: هو ختن بديل الأسفراييني، من الأثبات المجودين في أقطار الأرض. سمع: يونس بن عبد الأعلى، والحسن بن محمد الزعفراني، ومحمد بن يحيى، وأبا زرعة، والعباس بن الوليد البيروتي، وأبا بكر الصغاني، وطبقته. وحدث عنه: أبو عبد الله بن الأخرم، وأبو علي النيسابوري، وأبو أحمد الحاكم، وأبو طاهر محمد بن الفضل بن خزيمة، وأبو أحمد بن عدي، وأبو بكر بن مهران المقرئ، وآخرون. ولقي بمنجج حاجب بن سليمان. وجمع وصنف. ووصف بأنه: لين الحديث (١٣٦).

• الخوشي الإمام الحافظ البارع، شيخ خراسان، أبو عبد الله، محمد بن أسد الأسفراييني (ت ٢٣٠ هـ/٨٥٠ م): الخوشي بواو. ويقال: الخشي. أحد الأعلام إمام، رجال، سمع: الفضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك، وسفيان بن عيينة، وبقيّة بن الوليد، وإسماعيل بن عليّة، والوليد بن مسلم، ومروان بن معاوية الفزاري، وطبقته.

وحدث عنه: أبو حاتم الرازي، وإبراهيم الحربي، وأبو أحمد محمد بن عبد الوهاب، ومحمد بن إسحاق الصاغانى، وأبو محمد الدارمي، ويحيى بن الذهلي، وأبو ليبيد محمد بن إدريس السرخسي، وآخرون.

قال ابن أبي حاتم: سمع منه أبي بمكة في سنة ست عشرة ومئتين، وسئل عنه، فقال: مصنف صدوق، وقال أبو أحمد الحاكم: كان أحد أركان الحديث، ولما بلغ إسحاق بن راهويه موته، دخل على بن طاهر الأمير، فقال: أجرك الله في نصف خراسان. وقال الخطيب وغيره: كان ثقة جيد الفهم، وقال أبو عوانة الحافظ: كتبوا عنه ببغداد وله خمس وعشرون سنة، قلت: مات بعيد سنة ثلاثين ومئتين أو فيها. (١٣٧)

• أبو بكر محمد بن عبد الله بن مهدي المهرجاني النيسابوري، نسبة إلى مهرجان ومهرجان كما بينا سابقا قرية من قرى اسفرايين، سمع محمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن رجاء، وعمر بن شبة، وأبا سعيد الأشج وغيرهم، روى عنه أبو علي الحافظ وغيره (١٣٨)، ولم تذكر المصادر سنة مولده ووفاته، والدليل على أنه في فترة الدراسة: ذكر سابقا أنه سمع محمد بن يحيى الذهلي، وقد توفي الذهلي سنة ٢٥٨ هـ / ٨٧٨ م (١٣٩).

• أبو عبد الله محمد بن يحيى بن موسى الإسفرايني (ت ٢٥٩ هـ / ٨٧٩ م): الحافظ المجود، يلقب حيويه من علماء الحديث، سمع أبا اليمان، وأبا جعفر محمد بن الصلت، روى عنه ابن خزيمة، وأبو حامد بن الشرقي، قرأت على أبي القاسم زاهر بن طاهر عن أبي بكر البيهقي: أنا أبو عبد الله الحافظ، قال سمعت أبا محمد عبد الله بن أحمد بن سعد الحافظ البزار، وهو عندي حجة ثبت، كان أهل اسفرايين إذا ذكرنا محمد بن يحيى يقاتلوننا بمحمد بن حيوية، لفضله ونبله وكثرة حديثه، روى عن خلق. وكان الحافظ أبو عوانة يفتخر به، يقول: محمد بن يحيانا، ومحمد ابن يحياكم يعني: الذهلي، وقيل: إن حيويه لقب لأبيه يحيى. مات أبو عبد الله الأسفرايني يوم التروية من ذي الحجة سنة تسع وخمسين ومئتين عن نيف وسبعين سنة. (١٤٠)

• محمد بن يحيى الأسفرايني الحافظ، محدث اسفرايين، تخرج الحافظ أبو عوانة على يديه توفي سنة ٢٥٩ هـ. (١٤١).

• مذكور بن سليمان أبو نصر القصباني المخزومي (٢٦٣هـ/٨٨٣م): حدث عن خالد بن مخلد، وزكريا بن عدي، روى عنه محمد بن مخلد الدوري، وعبد الله بن محمد بن مسلم الأسفراييني، ذكر محمد بن مخلد فيما قرأت بخطه: أن مذكور بن سليمان مات في صفر سنة ثلاث وستين ومئتين (١٤٢).

• أبو يعقوب الأسفراييني (ت ٢٨٤هـ/٩٠٤م): هو إسحاق بن أبي عمران الإمام، الفقيه، سمع: بخراسان: قتيبة بن سعيد، وإبراهيم بن يوسف، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن حجر وأقرانهم، وبالجبالي: محمد بن مقاتل، وابن أحمد وطائفة، وببغداد: منصور بن أبي مزاحم، ومحمد بن بكار، وعبيد الله القواريري، وأحمد بن عمران الأخنسي، وأبا مسلم الواقدي، وبالبصرة: عبد الأعلى بن حماد النرسي، وعبد الله بن معاوية، وبندارا، وأبا موسى، وبالكوفة: عثمان بن أبي شيبة وأخاه القاسم، وجبارة بن المغلس وأبا كريب، وعبد الله بن عمر بن أبان. وبالحجاز: إبراهيم بن محمد الشافعي، وإبراهيم بن المنذر، وأبا مصعب، ويعقوب بن حميد، وعدة، وبالشام: هشام بن عمار، ودحيما، وأحمد بن أبي الحواري، وطبقتهم. وبمصر: محمد بن ربح، وعيسى بن حماد، وحرملة، وأبا الطاهر بن السرح، وطبقتهم.

وحدث عنه: أبو عمرو الحيري، وأبو عوانة الأسفراييني، ومؤمل بن الحسن، ومحمد بن عبدك وغيرهم، وأبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني. قال الحافظ: شيخ خراسان، وقال الحاكم: هو أحد أئمة الشافعية، والرحالة في طلب الحديث، من رستاق أسفرايين، تفقه عند أبي إبراهيم المزني، وكتب الحديث بخراسان والعراق والحجاز ومصر والشام. قال: وله مصنفات كثيرة. توفي أبو يعقوب الأسفراييني بها، في شهر رمضان، سنة أربع وثمانين ومئتين، وعاش ابن أبي عمران هذا نحواً من سبعين سنة، وكان من الأئمة الإثبات (١٤٣).

• محمد بن محمد بن رجاء بن السندي (ت ٢٨٦هـ/٨٩٩م): الإمام، الحافظ، أبو بكر الأسفراييني، مصنف "الصحيح" المخرج على كتاب مسلم. . كان كثير الترحال، وبرع في هذا الشأن. حدث عنه: الحافظ أبو عوانة، وآخرون. ذكره الحاكم، فقال: كان ديناً، ثباً، مقدماً في عصره، سمع من جده رجاء بن السندي ... ثم سمى طائفة، قال بشر بن أحمد الأسفراييني: مات أبو بكر في سنة ست وثمانين ومئتين، وكان من أبناء الثمانين. (١٤٤)

• محمد بن رجاء بن السندي (ت ٢٩٠/٩٢٠م): أبو عبيد الله النيسابوري والد محمد بن محمد، وهو من أسفريين رستاق نيسابور، قدم بغداد حاجا وحدث بها، فروى عنه من أهلها أبو بكر بن أبي الدنيا القرشي، وأحمد بن بشر المرثدي. كان الحافظ يقول: رجاء بن السندي وابنه أبو عبد الله وابنه أبو بكر ثلاثتهم ثقات إثبات، سئل عنه الدار قطني فقال: هو خراساني ثقة حافظ وهو وأبوه ثقة. (١٤٥).

• أبو الفضل العباس بن إبراهيم بن العباس الكوراني: (ت ٣٠٠/٩٢٠م): الكوراني بضم أولها وسكون الواو وفتح الراء وبعد الألف نون، هذه النسبة إلى "كوران" من قرى أسفريين، من علماء الحديث، كان يروي عن محمد بن حيوة الأسفرييني وغيرهما، روى عنه أبو الحسين محمد ابن محمد بن يعقوب الحجاجي وغيره، وتوفي في حدود الثلاثمئة (١٤٦).

• الميشجاني: (ت ٣٠٠/٩٢٠م) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين النيسابوري الميشجاني، نسبة إلى ميشگان، فعرب فقيلا «ميشجان»، على طريق أسفريين، من أهل نيسابور، سمع أبا قدامة السرخسي، ومحمد بن رافع، وإسحاق ابن منصور، وعلي بن سلمة اللبكي، وهو راوية محمد بن يحيى الزهري، روى عنه أبو علي الحافظ ومحمد بن صالح بن هاني، قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ: وقد نظرت في جملة من أصوله فوجدتها أصول ضابط متقن محصل، وتوفي سنة تسع وثلاثمئة (١٤٧).

• أبو عوانة (ت ٣١٦/٩٣٦م): الإمام الحافظ الكبير الجوال، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد النيسابوري الأصل، الأسفرييني، فهو من أكابر حفاظ الحديث. كما كان فقهيا نعتة ياقوت بأحد حفاظ الدنيا. طاف الشام ومصر والعراق والحجاز والجزيرة واليمن وبلاد فارس، في طلب الحديث، واستقر في أسفريين فتوفي بها، صاحب "المسند الصحيح" الذي خرجه على "صحيح مسلم" وزاد أحاديث قليلة في أواخر الأبواب. لم تحدد سنة ولادته فقيلا: سمع من الكثيرين، منهم: يونس بن عبد الأعلى، وعلي بن حرب الطائي، ومحمد بن يحيى الذهلي، وأحمد بن عبد الرحمن بن وهب، وشعيب بن حرب الضبيعي، وزكريا بن يحيى بن أسد المروزي، وسعد بن مسعود المروزي، وسعدان بن نصر، وعمر بن شبة، وعيسى بن أحمد البلخي، وعلي بن إشكاب، وعبد السلام بن أبي

فروة النصيبي -صاحباً لابن عيينة- وعطية بن بقية بن الوليد، وأبا ثور عمرو بن سعد بن عمرو الشعباني -صاحباً لابن وهب- ومحمد بن سليمان بن بنت مطر، وأبا زرعة الرازي، وأبا جعفر بن المنادي، ومحمد بن عقيل النيسابوري، ومحمد بن إسماعيل الأحمسي، ومحمد بن عبد الله بن ميمون الإسكندراني، وموسى بن نصر الرازي، وأبا سلمة المسلم بن محمد بن المسلم بن عفان الصنعاني الفقيه.

وحدث عنه الكثيرون منهم: أحمد بن علي الرازي الحافظ، وأبو علي النيسابوري الحافظ، ويحيى بن منصور، وسليمان بن أحمد الطبراني، وأبو أحمد بن عدي، وأبو بكر الإسماعيلي، وحسين بن علي التميمي، وولده؛ أبو مصعب محمد بن أبي عوانة، وأبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي، وجماعة، خاتمتهم: ابن أخته أبو نعيم عبد الملك بن الحسن. مولده بعد الثلاثين ومئتين، قال أبو عبد الله الحاكم: أبو عوانة من علماء الحديث وأثبتهم، سمعت ابنه محمداً يقول: إنه توفي سنة ست عشرة ثلاثمائة. وقيل: بني على قبر أبي عوانة مشهد بأسفرايين يزار، على يسار الداخل من باب نيسابور، وكان رحمه الله أول من أدخل إلى أسفرايين مذهب الشافعي. ^(١٤٨) قبر أبي عوانة بأسفرايين مزار العالم، ومتبرك الخلق، ^(١٤٩) وهذا وصف حال العوام وصنيعهم، وإن كانت وفاته في القرن الرابع الهجري، إلا أن أغلب حياته كانت في القرن الثالث الهجري، ولذا فقد ذكرناه هنا.

• بدل بن محمد بن أسد الحوشي الأسفراييني، سمع أباه وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وبشر بن عبد الملك البصري، روى عنه أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ الأسفراييني ^(١٥٠) لم تذكر المصادر سنة مولده ولا وفاته، وإنما الذي يظهر أنه في فترة الدراسة، والدليل على ذلك ما قيل أن أبا عوانة روى عنه، أي أنه كانت وفاته قبل أبي عوانة، ومن الممكن أن يكون عاصره أو يكون قد توفي قبل وفاة أبي عوانة .

• أبو بكر عبد الله بن محمد بن مسلم الأسفراييني: (ت ٣١٨ هـ / ٩٣٨ م) الحافظ المصنف، توفي وله ثمانون سنة. روى عن الحسن بن محمد الزعفراني، وطبقتهما ورحل الكثير، وكان ثبناً مجوداً ^(١٥١).

• محمد بن شريك بن محمد أبو بكر الأسفراييني (ت ٣٢٦هـ/٩٤٦م): من الثقات في علم الحديث، كان كثير الترحال، فقد رحل إلى بغداد ومكة والبصرة، سمع: الحسين بن الفضل البجلي، وطبقته بنيسابور. وورد بغداد، فكتب بها عن: الحارث بن أبي أسامة ونحوه، وخرج إلى البصرة فسمع بها من: إبراهيم بن فهد الساجي وأقرانه. وحج فكتب بمكة عن محمد بن علي بن زيد الصائغ، وكان يكثر المقام بنيسابور، وقدم بغداد وحدث بها، فروى عنه من أهلها: أبو الحسين بن البواب المقرئ. وكان كثير المقام في نيسابور، توفي ليلة الأحد لخمس وعشرين خلت من المحرم سنة ست وعشرين وثلاثمائة، قلت وكانت وفاته بنيسابور، وحمل إلى أسفرايين فدفن بها. (١٥٢)

إن الناظر فيما سبق: يجد براعة علماء أسفرايين في مجال الحديث النبوي الشريف، فقد رحلوا في مشارق العالم الإسلامي ومغاريه، واستقوا من العلماء وأخذوا عنهم حتى صاروا من الثقات، في علم الحديث، مما دفع طلاب العلم إلى السعي إليهم، والأخذ عنهم، والرواية عنهم، وظهر ذلك من خلال ما قاموا به من تأليف الكتب والمصادر التي أثرت المكتبة العلمية بنفائس الكتب، وبالتالي فكان لعلماء أسفرايين السبق في مجال العلوم المختلفة.

الفقه: يعرف العلماء الفقه بأنه العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، لتحصيل السعادة الأخروية^(١٥٣)، ويعد المذهبان الحنفي والشافعي أكثر المذاهب انتشارا في المشرق الإسلامي، فكانت أسفرايين في البداية على المذهب الحنفي إلى أن أدخل أبو عوانة المذهب الشافعي^(١٥٤)، ولعل السبب في قبول أهل أسفرايين للمذهب الشافعي يرجع إلى ما قاله بعض فقهاء الشافعية: إنهم اتبعوا المذهب الشافعي دون غيره، لأنهم وجدوا قوله أصح الأقوال وليس تقليدا له^(١٥٥)، وكان في أسفرايين بعض الفقهاء منهم:

• أبو عوانة الإمام الحافظ الكبير الجوال، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد النيسابوري الاصل، الأسفراييني، من أكابر حفاظ الحديث سبق الحديث عنه في الجزء الخاص من الحديث في هذه الدراسة، كما كان فقهيا ذهب إلى مصر ليأخذ المذهب الشافعي من الربيع بن سليمان المرادي والمزني، ثم عاد إلى أسفرايين، وكان أول من أدخل المذهب الشافعي لأسفرايين، سبق الحديث عنه في القسم الخاص بعلم الحديث ص ١٢^(١٥٦).

علم اللغة والأدب: انتشرت علوم اللغة العربية في بلدان المشرق الإسلامي، واهتموا بها بالغ الاهتمام، وذلك لاتصالها بعلوم القرآن الكريم، وانخرط بعض علماء اسفرايين في التعرف عليها، وكان البعض منهم اهتم بها وبرز فيها ومن هؤلاء العلماء (١٥٧).

• أبو يعقوب الأسفراييني (ت ٢٨٤هـ/٩٠٤م): هو إسحاق بن أبي عمران الإمام، الفقيه، الحافظ، شيخ خراسان. قال الحاكم: هو أحد أئمة الشافعية، تفقه عند أبي إبراهيم المزني، سبق الحديث عنه في القسم الخاص بعلم الحديث ص ١٣ (١٥٨).

• أحمد بن محمد، بن عبد الله الزردي اللغوي، العلامة النيسابوري، أبو عمر الزردي: (٣٣٨ هـ / ٩٥٨ م) من قرى اسفرايين، ذكره الحاكم، وقال: مات أبو عمرو الزردي في شعبان، سنة ثمان وثلاثين وثلاثمئة، وكان واحدا في هذه الديار في عصره، بلاغة وبراعة، وتقدما في معرفة أصول الأدب، وكان رجلا ضعيف البنية، يركب حمارا ضعيفا، ثم إذ اتكلم، تحير العلماء في براعته، سمع الحديث الكثير من أبي عبد الله محمد ابن المسيب الارغواني، وأبي عوانة يعقوب بن إسحاق، وأقرانهما. قال الحاكم: سمعت الأستاذ أبا عمرو الزردي في منزلنا يقول: إن الله إذا فوض سياسة خلقه إلى واحد يخصه لها منهم، وفقه لسداد السيرة، وأعانه بالهامه، من حيث رحمته تسع كل شيء، ولمثل ذلك، كان يقول ابن المقفع: تفقدوا كلام ملوككم، إذ هم موفقون للحكمة، ميسرون للإجابة، فإن لم تحظ به عقولكم في الحال، فإن تحت كلامهم حيات فواغر، وبدائع جواهر، وكان بعضهم يقول: ليس لكلام سبيل أولى من قبول ذلك، فإن ألسنتهم ميازيب الحكمة والإصابة. قال: وسمعت أبا عمر الزردي يقول: العلم علمان: علم مسموع، وعلم ممنوح. (١٥٩)

ومما تقدم يظهر دور علماء اسفرايين في إثراء الحياة الثقافية، وإسهاماتهم في بناء الحضارة الإسلامية، تلك الحضارة التي ازدهرت واشتهرت بكثرة علمائها الذين قدموا للإنسانية منافع وعلوم كثيرة، فقد تميزوا بوفرة إنتاجهم الحضاري، فكان منهم، كما سبق: المحدث والفقيه واللغوي .

الخاتمة

أثبتت الدراسة أن رستاق اسفرايين من المدن الهامة في نيسابور بخاصة، وفي خراسان بعامه، وقد استطاعت كغيرها من مدن خراسان مساندة الدولة العباسية، ودانت لها بالولاء، ولكن تغير الحال بعد تولي الدول المستقلة حكم خراسان، فانتعشت أسفرايين وزاد الاهتمام بها، وخصوصا أن الطاهريين جعلوا من نيسابور عاصمة لهم. وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج المتعلقة بمدينة أسفرايين محل الدراسة، لعل من أهمها ما يلي:

- موقعها الجغرافي وتوسطها، حيث كانت لؤلؤة في نيسابور وخراسان.
- ازدهار النشاط الزراعي في اسفرايين بسبب خصوبة الأرض ووفرة المياه.
- تقدمت الصناعة في اسفرايين أثناء فترة الدراسة، ومن أهم الصناعات بها: صناعة الأواني الصفرية.
- تنوع عناصر سكانها، وتعدد طبقاتهم، وتناغمهم في آنٍ واحدٍ.
- نبغ العديد من أبناء اسفرايين في مختلف العلوم، وخاصة علوم الحديث والفقه واللغة والأدب.

وفي نهاية المطاف: يوصي الباحث بضرورة البحث والتنقيب في المخطوطات والوثائق الفارسية وغيرها، بغية الحصول على مخطوطات تسد الثغرة العلمية التاريخية الناتجة عن ندرة المصادر التي عُنيت بهذه المدينة.

الحواشي

- ^١ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) : تاج العروس من جواهر القاموس المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية بدون تاريخ . ٣٤٣/٢٥ - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) : لسان العرب الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ - ١١٦/١ - أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ١٤٨١/٤.
- ^٢ تاج العروس ٤٢١/٤.
- ^٣ لسان العرب ١١٦/١٠.
- ^٤ تاج العروس ٢٥٩/٣٥.
- ^٥ أسفرلين بالفتح ثم السكون وفتح الفاء وراء وألف وباء مكسورة وياء أخرى ساكنة ونون بليدة : ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله : معجم البلدان الناشر : دار الفكر بيروت ١ / ١٧٧ - ١٧٨ - ٢٤٦ - عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ) : الأنساب تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليمني وغيره الناشر : مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م ٢٢٣/١ - ٢٤٦ - أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري ٥٥٥ هـ / ٦٣٠ : اللباب في تهذيب الأنساب دار صادر بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ١ / ٥٥ - أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (المتوفى: بعد ٢٩٢هـ) : البلدان الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ ص ٢٧٨ - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) : سير أعلام النبلاء تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ١٣ / ١٥٧ . - خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي النمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) : الأعلام الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م ١ / ٣٠٤٧ - من الظاهر أن أغلب كتب الترجمة والطبقات والبلدان واللغة قد كتبها بالطريقة السابقة إلا أن البعض اختلط عليهم الأمر فكتبوها مرة أسفرلين ومرة ثانية أسفرلين ومرة ثالثة أسفرلين ومن المؤلفين الذين كتبوها بهذه الطريقة على سبيل المثال لا الحصر الذهبي في كتابة تاريخ الإسلام فقد كتبها بالألفاظ الثلاث فكتبها أسفرلين ٢٢٢/٢٧ وكتبها أسفرلين في ١٧ / ٣١٩ وكتبها أسفرلين في ١٧ / ٣١٩ أما الزركلي فقد كتبها أيضا بالألفاظ الثلاثة فأسفرلين في ١ / ٦١ وأسفرلين في ٤ / ٤٨ وأسفرلين في ١ / ٦٥ وأيضا السمعاني في كتابه الأنساب فقد كتبها أسفرلين ١ / ٢٢٣ وكتبها أسفرلين ٦ / ٢٨٠ وأسفرلين في ١ / ٦٥ وليس هذا بإحصاء وإنما ما توفر لدينا من مصادر ونكرنا ذلك على سبيل المثال لا الحصر.
- ^٦ أما أسفرلين بالهمزة على ياء بدل الياء فقط فقد وردت في المصادر التالية أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ): المختصر في أخبار البشر الناشر: المطبعة الحسينية المصرية الطبعة: الأولى ١٤٥/٢ - شمس الدين أبو

عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تحقيق : عمر عبد السلام التدمري الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ٣١٩/١٧ - أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) : تلخيص تاريخ نيسابور تلخيص: أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد المعروف بالخليفة النيسابوري الناشر: كتابخانه ابن سينا - طهران عربه عن الفارسية: د/ بهمن كريمي . طهران : ٥٨/١ - عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر تحقيق: د. مفيد محمد قمحية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ٥٠٤ - شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) : معجم الأبناء المحقق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م ١/٤٦٣ - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) : ميزان الاعتدال في نقد الرجال تحقيق: علي محمد البجاوي الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م ٤٥/٢ - السمعاني : الأنساب ٦/ ٢٨٠ - أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (المتوفى: ٣٤٦هـ) : : المسالك والممالك الناشر: دار صادر، بيروت ٢٠٠٤ م ٢/٧ - أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، زين الدين (المتوفى: ٥٨٤هـ) : الأماكن ما اتفق لفظه واقترب مسماه تحقيق: حمد بن محمد الجاسر : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر: ١٤١٥ هـ ١/ ٣٥٢ - مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون مكتبة المثنى - بغداد ١٩٤١م ٢/ ١٨٤٥ وقد اختلط على المؤلفين بين كتابتها اسفرائين واسفرائين حيث كتبها الحاكم في كتابه تلخيص تاريخ نيسابور ١/ ٥٨ وكتبها اسفرائين ٦/ ٢٥٢. ٢٥- وأيضا ياقوت الحموي في كتابه معجم الأبناء كتبها اسفرائين ١/ ٤٦٣ وكتبها اسفرائين ٦/ ٢٥٢. ٧ أما اسفرائين بحذف الياء ويقاء ياء واحدة فقط فقد كتبت في بعض المصادر مثل : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا : دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ١٨/ ٣٦ - الذهبي : تاريخ الإسلام ٢٦/ ٣٥٥، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) : البداية والنهاية : دار الفكر ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م ١٢/ ٣٠ - عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ) : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر تحقيق: خليل شحادة : دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ١/ ٨٠ - يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ) : النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة : وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر ٢٢٨/٣ - أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) : تاريخ دمشق تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : ١٤١٥ هـ -

١٩٩٥ م ٥/ ١٩٩ - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت ١/ ٢٨ - الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥٢١/١٢ - تاج الدين عبد الوهاب بن نقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) : طبقات الشافعية الكبرى المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ ٤/ ٢٥٧ - أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) : لسان الميزان المحقق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: دار البشائر الإسلامية الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م ٣/ ٢٦٩ - أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ) : صحيح الأعشى في صناعة الأنشاء الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ٤/ ٣٩٠ - ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب ١/ ٥٥ - أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم دار صادر، بيروت ١/ ٢٩٥ - مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) : القاموس المحيط تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ١/ ٨٨١ - علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب البخاري، أبو الحسن (المتوفى: ٤٦٧هـ) : دمية القصر وعصرة أهل العصر الناشر: دار الجبل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ ٢/ ١١٦٨.

^٨ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) : لب اللباب في تحرير الأنساب الناشر: دار صادر - بيروت ص ١٣.

^٩ نيسابور: بفتح أوله، والعامية يسمونه نساوور: وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء يقول ياقوت: لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة مثلها، واختلف في تسميتها بهذا الاسم فقال بعضهم: إنما سميت بذلك لأن سابور مر بها وفيها قصب كثير فقال: يصلح أن يكون ههنا مدينة، فقبل لها نيسابور، ومن أسماء نيسابور أبرشهر وبعضهم يقول إيرانشهر، والصحيح أن إيرانشهر هي ما بين جيحون إلى القادسية، وأكثر شرب أهل نيسابور من قني تجري تحت الأرض ينزل إليها في سراديب مهياة لذلك فيوجد الماء تحت الأرض وليس بصادق الحلاوة، وهي كثيرة الفواكه والخيرات، وبها ريباس ليس في الدنيا مثله، وفتحها المسلمون في أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه، على يد الأمير عبد الله بن عامر بن كريز في سنة ٣١ هـ ٦٥١م صلحا وبنى بها جامعا، وقيل إنها فتحت في أيام عمر، رضي الله عنه، على يد الأحنف بن قيس وإنما انتقضت في أيام عثمان وأعيد فتحها . (ياقوت: معجم البلدان ٥/ ٣٣١ .)

^{١٠} خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزناور قسبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وكانت قصبته، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها ويعد ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا، وذلك في سنة ٣١ هـ ٦٥١م في أيام عثمان، رضي الله عنه، بإمارة عبد الله بن عامر ابن كريز، وقد اختلف في تسميتها بذلك، خرج خراسان وهبطل ابنا عالم بن

- سام بن نوح، عليهما السلام، لما تبليت الألسن ببابل فنزل كل واحد منهما في البلد المنسوب إليه، يريد أن هبط نزل في البلد المعروف بالهياطلة، وهو ما وراء نهر جحون، ونزل خراسان في هذه البلاد التي نكرناها دون النهر فسميت كل بقعة بالذي نزلها، وقيل: خر اسم للشمس بالفارسية الدرية وأسان كأنه أصل الشيء ومكانه، وقيل: معناه كل سهلا لأن معنى خر كل وأسان سهل (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢/ ٣٥٠)
- ^{١١} جرجان: مدينة عظيمة مشهورة بقرب طبرستان. بناها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وهي أقل ندى ومطرا من طبرستان، يجري بينهما نهر تجري فيه السفن، بها فولكه الصرود والجروم، وهي بين السهل والجبل والبر والبحر. (زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت: ٦٨٢هـ): آثار البلاد وأخبار العباد الناشر: دار صادر - بيروت ص: ٣٤٨)
- ^{١٢} المرحلة: تساوي (٧- ١٠) فرسخ، والفرسخ يساوي ٦ كيلومتر تقريبا أي أن المرحلة تساوي (٤٢ - ٦٠) كيلو متر تقريبا (حسبال شاکر: رواد الجغرافية العربية، مجلة الاستشراق بغداد ١٩٩٠م العدد ٤ ص ٥١ هامش ٨. وانظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ٢/ ٤٥٣).
- ^{١٣} هو إسفنديار بن وثناسب بن لهراسب بن فنوخي بن كيمنثر بن كيفاشين بن كنيابه بن كيقباد بن زاب بن نودكان بن مايسو بن نوذر بن منوهر الملك، واسمه عامر، ويقال بنيمين بن يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام حكم الارض مدة طويلة من الزمن. فهو أحد ملوك الفرس في العهد الأسطوري (أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي، الشهير بابن فندمه (المتوفى: ٥٦٥هـ): تاريخ بيهقار اقرا، دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ ص ١٣٨).
- ^{١٤} ياقوت الحموي: معجم البلدان ١ / ١٧٧- ١٧٨- ٢٤٦ - السمعاني: الأنساب ١/ ٢٢٣- ٢٤٦- ابن الأثير: اللباب ١/ ٥٥ - اليعقوبي: البلدان ص ٢٧٨ - البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص: ٣٠٠- أبو الفداء: تقويم البلدان ص ٤٤٩- الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٣ / ١٥٧- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية ٣٥ / ١٩١- ١٩٢- الزركلي: الأعلام ١ / ٣٠٤.
- ^{١٥} الرستاق: هو فيما ذكره حمزة بن الحسن مشنق من روده فستا. وروذه اسم للسطر والصف والسماط، وفستا اسم للحال، والمعنى أنه على التسطير والنظام، قلت: الذي عرفناه وشاهدناه في زماننا في بلاد الفرس أنهم يعنون بالرستاق كل موضع فيه مزارع وقرى ولا يقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد، فهو عند الفرس بمنزلة السواد عند أهل بغداد، وهو أخص من الكورة والأستان. ياقوت: معجم البلدان (١/ ٣٨).
- ^{١٦} المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٣٠٨
- ^{١٧} ابن رسته (أبي علي أحمد بن عمر بن رسته): المجلد السابع من كتاب الأعلام النفيسة طبع في مدينة ليند المحروسة ابريل ١٨٩٢م ص ١٧١.
- ^{١٨} أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري: السلسبيل النقي في تراجم شيوخ البيهقي قدم له: الأستاذ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم والشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليمانى دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م ص: ٥٤- ٥٥

- ^{١٩} محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الإدريسي (المتوفى: ٥٦٠هـ) :
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق عالم الكتب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ / ٢٢٤ / ٢ - ٦٩٠ / ٢
- ^{٢٠} ياقوت الحموي: معجم البلدان ١ / ١٧٧ - ١٧٨ - ٢٤٦.
- ^{٢١} محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج الطبعة الثانية - ١٩٨٠ م / ١ / ٥٧.
- ^{٢٢} المقدسي : أحسن التقاسيم ٣١٨ - ياقوت: معجم البلدان ١ / ٢٤٦ - ٢٤٦ - ٢٢٣ / ١ - ٢٤٦ - ابن الأثير: ٤٣٤.
- ^{٢٣} ياقوت الحموي: معجم البلدان ١ / ١٧٧ - ١٧٨ - ٢٤٦ - السمعاني: الأنساب ١ / ٢٢٣ - ٢٤٦ - ابن الأثير: اللباب ١ / ٥٥ - اليعقوبي: البلدان ص ٢٧٨ - البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص: ٣٠٠ - أبو الفداء: تقويم البلدان ص ٤٤٩ - الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٣ / ١٥٧ - محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية ٣٥ / ١٩١ - ١٩٢ - الزركلي : الأعلام ١ / ٣٠٤ .
- ^{٢٤} المقدسي: أحسن التقاسيم ٣١٨ - ياقوت: معجم البلدان ١ / ٢٤٦ - ٢٤٦ - ٢٢٣ / ١ - ٢٤٦ - ابن الأثير: ٤٣٤.
- ^{٢٥} محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الإدريسي (المتوفى: ٥٦٠هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق عالم الكتب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ / ٢٢٤ / ٢ - ٦٩٠ / ٢
- ^{٢٦} ياقوت: معجم البلدان ١ / ٤٠ - الزبيدي: تاج العروس ١ / ٣٨٥٧.
- ^{٢٧} ياقوت: معجم البلدان ٥ / ٢٣٣.
- ^{٢٨} الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ١ / ٢٢٥.
- ^{٢٩} ياقوت: معجم البلدان ١ / ٤٠٩ - عبد المؤمن عبد الحق بن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي صفي الدين (ت ٧٣٩ هـ) : مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ دار الجبل بيروت ١ / ١٩٢.
- ^{٣٠} ياقوت: معجم البلدان ١ / ٥٠٦
- ^{٣١} ياقوت: معجم البلدان ٢ / ١٨٠ - ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٢ / ٣٤٢ - الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٤ / ١٤٧ - اللباب في تهذيب الأنساب ١ / ٣٠٦.
- ^{٣٢} ياقوت: معجم البلدان ٢ / ٣١٩ - ابن عساكر: تاريخ دمشق ٥٢ / ٤١ - السمعاني : الأنساب ٢ / ٢٨٨
- ^{٣٣} ياقوت: معجم البلدان ٢ / ٣٧٠ - الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ١ / ٢٢٢.
- ^{٣٤} ياقوت: معجم البلدان ٢ / ٤٠٦ - ٣٧٣ - علي بن هبة الله بن أبي نصر بن مأكولا: الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمؤلف في الأسماء والكنى: دار الكتب العلمية- بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ / ٣ / ٢٦٥ - ابن عساكر: تاريخ دمشق ٥٢ / ٤١ - السمعاني : الأنساب ٢ / ٣٧٥

- ٣٥ ت ياقوت: معجم البلدان تاريخ دمشق ١٧ / ٢٥٤ - اللباب في تهذيب الأنساب ٢ / ٦٤ - صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي،: الوافي بالوفيات دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ٨ / ٢١ - أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهيبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١ هـ): طبقات الشافعية المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان دار النشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ / ١ / ٣٨٦ - ٣٨٧.
- ٣٦ ياقوت: معجم البلدان ٣ / ص ٢٥٤.
- ٣٧ ياقوت: معجم البلدان ٣ / ٣٣٨ - الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٧ / ٤٠٢ - اللباب في تهذيب الأنساب ٢ / ١٩٤ .
- ٣٨ ياقوت: معجم البلدان ٤ / ٤٨٩ - الزبيدي: تاج العروس ١٤ / ٨٠.
- ٣٩ ياقوت: معجم البلدان ٥ / ٢٤٣ - محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقب بمرتضى ، الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية ٦ / ٢٦١ - السمعاني : الأنساب ٥ / ٤٣٢ - اللباب في تهذيب الأنساب ٣ / ٢٨٢.
- ٤٠ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس ٢٥ / ٢٧٠.
- ٤١ الزبيدي : تاج العروس ٥ / ١٨٠ - التحرير في المعجم الكبير ٢ / ٣٨٥.
- ٤٢ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ١ / ١٢٢.
- ٤٣ ياقوت : معجم البلدان ٢ / ٩٢ - القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ١ / ١٣٨.
- ٤٤ تاريخ دمشق ٢٢ / ٢٣٤)
- ٤٥ اللباب في تهذيب الأنساب ١ / ٣٠٦.
- ٤٦ عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠ هـ): بغية الطلب في تاريخ حلب المحقق: د. سهيل زكار الناشر: دار الفكر ٢ / ٢٦٤.
- ٤٧ ياقوت: معجم البلدان ٢ / ١٨٦.
- ٤٨ ياقوت: معجم البلدان ٢ / ١٨٤.
- ٤٩ ياقوت الحموي: معجم البلدان ١ / ١٧٧ - ١٧٨ - ٢٤٦ - السمعاني : الأنساب ١ / ٢٢٣ - ٢٤٦ - ابن الأثير: اللباب ١ / ٥٥ - اليعقوبي: البلدان ص ٢٧٨ - الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٣ / ١٥٧ - محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية ٣٥ / ١٩١ - ١٩٢ - الزركلي: الأعلام ١ / ٣٠٤ .
- ٥٠ مدينة على سفح جبل، تقع بين الجبل والمغارة. ذات خيرات وفيرة وهواء رديء ومياه جارئة. (مجهول (توفي: بعد ٣٧٢ هـ) : حدود العالم من المشرق الى المغرب محقق ومترجم الكتاب (عن الفارسية) : السيد يوسف الهادي الناشر: الدار الثقافية للنشر، القاهرة الطبعة: ١٤٢٣ هـ (ص: ١١٥)
- ٥١ أبيورد: : بفتح أوله وكسر ثانيه وياء ساكنة وفتح الواو وسكون الراء ودال مهملة: ذكرت الفرس في أخبارها أن الملك كيكاووس أقطع باورد بن جويرز أرضا بخراسان، فبنى بها مدينة وسمها باسمه فهي: أبيورد، مدينة بخراسان بين سرخس ونسا، وبئة، رديئة الماء، يكثر فيها خروج العرق (ياقوت : معجم البلدان (١ / ٨٦)
- ٥٢ السمعاني: الأنساب ١ / ٢٢٣ - ابن الأثير : اللباب ١ / ٥٥ .

- ^{٥٣} أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (المتوفى: ٢٧٩هـ) : فتوح البلدان مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م ص ٣٩٤.
- ^{٥٤} الأحنف بن قيس : أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عباد بن النزال بن مرة ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وهو الذي يضرب به المثل في الحلم كان من سادات التابعين رضي الله عنهم؛ أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات ، ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم بني تميم يدعوهم إلى الإسلام كان الأحنف فيهم، لهم: إنه ليدعوكم إلى مكارم الأخلاق وينهاكم عن ملأئهم، فأسلموا وأسلم الأحنف ولم يفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان سيد قومه، موصوفاً بالعقل والدهاء والعلم والحلم، روى عن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وروى عنه الحسن البصري وأهل البصرة، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان، رضي الله عنهما. توفي بالكوفة سنة ٦٧ هجرية (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) : الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم المحقق: زياد محمد منصور الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ بن خلكان : وفیات الأعيان ٢/ ٤٩٩- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب المحقق: علي محمد البجاوي الناشر: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م. ١/ ١٤٥) .
- ^{٥٥} معركة نهاوند : قامت بين المسلمين والفرس الساسانيين، سنة ٢١ هـ / ٦٤١ م وانتهت بنصر عظيم للمسلمين، وهزيمة ساحقة للفرس، وقد سمي المؤرخون المسلمون هذا النصر «فتح الفتوح»، لأن الفرس قد تفرقت كلمتهم، وانفطرت عقد دولتهم بهذا النصر. (محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ) : سيرة ابن إسحاق تحقيق: سهيل زكار الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: الأولى ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ١/ ٦٦).
- ^{٥٦} محمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الكتب العلمية بيروت لبنان دار الريان للتراث الطبعة الثانية ١٩٨٨ م ٤/ ١٦٦.
- ^{٥٧} عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العيشمي ابن خال عثمان بن عفان ولد على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأتى به إليه وهو صغير، فقال: «هذا شبيهنا» وجعل ينقل عليه، ويعودّه، فجعل يبتلع ريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنه لمستقي» .، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان عبد الله جواداً شجاعاً ميموناً، ولاه عثمان البصرة بعد أبي موسى الأشعري سنة تسع وعشرين، وضم إليه فارس بعد عثمان بن أبي العاص. فافتتح خراسان كلها، وأطراف فارس، وسجستان، وكرمان، وغيرها، وفي إمارته قتل يزيدجرد آخر ملوك فارس، ، وقتل عثمان وهو على البصرة، فسار بما كان عنده من الأموال إلى مكة، فوافى أبا طلحة والزبير فرجع بهم إلى البصرة، فشهد

- معهم وقعة الجمل، ولم يحضر صفين، وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين بعد اجتماع الناس عليه، ثم صرفه عنها، فأقام بالمدينة. ومات سنة سبع أو ثمان وخمسين، (ابن سعد : الطبقات ٤٤/٥ - أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) : الإصابة في تمييز الصحابة تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ ١٥/٥ - الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٨/٣ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٩٣١/٣)
- ٥٨ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧ / ٢٤٦.
- ٥٩ أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال تحقيق عبد المنعم عامر مراجعة جمال الدين الشيال وزارة الثقافة الطبعة الأولى دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٦٠م ص ٣٦٠ .
- ٦٠ محمد الخضري : تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) تحقيق وتعليق إبراهيم أمين محمد المكتبة التوفيقية ص ٧١
- ٦١ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي دار صادر بيروت ٦٦/٢.
- ٦٢ أبو سعيد عبد الحي بن محمود الضحاك الكرديزي ت ٤٣٣ هـ : زين الأخبار ترجمة عفاف السيد زيدان المجلس العلمي للثقافة القاهرة ٢٠٠٦م ص ١٩٧.
- ٦٣ الدول المستقلة: هي دول استقلت عن الخلافة العباسية في المشرق الإسلامي وأولى هذه الدول الدولة الطاهرية في خراسان عام ٢٠٥هـ/٨٢٠م وتبعها الدولة الصفارية عام ٢٥٤هـ/٨٦٧م، ثم غلبت على المنطقة الدول السامانية التي تأسست عام ٢٠٤هـ/٨١٩م في بلاد ما وراء النهر ثم امتد نفوذها لتشمل جميع البلاد التي كانت تتبع للدولة الصفارية، وكان نفوذ الخلافة العباسية يتحول من سلطة سياسية إدارية روحية إلى سلطة روحية فقط، ولم يبق للخليفة سوى ذكر اسمه في خطب الجمعة متبوعا باسم السلطان الغالب على البلاد، ويعود السبب الرئيسي في ضعف الخلافة العباسية وتلاشي سلطتها (علي محمد محمد الصلابي: المغول [التتار] بين الانتشار والانكسار الناشر: الأندلس الجديدة، مصر الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ (ص: ٢١٨).
- ٦٤ الدولة الطاهرية ظهرت هذه الدولة بخراسان في الفترة ٢٠٥ - ٢٥٩ هـ/ ٨٢٠ - ٨٧٢ م منذ أن عين المأمون قائده العسكري المظفر طاهر بن الحسين أميرا لخراسان سنة ٢٠٥ هـ / ٨٢٥م مكافأة له على جهوده العسكرية الجبارة. فاستمرت الإمارة في ذريته إلى سنة ٢٥٩ هـ. / ٨٧٩م حيث استقلوا بإماراتهم دون أن يعلنوا انخلاعهم وخروجهم على الخليفة، حتى أزاحهم يعقوب الصفار. وقامت على أنقاضهم الدولة الصفارية. (أحمد معمور العسيري :موجز التاريخ الإسلامي :منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧ هـ/ ٩٦ - ٩٧ م الناشر: غير معروف الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م (ص: ٢١٩)
- ٦٥ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٥٠٧/٩.
- ٦٦ الكرديزي: زين الأخبار ص ٢١٨.
- ٦٧ الدولة السامانية : من أقوى الدول الإسلامية المستقلة في المشرق الإسلامي فقد استمر قيامها في ما وراء النهر وخراسان من سنة ٢٧٩ هـ / ٣٨٩ هـ / ٩٩٩م) وتنسب إلى سامان وهو فارسي الأصل

واتخذت من بخارى عاصمة لها أما عن علاقتها بالدولة العباسية فكانت علاقة ولاء من الدرجة الأولى قامت هذه الدولة على أنقاض الدولة الصفارية بعد أن قضت عليها (كرستين اثر) إيران في عهد الساسانيين ترجمة يحيى الخشاب مراجعة عبد الوهاب عزلم القاهرة ١٩٥٧م ص ١٠٤).

عبد العزيز جنكيز خان : تركستان قلب آسيا مصر ١٩٤٥م ص ٣٧

قحطان الحديثي : دراسات في التنظيمات الاقتصادية لخراسان : أولا الزراعة مجلة الخليج العربي - المجلد التاسع العدد ١ ١٩٧٨م ص ٦٥ - فيصل سيد طه : الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في نيسابور منذ مستهل القرن الثالث الهجري حتى قيام الدولة الغزنوية من (٣٠٧ - ٣٨٩هـ / ٨٢٢ - ٩٩٩م) رسالة ماجستير غير منشورة ٢٠٠٣م ص ١٠٤.

فيصل سيد طه : الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في نيسابور ص ١٠٥.

يزيد بن المهلب : (٣٥ - ١٠٢ هـ = ٦٧٣ - ٧٢٠ م) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو خالد: أمير، من القادة الشجعان الأجواد. ولي خراسان بعد وفاة أبيه (سنة ٨٣ هـ / ٧٠٣ م) فمكث نحو من ست سنين، وعزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج بن يوسف الثقفي (أمير العراقيين في ذلك العهد) وكان الحجاج يخشى بأسه، فلما تم عزله حبسه، فهرب يزيد إلى الشام. ولما أفضت الخلافة إلى سليمان ابن عبد الملك، ولأه العراق ثم خراسان، فعاد إليها، وافتتح جرجان وطبرستان. ثم نقل إلى إمارة البصرة، فأقام فيها إلى أن استخلف عمر بن عبد العزيز، فعزله، وطلبه، فجئ به إلى الشام، فحبسه بخلب. ولما توفي عمر بن عبد العزيز هجم غلمان يزيد على السجن فأخرجوه منه ،. وسار إلى البصرة فدخلها واستولى عليها (سنة ١٠١ هـ / ٧٢١ م) ثم نشبت حروب بينه وبين أمير العراقيين مسلمة بن عبد الملك، انتهت بمقتل يزيد (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) : الأعلام الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م (٨ / ١٨٩)

قتيبة بن مسلم : أبو حفص قتيبة بن أبي صالح مسلم بن عمرو بن الحصن بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير بن قضاعي بن هلال بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، الباهلي أمير خراسان زمن عبد الملك بن مروان افتتح خوارزم وسمرقند وبخارى، ثم فتح قتيبة فرغانة في سنة خمس وتسعين في أواخر أيام الوليد بن عبد الملك وبعد وفاته تولى أخوه سليمان بن عبد الملك وكان يكره قتيبة لأمر يطول شرحه، فخاف منه قتيبة وخلع بيعة سليمان وخرج عليه وأظهر الخلاف، فلم يوافق على ذلك أكثر الناس، وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان بن [قيس بن يوسف بن كلب بن عوف بن مالك بن غدانة واسم غدانة أشرس] وكنية وكيع أبو المطرف الغداني عن رئاسة بني تميم، فحقد وكيع عليه وسعى في تأليب الجند سرا وتقاعد عن قتيبة متمارضا، ثم خرج عليه وهو بفرغانة فقتله مع أحد عشر من أهله، وذلك في ذي الحجة سنة ست وتسعين للهجرة، وقيل سنة سبع وتسعين. ومولده سنة تسع وأربعين، وتولى خراسان تسع سنين وسبعة أشهر (ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤ / ٨٦)

- ^{٧٣} أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ): الأحكام السلطانية الناشر: دار الحديث - القاهرة ص ١٨١ - فيصل سيد طه: الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في نيسابور ص ١٠٧.
- ^{٧٤} محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق إحسان عباس مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج الطبعة الثانية - ١٩٨٠ م ٥٧/١.
- ^{٧٥} المقدسي: أحسن التقاسيم ٣١٨ - ياقوت: معجم البلدان ٢٤٦/١ - المستوفي ١٨٦ - كي لسترنج: بلدان الخلافة ص ٤٣٤.
- ^{٧٦} كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٣٥.
- ^{٧٧} ابن الأثير: اللباب ٥٥/١ - أبو الفداء: تقويم البلدان ص ٤٤٩ - المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٣١٨ - ٣٢٠ - ياقوت: البلدان ٢٤٦/١.
- ^{٧٨} المقدسي ٣١٨ - ياقوت ٢٤٦/١ - المستوفي ١٨٦ - كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٣٤.
- ^{٧٩} الأواني الصفورية هي الأواني النحاسية، المصنوعة من الصفر (بضم الصاد)، وهو النحاس الجيد. والصفر ما يتخذ من النحاس الجيد والصفر النحاس الجيد وقيل الصفر ضرب من النحاس وقيل هو ما صفر منه واحدته صفرة ابن منظور: لسان العرب دار صادر بيروت ٤/٤٦٠.
- ^{٨٠} السمعاني: الأنساب ص ٣٥٣ - ابن الأثير: اللباب ٢/٢٤٣.
- ^{٨١} الخانات: الخان كلمة فارسية الأصل وتعني الحانوت والدكان والمخدع والماخور، (السيد أدى شير: كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ط ٢، دار العرب للبستاني، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ٥٨) هي لفظة تركية تعني دار العمل والتجارة وجمعها خانات، (قاموس اختري كبير، تأليف مصطفى شمس الدين الشهير بالختري، المطبعة العامرية، ١٣١٠هـ، ج ١ مادة خان، دائرة المعارف الإسلامية مادة خان). وأهتمت الدولة بأمور التجارة حيث تم توفير المأوى والمؤمن للمسافرين ونصبت الخيم الكبيرة على طول الطرق التجارية وهي ما عرفت باسم كاروانسرا، كاروانسرا: خيمة كبيرة تنصب داخل المدينة أو بين محطات القوافل التجارية. (محمد التونجي: المعجم الذهبي، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ص ٤٥٣، أحمد مجدى عطوة: الحياة السياسية والحضارية في مدينة هراة، رسالة ماجستير، آداب عين شمس، ٢٠٠٧، ص ١٤٠. ولذلك نعم التجار بالأمن والراحة وقاموا بتعاملاتهم التجارية دون مشاكل، والخانات تسمى أيضا الفنادق والوكالات وهي المباني المخصصة لمأوى المسافرين والقوافل، وكانت الخانات ذات مداخل ضخمة مشيدة من الأبراج والعقود الشاهقة، وكان للخان صحن تربط فيه الدواب، وفي الدور الأرضي غرضا وحواصل مفتوحة على الصحن توضع فيها المتاجر والأخرى تطل على الشارع وتؤجر حوانيت للتجار، أما الأدوار العلوية فهي مخصصة للسكن وإقامة المسافرين (مصطفى مسعد وسامية مصطفى مسعد: الحضارة الإسلامية في المشرف الإسلامي، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٦م، ص ١٤٣.

- ^{٨٢} محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ١ / ٥٧.
- ^{٨٣} أحسن التقاسيم ص ٣٠٨
- ^{٨٤} المقدسي : أحسن التقاسيم ٣١٨ - ياقوت: معجم البلدان ١ / ٢٤٦ - كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٣٤.
- ^{٨٥} محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الإدريسي (المتوفى: ٥٦٠هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق عالم الكتب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ ١ / ٢٢٤ - ٢ / ٦٩٠
- ^{٨٦} المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٣١٩.
- ^{٨٧} ناصر خسرو: سفر نامه، ص ٧.
- ^{٨٨} عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشيزري الشافعي (المتوفى: نحو ٥٩٠هـ) : نهاية الرتبة الظرفية في طلب الحسبة الشريفة الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص ١٢، ١١.
- ^{٨٩} الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، أبو علي، الملقب بقوام الدين، نظام الملك (المتوفى: ٤٨٥هـ) : سياسة نامه المحقق: يوسف حسين بكار الناشر: دار الثقافة - قطر الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ ، ص ٨٠
- ^{٩٠} المؤلف: محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة، القرشي، ضياء الدين (المتوفى: ٧٢٩هـ) : معالم القرية في طلب الحسبة الناشر: دار الفنون «كمبردج. ص ١٠٢.
- ^{٩١} الاصطخري : المسالك والممالك ص ٢٧٩ - المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٩٦.
- ^{٩٢} جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق، ص ١٤٩.
- ^{٩٣} عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي بغداد ١٩٤٨ م ص ١٥١.
- ^{٩٤} طوس: : بلد فيه مدن أمثال طوران ونوقاننيزديغورايكان وبنواده. وهي بين الجبال. وفي جبالها معادن الفيروزج والنحاس والرصاص. يرتفع منها الكحل والشبه والقدور الصخرية. والدهنج والسرراويل والجوارب.(حدود العالم من المشرق الى المغرب ص: ١١٥)
- ^{٩٥} مدينة بين طوس وريموند (ابن حوقل : صورة الأرض ٢ / ٤٢٨.
- ^{٩٦} فراوة: : بالفتح، وبعد الألف ولو مفتوحة: وهي بليدة من أعمال نسا بينها وبين دهستان وخوارزم، خرج منها جماعة من أهل العلم، ويقال لها رباط فراوة، بناها عبد الله بن طاهر في خلافة المأمون، وممن نسب إليها أبو نعيم محمد بن القاسم الفراوي صاحب الرباط بفراوة (ياقوت: معجم البلدان ٤ / ٢٤٥).
- ^{٩٧} الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ١ / ٢٢٥)
- ^{٩٨} محمد بن حوقل البغدادي الموصللي، أبو القاسم (المتوفى: بعد ٣٦٧هـ) : صورة الأرض دار صادر، أفست ليدن، بيروت ١٩٣٨ م ٢ / ٣٨٥)
- ^{٩٩} ابن حوقل : صورة الأرض ٢ / ٤٥٣.
- ^{١٠٠} اليعقوبي : البلدان ١ / ٩٦.
- ^{١٠١} الإدريسي : نزهة المشتاق ٢ / ٦٩٠.

- ١٠٢ محمد جمال الدين سرور : الحضارة الإسلامية في الشرق ص ١٦٧.
- ١٠٣ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٩ / ١٢٩.
- ١٠٤ فيصل سيد : الحياة الاقتصادية في نيسابور ص ٢٠٦.
- ١٠٥ محمد جمال الدين سرور : الحضارة الإسلامية في الشرق ص ١٦٦.
- ١٠٦ فيصل سيد الحياة الاقتصادية في نيسابور ص ٢٠٧.
- ١٠٧ فتحي أبو سيف : خراسان تاريخها السياسي والحضاري ص ١٠١.
- ١٠٨ فيصل سيد الحياة الاقتصادية في نيسابور ص ٢٠٧.
- ١٠٩ ابن رسته : الأعلام النفيسة ص ٢٧٨.
- ١١٠ فيصل سيد الحياة الاقتصادية في نيسابور ص ٢٠٧.
- ١١١ محمد جمال الدين سرور : الحضارة الإسلامية في الشرق ص ١٧٠.
- ١١٢ فيصل سيد الحياة الاقتصادية في نيسابور ص ٢١٠ .
- ١١٣ الحديث بالتفصيل عن الحركة العلمية في الجزء الخاص بالحياة العلمية في الدراسة.
- ١١٤ مفردا دهقان، وهو لفظ فارسي بمعنى رئيس القرية أو رئيس الفلاحين إليه فالدهقان كان أشبه بالعمدة في الوقت الحاضر، (محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي (المتوفى: ٣٨٧ هـ) : مفاتيح العلوم المحقق: إبراهيم الأبياري الناشر: دار الكتاب العربي الطبعة: الثانية ص ٥٣.
- ١١٥ بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٣٤ - فيصل سيد طه المرجع السابق ص ٢٢٠.
- ١١٦ طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٣٥.
- ١١٧ السمعاني : الانساب: ٣٣ ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان: تحقيق إحسان عباس دار صادر - بيروت ١٩٠٠ م - ٦ / ٣٩٤ - ٣٩٣، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان الياضي (المتوفى: ٧٦٨ هـ) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان وضع حواشيه: خليل المنصور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ / ٢ - ٢٦٩ - ٢٧٠ ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١ هـ) : طبقات الشافعية الكبرى المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ: ٣ / ٤٨٧ - ٤٨٨ ، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة : طبقات الشافعية عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧ هـ الطبعة : الأولى تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان ١ / ١٠٤ - ، ابن كثير : البداية والنهاية: ١١ / ١٥٩ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر: ٢ / ٧٣ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة: ٣ / ٢٢٢ ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ) : طبقات الحفاظ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٣: ٣٢٧ ، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩ هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب

- حققه: محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ٢ / ٢٧٤، الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٤ / ٤١٧-٤١٨-٤١٩-٤٢٠-٤٢١-٤٢٢ - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ): تذكرة الحفاظ دراسة وتحقيق: زكريا عميرات الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ٣ / ٣ - عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ): معجم المؤلفين الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣ / ٢٤٢ - الزركلي: الأعلام ٨ / ١٩٦).
- ١١٨ فيصل سيد طه: الحالة الاقتصادية ومظاهر الاجتماعية في نيسابور ص ٢٢٧.
- ١١٩ فتحي أبو سيف: خراسان تاريخها السياسي والحضاري ص ٢٢٤- فيصل سيد طه: الحالة الاقتصادية ومظاهر الاجتماعية في نيسابور ص ٢٢٧.
- ١٢٠ آدم منز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١ / ١٩٧.
- ١٢١ ابن حوقل: صورة الأرض ص ٢٤٣- آدم منز: الحضارة الإسلامية ١ / ٣٣.
- ١٢٢ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ الفكر الإسلامي ص ١٥٦- فيصل سيد الحياة الاقتصادية في نيسابور ص ٢٣٠.
- ١٢٣ ابن حوقل: صورة الأرض ص ١٤٣.
- ١٢٤ السمعاني: الأنساب، ١ / ٢٢٣.
- ١٢٥ السمعاني: الأنساب، ١٢ / ٤٩٥.
- ١٢٦ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١ / ١٧٧.
- ١٢٧ عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ): المقدمة تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ص ٢٠٣.
- ١٢٨ المقدسي: أحسن التقاسيم ٣٢٣.
- ١٢٩ فيصل سيد طه: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نيسابور ص ٢٨٥.
- ١٣٠ المقدسي: أحسن التقاسيم ٣٨٨.
- ١٣١ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (: ٤٢٩هـ): يتيمة الدهر المحقق: د. مفيد محمد قمحية دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ٤ / ٥٠٤ - ٥٠٥) - الباخريزي: دمية القصر وعصرة أهل العصر ١ / ١٨٠.
- ١٣٢ الثعالبي: يتيمة الدهر ٤ / ٥٠٤ - ٥٠٥).
- ١٣٣ الذهبي: تاريخ الإسلام ٥ / ٥٧٠.
- ١٣٤ السمعاني: الأنساب، ١٢ / ٤٩٥.

- ^{١٣٥} عياش يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي : تهذيب الكمال مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ تحقيق : د. بشار عواد معروف ٩ / ١٦٣ - أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ): تهذيب التهذيب الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ / ٢٦٨.
- ^{١٣٦} سير أعلام النبلاء ١٤ / ٥٤٧ - ٥٤٨ - معجم البلدان: ٢ / ١٨٠، الباب: ١ / ٣٠٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق ٢٢ / ٢٣٤، الذهبي: تنكرة الحفاظ: ٧٩٣ ٧٩٢، النجوم الزاهرة: ٣ / ٢٢٨، ابن الأثير: الباب في تهذيب الأنساب ١ / ٣٠٦. الذهبي: طبقات الحفاظ: ٣٣١، شذرات الذهب: ٢ / ٢٧٩.
- ^{١٣٧} الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٠ / ٦٥٥ - ٦٥٦ - السمعاني : الأنساب ٢ / ٣٧٥ - الذهبي : تاريخ الإسلام ت تدمري ١٧ / ٣٠٩ - ٣١٠ .
- ^{١٣٨} ياقوت: معجم البلدان ٥ / ٢٣٣.
- ^{١٣٩} الذهبي : تنكرة الحفاظ ٢ / ٨٧.
- ^{١٤٠} ابن عساكر: تاريخ دمشق ٥٦ / ٢٣٤ - الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٢ / ٣٦٠.
- ^{١٤١} الذهبي: العبر في خبر من غير ١ / ٣٧٢.
- ^{١٤٢} تاريخ بغداد ١٣ / ٢٦٨.
- ^{١٤٣} الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٣ / ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٦٤. السبكي: طبقات الشافعية ٢ / ٢٥٨ - السير: ١٣ / ٤٥٦.
- ^{١٤٤} الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٣ / ٤٩٢ - ٤٩٢ - معجم المؤلفين ١١ / ٢١٧.
- ^{١٤٥} البغدادي: تاريخ بغداد ٥ / ٢٧٦ - السمعاني : الأنساب ٥ / ٤١٤ - ٤١٥ - الباب في تهذيب الأنساب ٣ / ٢٧٤.
- ^{١٤٦} الباب في تهذيب الأنساب ٣ / ١١٧.
- ^{١٤٧} الباب في تهذيب الأنساب ٣ / ٢٨٢.
- ^{١٤٨} السمعاني : الانساب: ٣٣ / ب، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الاعيان: تحقيق إحسان عباس دار صادر - بيروت ١٩٠٠م - ٦ / الذهبي : تنكرة الحفاظ: ٣ / ٧٨٠ ٧٧٩ ، مرآة الجنان: ٢ / ٢٧٠ ٢٦٩ ، السبكي : طبقات الشافعية : ٣ / ٤٨٨ ٤٨٧ - ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ١ / ١٠٤ - ، ابن كثير : البداية والنهاية: ١١ / ١٥٩ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر: ٢ / ٧٣ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة: ٣ / ٢٢٢ ، شذرات الذهب: ٢ / ٢٧٤ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٤ / ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - - الذهبي : تنكرة الحفاظ ٣ / ٣ - عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ١٣ / ٢٤٢ - الزركلي : الأعلام ٨ / ١٩٦ .
- ^{١٤٩} ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦ / ٣٩٤

- ^{١٥٠} اللباب في تهذيب الأنساب ١ / ٤٠١) - السمعاني الأنساب ٤/٣٠٧ - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) : المقتنى في سرد الكنى المحقق: محمد صالح عبد العزيز المراد الناشر: المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ / ١/٣٥٩.
- ^{١٥١} ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٤ / ٨٩.
- ^{١٥٢} أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) : تاريخ بغداد المحقق: الدكتور بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م ٥ / ص ٣٥٥.
- ^{١٥٣} الموسوعة الفقهية الكويتية : صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ) ٩/١ .
- ^{١٥٤} وضحنا ذلك أثناء ترجمتنا لإبي عوانه في علم الحديث .
- ^{١٥٥} أبو زهرة : الشافعي حياته وعصره أرائه وفقه الطبعة الثانية مصر ١٩٤٨م دار الحماس للطباعة ٣٥٧.
- ^{١٥٦} ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦ / ٣٩٤
- ^{١٥٧} سبق الحديث عنها في الحياة الاجتماعية.
- ^{١٥٨} الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٣ / ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٦٤ - السبكي: طبقات الشافعية ٢ / ٢٥٨ - السير: ١٣ / ٤٥٦.

المصادر والمراجع

أولا المصادر:

- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (المتوفى: ٣٤٦هـ) : المسالك والممالك الناشر: دار صادر، بيروت ٢٠٠٤ م .
- أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ) : طبقات الشافعية المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان دار النشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ.
- أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، زين الدين (المتوفى: ٥٨٤هـ) : الأماكن ما اتفق لفظه واقترب مسماه تحقيق: حمد بن محمد الجاسر : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر: ١٤١٥ هـ .
- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) : الأحكام السلطانية الناشر: دار الحديث - القاهرة بدون تاريخ.
- أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي، الشهير بابن فندمه (المتوفى: ٥٦٥هـ): تاريخ بيهقदार اقرأ، دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ.
- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري ٥٥٥هـ / ٦٣٠هـ : اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة الطبعة الأولى دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٦٠ م .
- أبو سعيد عبد الحي بن محمود الضحاك الكرديزي ت ٤٣٣ هـ : زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ٢٠٠٦ م.
- أبو الطبيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري: السلسيل النقي في تراجم شيوخ البيهقي، قدم له: الأستاذ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، والشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليمانى، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م .
- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت ١٩٠٠ م.
- أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) : تلخيص تاريخ نيسابور تلخيص: أحمد بن

- محمد بن الحسن بن أحمد المعروف بالخليفة النيسابوري الناشر: كتابخانه ابن سينا - طهران عربه عن الفرسية: د/ بهمن كريمي . طهران بدون تاريخ.
- أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) : الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، المحقق: زياد محمد منصور الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ .
 - أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٩١م / ١٤١١هـ .
 - أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المحقق: علي محمد البجاوي الناشر: دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
 - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) : البداية والنهاية : دار الفكر ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .
 - أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ) : المختصر في أخبار البشر، الناشر: المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى بدون تاريخ.
 - أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) : لسان الميزان، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر الإسلامية الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م .
 - أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) : الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.
 - أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) : تاريخ دمشق تحقيق : عمرو بن غرمة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
 - أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨هـ) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

- أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (المتوفى: بعد ٢٩٢هـ) : البلدان، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ .
- أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت بدون تاريخ.
- أحمد بن محمد الأدنه : طبقات المفسرين تحقيق : سليمان بن صالح الخزي الناشر : مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م.
- أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (المتوفى: ٢٧٩هـ) : فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٢ هـ / ١٩٩١م.
- برهان الدين الحلبي أبو الوفا إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الشافعي سبط ابن العجمي (المتوفى: ٨٤١هـ): الكشف الحثيث عن رمي بوضع الحديث، المحقق: صبحي السامرائي، الناشر: عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٧م.
- تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) : طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
- تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الصيرفي ٥٨٢هـ / ٦٤١هـ : المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق خالد حيدر، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع بيروت ١٤١٤هـ.
- جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ) : إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢م.
- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا : دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، أبو علي، الملقب بقوام الدين، نظام الملك (المتوفى: ٤٨٥هـ): سياسة نامه، المحقق: يوسف حسين بكار الناشر: دار الثقافة - قطر الطبعة: الثانية، ١٤٠٧.
- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) : الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م .

- ابن رسته: شهاب الدين أحمد بن عمر بن محمد ت ٢٩٥هـ: الأعللق النفيسة ، ليدن ١٨٩٢م.
- زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت: ٦٨٢هـ): آثار البلاد وأخبار العباد الناشر: دار صادر بيروت بدون تاريخ.
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) : سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ.
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق : عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) : ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد الجاوي الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) : معجم الأدياء، المحقق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ): تنكرة الحفاظ، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني أبو عبد الله الذهبي ٦٧٣هـ/ ٧٤٨هـ: المقتنى في سرد الكنى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز المراد، الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة سنة ١٤٠٨ هـ .
- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي،: الوافي بالوفيات ، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ- / ٢٠٠٠م.
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ) : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة : دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ): المقدمة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ) : الأنساب، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .
- عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ) : التحرير في المعجم الكبير، المحقق: منيرة ناجي سالم، الناشر: رئاسة ديوان الأوقاف - بغداد الطبعة: الأولى، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشيزري الشافعي (المتوفى: ٥٩٠هـ): نهاية الرتبة الطريفة في طلب الحسبة الشريفة، الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) : يتمة الدهر في محاسن أهل العصر تحقيق: د. مفيد محمد قمحية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- عبد المؤمن عبد الحق بن شمائل العقيلي البغدادي الحنبلي صفي الدين (ت ٧٣٩ هـ) : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، الطبعة الأولى دار الجبل بيروت ١٤١٢هـ.
- علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخريزي، أبو الحسن (المتوفى: ٤٦٧هـ) : دمية القصر وعصرة أهل العصر، الناشر: دار الجبل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ .
- علي بن هبة الله بن أبي نصر بن مأكولا: الإكمال في رفع الارتياح عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى : دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ.
- عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠هـ) : بغية الطلب في تاريخ حلب، المحقق: د. سهيل زكار الناشر: دار الفكر بدون تاريخ.
- عياش يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي : تهذيب الكمال تحقيق : د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) : القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- مجهول (توفي: بعد ٣٧٢هـ) : حدود العالم من المشرق الى المغرب، محقق ومترجم الكتاب (عن الفارسية) : السيد يوسف الهادي، الناشر: الدار الثقافية للنشر، القاهرة ١٤٢٣ هـ.

- محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي (المتوفى: ٣٨٧هـ) : مفاتيح العلوم، المحقق: إبراهيم الأبياري الطبعة الثانية الناشر: دار الكتاب العربي بدون تاريخ .
- محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ) : سيرة ابن إسحاق، تحقيق: سهيل زكار الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- محمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، دار الريان للتراث الطبعة الثانية ١٩٨٨م
- محمد بن حوقل البغدادي الموصللي، أبو القاسم (المتوفى: بعد ٣٦٧هـ) : صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت ١٩٣٨ م.
- محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) : المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، المحقق: محمود إبراهيم زايد الناشر: دار الوعي - حلب الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ .
- محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة، القرشي، ضياء الدين (المتوفى: ٧٢٩هـ) : معالم القرية في طلب الحسبة، الناشر: دار الفنون «كمبردج بدون تاريخ.
- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقب بمرتضى ، الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية بدون تاريخ.
- محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الإدريسي (المتوفى: ٥٦٠هـ) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ .
- مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى - بغداد ١٩٤١م .
- أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي (المتوفى: ٤٨١هـ)، المحقق: د. يحيى الخشاب الناشر: دار الكتاب الجديد - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٩٨٣ م.
- ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله: معجم البلدان، الناشر: دار الفكر بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٥م.
- يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة : وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر بدون تاريخ.
- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر بيروت بدون تاريخ.

ثانيا المراجع :

- أحمد معمور العسيري :موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧ هـ، الناشر: غير معروف الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- آدم منتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الخامسة بدون تاريخ .
- بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، الناشر عين للبحوث والدراسات الاجتماعية الطبعة الأولى بدون تاريخ .
- إدى شير: كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ط٢، دار العرب للبستانى، القاهرة، ١٩٨٨م.
- طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٧٦م.
- عبد العزيز جنكيز خان : تركستان قلب آسيا ، مصر ١٩٤٥ م .
- عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي، بغداد ١٩٤٨م.
- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ الفكر الإسلامي الناشر دار الفكر العربي ١٩٩٧م.
- عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: ١٤٠٨ هـ) : معجم المؤلفين الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت بدون تاريخ.
- مصطفى شمس الدين الشهير بالختري : قاموس اختري كبير ، ، المطبعة العامرية ، دائرة المعارف الإسلامية ١٣١٠ هـ .
- كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، نقله للعربية بشير فرانسيس وكوريس عواد، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.
- كرستين (اثر) ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب مراجعة عبد الوهاب عزام القاهرة ١٩٥٧م.
- فتحي أبو سيف : خراسان تاريخها السياسي والحضاري من سقوط الدولة الطاهرية إلى بداية الدولة الغزنوية، الطبعة الأولى، الناشر المجمع الثقافي المصري بدون تاريخ.
- محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج الطبعة الثانية - ١٩٨٠ م .
- محمد التونجي: المعجم الذهبي، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠.

- محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، الطبعة الرابعة ، القاهرة (١٣٩٦ هجرية / ١٩٧٦ م .
- محمد الخضري : تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) تحقيق وتعليق إبراهيم أمين محمد المكتبة التوفيقية بدون تاريخ.
- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية : الموسوعة الفقهية الكويتية- الكويت الطبعة من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ
- مصطفى مسعد وسامية مصطفى مسعد: الحضارة الإسلامية في المشرف الإسلامي، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٦ م.
- ثالثا الرسائل الجامعية :
- فيصل سيد طه : الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في نيسابور منذ مستهل القرن الثالث الهجري حتى قيام الدولة الغزنوية من (٣٠٧ - ٣٨٩ هـ / ٨٢٢ - ٩٩٩ م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة - فرع بني سويف ٢٠٠٣ م.
- أحمد مجدى عطوة: الحياة السياسية والحضارية في مدينة هراة، رسالة ماجستير، آداب عين شمس، ٢٠٠٧.
- رابعا الدوريات:
- حصبال شاكر : رواد الجغرافية العربية ، مجلة الاستشراق العدد (٤) بغداد ١٩٩٠ م.
- قحطان الحديثي : دراسات في التنظيمات الاقتصادية لخراسان : أولا الزراعة مجلة الخليج العربي - المجلد التاسع العدد (١) ١٩٧٨ م .
- محمود عرفه محمود : الحركات المناوئة للدولة الصفارية ، وأهمية النقود التي ضربها زعماء هذه الحركات، في تحقيق بعض النواحي التاريخية لهذه الدولة، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة العدد (٥٦) ١٩٩٢ م.

الصراع الإسلامي البيزنطي في السير الشعبية العربية

قراءة في كتاب "فتوح مصر المحروسة على يد

سيدي عمرو بن العاص رضي الله عنه" (١)

د. عمرو عبد العزيز منير* (٢)

تمهيد:

كثيراً ما كنت أتساءل عن سر خلو فترة الفتح الإسلامي لمصر من قصص شعبية تسجل البطولات والمعارك التي خاضها أصحاب الدعوة الجديدة، وهم يواجهون في مصر أهم معاقل الروم (٣) (بيزنطة) ثانية القوتين العالمتين اللتين كانتا تسيطران على العالم المعروف آنذاك. لقد سجل الأدب الشعبي معارك العرب مع الفرس في سيرة "حمزة البهلوان"، وفي سيرة "عنترة بن شداد"، وفي سيرة "الملك البدر نار بن النهروان بن طيبوش بن قبيوش" (٤) كما سجل أيضاً معارك العرب مع الروم (بيزنطة) (٥) في المشرق في سيرة "الأميرة ذات الهمة". وسجل معارك العرب مع الأقباش في سيرة "سيف بن ذي يزن"، كما سجل معارك العرب مع الصليبيين في سيرة "الظاهر بيبرس"، ولكن هذه المعارك المسجلة في هذه السير الشعبية ليست معارك الفتح، وإنما هي انعكاسات للمعارك

١ - اعتمدت في دراستي على مخطوطات عدة للكتاب وإن كانت بعناوين مختلفة .. وقمت بتحقيقها (تحت الطبع بهيئة قصور الثقافة المصرية) .

٢ - مدرس تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة جنوب الوادي .

٣ - "الروم" تسمية أطلقها بعض المؤرخين على البيزنطيين أولاً ثم انسحبت في الآداب الشعبية على الصليبيين وظهر صداها قوياً في حكايات ألف ليلة وليلة التي أطلقت مسمى "الروم" على الصليبيين - وإن كانوا يعرفوا بالفرنجة أيضاً - ولم تستطع العديد من الكتابات أن تربط بينها ظناً منهم أن الحكايات تتناول "الروم" أما سيرة "فتوح مصر المحروسة"، وسيرة "فتوح اليهنسا" فقد تناولت المصطلح على الآخر المسيحي دون فرق كبير بين البيزنطي والكاثوليكي الغربي.

٤ - من النصوص الشعبية المجهولة في تراثنا العربي وذاكرتنا التاريخية (سيرة الملك البدر نار ابن النهروان ابن طيبوش ابن قبيوش) لمؤلف مجهول في اثني عشر جزءاً . لم نستدل إلا على اسم الناسخ الحاج أحمد الرباط الحلبي الشافعي الذي كان حياً ما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين / الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين . وهي تؤرخ درامياً لحرب قومية ، تقوم على صراع عتيق بين القومية العربية الإسلامية والقومية الفارسية ، وقد انتهت من تحقيق الأجزاء الستة الأولى .

٥ - دام الصراع الإسلامي البيزنطي من ٦٢٨م / ٨هـ حتى فتح القسطنطينية في ١٤٥٣م / ٨٥٧هـ.

المريزة الطويلة بين العرب والشعوب المجاورة لهم، ثم بين الدولة الإسلامية والدول الطامعة فيها، والمقاومة لتوسعاتها وفتوحاتها المستمرة، ولعل الأمر أن كتب السيرة النبوية، وكتب المغازي، وكتب التاريخ الإسلامي، قد وفّت هذه المعارك حقها، أو أن روايات الصحابة عن تجاربهم في جهاد الفتح الإسلامي قد أغنت الوجدان الشعبي، فتنبى هذه الروايات، واكتفى بها، ناهيك عن القداصة التي أحاطت بهذه المعارك، وبمن خاضوها من الصحابة، والتي عقلت جناح الخيال الشعبي فلم يحلق بحرية في هذه المجالات، ناهيك عن أن المثل الإسلامي الأول وهو: الرسول عليه السلام، قد استحوذ بكل الخيال الشعبي، فانصرف يتغنى بصفاته وأعماله في الملاحم النبوية المتعددة؛ التي حازت مكان القداصة عند الكثيرين من المتصوفة وعامة المسلمين، كبردة البوصيري والمعارضات الكثيرة لها والمتنوعة^(٦).

وبرغم هذا، ظهرت عدة أعمال شعبية حول الفتوحات الإسلامية، امتزج فيها الخيال الشعبي بالحقائق، وحارب فيها الأبطال العرب الكثير من الأعداء والمردة والشرطيين والكائنات حبيسة الفولكلور الخيالية، أبرزها ما دار حول فتح اليمن، إذ ظهرت سيرتان منفصلتان، وإن كان البطل فيهما واحدًا، والمؤلف فيهما واحدًا أيضًا^(٧). كما حظيت فتوح الشام والعراق بعمل اختلط فيه الحدث التاريخي بالخيال الشعبي وهو (فتوح الشام) المنسوب للواقدي^(٨)، وكل هذا لا يخالف

٦ - فاروق خورشيد: معادن الجوهر جولة في التراث، (سلسلة مكتبة الأسرة، القاهرة ١٩٩٩م)، ص ٩٦ ؛

عمرو عبد العزيز منير: مقدمة تحقيق كتاب فتوح البهتسا الغراء، القاهرة ٢٠١٢م، ص ١٩.

٧ - القصتان هما: (فتوح اليمن الكبرى الشهير برأس الغول، وما جرى للإمام على الفارس الكرار والبطل المغوار كرم الله وجهه مع عدو الله رأس الغول والبطل المهول) وأيضًا سيرة (الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه وسيره إلى الهضام بن الجحاف بن عون بن غانم الباهلي ملك الجان الملقب بمرارة الموت، وقطعه الحصون السبعة حتى وصل إليه ونصره الله عليه وما جرى في ذلك من أنواع الطعن والضرب وإظهار البسالة في ميدان الحرب)، والمؤلف الذي تنسب إليه وترويان عنه هو (أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد البكري). ولعل الراوي أو الرواة، أرادوا أن يضيفي على روايته المصادقية والجدية التي تتميز بها المؤلفات التاريخية التقليدية، بقصد التأثير على السامعين ، خاصة وأن الرواة اعتادوا استخدام أسماء مؤرخين حقيقيين للإيهام بصدق ما يُروى.

٨ - قدم لنا الواقدي "سيرة فتوح الشام مسجلًا بطولات أبي عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، والزبير بن العوام وغيرهم من الصحابة، ومشركًا المرأة في هذه البطولات وخصوصًا خولة بنت الأُزور .

النصوص التاريخية المعروفة، وإنما يزيد عليها ويضيف^(٩)، ويجري خياله في تعميق الأخبار تعميقاً درامياً، لتتحول إلى أحداث قصصية، فيها الحوار، الانفعال، وفيها المنولوج الداخلي، وتحظى ببعض الحيلة، وبعض الحكمة والإثارة الروائية، ومن هنا خرجت من عباءة التاريخ لتدخل في إطار الرؤية الشعبية للحدث التاريخي، أو ما يمكن أن نسميه البعد الثالث للدراسات التاريخية^(١٠).

وظل السؤال قائماً عن اختفاء مثل هذا الجهد الشعبي في تسجيل فتح العرب لمصر^(١١)؟! وكنا نؤول الأمر بأن مصر - كما ذكرت المصادر والمراجع التاريخية - قد فتحت

٩ - لم تزل الدراسات التاريخية في وطننا العربي في معزل عن السير الشعبية، وينظر الكثير من المؤرخين الحداثيين بالكثير من التشكك إلى الملاحم الشعبية باعتبارها مصدراً تاريخياً بما تعنيه هذه الكلمة من معنى، الأمر الذي دفع غالبيتهم لتجاهل هذه الملاحم، وترك المجال للباحثين في الأدب الشعبي لدراسة تلك الملاحم من منظور مختلف. وعلى أية حال بدأ د. قاسم عبده قاسم اتجاهاً جديداً للنظر في الأدب الشعبي وإمكانية اعتباره مصدراً تاريخياً يعكس صوت العامة وأحلامهم، وطموحهم وتصورهم للأحداث التاريخية. وقد قدمت نبيلة إبراهيم دراسة رائدة - من منظور الأدب الشعبي - عن سيرة الأميرة ذات الهمة، مع مقارنتها ببعض السير البيزنطية خاصة السيرة المعروفة لديجنيس أكريناس؛ انظر: قاسم عبده قاسم: بين التاريخ والفلكلور، ط٢، القاهرة ٢٠٠١م؛ نبيلة إبراهيم: سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة، ط٥، المكتبة الأكاديمية، القاهرة ١٩٩٤م، أما عن المستشرقين الأجانب فيتفرد ماريوس كنار Marius Canard بدراساته الرائدة عن ملحمة ذات الهمة، والتي خصها بثلاثة من أبحاثه، كما أن Henri Grégoire قد تعرض لسيرة ذات الهمة ضمن عدد من الأبحاث عن الحقائق التاريخية في الملاحم الشعبية في العصر الوسيط. انظر/ الأمين أبو سعدة : بيزنطة في الملاحم العربية (ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، تحرير حاتم الطحاوي، دار عين، القاهرة ٢٠٠٣م)، ص ١٠٧.

١٠ - البعد الثالث للدراسات التاريخية : أي التفسير النفسي والوجداني ورؤية الجماعة الإنسانية لذاتها وللكون والظواهر والأحداث من حولها . للمزيد انظر/ عمرو عبد العزيز: الأساطير المتعلقة بمصر في كتابات المؤرخين المسلمين (مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠١٢م)، ص ١١.

١١ - مصر غنية بحكايات البطولة الشعبية إذ نجدها أرض سيرة سيف بن ذي يزن في حروبه مع الأقباش لاسترداد كتاب النيل انعكاساً للصراع المصري الحبشي أيام المماليك والذي تزامن مع الحروب الصليبية كأنه قوة ضاغطة لإضعاف قوة المواجهة العربية تجاه الغرب المتستر في حروبه الاستعمارية برداء الدين وخرج بالسيف من الإنجيل ليدفع الحبشة باسم الدين أيضاً أن تشارك في هذه الحروب. وكما أن مصر كانت أرض سيرة الظاهر بيبرس لتسجل حروب الصراع المباشر بين العرب والغزاة الذين يرفعون أمام سيوفهم شعار الصليب. فدور مصر في الجهاد الإسلامي أو كفاح الحضارة الإسلامية ضد الغزاة أبرزه الوعي الشعبي في سيرتين من أهم الموروث العربي الشعبي من السير. ولكن فترة الفتح نفسها لم تحظ بما حظيت به فتوحات الشام على يد أبي عبيدة، وفتوحات فلسطين على يد عمرو بن العاص، وفتوحات

صلحاً، بعد أن عدد لنا ابن عبد الحكم في (فتوح مصر والمغرب) الآراء التي اختلفت حول فتح مصر، هل فتحت صلحاً؟ أم فتحت عنوة؟. والثابت أن مصر في غالبها فتحت صلحاً^(١٢) ما عدا بعض القرى مثل قرية (بلهيب)^(١٣)، وقرية (خيس) وقرية (بلطيس)، وكذلك فتحت الإسكندرية في المرة الثانية عنوة^(١٤)، أما باقي مصر فقد فتحت صلحاً. ومن هنا فقد كان مجال المعارك الحربية أقل بكثير مما يتيح معارك الشام والعراق^(١٥).

وكان هذا هو التصور الراسخ في أذهاننا إلى أن جاء كتاب (سيرة فتوح البهنسا)^(١٦) الغراء على أيدي الصحابة والشهداء^(١٧) الذي قدم الرؤية الشعبية للفتح

العراق على يد خالد بن الوليد، وفتوحات اليمن على يد الإمام علي بن إبي طالب الذي تحول فيها إلى بطل شعبي من الطراز الأول. انظر/ عمرو عبد العزيز منير : الفتح الإسلامي لصعيد مصر في الوعي المصري الشعبي قراءة في مخطوط فتوح البهنسا الغراء (ضمن أبحاث مؤتمر التاريخ الحربي عبر العصور ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ٢٠١٢م) ، ص ٦١ - ٩٠.

١٢ - قال ابن عبد الحكم: حدثني عثمان بن صالح، أخبرنا الليث، قال: كان يزيد بن أبي حبيب يقول: مصر كلها صلح إلا الإسكندرية، فإنها فتحت عنوة". انظر / السيوطي : حسن المحاضرة ١/ ١٢٥.

١٣ - بلهيب : بالفتح ثم السكون، وكسر الهاء، وياء ساكنة، وياء موحدة: من قرى مصر، كان عمرو بن العاص حيث قدم مصر لفتحها صالح أهل بلهيب على الخراج والجزية وتوجه إلى الإسكندرية، فكان أهل مصر أعوانا له على أهل الإسكندرية إلا أهل بلهيب وخيس وسلطيس وقرطسا وسخا، فإنهم أعانوا الروم على المسلمين، فلما فتح عمرو الإسكندرية سبى أهل هذه القرى وحملهم إلى المدينة وغيرها، فردهم عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إلى قراهم وصيرهم وجميع القبط على ذمة. انظر/ ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي) : معجم البلدان (ط٢ ، دار صادر ، بيروت ١٩٩٥م) ، ١/ ٤٩٢.

١٤ - للمزيد راجع / ألفريد بتلر : فتح العرب لمصر ، (ترجمة محمد فريد أبو حديد ، ط ٢ ، لجنة التأليف ، القاهرة ١٩٤٦م) ، ص ٢٨٨-٢٤٠.

١٥ - فاروق خورشيد: مرجع سابق، ص ٩٥ ؛ عمرو عبد العزيز مقدمة تحقيق فتوح البهنسا، ٣٢، ٣٣.

١٦ - البهنسا بلدة بمركز بني مزار بمحافظة المنيا ، تقع بين بحر يوسف ، وسفوح التلال من سلسلة الجبال الليبية ، على مسيرة ١٥ كيلو متراً غربي بني مزار ، وهي محطة للسكة الحديدية على بعد ١٩٨ كيلومتراً جنوب القاهرة ، واسمها تصحيف للفظ مصري قديم "بمادا" وكانت قديماً عاصمة الإقليم التاسع عشر من أقاليم الصعيد ، ومركزاً لتقديس المعبود "ست". محمد رمزي : القاموس الجغرافي ، ق ٢ ، ج ٣ ، ص ٢١١ ؛ عمرو عبد العزيز : مقدمة تحقيق البهنسا ، ص ٦٧.

الإسلامي لصعيد مصر (مصر العليا) ؛ ثم تبعه كتاب - نحن بصدده - بعنوان "فَتْوحُ مِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ عَلَى يَدِ سَيِّدِي عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" والذي يعد أول رؤية ورواية شعبية للفتح الإسلامي للوجه البحري (مصر السفلى)، وليرد كل منهما على العديد من التساؤلات، ويقدمان نصًا شعبيًا يتناول فتح العرب لمصر تناولًا يمزج بين الحقيقة والخيال، ليحرراه من قيود التاريخ وصرامته، وانطلاقه في رحاب الإبداع الفولكلوري بشكل واضح وصريح، وهو على كل حال يؤكد أن فتوح مصر لم تمر على الوعي الشعبي دون استجابة يقظة، وانتباه واع، يدور الشعب في تسجيل بطولات هذا الحدث ويساعد في تصور السياق العام للحدث التاريخي، ويسد الفجوة الناتجة عن عزز المصادر التاريخية التقليدية عن سدها، وبعث الحياة في الهيكل العظمي للحقائق التاريخية الجافة، التي تحملها المصادر، عن أحداث وتفاصيل الفتح.^(١٨)

وعلى عكس الملاحم العربية الأخرى: يدور محورها الأساسي وبعدها الزمني والمكاني حول دائرة المعارك الإسلامية البيزنطية في شمال مصر^(١٩)، كما أنها سيرة قصصية وتاريخية؛ تكاد تكون مجهولة عند كثير من الباحثين في التاريخ والآداب الشعبية الذين لم يلتفتوا إليها، ولم يوفقوا نصوصها، أو يبحثوا موضوعها باستقاضة؛ لتشعب وتعدّد أحداث السيرة. وإذا

١٧ - العنوان الكامل للسيرة "قصة البهتسا هذا الكتاب حكاية لغزوة من أعز الغزوات الإسلامية وقصة فتح مابين للصحابية المحمدية عليهم رضوان الله الصمدية وفيها نوادر غريبة ووقائع عجيبة وما وقع في أرض البهتسا" أما عن الخلفية التاريخية للملحمة فتدور القصة بصفة أساسية حول فتح أحد أقاليم مصر الوسطى، تبلورت رؤية شعبية مصرية بما حوته من نبوءات (جاءت بأثر رجعي بعد حدوث الفتح)، وحكايات أسطورية تشرح وتفسر وتقيم جسرًا على الفجوة بين ما حدث بالفعل، وبين الروايات الجزئية للمؤرخين والوثائق (التي تشكل جزءًا من التاريخ ولكنها ليست التاريخ كله). وقد حملت هذه الرؤية أو القراءة الشعبية لأحداث الفتح الإسلامي لصعيد مصر فقط. وقد قمت بتحقيقه ، وتم نشره ضمن الأعمال الفائزة بجائزة تحقيق التراث ببيئة قصور الثقافة المصرية بالقاهرة عام ٢٠١٢م.

١٨ - ومن هنا تبرز أهمية اعتماد المؤرخ على "الموروث الشعبي" إلى جانب مصادره التقليدية؛ ذلك أن المزاجية بين هذين النوعين من المصادر يساعد المؤرخ على استيعاب الظاهرة التاريخية ورسم صورة كلية لها. للمزيد انظر / قاسم عبده قاسم: بين التاريخ والفولكلور ، ص ٤٤.

١٩ - تشترك سيرة الأميرة ذات الهمة مع سيرة فتوح البهتسا في موتيف الصراع البيزنطي الإسلامي.

حكمنا بعدد عناوين المخطوطات والروايات المختلفة للرواية التي بقيت من الكتاب بعناوينه المتعددة ؛ (فتوح مصر المحروسة)^(٢٠) أو (فتوح مصر وأعمالها)^(٢١)، أو (فتوح مصر والفيوم والإسكندرية ودمياط وغيرها من الجزائر والبلاد)^(٢٢) يمكن القول: إن صاحبها كان مؤلفاً شعبياً، وقد مال نفر من الدارسين إلى معالجة تحفته السردية باعتبارها عملاً في التاريخ لا قصة تاريخية^(٢٣)، وعلى الرغم من أن الأستاذ "هنريك آرنه همقر" نشر هذه السيرة برواية مشابهة سنة ١٨٢٥ م. بعنوان كتاب فتوح مصر والإسكندرية^(٢٤)، ونسبها إلى أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني واعتبره مصدرًا أصيلاً، ومهما من مصادر التاريخ التي تروي قصة الفتح الإسلامي لمصر، فإننا لا نتفق معه في الشطر الأول من رؤيته، بينما نوافقه الرأي على أنه يدخل ضمن "القصة التاريخية"^(٢٥) فقد كان النص ملهمًا لـ "ألفريد بتلر" في كتابه "فتح العرب لمصر" ووضعه في مقدمة الكتب المهمة التي استفاد منها في تأليفه لكتابه عن الفتح، وأشاد بقيمة الواقدي بقوله: "فقد كان من أول مؤرخي العرب وأعظمهم قدرًا الواقدي (٧٤٧-٨٢٣ للميلاد)، وقد ضاع كتابه ولم يبق منه إلا المقتبسات الكثيرة والإشارات العديدة التي بقيت في كتب المؤرخين الآخرين".

٢٠ - مخطوطة بعنوان (كتاب فتوح مصر المحروسة على يد سيدي عمرو بن العاص) ومتاحة بدار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم (١٠٠ الحُسَينِي).

٢١ - مخطوط مصور بدار الكتب بالقاهرة برقم ١٠٥٨ تاريخ تيمور ؛ ومخطوط آخر بعنوان هذا كتاب فتوح مصر وأعمالها للشيخ الإمام ابن إسحق الأموي نفعا الله به وببركاته في الدنيا والآخرة أمين " متاح بدار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم (١٤٢٠ زكية).

٢٢ - مخطوط بعنوان "فتوح مصر والفيوم والإسكندرية ودمياط وغيرها من الجزائر والبلاد تأليف العالم العلامة الواقدي رضي الله عنه وأرضاه" ، بدار الكتب والوثائق المصرية برقم ١٧٨٤ تاريخ تيمور .

٢٣ - حول أبعاد العلاقة بين التاريخ والقصة التاريخية راجع / روبرت إروين : ابن زنبيل وقصة التاريخ ، ص ٢٦ وما بعدها .

٢٤ - نشرها هنريك آرنه همقر في ليدن سنة ١٨٢٥م برواية مختلفة بعنوان (فتوح مصر والإسكندرية) المنسوب إلى المؤلف ، الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني .

٢٥ - روبرت إروين : ابن زنبيل وقصة التاريخ (ضمن كتاب الكتابة وأشكال التعبير في إسلام القرون الوسطى آفاق المسلم ، تحرير : جوليا براي ، ترجمة : عبد المقصود عبد الكريم ، إصدارات المركز القومي للترجمة ، العدد ٢٦١٩ ، ط١ ، القاهرة ٢٠١٥م) ، ص ٦٩ .

وأشار بتلر إلى هذا الكتاب الذي نحن بصده وأكّد أنه منسوب للواقدي: "وأما تلك الكتب التي تحمل اسمه مثل كتاب "فتوح مصر" فإنها تنسب إليه خطأ ولكنها في العادة تذكر منسوبة إلى اسمه تسهيلاً في القول، بدل أن يقال إنها تأليف "المدّعي بأنه الواقدي" (٢٦).

القراءة الأولى للنص تشي بأنه كان محلاً للرواية الشفوية على نطاق واسع، تلبية لحاجة اجتماعية: مثل التأكيد على حق القبائل وأحفاد من شاركوا بالفتوح، بعد أن شعر أحفاد الفاتحين الأصليين أنهم مهمشون ومستبعدون عما كانوا يرون أنه مكافآتهم العادلة (٢٧). أو تلبية لحاجة ثقافية عند الجمهور الذي كان توافاً إلى معرفة وقائع النهاية والبداية: نهاية الروم المسيحيين (البيزنطيين) في مصر وبداية العرب المسلمين، وزاد الرواة فيها، بل واختلقوا فيها لخدمة أغراض جديدة، ولتبرير مزاعم الحق في الحصول على الرواتب، أو حقوق التمتع بعمليات فرض الضرائب؛ فالرجال الذين استطاعوا البرهنة على أن أسلافهم قد شاركوا في الفتوح الباكّة؛ كانوا يشعرون بأن من حقهم الحصول على رواتب من بيت المال، أما سكان المدن فربما كانوا يأملون في تخفيف الضرائب عنهم، وأنهم قد استسلموا صلحاً للجيش المسلمة، وباختصار فقد تم حفظ قصص الفتوح، ليس بسبب الاهتمام بإنتاج سرد تاريخي واضح فقط، ولكن لأنه كان هناك شعور بأن ذلك أمر مفيد، ومن ثم فإن المادة التي لم تكن مفيدة، مثل التأريخ التتابعي المضبوط للأحداث، كانت تُلقى في زوايا النسيان (٢٨). وأبدى الرواة اهتماماً ببعض جوانب الفتوح، وكانوا أقل اهتماماً بجوانب أخرى قد تبدو في عيوننا اليوم أكثر أهمية (٢٩).

مما أعطى سمةً أخرى في هذه السيرة تتمثل في: الهوس بمعرفة المشاركين في الفتح الإسلامي بأسمائهم، وبطبيعة الحال، لا ينطبق هذا سوى على المشاركين من

٢٦ - ألفرد . ج. بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢٣.

٢٧ - هيو كينيدي : الفتوح الإسلامية كيف غير انتشار الإسلام العالم الذي نعيش فيه (ترجمة: قاسم عبده قاسم، دار عين للدراسات ، القاهرة ٢٠١٥هـ) ، ص ٣٩ ، ٤٠.

٢٨ - هيو كينيدي : الفتوح الإسلامية ، ص ٢٦.

٢٩ - المرجع السابق ، ص ٤٠.

العرب المسلمين، وتقدم لنا في الوقت ذاته صياغات عربية لأسماء أهم قادة جيوش أعدائهم، ولكنها تتعامل مع هذه الجيوش وكأنها جمهرة من الأسماء المجهولة، ويتم إعداد قوائم الأسماء العربية بعناية ودقة دافعها الحب، وإثبات مشاركة القبائل في الفتوح لأغراض اقتصادية، وهي قوائم كثيرا ما تتناقض كل منها مع الأخرى، أو تأتي بصيغ متعددة بتعدد المخطوطات الحاملة للقصة^(٣٠).

مع الأخذ في الاعتبار: الإشارات التي تفيد تداول مخطوطات هذه النصوص منذ فترة باكرة حتى القرن التاسع الهجري^(٣١)، كما وصلت لنا نسخ أخرى من القرن الثالث عشر الهجري، مع وجود اختلاف بين النسخ واختلاف نسبتها إلى مؤلفيها، وأن بعضاً منها يحمل روايات يغلفها الخيال؛ وهي من لوازم الحكاية الشعبية، لا سيما إذا كانت تدور حول حدث تاريخي حقيقي، ومن الطبيعي أن ينطبق هذا على المخطوط الذي يحمل حكاية مثل حكاية سقوط حكم الروم البيزنطيين وبداية حكم العرب المسلمين.

في الوقت نفسه: ليس من المقبول، علمياً أو منهجياً، المقارنة بين نص هذا الكتاب (فتوح مصر المحروسة) ونص كتاب "فتوح مصر وأخبارها" لابن عبد الحكم، على الرغم من أن النصين يدوران حول حدث تاريخي واحد: سقوط الحكم البيزنطي وبداية الحكم الإسلامي، بعد الصدام العسكري والسياسي بينهما، إذ إن كلا من الكتابين ينتمي إلى نمط من الكتابة يختلف عن النمط الذي ينتمي إليه الكتاب الآخر. كما كان ابن عبد الحكم مؤرخاً؛ مهمته أن يبحث عن الحقيقة ويسجلها، وإن تسربت إلى روايته بعض الحكايات الشعبية^(٣٢)، ولكنها في أغلبها اقتصررت على ما يتعلق بفضائل مصر وتاريخها القديم^(٣٣).

٣٠ - المرجع السابق، ص ٣٠.

٣١ - بمكتبة أحمد الثالث توجد مخطوطة يرجع تاريخ نسخها إلى القرن التاسع الهجري (٨٩٩ هـ / ١٤٧٨ م) برقم "أحمد الثالث ٢٨٩٠". منسوبة إلى الواقدي بعنوان "فتوح مصر".

٣٢ - إبراهيم أحمد العدوي، ابن عبد الحكم رائد المؤرخين العرب، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٣م)، ص ٦٩

٣٣ - ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب (تحقيق: علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٤م)، ص ٢٨، وما بعدها.

على حين كان الراوي في "فتوح مصر المحروسة" يدخل إلى تاريخ الفتح الإسلامي لمصر من بوابات الخيال والحبكة الدرامية الواضحة في روايته^(٣٤)، ولا بأس في أن نورد مثالا، في هذه الدراسة، على الرغم من أن نص "فتوح مصر المحروسة" يحفل بأمثلة عديدة لا تكاد تخلو منها صفحة واحدة من صفحات الكتاب؛ فنجد يسرد ما تعرض له بعض الجنود المسلمين في الأسر، وكيف تم تحريرهم على يد "رينا أخت مارية"^(٣٥) وفي سياق هذا نجد الذهنية الشعبية تبحث عن السطور المفقودة في حياة مارية القبطية (التي تسرى بها النبي صلى الله عليه وسلم) وتتقب عن الشخصيات الثانوية كي تكتمل الحبكة الدرامية لديها؛ لأن القراءة الشعبية لتاريخ مارية القبطية، كانت تحتوي في عناصرها علي مسائل أخرى شغلت الضمير الجمعي، ووجدتها فرصة لأن تطرحها في إطار رؤيتها الشعبية للأحداث في سياق بحثها المستميت عن العناصر المنسية والناقصة والقلقة في الحدث التاريخي^(٣٦).

فيورد النص التالي :

" ثُمَّ وَكَلَ بِهِمْ جَارِيَةً مِنْ جَوَارِهِ ، كَانَ اسْمُهَا «رِينَا» بَعْدَمَا حَطَّهُمْ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ ، وَأَمَرَهَا بِحِفْظِهِمْ ، وَأَسْلَمَ إِلَيْهَا مِفْتَاحَ الْبَيْتِ ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَدْخُلَ عَلَيْهِمْ بِمَا يُقَوُّنُهُمْ مِنْ مَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ ؛ فَامْتَسَلَتْ مَا أَمَرَهَا بِهِ وَدَخَلَتْ عَلَى يَوْفَنَّا وَأَصْحَابِهِ ، وَقَالَتْ : لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَلْقَى رَحْمَتَكُمْ فِي قَلْبِي ، وَاعْلَمُوا أَنِّي أَنَا أُخْتُ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ الَّتِي أَهْدَاهَا الْمَلِكُ الْمُقَوْسُ لِسَبِّكُمْ ، وَإِنِّي إِذَا خَلَصْتُكُمْ أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تُوصِلُونِي إِلَى مَدِينَةِ نَبِيِّكُمْ لَعَلِّي أَرَى أُخْتِي ، وَإِنِّي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَحْلُكُمْ مِنْ وَثَاقِكُمْ ، وَأَسْلَمَ إِلَيْكُمْ لَامَةً حَرَبِكُمْ ."^{٣٧}

هذا النص وغيره من النصوص الواردة في السيرة لا يمكن أن يكون نصًا خاضعًا لشروط الكتابة التاريخية؛ التي خضع لها النص الذي كتبه المؤرخ ابن عبد الحكم، أو غيره من مؤرخي مصر الإسلامية، على الرغم من صحة الإطار العام للحدث التاريخي والأشخاص التاريخيين،

٣٤ - قاسم عبده قاسم : واقعة السلطان الغوري ، ص ٢٤ ، ٢٥ بتصرف ؛ وانظر نص السيرة تحقيق عمرو عبد العزيز منير (القاهرة ٢٠١٥).

٣٥ - انظر السيرة ، ق ١١ و .

٣٦ - عمرو عبد العزيز منير : الأساطير ، ص ١٢٢ ؛ محمد عبد الله عنان : مؤرخو مصر الإسلامية ، ص ١١ .

٣٧ - المخطوط ق ٤٢ و .

فضلا عن المسرح الجغرافي الذي دارت عليه وقائع الحدث، والمثال الأخير على هذه الخصائص التي تقرب نص "فتوح مصر المحروسة" من الحكاية الشعبية، بقدر ما تبعده عن الكتابة التاريخية^(٣٨): نص طويل احتل عدة صفحات تتناول المشاهد والحوارات التي تخيل الراوي أنها وقعت منذ لحظة وقوع الجند المسلمين في الأسر حتى تحريرهم. وعلى الرغم من التصوير الدرامي الرائع فيما كتبه راوي سيرة فتوح مصر المحروسة، فإن النص ينتمي، دونما شك، إلى ذلك النمط الباكر من "الرواية التاريخية"؛ الذي تختلط فيه حقائق الأحداث التاريخية مع تفاصيل خيال المؤلف، بشكل يصعب تحديد مذاه.

ويبدو أن النص الشفاهي لسيرة "فتوح مصر المحروسة" كان واسع الانتشار؛ لأن الحكاية التي يحملها كانت حكاية النهاية لدولة الروم المسيحية في مصر، وبداية عهد جديد تم استدعاؤه في ظل ظروف تاريخية قاسية، وتحت وطأة الضربات الموجعة من الغرب المسيحي، والتي استطاعت أن تؤسس إمارات في جسد الأرض العربية في فلسطين والشام، وتهدد البقاع المقدسة في الحجاز، وكان الحكى والقص الشعبي من أهم ما استقوى به الناس ضد واقع مرير سياسيا واجتماعيا واقتصاديا^(٣٩) وقد ظلت هذه الرواية، مع ما يشابهها من روايات شعبية أخرى، تحظى بالاهتمام، وتلقى الرواج؛ بدليل وصول نسخ مخطوطة له إلى القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي. كما يجب أن نضع في اعتبارنا أن مجتمع ذلك الزمان كان بحاجة إلى كل من المؤرخ والراوي الشعبي (القصاص) بسبب الظروف التاريخية السائدة في المجتمع آنذاك.

وعلى الرغم من أن الكتاب المنسوب إلى كل من "الواقدي" أو إلى من يدعى "ابن اسحق الأموي"^(٤٠) يبدو في شكله وكأنه من نمط الكتب التاريخية التي تم تأليفها حول حدث بعينه، والتي اصطلح المؤرخون على تسميتها "الرسائل التاريخية" ذات الموضوع

٣٨ - قاسم عبده قاسم : واقعة السلطان ، ص ٢٦ بتصرف.

٣٩ - واقعة السلطان ، ص ٢٧ بتصرف.

٤٠ - انظر/ يوسف هوروقفس : المغازي الأولى ومؤلفوها ، (ترجمة : حسين نصار ، طبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٩م) ، ص ٧٥ ، ما بعدها ؛ صلاح الدين عاورر : الرواية الشفوية وأهميتها في حفظ التاريخ ، (مجلة المؤرخ العربي ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ١٩٩٩م) ، ص ١٧ .

الواحد، التي كان كل منها استجابة لحاجة ثقافية/اجتماعية فرضتها الظروف التاريخية^(٤١)، ومع أن المؤلف كان يتحدث عن حدث تاريخي حقيقي، وأورد أسماء حقيقية للأشخاص الذين أسهموا في هذا الحدث، كما ذكر أسماء الأماكن والبقاع التي دارت فيها أحداث الحكاية التي يحكيها، فإن استخدام لغة الحوار بين شخصيات الحكاية، في معظم أجزاء الكتاب، وحديثه عن الأفكار والمشاعر التي تختلج في نفوس أبطال حكايته، على الجانبين الإسلامي والبيزنطي، يكشف لنا بوضوح عن طبيعة وأسلوب الكتاب الذي يفتقر إلى الكثير من مقومات الكتابة التاريخية التي مارسها مؤرخو مصر الإسلامية^(٤٢).

فالراوي الذي يصور في خياله أجواء المداولات التي تتم في المعسكر البيزنطي أو في قصر المقوقس، وطرق اختيار الرسل والترجمة، والوقوع في غرام الأبطال المسلمين أو التعاطف معهم، ونص الحوار الذي دار بين أرماتوسة^(٤٣) ورسل المسلمين أو بينها وبين جنودها أو الحاحب ثميلاطوس^(٤٤)، كما أن الحديث عن تفاصيل المناظرات بين البطارقة والجنود المسلمين أو وصف "الملك أرسطوليس وهو جالس على سرير ملكه، والحجاب بين يديه، ومماليكه عن يمينه وشماله قيام، وأيديهم على مقابض سيوفهم، وعليهم أقبية الديباج الملون، وفي أوساطهم المناطق المرصعة بأنواع فصوص الجواهر، وبأيديهم أساور الذهب"^(٤٥)، والحديث عن الجمال وحسن الهندام الذي يقصد به إيهار الخصم، كأنه من حكايات "ألف ليلة وليلة" أو السير الشعبية العربية مثل "سيرة فتوح البهنسا الغراء"، "الأميرة ذات الهمة"، أو "الظاهر بيبرس" وغيرهم من السير الشعبية العربية التي كانت تروى في تلك العصور^(٤٦).

- ٤١ - قاسم عبده قاسم : في تطور الفكر التاريخي ، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، القاهرة ٢٠٠٤م) ، ص ١٢٦ .
- ٤٢ - قاسم عبده قاسم : في تطور الفكر التاريخي ، ص ١٢٧ ؛ محمد عبد الله عنان : مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري (مكتبة الأسرة ، القاهرة ١٩٩٩م) ، ص ١٢ ، وما بعدها .
- ٤٣ - في السيرة تظهر أرماتوسة هي زوجة الملك قسطنطين بن هرقل وابنة الملك المقوقس صاحب مصر ، وكان أبوها قد جهّزها بأموالها وجواريها إلى بلبيس ، على أنها تسير إلى زوجها قسطنطين بن هرقل . انظر / سيرة فتوح مصر ق ١٣ .
- ٤٤ - سيرة فتوح مصر المحروسة ، ق ١٣ ، ق ١٤ ، ق ١٥ ، ق ١٦ ، ق ١٧ ، ق ١٨ .
- ٤٥ - سيرة فتوح مصر المحروسة ، ق ٢٥ ، ق ٢٦ ، ق ٣٣ ، ق ٣٤ ، ق ٣٧ .
- ٤٦ - انكر ابن الحاج في المدخل إلى اشرع الشريف ، وغيره من رجال الدين هذه القصص التي كانت تروى للعامة ، للمزيد انظر / ابن الحاج " أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي والمالكي " ت ٧٣٧هـ / ١٤٧٣م : المدخل إلى اشرع الشريف ، (دار التراث ، القاهرة د.ت) ، ج ٤ ، ص ٨٠ . بن الأخوة " محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد القرشي " ت ٧٢٩هـ : معالم القرية في طلب الحسبة ، (تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠١م) ، ص ١٩٠ .

أما عن عنوان السيرة وإشكالية المؤلف: العنوان الكامل للسيرة "فُتُوحُ مِصْرَ المَحْرُوسَةِ عَلَى يَدِ سَيِّدِي عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ"، يعد العنوان من أهم العتبات الدلالية التي توجه القارئ إلى استكناه مضامين النص الشعبي/ التاريخي، وتفكيك شفراته واستكناه محمولاته الدلالية، بما يعطيه من انطباع أولي عن المحتوى^(٤٧). والواضح من عنوان السيرة: أن البطولة في هذا العمل مقصودة للمكان، وهو مصر، فهو المعني بهذا الكتاب وهو محوره، وذكر حكاياتها مع الفتح الإسلامي.

يُنسب كتاب "فُتُوحُ مِصْرَ المَحْرُوسَةِ عَلَى يَدِ سَيِّدِي عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" إلى اثنين من المؤلفين وهما الواقدي^(٤٨) (١٣٠ - ٢٠٧هـ)، ومحمد بن إسحق الأموي^(٤٩) وبمناقشة الجوانب المختلفة المتعلقة بإشكالية المؤلف، ولغة السيرة ومصطلحاتها، نخلص إلى عدم

٤٧ - أحمد فرشوخ، جمالية النص الروائي، مقارنة تحليلية لرواية "لعبة النسيان"، (درا الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط١ 1996 م)، ص ٢٢؛ محمد فكري الجزار : العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي ، (سلسلة دراسات أدبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٨ م) ، ص ٨ .

٤٨ - الواقدي (١٣٠ - ٢٠٧) أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (الأسلمي مولا هم) الواقدي المدني - مولى بني هاشم قاضي بغداد، وكانت امه من أحفاد سائب خائر الذي كان أول من غنى قصائد عربية في المدينة، والذي حضر والده من فارس إلى المدينة أسير حرب، ولذلك يجري في عروق الواقدي بعض الدم غير العربي، ويعد من أقدم مؤرخي الإسلام كان مولده بالمدينة واتصل ببني العباس عام ١٨٠هـ. فاستقضى الرشيد والمأمون زمنا طويلا - صنف كتبا كثيرة عددها صاحب كتاب الفهرست منها كتاب المغازي منها كتاب في فتوح الأمصار ذكره البلاذري والمسعودي وهو تأليف أخذته يد الضياع قال ابن خلكان في ترجمة الواقدي: وضعفه في الحديث وتكلموا فيه وكذلك أبو جعفر الطبري يغلطه في مواطن كثيرة وفي أحاديث عديدة لاسيما في تاريخ الوقائع وفتوح البلدان. قال احمد بن عبد الله بن صالح: ما رأيت أحدا حفظ للحديث منه وقيل فيه هو كذاب ليس بثقة ولا يكتب حديثه. وفي الفهرست: قال محمد بن اسحق قرأت بخط عتيق قال: خلف الواقدي بعد وفاته ستمائة قمطر كتبا كل قمطر منها حمل رجلين وكان له غلامان مملوكان يكتبان الليل والنهار وقبل ذلك يبيع له كتب بالفي دينار قال الذهبي: مات الواقدي وهو على القضاء سنة سبع ومائتين في ذي الحجة واستقر الإجماع على وهن الواقدي اهدفن بمقابر الخيزران ببغداد في الجانب الغربي. نقلاً عن / البان سركيس: معجم المطبوعات العربية (مطبعة سركيس، القاهرة ١٩٢٨ م) ؛ يوسف هوروفقس: المغازي الأولى ومؤلفوها ، ص ١٠١ .

٤٩ - نجد محاولة من الراوي للخلط بين اسم (محمد ابن إسحق الأموي) ، وبين (محمد بن إسحاق بن يسار المدني) الذي عُرف باهتمامه البالغ في علم المغازي ، حتى كان أول من جمع المغازي في مصنف كامل ، وهو مؤلفه الذي اشتهر به - ولم نقف له على غيره - عُرف بـ " المغازي "، ولم يظهر حتى الآن كاملا ، وإنما طبع قسم منه بتحقيق الدكتور محمد حميد الله ، وطبع أيضا القسم نفسه بتحقيق الدكتور سهيل زكار ، غير أن الكتاب حفظ لنا من خلال اختصار ابن هشام له ، فيما يعرف بـ " السيرة النبوية " لابن هشام الذي روى مغازي ابن إسحاق عن تلميذ ابن إسحاق زياد البكائي المتوفى سنة ١٨٣هـ.

نسبة سيرة "فُتُوحُ مِصْرَ المَحْرُوسَةِ عَلَى يَدِ سَيِّدِي عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" إلى الواقدي لأسباب منها: أن طبعة كتاب "فتوح الشام" ^(٥٠) التي ورد بها أخبار عن فتوح مصر والبهنسا ^(٥١). اقتصر على ذكر فتح العرب لصعيد مصر، ولم تتطرق إلى الإسكندرية أو دمياط أو شمال الدلتا، كما أن النص المتعلق بفتح البهنسا حوله العديد من الشكوك يعضدها الشواهد ومنها: أنه قد ورد فيها أسماء لأماكن عديدة في صعيد مصر بمسميات لم تكن قد استحدثت زمن الواقدي (المتوفي: ٢٠٧هـ/٨٢٢هـ) إذ نجد عند الواقدي ذكر لقرية الجرنوس ^(٥٢) "في فتوح الشام، ثم في سيرة فتوح البهنسا. وهذا المسمى لم يكن قد أطلق على القرية إلا فيما بعد ^(٥٣). والشواهد عديدة حول عدم نسبة

٥٠ - الواقدي "محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله" ت ٢٠٧هـ : فتوح الشام "دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م".

٥١ - الراجح أن الرواية المتعلقة بالبهنسا في فتوح الشام منسوبة إلى الواقدي في عصر متأخر إذ نجده يدخل مباشرة في الحديث عن البهنسا بخلاف التسلسل الزمني والمكاني الذي اعتمده في سياق حديثه عن بلدان الشام، فلم يذكر فتوح القاهرة الإسكندرية كتمهيد طبيعي للحديث عن فتوح الصعيد والفيوم والبهنسا.

٥٢ - عند ياقوت: "إِرْجَنْوُسُ: بالكسر ثم السكون، وفتح الجيم، وتشديد النون وفتحها، وسكون الواو، وسين مهملة: قرية بالصعيد من كورة البهنسا. وعند المقرئ "ذكر إرجنوس هذه المدينة من جملة عمل البهنسا، بها كنيسة بظاهرها، فيها بئر يقال لها بئر سبريس صغيرة، لها عيد يعمل في اليوم الخامس والعشرين من بشنس أحد شهور القبط، فيفور بها الماء، عند مضي ست ساعات من النهار حتى يطفو، ثم يعود إلى ما كان عليه، ويستل النصارى على زيادة النيل في كل سنة، بقدر ما علا الماء من الأرض، فيزعمون أن الأمر في النيل وزيادته يكون موافقا لذلك" ياقوت: معجم البلدان ١/١٤٤؛ المقرئ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٣٦٧). تفاصيل إشكالية المؤلف وما دار حوله من مناقشات راجع عمرو عبد العزيز: مقدمة تحقيق كتاب فتوح البهنسا، (القاهرة ٢٠١٢م)، ص ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٧.

٥٣ - ولم ترد تلك التسمية عند ياقوت الحموي في معجم البلدان (المتوفى: ٦٢٦هـ/٨٧٥ م). ولا عند "محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي المعروف بالوطواط" (المتوفى ٧١٨هـ/١٣١٨ م)، ولا عند المقرئ (المتوفى: ٨٤٥هـ/١٤٤١ م). وإنما وردت عندهم جميعاً باسم "إِرْجَنْوُسُ" كما وردت في قوانين ابن ممتي، وفي تحفة الإرشاد، وفي التحفة من أعمال البهنساوية، وفي تاريخ سنة ١٢٣٦هـ/١٨٢٠ م "الأرجنوس"، ثم خُففت في النطق باسمها الحالي، الذي وردت به من سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣ م... والشواهد عديدة حول عدم نسبة السيرة لأي من المؤرخين السابقين وفي ظني وتقديري أنه مجهول؛ فالرواية نفسها تتكون من طبقات أدبية تشبه تلك الطبقات الجيولوجية بسبب أن الرواة الذين تناقلوها شفاهاً كانوا باستمرار يعملون ويزيدون أو يحذفون من الرواية الأصلية تلبية لحاجة جمهور المستمعين، حتى تم تسجيل الرواية في أحد أشكالها على صفحات المخطوط الذي لم يلبث أن طبعت منه عدة نسخ تكشف كل منها عن صحة ما ذهبنا إليه. والشواهد عديدة فيما يتعلق بثبوت الأماكن المستحدث اسمها. إضافة إلى أن المعلومات الأثرية المثبتة على شواهد أضرحة عدد من المدفونين في البهنسا والتي ورد ذكرهم في السيرة تؤكد هذا الرأي. مثال ذلك شاهد ضريح الشيخ

نسبة السيرة للمؤرخ الواقدي، بما فيها الجزء المتعلق بفتح الصعيد والبهنسا، وفي ظني وتقديري أنه مجهول؛ فالرواية نفسها تتكون من طبقات أدبية تشبه تلك الطبقات الجيولوجية، بسبب أن الرواة الذين تناقلوها شفاهاً كانوا باستمرار يعدلون ويزيدون أو يحذفون من الرواية الأصلية، تلبية لحاجة جمهور المستمعين، حتى تم تسجيل الرواية في أحد أشكالها، على صفحات النسخ المتعددة للمخطوط، الذي لم يلبث أن طبعت منه عدة نسخ؛ تكشف كل منها عن صحة ما ذهبنا إليه.

الأمر الذي يدعونا، دون حذر شديد، من التحقق بعدم نسبة الكتاب للواقدي (١٣٠هـ/٧٤٧م - ٢٠٧هـ/٨٢٢م)، إذ كان من الأحرى أن ترد أسماء الأماكن بمسمياتها التي كانت عليها في حياته، فضلاً عن نقل راوي سيرة فتوح مصر - أيضاً - العديد من النقول عن الواقدي، وعن من لقبه بابن إسحق الأموي مستهلاً بقوله: "قال الواقدي رحمه الله تعالى"، "قال محمد بن إسحاق الأموي رحمه الله" ^{٥٤}.

أما عن الخلفية التاريخية للملحمة: والواضح من سرد أحداث السيرة: أن سيرة "فتوح مصر المخروسة" تتشابه تماماً مع الإطار العام لسيرة "فتوح البهنسا الغراء"، كقصة تاريخية قصد بها إذكاء الروح الجهادية في سامعيها، وقد مزج الراوي بين حقائق التاريخ والخيال، ليصنع قصة تنقد بالحماسة والحث على الجهاد. ويرى "توريس" أن فتوح البهنسا وسيرة عنتر بن شداد تعودان إلى العصور الوسطى ^(٥٥)، والأسلوب في كليهما يشي بذلك، وهو ما ينسحب بالضرورة على سيرة "فتوح مصر المخروسة" ^(٥٦)، التي تدور قصتها بصفة أساسية حول فتح مصر والإسكندرية والتغور المصرية المهمة، كدمايط ورشيد وتيس والإسكندرية، وكانت التيمة العامة

الصالح عبدالله التكرور الذي كانت وفاته في "السابع والعشرين من صفر سنة أربع وسبعين وستمائة انظر / محمد رمزي: القاموس الجغرافي ق ٢، ج ٣ (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤ م)، ص ٢١٣؛ أحمد عبد القوي: آثار وفنون البهنسا، (سلسلة التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٥ م)، ص ٦٤.

٥٤ - سيرة فتوح مصر، ق ٤، ق ١٢، ق ١٩.

٥٥ - أشار ابن الحاج إلى رواج سيرة البطال، وسيرة عنتر وغيرها من السير الشعبية في عصره (توفي ٧٣٧هـ) انظر/ ابن الحاج: المدخل، ج ٤، ص ٨٠.

56 - Norris, H. T.: The futuh al - Bahnsa and its relation to pseudo maghazi and futuh literature, arabic siyar and Westera chanson de geste in the middle ages.

نوريس، ه. ت: فتوح البهنسا وعلاقتها بالمغازي الزائفة وأدب الفتوح والسير العربية وأنشودة البطولة الغربية في العصور الوسطى.؛ إبراهيم كامل احمد: "فتوح البهنسا الغراء"، كتاب من كتب المغازي الإسلامية "مجلة الفنون الشعبية عدد ٤٦ يناير - مارس ١٩٩٥ م"، ص ٧٥، ص ١٤٥.

واضحة؛ كان انتصار المسلمين في مصر تعبيراً عن مشيئة الله، ومكافأته لهم لاعتناقهم الإسلام، وكانت هزيمة البيزنطيين كذلك جزءاً من الخطة الربانية، وعقاباً لهم على التوفيق بين وحدانية الله وإيمانهم بالثالوث، وعلى حكمهم الظالم، وتتجلى هذه النيمة باستمرار في: غزارة التبادل بالرسائل أو الخطب بين العمال المسلمين والبيزنطيين^(٥٧)، ثمة خيط آخر منسوج مع الرواية، وهو القوى العسكرية الإسلامية والمآثر البطولية، ويعكس بناء الشخصيات الحبكة ويعززها، حيث تجسد الشخصيات الرئيسية: عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وأبو عبيدة بن الجراح، والشخصيات الأخرى المساندة لهم في السيرة: الفضيلة الروحية والعسكرية بالتتابع، وتصل شجاعة المسلمين وقواتهم قدراً خيالياً؛ إنهم قلة دائماً، لكنهم يواسون أنفسهم دائماً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، العرب لا يخونون ولا يكتبون، والعلاقات بينهم طيبة، ومفعمة بالإحساس بالعدل، وهم نماذج مطلقة للفضيلة، لكنهم قبل كل شيء أنقياء، ويلتزمون بصرامة بالآخرة والنقطة في النصر أو الشهادة، بينما أعداؤهم المسيحيون على العكس تماماً^(٥٨). ونجد النبوءات عن قرب ظهور البطل المخلص لمصر؛ وحكايات تشرح وتفسر وتقيم جسراً على الفجوة بين ما حدث بالفعل، وبين الروايات الجزئية للإخباريين والمؤرخين والوثائق (التي تشكل جزءاً من التاريخ ولكنها ليست التاريخ كله). وقد حملت هذه الرؤية القراءة الشعبية لأحداث الفتح الإسلامي لمصر^(٥٩).

ويستهل الراوي سيرته ببداية المشاورات والمراسلات بين عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب حول ضرورة فتح مصر، ولكنه في الطريق يأبى إلا المرور بمحاولة التقرب من الذات، وذلك حين يعرض - الراوي - ما يجب وما لا يجب، حين يتعرض لحكاية عن حامل الرسالة، كيف حاله وكيف يوجهه

٥٧ - سيرة فتوح مصر ، ق ٧٨ ، ق ٧٩ ، ق ٨٠ .

58 - Paret,Ruidi (1970), Die legendare Futuh – Literatur, ein arabisches Volksepos La poesia epica e la sua formazione, Accademia Nazionale dei Lincei, Atti 139,pp.742-3.

وانظر/ روبرت ج. هولاند : التاريخ والقصة والتأليف في القرون الأولى من الإسلام (ضمن كتاب الكتابة وأشكال التعبير في إسلام القرون الوسطى آفاق المسلم ، تحرير : جوليا براى ، ترجمة : عبد المقصود عبد الكريم ، إصدارات المركز القومي للترجمة ، العدد ٢٦١٩ ، ط١ ، القاهرة ٢٠١٥م) ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

٥٩ - قارن السمات المماثلة في سيرة فتوح البهنسا الغراء ، وفتوح الشام . للمزيد/ عبد المنعم شميمس : قصة البهنسا " مجلة الفنون الشعبية ، العدد الأول ، القاهرة) ، ص ٣٤ - ٣٨ ؛ إبراهيم كامل احمد : "فتوح البهنسا الغراء" ، ص ١٣٧ - ١٤٥ .

عمر بن الخطاب لضرورة الالتزام بالأخلاق الدينية قائلاً: "هَذِهِ الدِّيَابَجَةُ الْحَرِيرُ النَّبِيُّ عَلَيْكَ، لُبْسُهَا حَرَامٌ عَلَى الرَّجَالِ"^(٦٠). إذ ينقل الأخلاقيات الدينية إلى مقام الثقافة، كرساله منه إلى الحاكم والمحكوم؛ تعطى بعداً عن مدى تصور الذات وارتباطها الوثيق بالأخلاقيات الدينية، وضرورة العودة للزهد وترك الترف الذي يعيشه مجتمع الراوي. بما يؤيد عمق السيرة الشعبية، وغناها الواضح بما يعبر عن حال المجتمع الذي يتلقاها في لحظة تاريخية مأزومة.

ثم يستعرض بداية سير المعارك التي دارت وقائعها بين العرب والبيزنطيين في مصر السفلى، ويأتي على رسالة من عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، ولعل الحديث عن هذه الرسالة يذكرنا بما تناوله المؤرخون من أن عُمَرَ أخبر عمراً أنه مرسل إليه كتاباً، فإن أدركه قبل دخوله أرض مصر فليعد من حيث أتى، وإن أدركه بعد دخولها فليمض على بركة الله، وأن عمراً قد أدركه هذا الكتاب وهو لا يزال في فلسطين، فلم يقرأ الكتاب إلا بعد أن تأكد من أنه في أرض مصر^(٦١). وبدأ تصاعد أحداث السيرة بعد رسالة عمر إلى عَامِرِ بْنِ الْجَرَّاحِ، حين يأذن فيه إلى عمرو بن العاص بالمسير إلى مصر، ثم نجد تتابع النجدات وانضمام العديد من القادة التاريخيين الذين تم استدعائهم من ذمة التاريخ إلى جيش عمرو: أبرزهم "خالد بن الوليد"، ومضت القصة تروى تحركات الجيش العربي، لنجد صورة مغايرة لخالد بن الوليد؛ جعلته كبطل مواز للبطل الرئيسي في السيرة وهو "عمرو بن العاص" الذي كان له أعداء لدودين، لعبوا دوراً في بناء السيرة وتطور المعارك الحربية، وجعلت لخالد بن الوليد دوراً لا يقل أهمية، من حيث جوهر فعله، ويتساوى مع الأمير عمرو، ويدعم وجوده على مدى السيرة، برغم أن الثابت تاريخياً وفاة خالد بن الوليد بالشام في غضون أقل من أربع سنوات من عزله، عام ٦٤٢م/٥٢١هـ، ودفن في حمص، حيث كان يعيش منذ عُزل. ولعل وجود خالد في سيرة فتوح مصر المحروسة وكذلك وجوده كبطل رئيس في سيرة فتوح البهنسا الغراء - صدى لحب الناس وتحديثهم بفعال وبطولات خالد في أرمينية، وإنبهارهم بانتصاراته في الشام والعراق، حيث تغنى الشعراء بفعاله، فوهبهم خالد من ماله وأغدق عليهم، ورسم في مخيلتهم النموذج الأعلى للبطل؛ إنها المخيلة الشعبية، التي لا تتغنى بهزائمها، ولكنها تشرب بأبصارها إلى عصور البطولة العربية الإسلامية، تجتريها سردياً

٦٠ - سيرة فتوح مصر ، ق ٢ .

٦١ - ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص ٧٧ .

وملحمياً، إنه الهروب إلى ماضٍ ذهبي، من حاضر جرح، محبط، منتشرذم، منهزم داخلياً وخارجياً على السواء، ومن عدو تاريخي يتربص بها الدوائر، سواء أجاها من الشرق المجوسي أو النثري، أم جاء من الغرب البيزنطي أو الصليبي.^{٦٢}

وفي ضوء ذلك: فإن الوجدان الشعبي يتسم بالصدامية مع أي رقابة تاريخية أو أخلاقية أو أدبية؛ قد تعوق تجسيده بالشكل الأمثل الذي يرنو إليه الوعي الشعبي. ولذلك فإن الراوي يأتي بشخصياته وأحداثه من ثنايا التاريخ، ويبقى الفرق بين القصص الشعبي والتاريخ واضحاً "فالأول ينشد ما يجب أن يكون، والثاني يفتش عما كان"^(٦٣)، فيختار الراوي من التاريخ من يحقق له. حلمه / حلم جمهوره. ويروي بشكل أدبي تطلعاته وآماله، مستعيناً بالمادة التاريخية، ومحملاً إياها هموم الشعب وآماله^(٦٤)، ويصبح في حالة تصادم دائم مع أي حدث تاريخي لا يخدم الفكرة الرئيسية المنشودة. ووسيلته في ذلك خياله، وإيمانه المطلق بعدالة حلمه^(٦٥). وعلى الرغم من أن السيرة الشعبية "فَنُوحُ مِصْرَ المَحْرُوسَةِ" تحقق النصر العسكري الساحق لأبطالها على البيزنطيين، فإن هذا الانتصار/الحلم يبقى مزيجاً من الواقع التاريخي والخيال القصصي، على نحو ما يعالجه أو يراه المتخيل السردي - تعبيراً عن أحلام الضمير الجمعي وآماله^(٦٦).

-
- ٦٢- محمد رجب النجار: الأدب الملحمي في التراث الشعبي (سلسلة الدراسات الشعبية، العدد ١١٠، هيئة قصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٧م)، ص ٩٥.
- ٦٣- عبد الحميد بونس: الظاهر بيبرس في القصص الشعبي (دار القلم، القاهرة د.ت)، ص ٥؛ طلال حرب بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ١٩٩٩م)، ص ١١.
- ٦٤- أحمد محمد عطية: مدخل لدراسة شخصية البطل الثوري في الرواية العربية، (مجلة الأقاليم، العدد ٩ ١٩٧٥م)، ص ١٥؛ طلال حرب: بنية السيرة الشعبية، ص ١١.
- ٦٥- يوسف إسماعيل: الرؤيا الشعبية في الخطاب الملحمي عند العرب (منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٤م)، ص ١٢٦؛ عالي سرحان القرشي: العلاقة بين الرواية والتاريخ (استنطاق، اختراق، تكوين)، (ضمن أبحاث ملتقى القاهرة الثالث للإبداع الروائي العربي، الجزء الثاني، الرواية والتاريخ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٥م)، ص ١١-٢٢.
- ٦٦- عبد المجيد عابدين: لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية، (مطبعة الشبكشي، القاهرة ١٩٦٤م)، ص ١٢٢، ١٢٣. بتصرف.

قدمت السيرة بعض الأنواع المختلفة للأسلحة المستخدمة في القتال وطرق تعبئة الجيوش، أما أسلحتهم فكانت في معظمها: أسلحة القتال المتلاحم من سيوف ودرق وأعمدة ورماح وكراييج، إلى جانب القسي والنشاب للرمي عن بعد، ودبابيس^(٦٧). وكلها أمور تتفق مع أسلحة تشكيلات المشاة في الجيش البيزنطي والمكون من فرق تستخدم كعوبا غليظة ومزاريق طويلة وحرايا، مهمتهم مواجهة هجمات الفرسان الثقيلة حيث كان في كل وحدة مشاة مكونة من ألف رجل، ومئة جندي مجهزين جيدا. إلى جانب أربعمئة من حملة الحراب وثلاثمئة من حملة السهام ومئتين من المشاة الخفيفة مسلحون بالمقاليع والمزاريق الصغيرة^{٦٨}.

كما يوضح النشاط الاستخباراتي الحربي، الذي قام به جيش العرب ضد البيزنطيين، وما قام به الجيش البيزنطي ضد العرب، وآلية تعامل كل منهما مع الآخر، ويعرض لطرق الأكمنة التي اعتاد البيزنطيون نصبها للعرب "إِذَا وَصَلْتَ إِلَى السَّاحِلِ لَا تَنْزِلِ الْبَرَّ حَتَّى تَبْعَثَ جَوَاسِيكَ يَأْخُذُوا لَكَ^(٦٩) أَخْبَارَ حَالِ الْعَرَبِ، فَحَيْثُ أَخْبَرُوكَ بِهَا نَازِلَةً فَاتْرُكْهُمْ إِلَى اللَّيْلِ..."^(٧٠)، "قَلَمَّا سَمِعَتْ أَرْمَاثُوسَةُ ذَلِكَ مِنْ جَوَاسِيْسِهَا دَخَلَ الرُّعْبُ فِي قَلْبِهَا"^(٧١)، ناهيك عن الأبواب السرية^(٧٢) والطرق المجهولة للعديد من حصون البيزنطيين، والتي كانت تستخدم في الأوقات الطارئة^(٧٣). بل إن الجواسيس يستطيعون

٦٧ - الدَّبُوسُ : وَاجِدُ الدَّبَابِيْسِ ، لِلْمَقَامِ مِنْ حَدِيدٍ وَغَيْرِهِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي قَوْلِ لَقِيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ : لَوْ سَمِعُوا وَقَعَ الدَّبَابِيْسِ وَكَأَنَّهُ مُعَرَّبٌ دَبُوزٌ . تاج العروس ٤٩/١٦ . ، والدبوس : عصا من الخشب أو الحديد في رأسها شئ كالكرة ، وهي في العادة للفرسان يحملونها في سروجهم ، ويتقاتلون بها عند الاقتراب ، وهي كلمة فارسية : دبوس Topouz وهي دبسة بالعامية . انظر / محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي (دار الفكر ، دمشق ١٩٩٠م) ، ص ٧٣؛ كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ، ص ٦٠؛ عبد الرعوف عون : الفن الحربي في صدر الإسلام ، ص ١٥٤.

٦٨ - جون هالدون : بيزنطة في حرب ٦٠٠ - ٤٥٣ م (ترجمة وتعليق : فتحي عبد العزيز محمد ، دار ناشري ، الكويت ٢٠١١م) ، ص ٤٧.

٦٩ - يريد «حتى ترسل جواسيسك يأخذون لك»، وواضح أنه أصاغها باللهجة الدارجة.

٧٠ - سيرة فتوح مصر ، ق ٦٩.

٧١ - سيرة فتوح مصر ، ق ١٦ .

٧٢ - سيرة فتوح مصر ، ق ٥٦ ، ق ٦٢.

٧٣ - عبد الرعوف عون : الفن الحربي في صدر الإسلام ، ص ١٤٥.

نقل الخطط السرية ومحاورات قادة الروم مع كبار رجال دولتهم، ويجيد هؤلاء الجواسيس اللغة القبطية واليونانية إجادة تامة: "كَانُوا يَحْفَظُونَ أَكْثَرَ اللُّغَاتِ لِيَسْتَغْمِلُوهَا فِي وَقْتِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا"^(٧٤). كما وردت إشارات عن الدور الدبلوماسي والثقافي الذي قام به الترجمة، في مجتمع السيرة، وتزايد الحاجة إليهم، وهو ما نجد له صدى في الواقع التاريخي للمجتمع في العصر المملوكي^(٧٥)، إضافة إلى إشارات تفيد عن مستوى التعليم والاهتمام باللغات؛ الذي كان يتلقاه الأمراء والملوك والسلطين في الواقع التاريخي، ومعرفتهم لأكثر من لغة^(٧٦).

كما عكست سيرة "فَتْوحُ مِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ" علاقة بلاد النوبة مع مصر المتمثلة في: رابطة الجوار ورابطة الكنيسة، وخاصة بعد إخفاق محاولة عمرو بن العاص، سنة ٦٤٢م، فتح النوبة على يد عقبة بن نافع، ثم محاولة عبد الله بن أبي السرح، وتوالي غارات أهل النوبة على مصر، في عصر الإخشيديين والفاطميين، إلى أن أنت الحروب الصليبية لتزيد من مظاهر العداء بين مصر ومملكة النوبة المسيحية: مهاجمة أسوان سنة ١٢٧٢م وأسرهم العديد من أهل أسوان وعيذاب، وتصدي الظاهر بيبرس لهم^(٧٧) فعند ذَلِكَ وَثَبَ مكسوج ملك البجاه^(٧٨)، وعليق ملك النوبة، وجمعا ما حولهما من العساكر، والجنود من أرض النوبة، والبجاه، والبربر، وأنوا إلى أسوان^(٧٩). وتكاد تتشابه الصورة النمطية للبجاه في سيرتي "فتوح مصر المحروسة" مع "سيرة فتوح البهنسا الغراء بقول الراوي: "وطمطمت السودان، وكفروا بالرحمن، وثار العجاج، وهمهمت وزمجر هؤلاء الأعلاج السود، وحميت الحروب، وعظمت البلايا والكروب، وكانت الأجساد تنوب، وسالت سواقي الدماء كالأنبوب، ورويت بدمائهم الأرض، وماجت أهلها بالطول والعرض، وامتلاّت ما بيّن صريع وطريح، وقَتِيل جريح، حام الحمام على الكفرة اللئام"^(٨٠).

٧٤ - السيرة، ق ١١٠.

٧٥ - للمزيد / على السيد على : الترجمة في عصر سلاطين المماليك (ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاجتماعي من العصر المملوكي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠١٤م) ، ص ٢٠٥ - ٢٣٢.

٧٦ - سيرة فتوح مصر ، ق ١٥ ، ق ١٦.

٧٧ - انظر / سعيد عبد الفتاح عاشور : الظاهر بيبرس (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠١م) ، ص ١٢٤.

٧٨ - البَجَاوَةُ: بفتح الواو، قال الزمخشري: بجاوة أرض بالنوبة، بها إبل فرهة وإليها تنسب الإبل البجاوية منسوبة إلى البجاه، وهم أمم عظيمة بيّن العرب والحش والنوبة ، والبجاه: قوم سود أشد سوادا من الحبشة . ياقوت: معجم البلدان ٣٨٨/٤.

٧٩ - انظر / سيرة فتوح مصر المحروسة ق ٤١.

٨٠ - فتوح البهنسا ، ص ٢٠١.

ويعصف ملامحهم الجسدية بقوله: "وَكَانَ فِي أَصْحَابِ الْأَفْيَالِ الْفَيْنِ مِنَ السُّودَانِ وَالْبَرَبْرِ مِنْ أَعْلَى بَرِّ سَوَاكِنِ الْأَقْصَى، سُودَانٌ يَعْرِفُونَ بِالْقَوَادِ، شَفَةَ أَحَدِهِمُ الْعَلِيَا مَشْقُوقَةً وَفِيهَا خَزَامٌ مِنْ نَحَاسٍ، فَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْحَرْبِ لَا يَخْرُجُونَ تِلْكَ الْقَوَادِ إِلَّا إِذَا حَمَى الْحَرْبُ وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ وَكَثُرَ الْقَتْلُ... وَكَانُوا سُودًا طَوَالًا، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ طُولُهُ عَشْرَةُ أذْرَعٍ، فَإِذَا أَرَادُوا الْحَرْبَ يَجْعَلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سِلْسِلَةً فِي ذَلِكَ الْخَزَامِ وَهِيَ طَوِيلَةٌ مَشْقُوقَةٌ نِصْفَيْنِ، فَيُمْسِكُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِطَرَفِهَا وَالْآخَرُ بِالطَّرَفِ الثَّانِي فَإِذَا زَحَفُوا قَدَمُوا تِلْكَ الْقَوَادِ عِنْدَ شِدَّةِ الْحَرْبِ، فَيَكْبِرُ ذَلِكَ وَيَعْظُمُ عِنْدَ النَّاسِ.. طَوَالًا فَيَضْرِبُونَ الْفَارِسَ وَالْفَرَسَ مَعًا فَيَقْتُلُونَهُمَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْكَبُ الْأَفْيَالَ وَيَقَاتِلُ عَلَيْهَا".^(٨١)

لتكشف السيرة عن تفاصيل جسدية للسودان، إنهم عمالقة إلى درجة أن الآخرين من البشر يبدون أمامهم صغارًا، فيبدو لنا الخيال مثيرًا للدهشة من جانب، وموظفًا من جانب آخر، كي يقنعنا بأن فكرة أن قيام العملاق الأسود بقتل كلاً من الفارس والفرس معًا مبررًا. كما نعيش الرعب الجمعي من السودان البجاة الساكنين أعلى بر سواكن الأقصى، ذوي الشفافة المشقوقة، كأن الراوي يريد أن يكسب تعاطف المتلقي، فيندفع مع أبطاله في كيل السباب لهم، ويلحق بهم كل صفات اللعن والكفر، ليتحول أسود اللون إلى أسود الفعال. واختار الراوي صفات جسدية تتسجم مع هذه الفعال، وعمد إلى الخيال الذي يشوه ملامح وجهه، فيجتمع سواد البشرة مع البشاعة الشكلية والخلقية، والمبالغة في رسم شفثيه وفيها خزام من نحاس، إلى درجة تأثير العجب، حتى قوة العبيد السود التي قد تحمل دلالة إيجابية، لحق بها تشبيه منفر لا يتفق وروح الأخوة بين البشر التي دعا إليها الدين الإسلامي: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"^(٨٢) ويبدو لنا المجتمع الإسلامي في السيرة قد خضع لنسقه الثقافي العام أكثر من نسقه الديني، فقد كان أسيرًا لما احتفظت به الذاكرة الجماعية من حروب وعلاقات صراعية مع الأسود الحبشي قبل الإسلام (أبرهه الحبشي)، ثم العلاقات غير الودية بين مصر وبلاد النوبة والحبشة في العصور الوسطى، لهذا تم النظر للأسود بوصفه ذلك الآخر المفرط في مغاييرته للذات العربية: لونًا وعرقًا وهئية وثقافة ودينًا ولغة (في وصفه لكلامهم بطمطمة السودان)، وأمعنت المخيلة في تجسيد بطشهم وبمثل هذا التعبير بدا لنا جزء من عملية تمثيل الذات، واستعراضها أمام نفسها

٨١- فتوح البهنسا، ص ٢١٤؛ سيرة فتوح مصر المحروسة، ق ٤٣.

٨٢- سورة الحجرات، الآية ١٣.

وأمام الآخر وأمام العالم ٨٣ ، وحديث السيرة عن أعداد العبيد السود: "كَانَ قَبْلَ دُخُولِهِ فِي الْإِسْلَامِ يَرْكَبُ لِرُكُوبِهِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ مَمْلُوكٍ مِنَ السُّودَانِ شِرَاءَ مَالِهِ"^(٨٤)، يعكس حقيقة الواقع في مجتمع العصر المملوكي، وما تميز به من كثرة اقتناء السلاطين والأمراء والعامة للعبيد السود، كل حسب سعته ومكانته الاجتماعية ومركزه المالي^(٨٥).

وعلى جانب آخر: أوضحت السيرة شعارات وشارات الجيش الإسلامي^(٨٦) وطرق التواصل بين الجنود في المعارك. والمعروف أن الجيش الإسلامي كان يبنى على أساس قبلي، وكان لهذه القبائل شعار تتميز به، ويتعارف به أفرادها، وصيحات خاصة يتنادون بها ويتعارفون في الظلام، وعند الاختلاط، بحيث تكون عندهم معروفة، وعند غيرهم مجهولة بالإضافة إلى شعارهم العام وهو التكبير^(٨٧)، الذي كان شعار كل مسلم^(٨٨)، والذي يتفق مع الحقائق التاريخية المتعلقة بشارات المسلمين في معاركهم الحربية .

وبأسلوب الملاحم العربية: يصف حمية القتال، وشجاعة الفرسان، من الجانبين العربي والبيزنطي. وعلى الرغم من أن المؤرخين المسلمين يعترفون بشجاعة المقاتل "البيزنطي"، فإن راوي السيرة ينزع هذه الصفة عن جنود أعدائه، ويمعن في انتقامه منهم، ولا يعترف لهم بهذه الشجاعة إلا نادراً، ويلحق هذه الصفات بأي قائد يمتاز بصعوبة التغلب عليه، في محاولة لإظهار شجاعة المحارب المسلم الذي تصدي لمواجهة المحاربين الأقوياء في صفوف العدو.

٨٣- نادر كاظم : تمثيلات الآخر ، صورة الأسود في المتخيل العربي الوسيط ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ ، بيروت ٢٠٠٤م) ، ص ٤٧ ؛ ماجدة حمود : صورة الآخر في التراث العربي ، (الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ٢٠١٠ م) ، ص ٢٤١ .

٨٤ - سيرة فتوح مصر ، ق ٤٦ ، ق ٦٧ .

٨٥ - على السيد على : الرعاية الاجتماعية للجواري والعبيد السود في العصر المملوكي (ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاجتماعي من العصر المملوكي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠١٤م) ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

٨٦ - انظر سيرة البهنسا ص ٣٢٣ ؛ سيرة فتوح مصر ، ق ٥٠ .

٨٧ - سيرة فتوح المحروسة ، ق ٥٢ ؛ ق ٥٦ ، ٥٧ .

٨٨ - الشعار قسمان : شعار فعلي وهو الشارات للفرد والجماعة ، وشعار قولي وهو ألفاظ خاصة كانوا يتصايحون بها عند القتال ، ويتعارفون بها في المعارك ، وتقوم مقام (كلمة السر) في الجيوش الحديثة التي يعرف الجندي أخاه . انظر/ عبد الرؤوف عون : الفن الحربي ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥

وحين نتأمل صورة المرأة في هذه السيرة الشعبية: نجدها صورة متوازنة لها صوت الذكوري تمامًا، ودور لافت للنظر تقوم به المرأة من ناحية الكم والكيف معاً^(٨٩)؛ فمن ناحية الكم تزدحم السير الشعبية العربية بنماذج من البطولات النسائية، ومن ناحية الكيف: فإن هذه النماذج تتأرجح درجة بطولاتها بين أدنى درجات البطولة حتى أعلاها، وعندها تتساوى مع النماذج البطولية للرجال^(٩٠). وهو نموذج للمرأة المسلمة البطل التي تتقن فن القتال وتمارسه من أجل المصلحة التي تحدها الجماعة، ومثل هذا النموذج كثيرًا ما يرد في وصف المسلمين عبر تاريخ الإسلام. ونجد دورها البطولي دوماً إلى جانب المقاتلين من العرب: "وقاتلت النساء بالأعمدة والسيوف، فله در "غفيرة بنت غفار الحميرية"، و"سلمى بنت زاهر" ونظائرها من النساء، لقد قاتلن قتالاً شديداً حتى سال الدم على وجوههن، يقرن الله يا بنات العرب قاتلوا عن أنفسكم وإلا صرتم ملكاً للسودان والأعلاج فقاتلن قتال الموت"^{٩١}.

أما عن صورة المرأة البيزنطية، فإلى جانب تلك الصورة السابقة التي تتجاوز الإطار المألوف؛ تحشر المرأة، ما دامت تعبر عن الآخر، في صورة نمطية تبرز التشوه الذي كبل حياتها، وحاصرها بنظرة دونية، في استجابة من الراوي هنا للنسق الثقافي العربي، فيضع الملكة أرمانوسة^{٩٢} في مرتبة الخيانة والمكر والاحتيال في أبشع صورها، حين تحاول الإيقاع بيقنا الذي أسلم وبقيادة العرب، والدفاع عن بلدها، ويرسم لها الراوي صورة سلبية متأثرة بالمعتقد الديني، وفي الوقت نفسه يعترف بجمال الجواري الحسان^(٩٣)، ومنهن من يضرين على جميع الآلات والغناء^{٩٤} وما تتحلى به من زينة، وما تمتلكه من جوازي وأموال.

لكن ومن جهة أخرى: نلمس تعاطفاً إنسانياً مع الآخر المسيحي المسالم، حتى

٨٩ - ماجدة حمود : صورة الآخر ، ص ٢٤٦.

٩٠ - نبيلة إبراهيم : من نماذج البطولة الشعبية ف الوعي الشعبي ، (سلسلة معارف إنسانية ، العدد ٥ ، ط ١ ، دبي ١٩٩٣م) ، ص ١٥٤ .

٩١ - سيرة فتوح البهنسا ، ص ٣٨٨؛ سيرة فتوح مصر ق ٧٠ ، وما بعدها .

٩٢ - سيرة فتوح مصر المحروسة ، ق ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

93- El-Cheikh, N. M. 'Describing the other to get at the self: Byzantine women in the Arabic sources (8th.-11th. Centuries)', JESHO 40,2 (1997) 240-250.

٩٤ - نجد لهن نظير في سيرة الأميرة ذات الهمة انظر على سبيل المثال قصة الأميرة البيزنطية "أفتونا" التي تجيد الغناء بالعربية، وتستطيع في الوقت نفسه أن تبارز الفرسان. السيرة، ج ١، ص ٢٩٧-٣١٧. نقلا عن الأمين أبو سعدة : الملاحم ، هامش ٦٨.

لو كان ينتمي إلى الأعداء، لا تمنعه من تقديم صورة إيجابية لهم: "رَاهِبٌ مِنْهُمْ كَبِيرٌ خَبِيرٌ بِالْأُمُورِ، صَاحِبٌ عِلْمٍ وَعَقْلٍ"^(٩٥)، "الرَّاهِبُ «مَنَاحُ»، وَكَانَ تَلْمِيزًا لِبَحِيرَةِ الرَّاهِبِ، وَكَانَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبِأَنْبِيَائِهِ"^(٩٦). مثل هذه الصورة الإيجابية للراهب وجدناها في كتب التراث الإسلامي، فكان مثال رجل الدين الذي يقترن الإيمان لديه بالسلوك الإنساني، وهذا ما لمسناه لدى أبي حيان التوحيدي الذي جسد لنا، عبر كتبه، لحظات مشرقة في الحضارة الإسلامية^(٩٧). إذ يمكننا القول مع تييري هنتش: بأن التعايش بين الإسلام والمسيحية يشكل جزءاً من الإرث في الفكر الإسلامي^(٩٨)، ويصف أيضاً أساليب المعاملة الكريمة من العرب للأسرى برغم رغبة بعض الجنود الفتك بهم، إلا أن القادة نهروهم عن هذا الإثم، في أكثر من موضع من مواضع السيرة، "نَحْنُ رُهْبَانٌ، وَنَبِيُّكُمْ نَهَى عَنْ قَتْلِ الرُّهْبَانِ"^(٩٩). إضافة إلى تنوع وكثرة الأسرى في مجتمع السيرة: "وَالْأَسْرَى قَرِيبٌ مِنَ الْأَقْفَيْنِ"^(١٠٠) وإسلام بعضهم وبقاء البعض على دينه: "وَعَرَضَ الْإِسْلَامَ عَلَى بَقِيَّةِ الْأَسْرَى؛ فَمِنْهُمْ مَنْ أَسْلَمَ وَمِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ عَلَى دِينِهِ؛ فَأَقْرَهُمْ عَلَى آدَاءِ الْجَزِيَّةِ مِنْ عَامِهِمُ الْمُقْبِلِ"^(١٠١)، يجد ما يماثله في المصادر التاريخية التي تحدثت عن الفترات السابقة لحكم المماليك، وعن وجود سجن للأسرى من الفرنج، والذين ذابوا وسط المجتمع المصري، نتيجة لإسلام الكثير منهم^(١٠٢). ويستمر في وصف التلاقي بين الجانبين وظهور

٩٥- فتوح مصر المحروسة، ق ٩٥.

٩٦- فتوح مصر المحروسة، ق ١٤٢.

٩٧- انظر/ البصائر والذخائر، المجلد الثالث، لأبي حيان التوحيدي، (تحقيق: إبراهيم كيلاني، دار أطلس، دمشق د.ت)؛ ماجدة حمود: صورة الآخر، ص ٢٢٤.

98 -Thierry Hentsch 'L'orient imaginaire: La vision politique occidentale de l'est méditerranéen', arguments les éditions de minuit, paris, 1988, pp.103-104.

٩٩- سيرة فتوح مصر المحروسة، ق ٧٧؛ قارن الرواية منقولة بتصريف عن فتوح الشام المنسوب للواقدي ٧١/٢.

١٠٠- سيرة فتوح مصر، ق ٤٧.

١٠١- سيرة فتوح مصر، ق ١٠٦، ق ١٠٧.

١٠٢- على السيد على: دور الأسرى الأجانب في المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك (ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاجتماعي من العصر المملوكي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠١٤م)، ص ٧٠ وما بعدها.

الأبطال. ويوضح أخلاقيات الجيش الإسلامي في الحرب والالتزام بعدم التعرض للكنائس والأديرة والنساء والأطفال والشيخ والرهبان، لكن ميزة هذه السيرة: أنها بدت مخصصة للواقع المعاش في بعض وجوهها، إذ لا نجد البيزنطيين وحدهم يقعون في الأسر، بل وجدنا المسلمين يقعون أيضاً: "وَأَسْرُوا ضِرَارَ بْنَ الْأَزْوَِرِ وَأُخْتَهُ خَوْلَةَ" (١٠٣).

وتحمل السيرة أصداء التأثيرات التي تركتها المواجهة العسكرية والحضارية البيزنطية/الإسلامية (١٠٤) على المجتمع العربي، فنجد في السيرة صدى لقراءة "تأريخ للتاريخ" تسترجع معها مشاهد الصراع الإسلامي البيزنطي، وتستحضر فيها المواقف الحاسمة، والهزائم التي ألحقها الجيوش الإسلامية بقوات الإمبراطورية "البيزنطية/المسيحية"، تحت قيادة الإمبراطور هرقل، كمعركة اليرموك (٦٣٦م/١٣هـ)، وانتصارات المسلمين في خضم الفتوح، استحضاراً للحظة حضارية تحطم المسافة الوهمية بين العقل والمشاعر ووهن الواقع. لنقرأ ما يمكن أن نسميه بالتاريخ الوجداني لهذه الفترة.

ركزت السيرة أولاً، في أكثر من مشهد، على الجدل الديني بين المسلمين والبيزنطيين/ الروم (١٠٥)، ونلمح على امتداد السيرة الكثير من عناصر هذا الجدل والمناظرات الدينية التقليدية، فألوهية المسيح، ونسب الأبوة لله، مع إنكارها للبطلوس أو البطريق،؟ تكاد تتشابه مع مناظرات أبي بكر بن الطيب المعروف بـ (الباقلائي ت ١٠١٣م/٤٠٣هـ)، مع رجال الدين البيزنطيين (١٠٦). ويُلَمِّح الراوي ببعض عناصر وفرعيات الجدل الإسلامي البيزنطي، فمعظم النقاط المحورية في الكتابات الإسلامية الجدلية، ضد بيزنطة، تظهر بشكل متفرق في أجزاء كثيرة من السيرة، وتكاد تكون أهم

١٠٣- فتوح مصر، ق ٦١.

١٠٤ - هذا الصراع استمر من ٦٢٨م/٨هـ حتى فتح القسطنطينية في ١٤٥٣م/٨٥٧هـ.

١٠٥ - "الروم" تسمية أطلقها الوعي الشعبي في المنطقة العربية على البيزنطيين أولاً ثم انسحبت في الآداب الشعبية على الصليبيين وظهر صداها قوياً في حكايات ألف ليلة وليلة التي أطلقت مسمى "الروم" على الصليبيين - وإن كانوا يعرفوا بالفرنجة أيضاً - ولم تستطع العديد من الكتابات أن تربط بينها ظناً منهم أن الحكايات تتناول "الروم" أما سيرة "فتوح مصر المحروسة" فقد تناولت المصطلح على الآخر المسيحي دون فرق كبير بين البيزنطي و الكاثوليكي الغربي.

١٠٦ - محمد الخضير: المناظرة العجيبة، وقائع مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى بحضرة ملكهم (دار الوطن للنشر، الرياض ٢٠٠٠م).

هذه النقاط في السيرة - وفي الجدل الإسلامي البيزنطي أيضًا - هي: مشكلة تأليه المسيح، فالراوي يعرض بشكل متكرر لوجهة النظر الإسلامية في تأليهه ومكانة المسيح^{١٠٧} المسيح^{١٠٨} ويحسب لراوي السيرة أيضًا: إمامه ببعض تفصيلات الحياة الدينية داخل المسيحية، والاختلافات المذهبية المسيحية حول تأليهه المسيح: "وَهَذَا اللَّعِينُ عَلَى غَيْرِ مَذْهَبِنَا، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يُكْفَرُنَا لِأَنَّهُ نَسْطُورِي"^(١٠٨) وَنَحْنُ يِعَاقِبَةُ^(١٠٩)»^(١١٠).

أما ميدان القتال؛ فإن الهوية الدينية والحرص الشديد على التمييز بين المسلمين والمسيحيين، يبدو جليًا في كل وصف تقريبًا للمعارك الحربية، فالتهليل والتكبير والأعلام والرايات المحمدية هي: علامات الجيش الإسلامي، إضافة إلى الصلبان الذهبية والدروع والدروق، وما تطلق عليه السيرة "طمطمة الروم"، فتصاحب الجيوش البيزنطية بضخامتها، وتعدد العناصر المشاركة فيها والمساعدة لها^(١١١).

ولا تخلو معركة في السيرة من رجال الدين، من البطارقة والقساوسة والرهبان، يباركون الجيوش قبل القتال، ويصلون للفرسان قبل المبارزة، وفي كل المعارك يظهر البطريق كواحد من الحاشية، أو كمتحدث رسمي، كما أنه كان سفيرًا إلى المسلمين في معظم الحالات قبيل المعركة. وتعطي السيرة دورًا مهمًا وبارزًا، للكنيسة ورجالها، في تأجيج نار العداء للمسلمين، وحث البيزنطيين (أو الروم بحسب توصيف راوي السيرة) على المثابرة في القتال ضد المسلمين.

وتحظى الطقوس والعادات المسيحية عامة باهتمام خاص من مؤلف السيرة، وهو يصف عاداتهم في الملابس والمأكول والصلاة والصيام والزواج والتطهر والمواريث والمجالس

١٠٧ - الأمين أبو سعدة: بيزنطة في الملاحم ، ص ١٠٧.

١٠٨ - النسطورية Nestorianism: مذهب مسيحي يصنف بالنسبة للمذاهب المسيحية الكاثوليكية والأرثوذكسية ومعظم الكنائس البروتستانتية ضمن الهرطقات والبدع. للمزيد عن ديانات ومذاهب أهل الذمة في مصر الإسلامية ، راجع . سيده إسماعيل كاشف : مصر الإسلامية وأهل الذمة ، (سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣م) ، ٥١ - ٦١ .

١٠٩ - مصطلح «اليعاقة» نسبة إلى القديس يعقوب البرادعي بطريرك انطاكية .

١١٠ - سيرة فتوح مصر ، ق ٤٩ .

١١١ - سيرة فتوح مصر ، ق ١ ، ق ٤٤ ، ق ٥٢ ، ق ١٠٤ ، ق ١٠٥ وما بعدهما .

الخاصة لهم^(١١٢) إلى النظام الكنسي لديهم، وطبقات رجال الدين الكنسي وتسلسلهم الوظيفي^(١١٣) إضافة إلى الصورة التقليدية للنقد الإسلامي ضد القسيسين والرهبان بشكل خاص، وجمع الراوي عناصر مشتتة من الكتابات الدينية الجدلية العربية، أو لعلها كانت متداولة شفويًا بين المسلمين آنذاك، والتي لا تزال بعض آثارها موجودة إلى يومنا هذا!

كما أن قضية التطهر للصلاة والغسل من الجنابة، وطقوس القداس الكنسي وما يصاحبه من تناول، كانت من المحاور التي أشار إليها الراوي وأفرغ لها ملاحظات ساخرة حول الرهبان والقسيسين: "وَكَانَ مُذْ نَشَأَ مَا أَكَلَ لَحْمَ خِنْزِيرٍ وَلَا شَرِبَ خَمْرًا وَلَا سَجَدَ لِصُورَةٍ وَلَا قَبَلَ صَلَيبًا وَلَا ارْتَكَبَ حَرَامًا"^(١١٤). وفي سيرة البهنسا: "وأنا أعلم أن القسيسين والرهبان لا قلوب لهم، لأنهم ليس لهم إلا أكل العدس والزيت والأشياء الرديئة، ولا يعرفون اللحم، فلأجل ذلك ضعفت قلوبهم فجنبوا عن الحرب والقتال"^(١١٥).

كما ينقل الراوي معلومات تشير إلى وصول بعض تفاصيل الحياة والطقوس اليومية للكنائس المسيحية؛ التي كانت مقر اجتماع القادة مع الجيش والمحاربين، وقدم وصفًا لها وانسحب ذلك على باقي تفاصيل الحياة الكنسية، بشكل عام، من الداخل، وتفاصيل عماراتها ومحتوياتها وذخائرها وطرق حياتهم داخل الكنائس، ويتضح ذلك في سياق وصفه لكنائس مصر القديمة، وخاصة الكنيسة المعلقة^(١١٦).

أما عن صورة الرهبنة والديرية في السيرة: لعل أجمل صورة رسمتها السيرة للآخر هي: صورة الراهب المسيحي: "الَّذِي أَشَارَ عَلَى الرُّهْبَانِ بِالْقَبْضِ عَلَى الْقِسِّ بُوليس"^(١١٧). ويبدو إعجابه بشجاعة خالد بن الوليد، ويتم بفضل حقه دماء المسيحيين والمسلمين، وتزداد الصورة

١١٢ - سيرة فتوح مصر ، ق ٧٥ ، ٧٦ ؛ سيرة فتوح البهنسا ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

١١٣ - سيرة البهنسا ، ص ١٥٥ .

١١٤ - سيرة فتوح مصر ، ق ٩٣ .

١١٥ - سيرة البهنسا ، ص ٣١٤ .

١١٦ - السيرة ، ق ١٧٨ .

١١٧ - فتوح مصر ، ق ٩٧ .

المشرفة وضوحاً حين نرى الرهبان يخرجون للمسلمين: "مِنْ دَيْرِهِمُ الطَّعَامَ وَالْعُلُوفَةَ" ويأكلون ويعلفون خيولهم وينامون في الدير طوال الليل^(١١٨)، وهو ما نجده في الواقع التاريخي من مجيئ رهبان وادي النطرون إلى عمرو بن العاص، يظهر لهم الطاعة، وأعطى عهد أمان لهم ولبنيامين فعاد من مخبئه، ودخل الإسكندرية، ووصفه عمرو بن العاص بقوله: "إنني لم أر يوماً في بلد من البلاد التي فتحها الله علينا رجلاً مثل هذا بين رجال الدين"^(١١٩). والعين لا تخطئ النظر الإسلامية المزبوجة (لآخر) الرهبنة والرهبان، والتي تتراوح ما بين التقدير والاحترام لمن تفرغوا للعبادة وانفردوا بأنفسهم بعيداً عن العالم، حتى لو كان ذلك تديناً في الاتجاه الخاطئ، من وجهة النظر الإسلامية^(١٢٠). ونلاحظ رغبة الراوي المسلم في ممارسة دور الداعية الديني، مما يؤثر على صورة موضوعية لآخر، لهذا عمد إلى عرض الإسلام على الرهبان واستعراضه لمعجزات النبي الأكرم، ليكتمل إيمانهم، وفي الوقت نفسه هناك العديد من الأمثلة من الرهبان الذين أسلموا، أو كانوا مسلمين في الأصل ولكنهم كتموا إسلامهم، وعاشوا متخفين ضمن المجتمع الديري البيزنطي، حتى لا ينكشف سرهم عند مساعدتهم لأبطال السيرة في المواقف المختلفة^(١٢١) والبعض الآخر من رهبان مناطق الحدود: نلمس حرصهم الشديد على عدم التورط في

١١٨- المصدر السابق، ص ٩٧، ٩٨.

١١٩- ألفريد ج. بتلر: فتح العرب لمصر، ص ٤٥٧.

١٢٠- عن نظرة الإسلام للرهبنة في الملاحم انظر: الأمين أبو سعدة: بيزنطة في الملاحم، ص ١١١؛ وعن نظرة الإسلام للرهبنة انظر:

Sviri, S., 'Wa-rahbābāniyataniibtada'ūhā: an analysis of traditions concerning the origin and evaluation of the Christian monasticism', JSAI 13 (1990) pp. 195-208.

١٢١- السيرة: ص ١٩٠، ٢٠٠، ٢١٠.

الصراع العسكري القريب منهم، لتجنب تبعات ذلك، فأصبحت أديرتهم محطات استراحة ودية لمن يمرون بها من المسلمين والبيزنطيين على حد سواء^(١٢٢). أما داخل بيزنطة نفسها: فلم تذكر المصادر إلا القليل من النماذج البيزنطية التي أسلمت، أو مالت للإسلام والمسلمين، ولعبت دوراً في الصراع العسكري بين الجانبين. وتقدم لنا السيرة نموذجاً لهؤلاء البيزنطيين المسلمين؛ عبر صفحات السيرة: هو "يوقنا" الذي لعب أدواراً كثيرة في خدمة الجيش الإسلامي، وتوضح السيرة شك "أرمانوسة" فيه وفي انتمائه للإسلام والمسلمين.^(١٢٣) وعلى أرض الواقع التاريخي فإننا لا نجد نموذجاً يماثل هاتين الشخصيتين، اللهم سوى شخصية ساموناس Samonas الخصي البيزنطي ذو الأصل المسلم، الذي تروى المصادر البيزنطية، ذى أنه حاول تحذير سفير مسلم، رشاه الروم لحمل رسالة سرية إلى ثائر بيزنطي لاجئ في بغداد، ثم قبض عليه أثناء محاولته الهرب للمسلمين^(١٢٤).

ويعلن الراوي تفوق بعض الرهبان على المؤمنين من ديانات أخرى، وكأننا نلمح هنا تعريضاً بالمسلمين الذين ينتمي إليهم الراوي

١٢٢- الأمين أبو سعدة: بيزنطة في الملاحم، ص ١١٥.

١٢٣- سيرة فتوح مصر، ق ١٤، ق ١٥، ق ١٦.

¹²⁴ - Vita Euthymii, p. 55; G. Monachus, pp. 867-868; John Skylitzes, *Synopsis Historiarum*, p. 184, German trans., Hans Thurn, pp. 220-221; Theophanes Cont., pp. 369-370; Symeon Magistri, p. 708; Cedrenus, *Compendium historiarum*, II, 264, 270 See Jenkins, 'The flight of Samonas', p. 232; P. Karlin-Hayter, 'The revolt of Andronicus Ducas', no. VI in idem, *Studies in the Byzantine political history*. C.f., R. Jenkins, 'The flight of Samonas', no. X in idem, *Studies on Byzantine history*, p. 221-222; L. Rydén, 'The portrait of Arab Samonas in Byzantine literature', *Graeco-Arabic*, 3 (1984) 101-108.

؛ الأمين أبو سعدة : بيزنطة في الملاحم ، ص ١١٠.

نفسه. وقد ازدادت صورتهم إشراقاً، حين قاموا بمساعدة خالد بن الوليد في التتكر بملابسهم وصلبانهم ليفتح مصر^(١٢٥).

يعكس الراوي الانطباع الإسلامي العام الناقد للفكر الكنسي والرهبنة، وإن كان، في الوقت ذاته، يوضح المكانة التي كان يتمتع بها رجال الدين المسيحي، في المجتمع البيزنطي، بشكل عام، وخضوع الملوك لهم ولرأيهم، وما امتلكته الأديرة والكنائس من ثروات ونفائس، وكذلك العديد من أهل الذمة الذين أحرزوا ثروات هائلة^(١٢٦)، الأمر الذي لفت نظر محاربي المسلمين "فَرَكَبَ الْقَبْطُ فِي زِينَتِهِمْ، وَقَادُوا الْمَمَالِيكَ الْجَنَائِبَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ بِالزَّيْنَةِ الْفَاخِرَةِ وَالسُّرُوجِ الْمُرَصَّعَةِ بِفُصُوصِ الْجَوَاهِرِ وَاللُّجَمِ"^(١٢٧) الْمُحَلَاةِ بِالذَّهَبِ وَالْبَرَقِيعِ الْمَحْبُوكَةِ بِاللُّؤْلُؤِ"^(١٢٨).

إضافة للصورة التقليدية لملاح البلاط البيزنطي التي رآها رسل التفاوض بين الجانبين، حيث سرداق البطريق أو "بطلوس" الروم وما به من فرش وصلبان ذهبية تلفت نظر كاتب السيرة أكثر من مرة، وكأني به يعكس صورة الانبهار بالبيزنطيين^(١٢٩)، وما كانوا عليه من مراسم وزينة وبهاء شاعت أصدائها في كتب المؤرخين المسلمين^(١٣٠)، عن غنائم فتوح بلاد الشام، وما غنموه

١٢٥- سيرة فتوح مصر ، ق ٩٧ .

١٢٦ . ميكل ونتر : المجتمع المصري تحت الحكم العثماني (ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٧م)، ص ١٦.

١٢٧- اللجم: جمع "الجام".

١٢٨ - سيرة فتوح مصر ، ق ٥٢.

١٢٩ - عن عرش أباطرة بيزنطة انظر وصف شاهد عيان للسفير اللاتيني ليودبراند من كريمونا Liudprand of Cremona الذي سافر إلى القسطنطينية حوالي عام ٩٧١م كسفير للإمبراطور أوتو الأول Otto I (٩٦٢-٩٧٣م):

The works of Liudpran of Cremona: Tit for tat, English trans. by F. A. Wright, (London 1930) p. 207. Cf. also, Brett, G. "The automata in the Byzantine [Throne of Solomon]" Speculum, vol. 29, issue 3 (Jul. 1954), pp. 477.487.

130- انظر البلوي: سيرة أحمد بن طولون، تحقيق، محمد كرد علي، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٣٦؛ الأمين أبو سعدة: بيزنطة في الملاحم العربية ، ص ١٠٩ .

من معاركهم مع الروم ، كما قد يعكس رغبة الوجدان الشعبي في كسر حاجز أسرار الكنائس، وما يدور فيها، والكشف عن أدق تفاصيلها وما يجري فيها، في محاولة للتعرف على الآخر، وعاداته في الطقوس الكنسية والجنائزية .

نجد في السيرة هيمنة الدين الإسلامي على المعتقدات الأخرى! لا بد لمن يعتنقه من الفوز، ولمن يرفضه من العقاب! وتظهر ملامح الأنا المتفوقة حين تجسد السيرة الصراع بين الأنا والآخر، فتحقق، في أغلب الأحيان، الأنا انتصارًا على أعدائها، وتفرض شروطها على الآخر المسيحي، الذي غالبًا ما يكون كافرًا (كُفرا سياسيًا) وفي قراءة النص التالي من السيرة: "وَنَشْرُطُ عَلَيْكُمْ شُرُوطًا تَقْبَلُوهَا، أَنْ لَا تَرْكَبُوا دَابَّةً، وَلَا تُعْلُوا دُورَكُمْ عَلَى دُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَبْنُوا فِي الْإِسْلَامِ بَيْعَةً وَلَا دَيْرًا، وَلَا تُجَدِّدُوا مَا انْدَثَرَ مِنْ رُسُومِ دِينِكُمْ وَشَرِيعَتِكُمْ، ..."(١٣١).

نجد الراوي هنا يفرض رؤيته وشروطه على الآخر الذمي، ويوجه له رسالة بعدم ارتفاع صوته أثناء قراءة الإنجيل، بينما يسمح لنفسه أن يجهر بصوته في قراءة القرآن. إنه صوت القوة المنتصرة التي تريد أن تفرض على الآخر دينها، متخليًا عن روح الدين ، وتتأسوا بأوامر الله تعالى لنبيه: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"(١٣٢).

تبدو لنا الأنا المتفوقة، لدى الراوي المسلم، مندفعة لتطبيق تعاليم الإسلام وطقوسه، ومن هنا نجد الآخر غير المسلم ما إن يسمع بهذا الدين ويرى أخلاق أبنائه حتى يسارع للإيمان به، واللافت للنظر أننا وجدنا مدحا له في سياق أحداث السيرة وحواراتها المطولة، فنجد البطريق أو الحكيم المسيحي، يقول على الدين الإسلامي: "وَأَنَّ الرَّحْمَةَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا فَخَانُوا، وَلَا حَلَفُوا يَمِينًا فَحَنَنْتُوا، وَقَدْ بَلَغَكَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الدِّينِ وَالصِّيَانَةِ وَالصَّدْقِ وَالْأَمَانَةِ"، وبذلك نعايش في السيرة هوية الأنا، فتبدو لنا صورتها على حقيقتها بعيدة عن الزيف والتجميل، وهي تعيش في لحظة تاريخية مأزومة، إذ تعاني انحطاطًا في المجال

١٣١ - سيرة فتوح مصر ، ق ٧٨.

١٣٢ - (القرآن الكريم ، سورة النحل ، الآية ١٢٥).

السياسي والاقتصادي، ولكنها تعيش ازدهاراً ثقافياً !. لهذا ليس مستغرباً أن تجسد السيرة (الأنا) العربية الإسلامية في لحظة قهر، بسبب ما تعانيه من كوارث وغزو استبداد، فتبدو مؤرقة بأمجادها الحضارية، تسعى لاستردادها عبر الحلم، ما دام الواقع محبطاً^(١٣٣)، لهذا كان عصر الفتوحات الإسلامية أبرز العصور التي شكلت الفضاء الزمني لسيرة فتوح مصر المحروسة، ومن بعدها سيرة فتوح البهنسا الغراء.

لهذا فإن الرواية، مهما استغرقت في حبكة الدرامية التي تبغى حصرها في إطار زمني، لا تستطيع إلا أن تفلت من عقالها وتتناول قضاياها الراهنة، وواقعها القريب الذي كان باعثاً في الأساس إلى ظهورها، فتظهر لنا أصداء هذا الواقع؛ ويتضح أن سيرة "فتوح مصر المحروسة تعد "أحد إفرازات هذه الحروب والمواجهة لشحن الهمم ضد "الصليبيين" الذين حلوا محل البيزنطيين في العداء، ونلمح ظلاً من الحقيقة تاريخية عن الحروب الصليبية، وسط الحبكة الدرامية للراوي، في سياق حديثه عن فتح دمياط، ومحاولته اختلاق الأحاديث المتعلقة بهذا الثغر المهم، في القرنين السادس والسابع الهجريين، وهو ما نجده في قول الراوي: «وَسَنَذْكُرُ فِي الْجُزْءِ الثَّالِثِ عَشَرَ إِنَّ شَاءَ اللَّهِ تَعَالَى فِي فَضَائِلِ دِمْيَاطَ وَسَلَامَتِهَا مِنَ الْعَدُوِّ وَجُنْدِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَمُدُّهَا بِالْمَلَائِكَةِ مِنْ عِنْدِهِ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَنُفْتَحُ عَلَى أُمَّتِي مِصْرَ، فَالْزُمُوا الْمَدِينَةَ الْبَيْضَا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الَّتِي تُسَمَّى دِمْيَاطَ»^(١٣٤)

الراوي تأثر بتاريخ هجمات الروم والصليبيين البحرية على شواطئ مصر، وخاصة دمياط التي كانت الهدف الأول للتحالف الصليبي . البيزنطي، وقيام الإمبراطورية البيزنطية بتهيئة أسطول ضخم بقيادة (الكسيوس كونتو ستيفانوس)، فغادر

١٣٣ - ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي (الدار العربية للعلوم، بيروت ٢٠١٠م)، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١ بتصرف.

١٣٤ - سيرة فتوح مصر، ق ١٠٧، ق ١٠٨.

هذا الأسطول مياه الدردنيل (البسفور) سنة (٥٦٥هـ/١١٦٩م) باتجاه مصر^(١٣٥)، إضافة إلى الإسكندرية، طوال فترة العصور الوسطى^(١٣٦)، التي طالما تعرضت لها الثغور المصرية لعل أشهرها: ذلك الهجوم الوحشي المفاجئ الذي شنه "بطرس الأول لوزنيان" ملك قبرص الصليبي على مدينة الإسكندرية، سنة ١٣٦٥م^(١٣٧)، أوجد روحاً من الكراهية وعدم الثقة المتبادلة بين المسلمين والمسيحيين، واستطاعت الاتصالات، ذات الطابع السلمي، من جانب القوى المسيحية أن تخفف من الاحتقان، والتي تشكلت من اتصالات كل من: الإمبراطورية البيزنطية، وملوك أرغونة "Aragon" وأباطرة الحبشة^(١٣٨).

واهتم الراوي بقصة دمياط في الفتح الإسلامي العربي فنجد ثلاث مدن تقاوم مقاومة عنيفة، فلا تخضع إلا بعد جهاد مرير، ومعرفتنا بأخبار دمياط التفصيلية نجدها في هذه السيرة التي اعتمد عليها "ألفريد بتلر" اعتماداً كاملاً فيما يتعلق بأخبار فتح دمياط وإخنا وبلهيب والبرلس وتنتيس وشطا وما حولها من مدن وقرى في شمال الدلتا^(١٣٩)، فقد وجه الجيش العربي - بعد استيلائه على حصن بابلين - فرقاً منه بقيادة البطل العربي

١٣٥ - الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز: سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، (مؤسسة الرسالة، ط٩، بيروت ١٤١٣هـ) ج ٢، ص ٤١٦؛ ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، (تحقيق، جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٤م)، ص ٤١؛ الصوري، وليم: "٥٨٣هـ/١١٨٥م": تأريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٣م)، ج ٢، ص ٩٣٦؛ رنسيان، ستيفن: تأريخ الحروب الصليبية، (ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت/د.ت)، ج ٣، ص ٦٢٤.

136 - Stevenson, W. W. B.: The Crusaders in the east, a brief history of the wars of Islam with the Latin in Sysia During the twelfth and thirteenth Centuries, Cambridge University. Printed in Lebanon by Slim press, Beirut, 1968. p.196.

١٣٧ - المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك (تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٧م)، ج ٣، ق ١، ص ١١٢ وما بعدها.

١٣٨ - قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى دراسة وثائقية (دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م)، ص ٩١-٩٣.

١٣٩ - انظر بتلر: فتح العرب لمصر، ص ٢٤١-٢٦٢.

"المقداد بن الأسود" لإخضاع مدن الشاطئ الشرقي، وتقول السيرة: إن المدينة وقت الفتح كان يحيط بها سور قوي، وأن جندها بقي يقاوم مدة طويلة داخل هذا السور، فلما طال الحصار جمع (الهاموك) حاكم المدينة أصحابه وشاورهم في الأمر، فنصحهم سوادهم بالتسليم، ولكنه خالفهم وظل يقاوم، وكان له ابن يسمى "شطا"، فخرج إلى المسلمين في الليل ودلهم على عورات البلد، فلم يشعر "الهاموك" إلا والمسلمون يكبرون على سور المدينة ويدخلونها، ثم سار الجيش العربي إلى تنيس، فلقى من حصانة موقعها - كجزيرة تحيط بها المياه - ومن حاميتها نضالا أشد وأعنف، وتعود الرواية في السيرة فتذكر أنه عندما اشتد النضال للاستيلاء على تنيس: تقدم شطا لمساعدة العرب - ومعه ألفان من الجند - فأعلن إسلامه واشترك في قتال أهل تنيس فأبلى بلاء حسنا، إلى أن استشهد في ليلة الجمعة النصف من شعبان سنة ٢١هـ، فقبر حيث هو الآن خارج دمياط^(١٤٠).

وهذه الرواية لا تقف طويلا أمام النقد التاريخي، فإن مدينة شطا - التي يقال إنها سميت باسم هذا القائد المدفون بها - كانت موجودة ومعروفة بهذا الاسم قبل الفتح، كما أن حاكم دمياط في ذلك الوقت معروف أيضًا، وقد ذكر المؤرخ "حنا النقيوسي" أنه كان يسمى (حنا) لا (شطا)، ولا (الهاموك)، غير أننا مع هذا لا نستطيع أن نتجاهل بعض الحقائق الثابتة المتصلة بهذا الحادث، فالمؤرخون العرب يذكرون أن هذا البطل قد استشهد يوم الجمعة النصف من شعبان سنة ٢١هـ، وهو العام الذي تم فيه فتح هذه المنطقة، كما أن التقاويم تثبت أن هذا اليوم كان يوم جمعة حقًا، فإذا قارنا هاتين الحقيقتين بحقيقة ثالثة، وهي وجود قبر خاص في قرية شطا لا يزال قائمًا، ولا يزال أهالي دمياط يحتفلون بذكرى صاحبه، في النصف من شعبان من كل سنة، حتى اليوم، استطعنا أن نصل إلى أن قائدا رومانيا انضم إلى العرب فعلا؛ أثناء حربهم لدمياط وتنيس، وأنه استشهد في هذا التاريخ، ودفن في هذا المكان، أما اسمه الحقيقي فلنا

١٤٠ - السيرة، ق ١٠٩، وما بعدها .

نعرفه، ولكن هذا الاسم لم يكن "شطاً" على كل حال^(١٤١)، وإذا كان كذلك؛ فإنه لم يكن قطعاً حاكماً لدمياط أو ابناً لحاكمها^(١٤٢).

وخلصت مصر للعرب بعد إتمام فتحها، ولم تنس الدولة البيزنطية أنها قد فقدت -بخروجها من مصر - خير أملاكها، فظلت قرونًا طويلة تغير على شواطئ مصر الشمالية بأساطيلها، عساها تستطيع استردادها^(١٤٣). وخاصة مع ظهور خطر أوربي جديد أخذ يظهر في الأفق، يهدد دمياط وسواحل مصر، كان ممثلاً في أساطيل النورمانديين في صقلية، وأساطيل الصليبيين في سواحل الشام؛ بعد استيلائهم عليها في أعقاب الحملة الصليبية الأولى، في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. وازدادت وطأة الغرات الصليبية على دمياط، في القرنين السادس والسابع الهجريين، ولكن دمياط صمدت لهذه الغارات، ودافعتها ودفعتها في شجاعة وبطولة^(١٤٤).

فلاشك في أن الدمار الذي حاق بالمدينة قد ترك آثاره السلبية في الوعي الشعبي، ونتيجة لعجز حكامنا عن تقديم المبرر المقبول لما حدث، ونتيجة معاناة الناس من الحدث نفسه؛ نجد العلاقة بين بعض أحداث السيرة والحروب الصليبية وذيولها، لا سيما أن المصادر التاريخية تشير إلى كثرة اعتداء القراصنة على ميناء الإسكندرية ودمياط، في الشطر الأخير من عصر سلاطين المماليك، وعلى المعاناة التي نجمت عن تلك الحوادث، وما حاق بالمدينة من خراب أنتج نوعاً من العجز عن التفسير المنطقي للحدث، وعندما تصادم هذا العجز مع الرغبة في الثأر؛ لجأ الخيال الشعبي في سيرة "فتوح مصر" إلى الثأر بشكل تعويضي يتوافق مع النفسية، وما تعانيه أو تتطلع إليه في أمل، ووجد الخيال الشعبي الحل الذي يناسبه، بغض النظر عن المنطق التاريخي.

١٤١ - انظر/ ألفريد بتلر : فتح العرب ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١؛ جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط سياسياً

واقتصادياً (ط ١ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ٢٠٠٠م) ، ص ٨ .

١٤٢ - جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط ، ص ٩ .

١٤٣ - جمال الدين الشيال : تاريخ دمياط ، ص ١١ ، ١٢ .

١٤٤ - مجمل تاريخ دمياط ، ص ١٧ .

فالحروب الصليبية التي ازدهرت معها العديد من السير الشعبية العربية لتعزيز مشاعر الجهاد في نفوس سامعيها، على الجانب العربي والإسلامي، أدت أيضاً على الجانب الغربي - خاصة بعد نجاح الحملة الصليبية الأولى - إلى سيادة مشاعر الزهو بالانتصار والاحتقار، من جانب الفرنج الصليبيين، تجاه المسلمين، وأدى نجاح الحملة إلى تكريس صورة سلبية للإسلام، ولنبي الإسلام، في أثناء السنوات الأربعين الأولى من القرن الثاني عشر، كانت نتاجاً للحكايات الشعبية للمحاربين الصليبيين العائدين إلى أوروبا، والمبالغات الخيالية التي حملتها "أغاني الحروب الصليبية"، وقد اخذ الأوروبيون هذه الأساطير والخيال الشرير على أنها الحقيقة المطلقة. إذ إن كل ما كان أبناء الغرب الكاثوليكي يعرفونه آنذاك، عن حياة نبي الإسلام، عبارة عن شذرات متناثرة نقلها الكتاب الغربيون عن الكتاب البيزنطيين.

وعلى الجانب المسلم: كانت الصورة التي رسمها الخيال الشعبي عن "الآخر" تحمل قدراً كبيراً من التخيل العدواني، وكذلك كان الحال على الجانب الأوربي، بيد أن الرغبة في المعرفة حفزت كلا الطرفين على البحث عن الوسائل الكفيلة بتحقيق هذه المعرفة، وكانت الفرصة متاحة لأبناء المنطقة العربية، من خلال الكيان الصليبي الذي تعرف عليه المسلمون، بطريقة مباشرة، على النحو الذي كشفت عنه كتابات أسامة بن منقذ^(١٤٥)، والكتابات التاريخية التقليدية التي تناقلت محتواها، وأضافت عليها السير الشعبية العربية التي كانت تنشد أو تروى بين الطبقات الشعبية المختلفة.

جدير بالذكر - على عكس المصادر التاريخية التقليدية - أن تتفق سيرة فتوح "مصر المحروسة" مع سيرة "فتوح البهتسا الغراء" ومع سيرة "الأميرة ذات الهمة" في أنهم يقدمون دوراً فاعلاً **للغرب المنتصرة في الصراع البيزنطي الإسلامي**^(١٤٦)، والذين انضموا

١٤٥ - قاسم عبده: مرجع السابق، ص ١٥٤.

١٤٦ - في سيرة فتوح مصر تجعل منهم ستمائة ألف ، سيرة فتوح مصر ، ق ٤٣ ، ق ٤٤ ، ق ٤٥ ، ق ٤٦ ؛ سيرة فتوح البهتسا ، ص ٢٢٢ ، ص ٢٢٣ ، أما سيرة الأميرة ذات الهمة " تجعل من العرب المنتصرة أربعين ألفاً وتأخذ أسلاب القتلى من كل من قتل من المسلمين ... ويكون معهم الرماح والعدد ويلبسوا العمائم ويرخوا لهم الذوائب على زي بني كلاب" السيرة: ج ٣، ص ٣٢٧. قارن السيرة: ج ٤، ص ٢٤١؛ ج ٧، ص ١٣٧.

إلى الجيوش البيزنطية، وشاركوا بفاعلية في الحرب ضد المسلمين، وكذلك استغلت أسماؤهم ولغتهم العربية "وَكَانَ الْمَلْعُونُ فَصِيحَ اللِّسَانِ بِالْعَرَبِيَّةِ"^(١٤٧) واستغلوا مظهرهم العربي "وَيُشْبِهُ زَيْهَمَ زِيَّ غَسَّانَ"^(١٤٨) في خداع المحاربين المسلمين، من خلال أحداث السير، وهو الأمر الذي قد يكون انعكاساً لما قام به "بنو حبيب" المرتدون في الحرب ضد المسلمين، في القرن العاشر الميلادي، وكانوا زهاء عشرة آلاف فارس، ووجدوا صدرًا رجباً من السلطات البيزنطية، واستغلوا - حسب المصادر الإسلامية - معرفتهم السابقة بالعربية، وبطرق قتال العرب، وأيضاً بدروب الأرض الإسلامية؛ في إلحاق أشد درجات الأذى بالمسلمين، كما كاتبوا - بتشجيع السلطات البيزنطية - إلى أقرانهم في بلاد المسلمين يحثونهم على الالتحاق بهم في بلاد الروم^(١٤٩)، ويذكرون لهم ما يتمتعون به من رعاية بيزنطية، وهو موقف يختلف كثيراً عن موقف الأقباط المصريين المقيمين تحت الحكم البيزنطي، وإن بدا دورهم باهتاً، إلا عند الحديث عن بعض المساعدة السرية من الرهبان الأقباط للعرب^(١٥٠). فلا نكاد نلمس أي لهجة عداة ضدهم على الإطلاق.

١٤٧ - سيرة فتوح مصر ، ق ٤٧ .

١٤٨ - فتوح مصر ، ق ٤٨ .

١٤٩ - الأمين أبو سعدة: بيزنطة في الملاحم ، ص ٣٢٠

١٥٠ - للمزيد حول مساعد الأقباط والرهبان للمسلمين ، انظر / بتلر : فتح العرب لمصر ، الفصل السابع والعشرون ، ص ٤٥٤ - ٤٦١ .

وختامًا:

إن السير الشعبية وهي تعيد إنتاج تاريخ الصراع الإسلامي البيزنطي، أثناء الفتح الإسلامي لمصر، لم تهتم كثيرًا بحقائق الحوادث والأماكن، والشخصيات التاريخية، والتتابع الزمني في سياقها التاريخي الفعلي، وإنما وظفت ذلك كله في خدمة هدفها الفني بمضامينه الاجتماعية/الثقافية، بحيث تبرز دور العامة في إعادة تشكيل تاريخهم، وهو الدور الذي أهمله المؤرخون التقليديون لحساب الحكام.

كما أنها تكشف، وبشكل مثير، عن كيفية ورود أحداث الصراع الإسلامي البيزنطي، أثناء الفتح الإسلامي لمصر، إلى الذاكرة، وماهية رؤيتها لبدائيات المجتمع المسلم الباكر في مصر، والمجتمع الذي عاش في رحابه رواة السير الشعبية، وأنها تمثل نمطًا من أنماط الذاكرة الاجتماعية. وسيرة فتوح مصر المحروسة في حقيقة أمرها: سيرة تنير السبيل أمامنا للتعرف على المواقف الوجدانية والشعورية الحقيقية للشعب إزاء الشخصيات والأحداث التاريخية، ومن ثم فإن الدراسة لم تستهدف كشف الأبعاد التاريخية التقليدية لأبطال وأحداث وأماكن صراع الفتح العربي لمصر في تلك الفترة من تاريخنا، بقدر الحرص على رسم صورة عامة وتقريبية لموقف العامة من مفردات التاريخ وأبطاله^(١٥١). كما ألفت ضوءًا، مفعما بالخيال الخصب، على بؤر جديدة لم تنتبه إليها مصادرنا التاريخية. عكست رؤية الوجدان الشعبي الجماعي لصورة الآخر (البيزنطي) من المنظور الديني^(١٥٢) كما أنها قدمت، في الوقت نفسه، الكثير من المعلومات التي مرت بها المصادر التاريخية التقليدية المعاصرة عرضًا، أو تجاهلتها تمامًا، وقدمت معلومات أمكن تأكيدها من المصادر الإسلامية والبيزنطية.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذا العمل "فتوح مصر المحروسة" الذي يعد نصًا يقع في منطقة الحدود بين التاريخ والأدب الشعبي - والحكاية الشعبية على وجه التحديد -

١٥١ - للمزيد عن الرؤية الشعبية للأحداث التاريخية انظر / قاسم عبده قاسم : بين التاريخ والفولكلور ، ص

١١٠ - ١٢٦؛ عمرو عبد العزيز منير: مقدمة قصة البهنسا ، ص ٥ - ٩٥.

١٥٢ - الأمين أبو سعدة ، الملاحم ، ص ١٣٠.

وليس باعتباره نصًا تاريخيًا، أما الأشعار والأمثال والحوارات الكثيرة بين أبطال الحكاية التي كانت من لوازم الحكى الشعبي - ولا تزال حتى الآن - فإنها ليست من العيوب التي قد يظن البعض أنها تشوب نص "فتوح مصر المحروسة"، ولكنها من خصائص هذا النص الفريد؛ الذي يمزج بين التاريخ والحكاية الشعبية، ويؤدي وظيفة مهمة في خدمة الباحثين في مجال الدراسات التاريخية، والباحثين في مجال الأدب الشعبي على السواء^(١٥٣)، مع الأخذ في الاعتبار أن السير الشعبية تمثل مصدرًا لكتابة وقراءة التاريخ، إضافة إلى المصادر الأخرى، فالسير الشعبية لا تنشأ من فراغ، بل تعبر عن واقع مجتمعي، واتفاقها أو تناقضها - في بعض الأحيان - لا يقلل من هذه الميزة - التعبير عن الواقع^(١٥٤)، إذ كان الرواة الشعبيون واعين إلى درجة كبيرة بحقائق عصرهم المؤلمة، ومدركين لهامش التحرك الذي يمكنهم أن يتحركوا فيه، وباختيارهم لهؤلاء الأبطال التاريخيين برهنوا للطبقات الشعبية أن أسلافهم عرفوا رجالًا عظامًا؛ حققوا انتصارات باهرة على البيزنطيين، أي أن البطل المنقذ الذي تنتشده الطبقات الشعبية قد يظهر لمواجهة العدوان الجديد البيزنطي/الصليبي، ما دام قد ظهر في السابق، والانتصار الذي يحلم به الجميع من الممكن أن يتحقق، ما دام قد تحقق ذات يوم. وعاشت السير الشعبية؛ لأنها كانت هي التاريخ الذي يصدقه آلاف وآلاف من الناس - عامة وخاصة - والذي عاش ولا يزال يعيش عليه الكثير ممن يفوقون قراء الكتب العلمية عددًا وإيمانًا بصدق التاريخ.

١٥٣ - قاسم عبده قاسم : واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني نهاية المماليك بين التاريخ والحكي الشعبي (دار عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ٢٠١٤م) ، ص ٢٣ ؛ روبرت إروين : ابن زنبيل وقصة التاريخ ، ص ٢٥ - ٤٤ .

١٥٤ - محمد رفعت عبد العزيز : الأمثال مصدرًا لدراسة التاريخ ، (دار عين للدراسات ، القاهرة ٢٠٠٣م) ، ص ٣٩ بتصرف .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات و المصادر العربية .

١. ابن الأخوة، "محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد القرشي" ت ٧٢٩هـ : معالم القرية في طلب الحسبة، (تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١م)
٢. ابن الحاج، "أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي والمالكي" ت ٧٣٧هـ / ١٤٧٣م : المدخل إلى الشرع الشريف، (دار التراث، القاهرة د.ت)
٣. ابن شداد، "بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم" : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، (تحقيق، جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٤م)
٤. ابن عبد الحكم، "عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عثمان عبد الحكم بن أعين بن الليث بن رافع" ت ٢٥٧هـ : فتوح مصر والمغرب، (تحقيق : على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٤م).
٥. أبو حيان، "علي بن محمد بن العباس التوحيدي البغدادي"، ت ٤١٤هـ : البصائر والذخائر، المجلد الثالث (تحقيق : إبراهيم كيلاني، دار أطلس، دمشق د.ت)
٦. البلوي "أبو محمد عبد الله بن محمد المدني (ت ق ٤) : سيرة أحمد بن طولون، تحقيق، محمد كرد على، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٩م)
٧. الذهبي، "شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد" : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام "تحقيق بشار عواد معروف، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٣م.
٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء، "مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، بيروت، د.ت"
٩. السيوطي، "جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر الشافعي" ت ٩١١هـ : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، (جزآن، المكتبة التجارية بمصر، القاهرة ١٩٠٨م)
١٠. الصوري، ولیم: "٥٨٣ هـ / ١١٨٥م" : تأريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٣م)
١١. مجهول: سيرة فتوح البهنسا الغراء، (تحقيق: عمرو عبد العزيز منير، ط ١، سلسلة الجوائز، هيئة قصور الثقافة، القاهرة ٢٠١٢م) .
١٢. مجهول: فتوح مصر (منسوب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني، مخطوط بمكتبة أحمد الثالث برقم "أحمد الثالث ٢٨٩٠)

١٣. مجهول: فتوح مصر وأعمالها (مخطوط مصور بدار الكتب بالقاهرة برقم ١٠٥٨ تاريخ تيمور)
١٤. مجهول: فتوح مصر وأعمالها، (منسوب للشيخ الإمام ابن إسحق الأموي)، (مخطوط بدار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم ١٤٢٠ زكية).
١٥. مجهول: فتوح مصر والإسكندرية، (منسوب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني، تحقيق: هنريك آرند همقر، ط١، ليدن سنة ١٨٢٥م)
١٦. مجهول: فتوح مصر والفيوم والإسكندرية ودمياط وغيرهم من الجزائر والبلاد، (منسوب تأليفه للعالم العلامة الواقدي رضي الله عنه وأرضاه)، (مخطوط بدار الكتب والوثائق المصرية برقم ١٧٨٤ تاريخ تيمور)
١٧. مجهول : كتاب فتوح مصر المحروسة على يد سيدي عمرو بن العاص (مخطوط بدار الكتب والوثائق المصرية ، تحت رقم ١٠٠ الحسيني).
١٨. المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك (تحقيق محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٧م)
١٩. المقرئزي، "أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين "المتوفى: ٨٤٥هـ": المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"، ٤ أجزاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨ هـ"
٢٠. الواقدي ، "محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله "ت ٢٠٧هـ": فتوح الشام (دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٧ م)
٢١. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي): معجم البلدان (ط٢، دار صادر ، بيروت ١٩٩٥م)

ثانياً : المراجع العربية والمعرية .

١. إبراهيم ، نبيلة : من نماذج البطولة الشعبية ف الوعي الشعبي ، (سلسلة معارف إنسانية ، العدد ٥ ، ط١ ، دبي ١٩٩٣م)
٢. إبراهيم، نبيلة: سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة، (ط٥، المكتبة الأكاديمية، القاهرة ١٩٩٤م)
٣. أبو سعدة ، الأمين: بيزنطة في الملاحم العربية (ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، تحرير حاتم الطحاوي، دار عين، القاهرة ٢٠٠٣م)

٤. احمد ، إبراهيم كامل: "فتوح البهتسا الغراء" ، كتاب من كتب المغازي الإسلامية (مجلة الفنون الشعبية، عدد ٤٦ يناير- مارس ١٩٩٥ م)
٥. إروين ، روبرت: ابن زنبل وقصة التاريخ (ضمن كتاب الكتابة وأشكال التعبير في إسلام القرون الوسطى، آفاق المسلم ، تحرير : جوليا براي ، ترجمة : عبد المقصود عبد الكريم ، إصدارات المركز القومي للترجمة ، العدد ٢٦١٩ ، ط ١ ، القاهرة ٢٠١٥ م)
٦. إسماعيل ، يوسف : الرؤيا الشعبية في الخطاب الملحمي عند العرب (منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠٤ م)
٧. بنلر ، ألفريد: فتح العرب لمصر، (ترجمة محمد فريد أبو حديد، ط ٢ ، لجنة التأليف، القاهرة ١٩٤٦ م)
٨. الجزار ، محمد فكري : العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، (سلسلة دراسات أدبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٨ م)
٩. حرب، طلال: بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك ، (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٩ م)
١٠. حمود، ماجدة: صورة الآخر في التراث العربي، (الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ٢٠١٠ م)
١١. الخضيرى ، محمد : المناظرة العجيبة، وقائع مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى بحضرة ملكهم (دار الوطن للنشر، الرياض ٢٠٠٠ م).
١٢. خورشيد، فاروق: معادن الجواهر جولة في التراث، (ط ٢ ، سلسلة مكتبة الأسرة، القاهرة ١٩٩٩ م)
١٣. دهمان ، محمد أحمد : معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكي (دار الفكر ، دمشق ١٩٩٠ م).
١٤. رمزي، محمد: القاموس الجغرافي "ق ٢ ، ج ٣ ، ج ٤ ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤ م).
١٥. رنسيما، ستيفن: تأريخ الحروب الصليبية، (ترجمة: السيدالباز العريني، دارالثقافة، بيروت/د.ت).
١٦. سركيس ، اليان : معجم المطبوعات العربية (مطبعة سركيس، القاهرة ١٩٢٨ م).
١٧. شميمس ، عبد المنعم: قصة البهتسا " مجلة الفنون الشعبية ، العدد الأول ، القاهرة).
١٨. الشيال، جمال الدين: مجمل تاريخ دمياط سياسيا واقتصاديا (ط ١ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ٢٠٠٠ م).
١٩. شير، أدّي: كتاب الألفاظ الفارسية المعربة (ط ٢ ، دار العرب للبستاني ، القاهرة ١٩٨٨ م).
٢٠. عابدين، عبد المجيد: لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية ، (مطبعة الشبكشي ، القاهرة ١٩٦٤ م).
٢١. عاشور، سعيد عبد الفتاح: الظاهر بيبيرس (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١ م).

٢٢. عاوو، صلاح الدين: الرواية الشفوية وأهميتها في حفظ التاريخ ، (مجلة المؤرخ العربي ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ١٩٩٩م)
٢٣. عبدالعزيز، محمد رفعت: الأمثال مصدراً لدراسة التاريخ، (دار عين للدراسات، القاهرة ٢٠٠٣م)
٢٤. عبد القوي، أحمد: آثار وفنون البهتسا، (سلسلة التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٥ م)
٢٥. العدوي، إبراهيم أحمد: ابن عبد الحكم رائد المؤرخين العرب، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٣م)
٢٦. عطية أحمد محمد: مدخل لدراسة شخصية البطل الثوري في الرواية العربية ، (مجلة الأقلام، العدد ٩ ١٩٧٥م)
٢٧. على ، على السيد : التراجمة في عصر سلاطين المماليك (ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاجتماعي من العصر المملوكي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠١٤م).
٢٨. على، على السيد: الرعاية الاجتماعية للجواري والعبيد السود في العصر المملوكي (ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاجتماعي من العصر المملوكي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠١٤م)
٢٩. على، على السيد: دور الأسرى الأجانب في المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك (ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاجتماعي من العصر المملوكي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠١٤م)
٣٠. عنان، محمد عبد الله: مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري (مكتبة الأسرة، القاهرة ١٩٩٩م)
٣١. عون ، عبد الرؤوف : الفن الحربي في صدر الإسلام (دار المعارف، القاهرة ١٩٦١م)
٣٢. فرشوخ، أحمد: جمالية النص الروائي، مقارنة تحليلية لرواية "لعبة النسيان"، (درا الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط١، 1996 م)
٣٣. قاسم، قاسم عبده: أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى دراسة وثائقية (دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م)،
٣٤. قاسم ، قاسم عبده : بين التاريخ والفلكلور، (ط٢، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ٢٠٠١م)
٣٥. قاسم، قاسم عبده : في تطور الفكر التاريخي، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة ٢٠٠٤م)
٣٦. قاسم ، قاسم عبده: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني نهاية المماليك بين التاريخ والحكي الشعبي (دار عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ٢٠١٤م)
٣٧. القرشي، عالي سرحان: العلاقة بين الرواية والتاريخ (استنطاق، اختراق، تكوين)، (ضمن أبحاث ملتقى القاهرة الثالث للإبداع الروائي العربي، الجزء الثاني، الرواية والتاريخ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٥م)

٣٨. كاشف ، سيدة إسماعيل : مصر الإسلامية وأهل الذمة ، (سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣ م)
٣٩. كاظم ، نادر : تمثيلات الآخر ، صورة الأسود في المتخيل العربي الوسيط ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ ، بيروت ٢٠٠٤ م)
٤٠. كينيدي ، هيو : الفتوح الإسلامية كيف غير انتشار الإسلام العالم الذي نعيش فيه (ترجمة: قاسم عبد ، دار عين للدراسات ، القاهرة ٢٠١٥ هـ)
٤١. منير ، عمرو عبد العزيز : الأساطير المتعلقة بمصر في كتابات المؤرخين المسلمين (ط ٢ ، سلسلة مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠١٢ م)
٤٢. منير ، عمرو عبد العزيز : الفتح الإسلامي لصعيد مصر في الوعي المصري الشعبي قراءة في مخطوط فتوح البهنسا الغراء (ضمن أبحاث مؤتمر التاريخ الحربي عبر العصور ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ٢٠١٢ م)
٤٣. منير ، عمرو عبد العزيز : مقدمة تحقيق كتاب فتوح البهنسا الغراء، (ط ١ ، سلسلة الجوائز ، هيئة قصور الثقافة ، القاهرة ٢٠١٢ م)
٤٤. النجار ، محمد رجب : الأدب الملحمي في التراث الشعبي (سلسلة الدراسات الشعبية ، العدد ١١٠ ، هيئة قصور الثقافة ، القاهرة ٢٠٠٧ م)
٤٥. هالدون، جون: بيزنطة في حرب ٦٠٠ - ١٤٥٣ م (ترجمة وتعليق : فتحي عبد العزيز محمد، دار ناشري، الكويت ٢٠١١ م)
٤٦. هوروفقس ، يوسف : المغازي الأولى ومؤلفوها ، (ترجمة : حسين نصار ، طبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٩ م)
٤٧. هولاند ، روبرت ج. : التاريخ والقصة والتأليف في القرون الأولى من الإسلام (ضمن كتاب الكتابة وأشكال التعبير في إسلام القرون الوسطى آفاق المسلم ، تحرير : جوليا براى ، ترجمة : عبد المقصود عبد الكريم ، إصدارات المركز القومي للترجمة ، العدد ٢٦١٩ ، ط ١ ، القاهرة ٢٠١٥ م)
٤٨. ووتر ، ميكيل : المجتمع المصري تحت الحكم العثماني (ترجمة: إبراهيم محمد إبراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٧ م) .
٤٩. يونس ، عبد الحميد: الظاهر بيبرس في القصص الشعبي (دار القلم ، القاهرة د.ت)

ثالثاً : المصادر والمراجع الأجنبية .

1. El-Cheikh, N. M. 'Describing the other to get at the self: Byzantine women in the Arabic sources (8th.-11th. Centuries)', JESHO 40,2 (1997) 240-250.
2. Georgius Monachus, *Chronicon*, ed. C. De Boor. (Leipzig: Teubner, 1904).
3. John Skylitzes, *Synopsis Historiarum*, ed. J. Thurn, CFHB, vol. V, Series Berolinensis, (Berlin 1978) German trans. Byzanz, wieder ein Weltreich: das Zeitalter der makedonischen Dynastie / nach dem Geschichtswerk des Johannes Skylitzes; übersetzt, eingeleitet und erklärt, Hans Thurn. (Graz: Verla Styria, c1983-), Byzantinische Geschichtsschreiber vol 15
4. Norris, H. T.: The futuh al – Bahnsa and its relation to pseudo maghazi and futuh literature ,arabic siyar and Westera chanson de geste in the middle ages.
5. Paret,Ruidi (1970), Die legendare Futuh – Literatur, ein arabisches Volksepos La poesia epica e la sua formazione, Accademia Nazionale dei Lincei, Atti 139.
6. Stevenson , W . W . B : The Crusaders in the east , a brief history of the wars of Islam with the Latin in Sysia During the twelfth and thirteenth Centuries , Cambridge University . Printed in Lebanon by Slim press , Beirut , 1968
7. Sviri, S., 'Wa-rahbābāniyataniibtada'ūhā: an analysis of traditions concerning the origin and evaluation of the Christian monasticism', JSAI 13 (1990) pp. 195-208.
8. The works of Liudpran of Cremona: Tit for tat, English trans. by F. A. Wright, (London 1930) p. 207. Cf. also, Brett, G. "The automata in the Byzantine [Throne of Solomon]" *Speculum*, vol. 29, issue 3 (Jul. 1954)
9. ThirryHentsch 'L'orientimaginaire: La vision politiqueoccidentale de l'estmediterraneen", arguments les editions de minuit, paris, 1988.

الزواج في الأندلس

(دراسة وثائقية في كتب النوازل)

د. أحمد صالح محمد عبد الغنى
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب - جامعة حلوان

إن الزواج شرعية إلهية وسنة كونية، لضمان استمرار الحياة وعمارة الكون، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون هناك ثمة حياة في أى بقعة من بقاع الأرض؛ إلا إذا وجد الزواج والاقتران .

ومن هذا المنظور نظر المجتمع الأندلس إلى الزواج على أنه قضية مصيرية وحتمية، لا غنى عنها لترسيخ الروابط الاجتماعية ، وتثبيت كيان المجتمع بقدر ما اتخذ منه موقف الحيطة والحذر ، بل تحول الأمر إلى أزمة في الإقبال على الزواج، وذلك لأسباب عدة: مادية ونفسية واجتماعية وهى:

أولاً : قلة أعداد الرجال بالمقارنة بعدد النساء، بسبب الحروب الكثيرة التى دارت بين المسلمين والممالك الأسبانية (النصرانية) طيلة ثمانية قرون، وهى عمر الدولة الإسلامية في الأندلس (١) .

ثانياً : المغالاة في المهور والنفقات عند بعض الأسر الأندلسية . وقد تناولت الأمثال الشعبية الأندلسية هذا الواقع المرير ، الذى تعيشه بلاد الأندلس ، فقد نظر إلى الزواج أحياناً على أنه شبح، بسبب التكاليف الباهظة التى تؤدى أحياناً إلى الفقر والإملاق، وإسراف النساء في مطالبهن ، فقالوا: " ما أطيب العرس لولا النفقة " و" زوجه حوجه " وقالوا أيضاً: "من زوج حوج" (٢)

وهذه الحالة من المغالاة في المهور ، وتكاليف الزواج الباهظة ، دفعت بعض الأسر الفقيرة، في الأندلس، ممن لا يتحملون أعباء ونفقات الزواج، إلى تأخير زواج أبنائها، بل إلى العزوبية ، وقد ذكر ابن قزمان بعض الرجال المتحسرين على عدم الزواج، بسبب كثرة النفقات قائلاً (٣):

صرت عازب وكان لعمري صواب لس نزوج حتى يشيب الغراب
أنا شايب يا لس نفوز بـزواج ولا حلوة ولا عروسة بتاج
لا رياضة غير اللعب بالزجاج والمبيت بره والطعام والشراب

لذا انتشر الزواج بين الرجال العجائز ، وقد سخرت الأمثال الشعبية من زواج الرجل العجوز بالفتاة الصغيرة قائلاً: "إذا أزواج الشيخ لصبي يفرح صبيان لقوى" ، وكما وصفت الأمثال الزوجة الصغيرة بقولهم: "زوجة الشيخ مدلل" ، وكذلك سخرت من زواج المرأة العجوز برجل يصغرها بأعوام كثيرة ، فقالت: "وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر" (٤).
ثالثاً: الخوف من مسئوليات الزواج وأعبائه . يبدو أن كثيراً من الأندلسيين كانوا يفشلون في زواجهم، حتى بدأ الناس ينفرون من الزواج خشية الفشل فيه، وكثرة مسئولياتهم وأعبائهم، فكان الواحد منهم لا يضمن النجاح والتوفيق في زواجه، وأن يكون بخته أو نصيبه فيه حسناً. وقد حفلت كتب الأمثال العامية بالعديد من الأمثال التي تعبر عن هذا الصنف من الرجال مثل: "زوجني واضمن لى بخت" (٥) .

وبرغم ذلك نظر البعض للزواج على أنه باب من أبواب الرزق ، مصداقاً لقول الرسول (صل الله عليه وسلم): "أطلبوا الرزق في النكاح" (٦)، فقالوا في أمثالهم: "أزواج يفتح الله عليك، قال: يفتح ؟ ! قال: يفتح ؟! وحندك " أى وماذا بعد ذلك (٧)، وهنا يظهر البعد الإسلامي في الأمثال الشعبية، لوجود طائفة متدينة تثق في مقدور الله، وتصديق موعود رسول الله بفتح أبواب الرزق وسعة العيش، في طلب الزواج والعفاف، ولكن برغم ذلك، فإن الكثير كان يُصر على النفور من الزواج، خشية الفشل كما أشرنا. ونظراً لضيق العيش برغم نصيحة الآخرين له بالزواج، طلباً للرزق والفرج وتحسين وضع المعيشة، قالوا في أمثالهم: "أزواج يفتح الله عليك" على ما ذكرنا (٨) .

الزواج المبكر:

حرص الآباء في المجتمع الأندلسي على تزويج بناتهم في حياتهم، والاطمئنان عليهن فيقول المثل: "هم البنات للممات" (٩) و"وى على من مات وخلقى سبع بنات" (١٠) لهذا نراهم يزوجون أبنائهم في سن مبكرة للغاية، سواء للبنات أو للولد ، فكانوا يزوج البنات منذ

صغرها، ويفضلون تزويجها لأول خاطب حتى لو كان المتقدم من أرذل الناس، وقد عبرت الأمثال الشعبية عن رغبة الآباء وحرصهم على قبول الخطاب دون تردد، ويقول المثل: " إذا قالت البنت دد ، فكر لها في مخد " ، " وان رفعت القدح لفمها تحتاج ما تحتاج أمها " ، و"زوج سو خير من فقد"، و" زوج من عود خير من قعود" (١١)، و"من خطبك أزواج " أى زوج ، و مثل آخر: " من كثور بنات كين الكلاب اختينوا " (١٢) أى من كثر بناته صارت الكلاب أخوته، أى اضطر إلى مصاهرة أرذل الناس وشرارهم، كما سخرؤا من المرأة غير المتزوجة " عازيه بيانه. رأت قول الرجل وقالت: اش ذاك الكنانة ؟؟ " (١٣) .

ويتضح من الوثائق الأندلسية هذا الأمر، فقد سئل ابن رشد في رجل تزوج امرأة يتيمة لها من العمر خمسة عشرة عاماً، أنكحها عم لها (١٤) ، كما ذكر ابن حزم أن أخوه أبو بكر تزوج في الرابعة عشر من عمره، وكانت زوجته في مثل سنه تقريباً، وقد توفي في الطاعون الذى اجتاح قرطبة في شهر يونيه عام ١٠١١م في الثانية والعشرين من عمره، بعد زواج استمر ثمانية أعوام (١٥) .

أما اليتيمات من النساء فقد اشترط الفقهاء بلوغهن قبل الزواج ، فقد ذكر ابن العطار أنه لا يجوز نكاح البنت اليتيمة قبل بلوغها ، إلا أن يكون الأب جعل للوصى إنكاح بناته الأصاغر قبل البلوغ وبعده (١٦) .

كان من نتائج هذه الظاهرة . ألا وهى الزواج المبكر . أن اضطر الآباء، في كثير من الأحيان، تحمل أعباء ونفقات الزواج عن عاتق أولادهم وبناتهم ، فكان الأب يدفع لابنه المقدم على الزواج نفقات الزواج من أموال ومناخ ، كما كان والد البنت يتحمل الكثير من النفقات، تيسيراً على عاتق الشخص المقدم على زواج ابنته. ويتضح من الوثائق الأندلسية أن بعض الآباء كانوا يقومون بحبس الجنان والبساتين والعقارات على بناتهم، لتوفير حياة كريمة لبناتهم بعد مماتهم، فإما ان تستعين بعائدها على المعيشة، أو تجهيز نفسها عند الزواج في حالة وفاة الأب .

وقد عُرِضت مسائل من هذا النوع على قاضى الجماعة ابن رشد ، فقد سئل في رجل زوج ابناً له صغيراً من يتيمة بكر بالغ بمهر معجل ومؤخر، والتزم الأب دفع

المعجل عن ابنه ، ورجل آخر وهب ابنه عند زواجه ثلث أملاكه ، ورجل ثالث يدعى وحيون بن عبد الله، وهب ابنه جعفر عند عقد نكاحه ثلث أملاكه (١٧). وسئل ابن رشد أيضاً عن رجل زوج ابنته من رجل وتحمل الأب عنه النقد والهدية إلى أجل معلوم ، كما سئل في رجل وافق لزوج ابنته، عند عقد الزواج، أن يسكن معه في دار سكناء، لعدم استطاعته توفير بيت الزوجية (١٨) .

وعلى الرغم من حرص أهل الأندلس على تزويج بناتهم لأول خاطب ، رغبة منهم في ستر بناتهم، إلا أن ذلك لم يمنعهم من اختيار الزوج المناسب لبناتهم ، وينصحون بحسن الاختيار فيما بينهم ، فيقولون في أمثالهم: " من لا يختار، لا يفقد عار " (١٩).

إجراءات الزواج في الأندلس :

٣- الزفاف

٢- العقد

١ - الخطبة

أولاً : الخطبة :

تبدأ إجراءات الزواج في المجتمع الأندلسي، طبقاً للشريعة الإسلامية الحنفية، بالخطبة، وهي طلب المرأة للزواج بها ، وهي مقدمة ضرورية لعقد مهم هو عقد الزواج، ولما كان الزواج عقداً دائماً تترتب عليه الآثار الخطيرة بين الطرفين، ويتعدى الضرر فيه إلى غير طرفيه من الأبناء والذرية، لذلك سوغ الشارع الكريم، لكل من طرفي هذا العقد، أن يتعرف على الآخر تماماً قبل الإقدام على عقد خطير كهذا، لأن الرعونة أو عدم التبصر في هذا الموضوع؛ قد تؤدي إلى تعاسة دائمة، وحتى إذا عولجت فيما بعد، فيمكن أن تظل أثارها باقية تؤلم كلاً من الطرفين، حين يرى أولاده من الطرف الآخر، فكانت الخطبة لذلك مقدمة ضرورية لهذا العقد، حتى إذا رأى كل واحد منهما ما يدعو إلى الارتباط بالآخر أقدم على العقد وهو مطمئن، فيقوم الزواج بينهما على أمتن الأسس وأقوى المبادئ، لتحقيق الحكمة من ورائه، ألا وهي أن يكون كل من الزوجين سكناً للآخر، ويكون بينهما من المودة والرحمة ما يساعد على تكوين أسرة سعيدة، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " (٢٠) .

كانت الخطوبة لا تتم عادة بين الطرفين إلا من خلال حلقة وصل بينهما، ألا وهي الخاطبة، وقد عرف الأندلسيون الخاطبة، وكانت الماشطة تنهض بدور كبير في إتمام مهمة الخطوبة أيضاً، حيث كانت تذهب للنساء في بيوتهن وتمر عليهن وتطرق الأبواب بصفة يومية، وتعرض خدماتها لهن الخاصة بتزيين النساء وتجميلهن، وبيع الطيب والبخور، وغير ذلك من لوازم النساء . وبذلك يتاح لها دخول البيوت والإطلاع على أسرار الحريم ، فتستطيع أن تأتي للعريس بالعروس التي تتفق مع ميوله ورغباته (٢١). وغالباً ما كانت الخاطبات و الماشطات من العجائز ذوات السن ، واشترط الفقهاء أن تكون مسلمة، لأنها تطلع على المرأة ومفاتها ، وأن تكون غير جميلة ، وغير مظهره للزينة والتبرج (٢٢) . فهي تذلل العوائق وتحمل الرسائل وتحفظ السر، وأحب الأعمال إليها سعيها في تزويج الأيتام (٢٣) . وأحياناً يقوم بهذا الدور الأصدقاء (٢٤) ، وقد اعتبر الأندلسيون يوم الجمعة اليوم المفضل لهذه المناسبة (٢٥) .

وكانت المرأة في الأندلس صاحبة الرأي في زواجها، فكانت النساء في الأندلس أكثر تحراً منهن في بقية البلدان الإسلامية ، فلم يكن أسيرات العادات والتقاليد الشرقية القديمة، بل تمتعت بالحرية الكاملة في التعبير عن مشاعرهن وأرائهن (٢٦). فقد ذكر (ابن حزم) أن جارية جميلة كانت ملكاً لسعيد بن منذر (صاحب الصلاة) في جامع قرطبة، في أيام الحكم المستنصر، وقد أحبها وتعلق بها، وعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها، فطلبت منه ساخرة أن يخفف من لحيته قائلة: " إن لحيتك استبشع عظمها ، فان حذفت منها كان ما ترغبه "، فأعمل فيها الجميلين على حد تعبير ابن حزم، حتى لطفت ثم دعا بجماعة أشهدهم على عتقها ، ثم خطبها لنفسه فلم ترض به ، وكان في جملة من حضر أخوه حكم بن منذر، فأسر إلى واحد في المجلس أن يعرض عليها رغبته في خطبتها لنفسه ، فرضيت به وتزوجته في ذلك المجلس بعينه ، وكره أهل قرطبة هذا الموقف من الحكم على نسكه وورعه واجتهاده ، ولكن الجارية أنفذت رأيها، وما كانت تستطيع، لو لم يكن ذلك حقاً مقررأ لها ، ولم ينلها أى أذى في استعمال حقها (٢٧) .

وقد ذكر (المقرئ) في نفح الطيب: أن الشاعرة الأديبة "عائشة بنت أحمد القرطبية"، ماتت عذراء في سنة أربعمائة ، وقد خطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه، فكتبت إليه :
أنا لبؤة لكنني لا أرتضى نفسي مناخاً طول دهرى من أحد
ولو أننى أختار ذلك لم أجب كلباً ولم غلقت سمعى عن أسد (٢٨).
كذلك "تزهون بنت القلاعى الغرناطية"، رفضت رجلاً قبيحاً تقدم لخطبتها ، ولم يستهوها ، فكتبت إليه شعراً تهجوه فيه (٢٩) .

وقد ذكر (الحميدى) في جذوته: أن الشاعر يحيى بن الحكم المعروف بالغزال، أنشد شعراً عن فتاة خيرها أبوها بين رجلين: أحدهما شيخ كبير السن، لكنه غنى كثير المال، وشاب فقير قائلاً (٣٠):

خيرها أبوها بين شيخ	كثير المال أو حدث فقير
فقال خطتاً خسف وما أن	أرى من خطوة للمستخير
ولكن إن عزمت فكل شئ	أحب الى من وجه الكبير
لأن المرء بعد الفقر يثرى	وهذا لا يعود إلى صغير

وقد اشترط الوثنريسي وابن العطار أن تسمع موافقة المرأة علانية بالنطق، سواء كانت بكرًا أو ثيبًا، حرة أو جارية (٣١)، وإن كان ابن عبد الرؤوف يكتفي باستئذانها وإذنها صمتها ، فإن صمتت زوجت، وإن أنكرت بالقول أو البكاء، أو ما يظهر عليها ما يدل على الرفض لم تزوج (٣٢) وإلا ستكون مصيبة تحل بالزوج والزوجة ووليها، إذا غُصبت أو أكرهت المرأة على الزواج بدون موافقتها وإذنها ، بل أضاف (ابن العطار) يجب أخذ رأى المرأة حتى لو كانت جارية (٣٣) .

ويبدو أن الخاطب كان لا يرى مخطوبته، بل يكتفي بمعرفة رأيها عن طريق وليها، أو العرض عليها، دون أن يراها رؤية العين، برغم أن الشريعة الإسلامية أباحت ذلك (٣٤). وقد ذكر (الخُشنى) أن هناك رجالاً كانوا يُصرون على رؤية زوجاتهم في فترة الخطوبة، وقبل البناء بهن والعقد عليهن، فذكر ان زياد بن عبد الرحمن قد خطب ابنة القاضى معاوية بن صالح (في عهد عبد الرحمن الداخل)، وقد رغب أن ينظر إلى

خطيبته في بيت أبيها، على ما يفعله بعض الناس ، فدبر أمره مع نساء البيت، فدخل متخفياً مع النساء إلى البيت في الليل، وجلس مع حيوانات الدار في الإسطوان (الخطيرة)، فنفرت منه الدواب وصاحت، فسمعها القاضي معاوية وهو خارج إلى صلاة العشاء، فجاء بالمصباح لينظر في الأمر ، فوجد زياد في بعض زوايا الإسطوان، فما زاد أن قال : استوصوا بكم خيراً ، ثم خرج للصلاة (٣٥) .

وقد شهدت بلاد الأندلس، في بعض الأحيان على غير العادة، أن يقوم الرجل والد المرأة بعرض ابنته على شاب ليتزوجها دون حرج، عندما يرى فيه الصلاح والتقوى، بمعنى أن يخطب لابنته (٣٦). فقد ذكر (ابن عبد الملك) أن أسماء بنت داود مولى أمير المؤمنين (هشام المؤيد) وهى من مدينة بلنسية، قد زوجها أبوها من أحمد بن محرز، فتى كان يقرأ عليه، وذلك لما وجده فيه من فضل وعقل ، فأعجبه فقال له يوماً: أتحب أن أزوجك ابنتي ؟ فحجل الفتى، وذكر له حاجته في ذلك ، فزوجها منه، ونذر لها داراً ، وزفها إليه (٣٧) .

وكان رجال الأندلس يتهافتون على خطبة بنات مدينة غرناطة ، والسبب في ذلك على ما ذكره (ابن الخطيب) أن غرناطة حافلة بالجماليات أولئك اللائي وصفهن قائلاً: "جماليات ساحرات، ناعمات الأجسام، مرسلات الشعور، نقيات الثغور، طيبات النشر، خفيفات الحركة، نبيلات الكلام، حسناوات المحاورة، العنصر الغالب بين نساء الأندلس على ما يبدو" (٣٨)، وقالوا في أمثالهم: " أزواج في غرناطة ومت في بلّيش " (٣٩)، وكان أبناء الطبقة العليا في الأندلس يفضلون البنات الشقراوات، وكانت (نعم) صاحبة ابن حزم شقراء اللون، (٤٠) بل كان أمراء الأندلس وخلفائها مجبولين على تفضيل الشقراوات (٤١). فإذا انتهت مرحلة الخطوبة جاء دور عقد الزواج .

ثانياً : عقد الزواج (النكاح) (٤٢):

وضع الفقهاء شروطاً عدة لإتمام عقد النكاح ، ما بين شروط الانعقاد والنفاد واللزوم والصحة (٤٣) ، إذ لا يصح عقد النكاح إلا بولي وصادق وشهود (٤٤) .

هذا إلى جانب عدة اعتبارات اجتماعية، لا بد أن تتوفر لعقد النكاح، يأتي على رأسها التكافؤ الاجتماعي بين الطرفين ، إذ يؤثر أبناء كل طبقة من طبقات المجتمع؛ أن يتزوجوا من فتيات ينتسبن إلى طبقتهم نفسها ، فيؤثر أبناء الطبقة العليا الزواج من بنات الأسر الثرية والعائلات الكبيرة، بما يتناسب مع مستواهم الاجتماعي ، وكذلك أبناء الطبقة الدنيا من العوام، لا يخرجون عن بنات طبقتهم . وإذا حاد أبناء هذه الطبقة أو تلك عن التقاليد الاجتماعية تتدخل الأسرة في صورة الأب أو الأم، للحد من ذلك، فيحكي لنا (ابن حزم) أن يحيى بن عمر بن عبده ، أحد أبناء الطبقة العليا، ومن بيت عريق في قرطبة، أراد أن يتزوج من جارية كانت في بيتهم ، فلما علمت أمه باعته على غير إرادته ، وأرادت أن تزوجه من إحدى بنات العامريات ، ذوات النسب والجاه ، ففقد عقله ، وأصيب بالجنون (٤٥) .

ومع ذلك لم يخل التاريخ الأندلسي من بعض الحالات التي زالت فيها الفوارق الطبقيّة بين الطرفين ، فقد ذكر (ابن حزم) نفسه أن عبد الملك بن أبي عامر، أحب امرأة تسمى (واجد) بنت رجل من الجنانيين (جنان أى بستانى) ، وقد حمّله حبها على أن يتزوجها برغم الفوارق الاجتماعية الشاسعة بينهما (٤٦) .

وقد اشترط (ابن العطار) في عقد النكاح أن يكون الزوج كفاً لزوجته، بل يجوز أن تفسخ الزوجة عقد النكاح ، إذا ثبت لها أن الزوج ليس كفاً لها (٤٧) .

شروط صحة عقد النكاح :

١. الولي :

اشترط الفقهاء، كما ذكرنا ، أنه لا زواج إلا بولي ، ومن لم يكن لها ولي، أو واليها غائب يزوجه القاضي ، فقد ذكر الونشريسي أن امرأة من سفاقس وحيدة ليس لها أحد، جاءت إلى القاضي وطلبت منه أن يأذن لها في تزوجه وهي ضعيفة (٤٨). وذكر أيضاً أن رجلاً من القيروان سافر إلى صقلية وترك بنتاً بكرًا، فأرادت أن تتزوج ، فذهبت إلى القاضي طالبة أن يزوجه، فكتب القاضي إلى أبيها إما أن يأتي ، وإما أن يوكل، أو يزوجه القاضي (٤٩) .

ويوصى الفقهاء ولي المرأة أو وصيها، إذا كانت له ابنتان، ألا يزوج الكبيرة على أنها الصغيرة، ولا الصغيرة على أنها الكبيرة، وذلك إذا كانت إحداهن تذكر بالجمال (٥٠).

٢. الصداق (المهر): (٥١).

يقصد بالصداق أو المهر: المال الذي تستحقه الزوجة على زوجها، بالعقد عليها، أو الدخول بها (٥٢). وقد جرت العادة في بلاد الأندلس أن يدفع الزوج مهراً قدره خمسون ديناراً ذهبياً، وفي بعض الأحيان، للتباهي والتفاخر أمام الناس، كان الزوج يقوم بإعطاء والد الزوجة مئتي دينار، ويعلن ذلك أمام الناس، على أن يعطيه ولي المرأة بعد ذلك مئة وخمسين ديناراً (٥٣).

وهذه العادة في الأندلس لم تمنع بعض الأسر الأندلسية، الغنية والعريقة، من المغالاة في مهور بناتها، نظراً لمكانتهم الاجتماعية، والمكان والبيئة التي يعيشون فيها. فأحياناً كان الزوج يعطي زوجته كل ما يمتلكه أو نصفه، مهراً لها، وأحياناً أخرى ما يستجد بينهما بعد الزواج يكون مناصفة بينهما (٥٤). وقد ذكر (ابن رشد) أن رجلاً من مدينة شلب أعطى زوجته نصف أرضه، على أن يبينها بنياناً اتفاقاً عليه، وتكون مناصفة بينهما (٥٥).

وقد ذكر (الونشريس) أن امرأة مصمودية تزوجها رجل مصمودي، في بلاد الأندلس، فقدر لها صداق على عادة بلاد الأندلس الذي انعقد فيها النكاح (٥٦). وكان مهر المرأة يدفع نقداً أو عيناً أو نقداً وعيناً، على جزئين: مقدم ومؤخر، وقد حفلت كتب النوازل بأمثال عدة عن المهر ومقداره ونوعه وأقسامه. فقد ذكر (الونشريس) أن رجلاً تزوج امرأة أعطاهما النقد خمسة وعشرين ديناراً ذهبية، والمؤخر عشرة من الصف وخادم ونصف أملاكه (٥٧).

أما الصداق العيني فذكر (الونشريس) أيضاً أن رجلاً أعطى زوجته صداقاً عيناً، فكساها واشترى لها حلياً (٥٨). وذكر (ابن رشد) أن رجلاً كتب صداق لامرأته نصف أملاكه (٥٩)، ورجلاً آخر تزوج امرأة على عدد معين من المواشي من أرضه (٦٠). ورجلاً أعطى امرأته صداق خلاخل الفضة قيمتها عشرة دنانير ذهباً، وأقراص ذهب من دنانير، وعقد جوهر قيمته ستة دنانير ذهبية، وشقه كتان بلدية العمل، وفضله خام، ودقاية شرب من نصف رطل، وكنبوش حرير، وثوب زردخان، وملحفة قطن وطعام

(٦١). وعرض على ابن ورد أن رجلاً أعطى لامرأة سوارى فضة بقيمة عشرين دينار، ولم يذكر وزنها (٦٢) .

وكان العامة من الفلاحين، في قرطبة ، يسوقون لزوجاتهم جزءاً من الحقل الذي يملكونه، ويكتبون ذلك في عقد الزواج ، وعرضت مسائل كثيرة مثل المسألة التي عرضت على ابن ورد لعاقده قال في وثيقة زواجه: إنه ساق لامرأته نصف الحقل الفلاني إلى ناحية كذا بشرقه وغربه (٦٣).

وذكر (الونشريسي) أن عادة أهل قصور حفصة أن الصداق يكون بدنانير، مالا يدفع قبل الدخول، لكن عادة أهل الأندلس أن الدنانير النقد التي تدفع قبل الدخول؛ لا تقبضها المرأة ولا أبوها ولا وليها دنانير، وإنما يأتي الزوج بكسوة وحلى وذهب ، فيحسب هذا من الصداق النقد (٦٤) .

الصداق نقداً وعيناً: ذكر (ابن رشد) أن رجلاً كتب لزوجته صداقاً مالا وداراً (٦٥). وفي بعض الأحيان كان والد الزوج يتحمل عن ابنه مقدم الصداق ، على أن يلتزم الابن بدفع مؤخر الصداق. فقد ذكر (ابن رشد) أن رجلاً زوج ابناً له صغيراً من يتيمة بكر بالغ، فزوجها ابن عمها، وقد التزم الأب بدفع المعجل منه عن ابنه، وحدد أجلاً للمؤخر (٦٦).

وفي أحياناً أخرى كان ولي المرأة يتنازل عن الصداق لزوج ابنته قبل الدخول. فذكر ابن رشد أن عبد الرحمن بن بزيع والد (عزيزة) أسقط عن زوجها محمد بن عيسى الصداق قبل الدخول بزوجته، وكان الصداق أربعين مثقالاً، رفقاً به وإحساناً إليه، وهى بكر، ثم توفيت عنه وورثها، ثم توفى هو بعدها، فأرادت بنتها مريم أخذ صداق أمها (٦٧) .

وقد جرت العادة في بلاد الأندلس: أن مقدم المهر لا يأخذه الأب أو ولي المرأة لنفسه، بل بنفقه في تجهيز العروس، فيما يعرف بالجهاز أو الشوار ، فيشتري ولي المرأة ما تحتاجه العروس في بيت الزوجية، من ملابس وأثاث وأواني وأدوات المعيشة (٦٨). وقد أشتكى رجل لشيخ قرطبة ولي زوجته بأنه دفع مقدم المهر نقداً، ولم يجهز به عروسه (٦٩). وهذا الجهاز ملك للمرأة وليس من حق الزوج التصرف فيه ، وإذا ماتت يكون ميراث الزوجة (٧٠)، وكان الزوج يضمن جهاز زوجته، ويشترط عليه عدم تلفه (٧١) .

أما عن الهدايا فكانت متبادلة بين الطرفين، فكان الخاطب يهدى خطيبته، والمخطوبة تهدي خاطبها قبل البناء، فكان الخاطب يهدى خطيبته هدايا من الذهب والفضة تقديراً لها ، وكان العامة يهدون الفضة لأزواجهن عند العقد (٧٢)، وكذلك هدايا من الصابون والحناء والفاكهة (٧٣)، والذبائح من الكباش والثيران في المناسبات والأعياد (٧٤) .

كذلك جرت العادة ان الأب يهب ابنته، المقبلية على الزواج، من الهدايا والأشياء الكثيرة التي تحتاجها في جهازها، وذلك إما لأن الصداق لا يكفي جهاز ابنته، والزوج غير قادر على دفع المزيد من الأموال (٧٥)، فقد سئل قاضي الجماعة ابن بشتغير في رجل جهاز ابنته بثوب كذا وحلى ، ورجل آخر جهاز ابنته وتصدق عليها بنصف داره (٧٦). كما كانت عجائز الأندلس من النساء يهدين بنات الفقراء عند الزواج الثياب والحلى (٧٧). وإما على سبيل التفاخر والتباهي أمام الناس، على ان ترد مرة أخرى بعد إتمام الزواج ، وهذا الأمر يؤدي إلى مشاكل عديدة بسبب طمع الزوج بما في يديه، وعدم اعترافه برد تلك الأشياء والهدايا التي أهداها الأب على سبيل التفاخر والتباهي (٧٨).

وقد ذكر المقرئ أن محمد بن أفلح (مولي الحكم المستنصر) ضاق بجهاز ابنته وحمل مالا يطيق، على سبيل التفاخر والتباهي ، حتى لم يبق معه سوى لجام محلى بالذهب ، فذهب به إلى المنصور بن أبي عامر، وكان صاحب ضرب العملة في ذلك الوقت ، وأعلمه بحاجته، فأعطاه دراهم وزن اللجام بحديده وسواره ، وفرح فرحاً عظيماً (٧٩) .

وقد سئل ابن رشد أن رجلاً أهدى ابنته في جهازها غفارة ومحشو وقميص وسراويل، وبعد أن لبسها الزوج بأيام طلب الأب ردها إليه ، فأجاب ابن رشد إن كان هذا الأمر عرف البلد، فلا ترد ، وألا يسأل الأب هل على سبيل التزين أو أنها عارية ترد (٨٠) .

وكان من عادة أهل شلب أن الرجل إذا أهدى عروسه جزءاً من أملاكه، على الأب أن يهب ابنته بنفس مقدار ما أهداه الرجل لعروسه ، وهذه عادة قديمة ومتوارثة ومستمرة، ولا تتخلف حتى يكون الزوجين متكافئين (٨١)، وفي بعض الأحيان تهدي الجدة لزوج حفيدتها ربع أملاكها كهدية زواج (٨٢) .

وكان مؤخر الصداق بمنزلة دين على الزوج عليه أدائه ، ولا بد أن يحدد بوقت معلوم على الزوج رده فيه (٨٣)، وهذا الأمر كان يحدث مشاكل عدة بين الطرفين بعد البناء، بسبب رفض الزوج دفع المؤخر لزوجته في ميعاده . فقد سئل ابن رشد في رجل طلب مؤخر صداق ابنته من زوجها، فأجب ابن رشد ليس لأبيها عليها شيء إذا ثبت رشدها (٨٤) . وكذلك ذكر الونشريسي أن شيوخ قرطبة سألوا عن أب طالب زوج ابنته مؤخر صداقها، والزوج يقول إن زوجته لا تطلبه، فأجاب ابن اللبابة إن طال زمن الزواج عن سبع أو ثمان سنين؛ فلا متكلم للأب إلا بتوكيلها (٨٥) . وفي كثير من الأحيان: كانت المرأة تتنازل عن مؤخر صداقها الذي كتب في عقد زواجها، وحل أجله ، لدوام العشرة وبيت الزوجية ، فقد ذكر ابن العطار أن امرأة تنازلت عن مؤخر صداقها بعدما تخاصمت مع زوجها ، ورفعت الأمر للقاضي ثم تصالحت معه (٨٦)، وأخرى تصالحت مع زوجها على أن يدفع لها ثوب كتان صفته كذا وكذا وكذا، وأكياًلاً من القمح (٨٧)، وامرأة ثالثة تنازلت عن مؤخر صداقها قبل حلول أجله برغبتها وطيب خاطرها (٨٨) .

شروط عقد النكاح :

اتفق الفقهاء على أن شروط عقد النكاح لأبد أن تكون واضحة ومحددة، وملزمة للطرفين، ولا يلتزم أحد أطراف عقد الزواج بشروط لم تدون في هذا العقد عند قاضي المناكح (٨٩).

وكان بعض الأزواج يتحايلون بعدم كتابة الشروط في عقد النكاح، ليتصلوا منها بعد ذلك (٩٠)، وأتضح من كتب النوازل أن هناك شروطاً للرجل وشروطاً أخرى للمرأة، وكانت شروط المرأة أكثر بكثير من شروط الرجل، وذلك لخوف المرأة الشديد من تلاعب وغدر الزوج بها، أو لأن الطلاق حق مطلق في يد الرجل، فأرادت المرأة أن تحمي نفسها بهذه الشروط .

شروط المرأة :

١. أن تكون العصمة في يدها، أى أن تمتلك المرأة أمرها وحريتها، ولها حرية تطليق نفسها (٩١).
٢. ألا يتزوج عليها زوجها ، ولا يتسرى ولا يتخذ أم ولد (٩٢)، فقد وردت مسألة للقاضي ابن ورد في قرطبة في عهد الأمير على بن يوسف ابن تاشفين، في امرأة كان لها شرط أن تطلق نفسها، إذا تزوج عليها زوجها، فتزوج عليها، فطلقت نفسها (٩٣)، وفي بعض الأحيان تسمى الزوجة امرأة بعينها، فنقول: " إن تزوجت فلانة فأنا طالق" (٩٤).
٣. أن يحسن معاملتها جسدياً ومالياً ومعنوياً، فلا يضربها ولا يبخل عليها (٩٥) .
٤. حرية المرأة في التصرف في ممتلكاتها، وعدم تدخل الزوج في مالها إلا برضاها وموافقتها، " فإن شأنت في مالها باعت، وإن شأنت وهبت وتصدقت" (٩٦) .
٥. ألا يتغيب عنها زوجها غيبة، متصلة قريبة أو بعيدة، أكثر من ستة أشهر، إلا في أداء فريضة الحج عن نفسه، فله مغيب ثلاثة أعوام، فمتى زاد على هذين الأجلين أو أحدهما فأمرها بيدها (٩٧).
٦. لا يجبرها الزوج على الانتقال من بيت الزوجية في المدينة التي تعيش فيها؛ إلى بيت آخر في مدينة أخرى إلا برضاها، فإن أكرهها فأمرها بيدها . وقد ذكر (الونشريسي) أن امرأة اشترطت على زوجها: ألا ينقلها من مدينة بلش إلا بإذنها أو برضاها، فإن أكرهها فأمرها بيدها (٩٨) .
٧. وفي بعض الأحيان يشترط بعض الآباء أن تسكن ابنته معه في داره طوال فترة الزواج (٩٩).
٨. أن يسمح لها بزيارة جميع أهلها وأقاربها من النساء، وذوى محارمها من الرجال، فإن منعها فهي حرة (١٠٠) .
٩. إذا كانت المرأة تنتمي إلى أسرة ثرية ذات نفوذ، تشترط على زوجها في عقد النكاح شراء خادمة تخدمها (١٠١) .

شروط الرجل :

أشترط الرجل أن تكون المرأة بكرًا (١٠٢) بالغًا (١٠٣). وفي بعض الأحيان يشترط صحة العقل والبدن من الطرفين ، وإن كان فيهما عيوب يعدد كل طرف ما به من عيوب ، فإن وجد الزوج بزوجه عيوباً ، تعرض المرأة على النساء لرؤيتها، ويخير الزوج بين الإمساك بها أو تركها ، فإن أراد الطلاق أخذ مهره من ولى المرأة، وقد عد ابن عبد الرؤوف من العيوب أن تكون سوداء أو قرعاء (١٠٤). كذلك إذا وجدت المرأة عيباً في زوجها ؛يعرض الرجل على الرجال لرؤيته (١٠٥) وقد اشتكى رجلٌ للقاضي أنه تزوج بكرًا فلما دخل بها وجدها ثيباً، فأجاب القاضي بأن تعرض المرأة على النساء، فإن كان القطع جديداً لم يقبل منه الشكوى ، وإن كان قديماً يرد للزوج صداقه (١٠٦) .

قاضي المناكح (المأذون) :

ذكر ابن رشد أن قاضي كل مدينة، من مدن الأندلس، يختار رجلاً يتولى عقود الزواج، يعرف باسم (صاحب المناكح)، ويكتب له سكاً بذلك، وأن يعلن حاكم المدينة بهذا الأمر ، فيتولى عقود الزواج ، وجميع أحكامها والطلاق (١٠٧) . ونظراً لأهمية هذا المنصب كان لابد أن تتوفر في صاحبه عدة أمور: أهمها أن يكون فقيهاً عالماً بأحكام الزواج والطلاق ، وغنياً وورعاً وكبير السن ولا يكون شاباً (١٠٨)، ويظل في منصبه طوال حياة القاضي الذي عينه ، حتى يعزله القاضي الجديد (١٠٩). وجرت العادة أن يقوم الفقيه بعقد الزواج في الأماكن التي ليس بها قاض، أو لبعد المسافة بين القاضي والأهالي (١١٠) .

وكان صاحب المناكح لا يتقاضى أجراً على عقد النكاح من طرفي العقد، لأن ذلك من صميم عمله ، ويأخذ عليه راتباً من بيت المال ، وإن أخذ صاحب المناكح مالاً من طرفي العقد، تعتبر رشوة، أما إن تولى عقد الزواج الفقيه: جاز له الحصول على أجر، يدفعها الطرفان مناصفة أو أحدهما حسب الاتفاق بينهما (١١١) . وهناك إجراءات محددة على القاضي اتخاذها قبل إتمام عقد الزواج، ولا يصح الزواج إلا بعد إثبات هذه الإجراءات، وتتمثل في: (١١٢).

- أولاً : أن يتأكد القاضي أن المرأة ليس لها زوج ، أو في أيام عدة من زوج آخر .
- ثانياً : أن يتأكد القاضي أن لها ولياً، فيرسل في طلبه، أو ليس لها ولي، أو أن وليها غائب.
- ثالثاً : أن الزوج كفؤ لها .
- رابعاً : أن الزوج دفع لها صداقها .
- خامساً: أن المرأة بكر أو ثيب أو يتيمة .

بعد تأكد القاضي من صحة وسلامة إجراءات الزواج يتفق الطرفان على موعد محدد لكتابة العقد وإحضار الشهود (١١٣) .

عقود النكاح :

كانت عقود الزواج في الأندلس، بصفة خاصة، تبدأ بالبسملة والصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وبيان أهمية الزواج، بالاسترشاد بأية من القرآن الكريم، ثم اسم الزوج والزوجة، وهل هي بكر أم ثيب ؟، ومقدار الصداق المتفق عليه بين الطرفين: مقدمه ومؤخره، ويؤديه في شهر كذا من سنة كذا، ثم أسماء الشهود، شاهد من طرف الزوج وشاهد من طرف الزوجة، وفي النهاية تاريخ العقد في شهر كذا من سنة كذا (١١٤) .

وفي بعض الأحيان يكون الزواج شفاهة بدون عقد مكتوب ، لكن لا بد أن تتوفر فيه الشروط السابقة : من وجود ولي المرأة والشهود والصداق ، وإذا مات الزوج أو الزوجة قبل البناء ترثه ، ويرثها هو أيضاً (١١٥) .

وقد فضل كثيرون من أهل الأندلس عقد النكاح في المسجد طلباً للبركة، فيجتمعون ومعهم المباخر المفضضة التي يحرقون فيها البخور، وتعلو صيحات الفرح والسرور، بل يرقصون فرحاً بالنكاح. وقد أنكر ذلك الفقهاء، وأوصوا أن تُنزه المساجد عن هذه الأفعال، لأنها بيوت الله ، وما جعلت إلا للطاعات والعبادات (١١٦) .

ثم ينصرف الجميع في حفل كبير إلى بيت العروس، لإعداد الجهاز ونقله إلى بيت الزوجية، ويتناسب الجهاز ونقله مع مكانة أصحاب العرس ومدى ثرائهم. ففي أفراح الخلفاء والأمراء: تحمل الجهاز قوافل الدواب والجمال ومئات الحمالين (١١٧)، أما في أفراح العامة، فإنه يحتفل بنقل الشوار في حفل يشترك فيه الأقارب والمعارف والجيران (١١٨) .

ثالثاً : حفل الزفاف :

كانت الليلة التي تسبق عيد النيروز أفضل ليلة للزفاف في الأندلس، وكانوا يعدون الفطائر على شكل مدن الأندلس، ابتهاجاً بالعرس (١١٩). وكان أهل الأندلس يتبادلون الهدايا فيما بينهم ، فإذا أقيم العرس يهدى البعض لصاحب العرس هدايا عديدة: مثل الشاة أو نحوها، ودرهم وغير ذلك. وقد عرضت قضايا من هذا الشأن على قاضى الجماعة ابن بشتغير، فأفتى بضرورة رد هذه الهدايا في الأعراس الأخرى (١٢٠) .

وتقام في هذه الليلة وليمة كبيرة للأهل والأصدقاء والجيران ، تسمى وليمة العرس ، وهى في الواقع وليمتان : أحدهما للنساء ، وتقام في بيت العروس ، والأخرى للرجال في بيت العريس ، وربما أقيمت الوليمنتان في بيت واحد (١٢١) .

وقد جرت العادة، في بلاد الأندلس، أن يرسل العريس لعروسه في ليلة الزفاف هدية العرس، أو حق العرس، وهى عبارة عن الطيب والصباغ والحناء، وكذلك كراء وحلى (١٢٢)، وبعض الفقراء يهدى خفين وجوربين (١٢٣)، وكذلك يرسل ثوراً أو ثورين أو أكثر، لإقامة وليمة العرس في بيت العروس (١٢٤). وقد ذكر الونشريسي أن بنتاً يتيمة اشتكت وكيلها (ابن عمها) الذى أخذ هدية العرس فصنع بها طعاماً في داره، وليس في بيت العروس التى كانت في دار خالها، فلم ترض بذلك ، فأجاب القاضى أن يغرم ابن عمها ، لأنه لم يصنعه في الصفة المطلوبة (١٢٥). وكان العريس يستعين في وليمته بطباخ في ليلة العرس، وذكر ابن عبدون: أنه يجب على الطباخ ألا يأخذ من الطعام شيئاً، إلا باتفاق معلوم بينه وبين العريس، أو هدية يهبها له صاحب العرس، وإلا تعتبر سرقة وخيانة (١٢٦).

كما تقوم العروس، أو وليها، بإحضار الماشطة التى تقوم بتزيين العروس وتجميلها، وذلك بتجميل الخدود وتنعيم الشفتين، وتقليج الأسنان وإخفاء العيوب الظاهرة في البشرة أو الوجه أو الشعر؛ بأدوات التجميل التى برافقتها (١٢٧)، كما أنها تأتى في اليوم السابع من الزفاف، لتمشيط العروس وتزيين خدودها بالحمرة، وتخضيب الأيدي والأرجل بحناء قاتمة اللون ، مع رسوم جميلة غير دائمة (١٢٨) . ومن الغريب في العصور الوسطى: أن الرجال زاحموا النساء في هذه المهنة، فظهر المزين الرجل الذى يتولى تزيين العروس ليلة الزفاف، مما أثار استياء ابن عبد الرؤوف الذى نبه على ضرورة وجود ذى محرم مع العروس والمزين (١٢٩) .

وقد اتفق الفقهاء على: أن أجرة الماشطة على عاتق العروس ووليها، ولا تدخل في نفقة العريس (١٣٠)، كما كانت الماشطة تحصل على نصيب من وليمة العرس، وأحياناً تحظى أيضاً ببعض الأموال من أقارب العروس (١٣١) .

ثم يخرج العريس، في أحسن ثياب، قاصداً بيت العروس في موكب كبير، يحف به الأهل والأصدقاء والجيران ، وبوصول العريس الى منزل عروسه ؛ يبدأ حفل الزفاف الذي يحييه عدد كبير من الراقصات اللاتي ينهون عن كشف وجوههن (١٣٢)، والمغنيين والمغنيات الذين يطلقون حناجرهم بالغناء ابتهاجاً بتلك المناسبة السعيدة ، فيختلط فيه الغناء بضرب الدفوف ودق الطبول وعزف المزامير ، وكان العامة من المدعوين يحملون البوق والكير والمزهر والطنبور والعود (١٣٣) . ويختلط الرجال بالنساء ، ويجتمع المارة والعاطلون والفساق، ثم يخرجوا في موضع واسع فيجلبون الخمر ليشربونها ، ويأتون بالعاشرات والنساء الزواني حيث يجتمعن. ويسجل الونشريسي ان العاهرات يتخفين في ملابس الرجال، أو أن الرجال يرتدون ملابس النساء، حتى لا يكتشف أمرهم (١٣٤)، ويحدث كل هذا المنكر تحت نظر وبصر قائد الشرطة (الحرس) ولا يتحرك خوفاً من شهرم، حتى يتم العرس (١٣٥). وقد أوصى ابن عبدون بضرورة أخذ سلاح الشباب عند إقبالهم على العرس ، وضرورة خروج عدد من الأعوان لحراسة العرس (١٣٦).

وكان هذا المنكر موضع استنكار من الفقهاء الذين أوصوا بتأسي سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الأفراح: من الضرب بالدق فقط (١٣٧). بيد أن أهل العروس كانوا يُصرون على إقامة حفل العرس واستدعاء الراقصات والمغنيين ، ويضغطون على العريس قائلين: " لا بذلك من فعل هذا، وإلا ما ترى العرس في دارك" (١٣٨) .

ويصف لنا الحميدى في جذوته ، وصفاً دقيقاً ، لعرس أقيم في أحد شوارع قرطبة فيقول: " والنكوري الزامر قاعد في وسط الحفل ، وفي رأسه قلنسوة وشئ وعليه ثوب خز عب، وفرسه بالحلية المحلاة يمسكه غلامه ، وهو يزمر في البوق ويقول :

أسلمنى في هوا	ه أسلم، هذا الرشاشا
غزال له مقلّة	يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد	سيسأل عما وشى
لو شاء أن يرتشى	على الوصل رُوحى ارتشى

ومعه مغن آخر يسامره فيها ، وكان النكوري مشهوراً في قرطبة، فكان يغنى ويزمر للخليفة عبد الرحمن الناصر (١٣٩) .

وقد عبر الشعر الأندلسي عن حفلات العرس فقال ابن خفاجة: (١٤٠).

أراك ضربت سماء فوقنا	تندى وأفلاك الكوؤس تدار
حفت بدوحتها مجرة جدول	نثرت عليه بخدها الأزهار
فكأنها وكأن جدول مائها	حسناء شد بخصرها زُنار
زف الجناح بها عروس مدامة	تجلس ونوار الغصون نثار
في روضة جناح الدجى ظلا بها	وتجسمت نورا بها الأنوار
غناء ينثر وشيه البازللى	فيها ويفتق مسكه العطار

ويصف ابن زيدون عرس المعتضد بن عباد ويهنئه بزواجه قائلاً :

بدار زمانك لابساً ديباجه	تجلو لعين المجتلى سيماكا
دنيا لزهرتها سقاع مذهب	لوكان وصفاً كان بعض حلاكا
أسبوع أنس ويحدث لى وحشه	علماً بأنى فيه ليس أراكا
فأنا المعذب غير أنى مشعر	ثقة بأنك ناعم فهناكا (١٤١) .

ثم تخرج العروس من بيت أهلها إلى بيت زوجها، وهى مرتدية ثوباً خاصاً لهذه المناسبة السعيدة ،وعلى رأسه تاج العرس ، في موكب مهيب يتقدمه الحواة إلى بيت الزوجية (١٤٢). وقد نهى ابن عبدون عن استخدام الحواة في موكب الزفاف قائلاً: "أنهم زناة وملعونون من الله ومن الناس أجمعين" (١٤٣) .

وقد وصف لنا ابن بسام زفاف العروس وخروجها إلى بيت الزوجية، ومشهد الحفل، حيث يكون محل إعجاب الحاضرين من المدعوين قائلاً: (١٤٤).

واليكها مثل العروس زففتها	سكرى تجر ذيولها تتبخر
عذراء إلا اننى حملتها	عذراً التأخر ليت لم أتأخر

ويستمر الحفل أسبوعاً كاملاً في الشوارع على هذا الحال، فيتكلف الحفل نفقات طائلة (١٤٥)، ولذلك يتفق الطرفان على أن تكون نفقات حفل الزفاف مناصفة بينهما (١٤٦) .

وكان عرس المنصور بن أبي عامر من أسماء بنت غالب الناصري (صاحب مدينة سالم) في عهد المستنصر " أعظم عرس في الأندلس " (١٤٧). ومن هذه العبارة يتضح لنا مبلغ الترف والبذخ الذي كان في هذا العرس ، بالرغم من عدم ورود تفاصيل عنه .

زواج الثيب :

لم يجد بعض الرجال حرجاً في الزواج بالمرأة الثيب (التي سبق لها الزواج)، وذلك إما طمعاً في أموالها أو مكانتها الاجتماعية، بعد التغالي في المهور والتكاليف الباهظة لزواج البنت البكر، الأمر الذي يجعل البعض يفضل المرأة الثيب، بل وحتى حياة العزوبية على ما ذكرنا. وقد أشار ابن قزمان في أزجاله إلى شخص تكبد في زواجه تكاليف باهظة جداً؛ جعلته يندم على زواجه، ويندب حظه، ويتهم نفسه بالعمى، وينصح غيره بعدم خوض تجربة الزواج قائلاً (١٤٨) :

أنفقت في زواجي وأرفيت	وجأتني الملالة وخليت
إذ قد كفاني الله صداعه	مما حيت لس تخلطها ماعه
زاعق هو ذا الزواج بطباعه	أنا رأيت من همه ما رأيت
أش ذا العمى يا من ماع عنين؟	أياك تغرك الغلظ والزين

ويوصي الشباب قائلاً :

أفجر فإن ماعك مفاخر	بالله يا أخى غاية ما أبقيت
يا حر يا شريف الفعايل	يا زينة شباب المحافل
هنيئاً ذا العلا والفضايل	جمعت كل خصلة فهنييت

الزواج المختلط :

هو زواج الرجل المسلم من نساء أهل الكتاب، من اليهود والنصارى. وقد انعكس الامتزاج بين المسلمين والنصارى في الأندلس على أرض الواقع: في أمر الزواج والعلاقات الاجتماعية بينهما. بل أصبح الزواج من الأسبانيات تقليداً شائعاً عند أهل الأندلس ، بكافة طوائفها من الأمراء والخلفاء والخاصة والعامة .

وقد بدأت المصاهرات بين المسلمين والنصارى في وقت مبكر. فما كاد فاتحوا الأندلس من العرب والبربر يستريحون من عناء الفتوح والحرب؛ حتى بدأت الزيجات بين الطرفين، وهذا دليل على سياسة التسامح التي اتبعتها المسلمون منذ الأيام الأولى لفتح

الأندلس، وكان أول هؤلاء أمير الأندلس عبد العزيز ابن موسى بن نصير، الذي تزوج من (ايخيلونا) أرملة لذريق التي عرفت في المصادر العربية باسم (أم عاصم) (١٤٩). وقد حذا حذوه العديد من رجال العرب ، وأمراء بنى أمية، في الأندلس، الذين تزوجوا من نساء البشكنس والجلالقة، ممن يقعن في أيديهم سبياً، بسبب الحروب المتواصلة والغزوات المتتالية. فأم الأمير هشام الرضا، ابن عبد الرحمن الداخل ، كانت جارية أسبانية اسمها (جورا)، وأم الحكم الرضى كانت أم ولد اسمها (زخرف) أهديت له (١٥٠) أمثلة أخرى عديدة لا يتسع المجال لذكرها توضح مدى الإمتزاج بين طرفي المجتمع الأندلسي .

ولم يقتصر الأمر على زواج المسلمين من اسبانيات مسيحيات، بل تعدى ذلك إلى زواج مسلمات برجال مسيحين، رغم تحريم الإسلام لذلك (١٥١). وينحصر هذا النوع من الزيجات في أسرة بنى قسي المولدين، أصحاب الثغر الأعلى في مدينة تطيلة، ومن أمثلة ذلك: زواج أوربة (Oria) بنت موسى بن موسى بن فرتون من غرسيه ملك نبره، كما أن موسى زوج بنات أخيه (لب) لأولاد ونقة بن شانجة حاكم بمبلونة (١٥٢) .

أما عن صيغة عقد زواج الكتابية ، فلم تختلف عن عقد زواج المسلمة، فإن كان لها ولي ذكر في نص العقد (١٥٣)، وإن لم يكن لها ولي عقد زواجها أساقفة أهل دينها، وأكدت التشريعات الفقهية على أنه لايعقد زواج المسيحية واليهودية أمير مسلم، فأولياؤها أحق بالعقد إلا أن يابوا فيقعد الزواج الأمير المسلم (١٥٤) .

وقد سئل القاضي ابن بشتغير في امرأة تريد الزواج بمنعها أهل دينها ؟ فأفتى ابن بشتغير بأن يجبرهم السلطان المسلم على زواجها لأن هذا من الظلم، ولو ذهبت إلى زواج مسلم وأبى أهل دينها(١٥٥) .

تعدد الزوجات :

حظيت المرأة في الأندلس بحظ أفضل من بقية نساء المسلمين، وذلك لأن تعدد الزوجات لم يكن أمراً شائعاً، أو على نطاق واسع، بسبب كثرة الإماء والجواري في الأندلس، وكذلك قوة شخصية المرأة الأندلسية؛ التي لا تقبل أن تكون ضرة لزوج أخرى، وتؤثر الموت على ذلك ، بقول المثل: " مشيه للحفرة ولا مشيه لبيت أخرى " (١٥٦) . كما كان المجتمع يسخر من الرجل ذى الزوجتين قائلين: " خروف بين شاتين " (١٥٧).

ولذلك فقد اشترطت المرأة الأندلسية في عقد زواجها أن لا يتزوج عليها، ولا يتخذ الجوارى، لأنها إذا ولدت له أصبحت حرة .

كان أهل الطبقة الوسطى يكتفون بزوجة واحدة ، وكان أبو العلاء المعري ينصح الرجل ألا يتزوج بأكثر من امرأة قائلاً (١٥٨) :

متى تشرك مع امرأة سواها فقد أخطأت في الرأي التريك
فلو يرجى من الشركاء خير لما كان الإله بلا شريك

أما طبقة العامة في الأندلس، فكان تعدد الزوجات بينهم نادراً، فمنهم من تزوج امرأتين وثلاث وأربع نسوة، وقد سئل ابن رشد في زوج تزوج أربع نسوة وفي عصمته، ومنهم من تزوج خمسة وأبقى في عصمته أربعة (١٥٩) .

ولم يعترض العلماء على تعدد الزوجات، لكنهم وضعوا له شروطاً منها: المساواة بين الزوجات في الملبس والطعام والمبيت، ولا يفضل واحدة على صاحبتها، إلا ما لا يستطيع العدل فيه، مثل الجماع والمحبة (١٦٠).

زواج المتعة :

هو نكاح لا يراد به دوام الزواج واستقراره طلباً للذرية، أو السكن إلى المرأة طلباً للمودة والرحمة، إنما غاية ما يراد به المتعة بالمرأة فترة معينة، كشهر أو سنة، أو انقضاء الموسم وقدم الحج ونحو ذلك (١٦١) .

وقد عرفت الأندلس زواج المتعة الذي وجد فيه بعض طلبة العلم وسيلة لتجنب الزنا، وكان الزوجان يتفقان معاً، ويحددان مدته حسب رغبتهما، ويعقد عقد الزواج في هذه الحالة دون ولي المرأة، ولا يتجاوز المهر في هذا النوع نصف درهم (١٦٢).
وقد أفتى ابن رشد بعدم جواز زواج المتعة شرعاً، ووجوب إقامة الحد على فاعليه، وذلك لكونه لا ميراث فيه ولا عدة ولا وفاة ولا طلاق (١٦٣)، غير أن الواقع العياني في الأندلس تجاوز المحاذير الفقهية .

التسرى :

كان بعض رجال الأندلس يفضل التسرى، أى اتخاذ الجوارى على الزواج، نظراً لوفرة الإماء والجوارى، وما ذكرناه من المغالاة في المهور، وكثرة تكاليف ونفقات الزواج (١٦٤).

وفي عهد المنصور بن أبي عامر، نظراً لكثرة الحملات التي خاضها ضد الممالك الأسبانية في الشمال، أن امتلأ الأندلس ببساتين الروم وأولاهم ونسائهم، ونظراً لتغالي أهل الأندلس في المهور، وتجهيز البنات من الثياب والحلى والدور، ورخص أثمان بساتين الروم، دفع الرجال إلى التسري ببساتين الروم، فما كانت تساوى أعلى بنت من بساتين الروم عشرين ديناراً عامرية. فلما مات المنصور فرح الناس صائحين وخاصة البنات: "مات الجلاب مات الجلاب" أى الذى غمر الأندلس بالسبايا والنساء المسيحيات من غزواته (١٦٥).

وكان أهل الأندلس يصنفون الجوارى أصنافاً حسب صورهم وأخلاقهم، وما يصلح له كل نوع منهم، فقالوا: "الخادمة البربرية للذة، والرومية لجمع المال والخزانة، والتركية للإنجاب، والزنجية للرضاع، والمكية للغناء، والمدنية للشكل، والعراقية للطرب والانكسار" (١٦٦).

وكان أبناء الطبقة العليا يكثر من اتخاذ الجوارى والإماء للاستمتاع بهن، ويذكر الجاحظ أن السبب في كثرة التسري بالجوارى عند الرجال هو أن الرجل قبل أن يمتلك الأمة؛ قد تأمل كل شئ فيها وعرفه، فأقبل على شرائها بعد وقوعها في نفسه، أما الحرة فإنه في أغلب الأحيان لا يراها، ولا يعرف أهى جميلة أم لا، ويعتمد في ذلك على استشارة بعض النساء (١٦٧).

وقد حكى السقطى، في قصة طويلة، عن رجل من أهل البيرة: حلف على ترك الزواج بالأندلس، فلم يجد مخرجاً فتوجه إلى قرطبة، واشترى بها جارية رائعة الجمال، فأركبها بغلته وألبسها ثوب حرير مطرز، ولا يفهم كلامها فظنها عجمية، وعاد إلى البيرة وقلبه يتلأل فرحاً وسروراً، حتى عرف أنها من بساتين الليل وليست أعجمية، فتبدد فرحه وأخذها للمرية وباعها بضعف ما دفع في شرائها (١٦٨).

وكانت عادة التسري واتخاذ الجوارى والإماء، إلى جانب الزوجة، شائعاً وموجوداً في الأندلس، لأن ابن حزم حين أراد أن يثنى على الحياة الزوجية لأخيه فقال: لم يكن له قبلها ولا معها امرأة غيرها، وهو رد فعل طبيعى، في العصور الوسطى، أن الرجل حين لا يقنع بزوجة؛ ولا يخلص لحياة أسرية سعيدة، أن يمد رغبته إلى الجوارى (١٦٩).

نتائج البحث :

- نظرة المجتمع الأندلسي إلى الزواج على أنه قضية مصيرية لترسيخ الروابط الاجتماعية بقدر ما اتخذ منه موقف الحيطة والحذر، بل تحول الأمر إلى أزمة في الإقبال على الزواج وذلك لأسباب عدة مادية ونفسية واجتماعية.
- تأخر سن الزواج عند بعض الأسر الأندلسية بسبب المغالة في المهور وكثرة نفقات الزواج.
- حرص الآباء على تزويج بناتهم وأولادهم في سن مبكرة لإطمئنان عليهم ، مما اضطرهم لتحمل أعباء ونفقات الزواج .
- عرف الأندلسيون الخاطبة التي كانت تنهض بدور كبير في إتمام مهمة الخطوبة وأمر الزواج .
- تمتعت المرأة الأندلسية بالحرية الكاملة في اختيار شريك حياتها.
- لا تختلف عقود الزواج الأندلسية عن العقود الحالية : من ضرورة وجود الولي والصداق والشهود ، إلى جانب التكافؤ الاجتماعي بين الطرفين.
- كان صداق المرأة الأندلسية خمسين ديناراً ذهبياً ، وإن كانت بعض الأسر الأندلسية تتبع ما تملك للتباهي والتفاخر أمام الناس.
- لجوء المرأة الأندلسية لفرض شروطها على الرجل، لخوفها من تلاعب الزوج بها.
- يتولى قاضي المناكح والفقهاء كتابة عقود الزواج الأندلسية ، ولا يتم عقد الزواج إلا بعد تأكد القاضي من إجراءات الزواج.
- كانت حفلات الزفاف الأندلسية مليئة بالمنكرات والمحرمات التي أنكرها الفقهاء ، وحذروا من تكرارها.
- ضربت بلاد الأندلس مثلاً فريداً للتسامح والمحبة بين المسلمين والنصارى، في الزواج والعلاقات الاجتماعية، بل تعدى ذلك إلى زواج مسلمات بنصارى برغم تحريم الإسلام لذلك.
- كانت عادة التسري واتخاذ الجوارى والإماء، إلى جانب الزوجة، أمراً شائعاً وموجوداً في الأندلس ، وخاصة بين أبناء الطبقة العليا.

الهوامش :

- (١) محمد على دبور: ملامح المجتمع الأندلسي كما تصورهما الأمثال الشعبية، ص ١٣٤.
- (٢) الزجالي: أمثال العوام ، تحقيق محمد بن شريفه، فاس، ١٩٧٥م ، ص ٢٤٢، أمثال رقم (١٠٣٥) .
- (٣) ابن قزمان : ديوان ابن قزمان ، ص ٨٩ ، ٩٠ .
- (٤) اللخمي : المدخل إلى تقويم اللسان ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، دار البشائر الإسلامية ، ٢٠٠٣م ، ص ٥٣٠ ، سامية عامر : صور من المجتمع الأندلسي ، ص ٨٣ .
- (٥) محمد على دبور : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .
- (٦) وفي هذا المعنى روى الإمام الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس (رضى الله عنه) قال رسول الله (صل الله عليه وسلم): " التمسوا الرزق في النكاح" وهو حديث ضعيف وإن كان معناه صحيحاً .
- الثعلبي : الكشف والبيان ، ج٧ ، دار احياء التراث العربي ، ٢٠٠٢م ، ص ٩٥ .
- (٧) محمد على دبور : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .
- (٨) محمد على دبور : المرجع نفسه ، ص ١٣٥ .
- (٩) الزجالي: أمثال العوام ، مثال رقم (٧٧٩)، ورقم (١٩٦٥)، (١٠٠٧)، ص ٢١١ .
- (١٠) الزجالي: المصدر نفسه ، مثال رقم (١٠٠٧) ، ص ٢٧ ، مارية ج فيغيرا: أصلح المعالي (عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس)، (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس) ، ج ٢ ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ص ١٠٠٥ .
- (١١) اللخمي: المصدر السابق، ص ٥٣٦، سامية عامر: المرجع السابق، ص ٨٣ .
- (١٢) اللخمي : المصدر نفسه ، ص ٥٣٦ .
- (١٣) مارية ج فيغيرا : المرجع السابق ، ص ١٠٠٥ .
- (١٤) محمد محمود إدريس : الحياة الاجتماعية لطبقة العامة في قرطبة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، ص ١٠١ .

- (١٥) ابن حزم: طوق الحمامة، تحقيق الطاهر أحمد مكي، مكتبة وهبه، ١٩٧٧م، ص ٢٦١.
- (١٦) ابن العطار: الوثائق والسجلات ، تحقيق بدرو شالميتا وكورينطي، المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد ، ١٩٨٣م ، ص ١٢.
- (١٧) ابن حزم:المصدر السابق، ص ٢٦١، محمد محمود إدريس: المرجع السابق، ص ١٠١.
- (١٨) محمد محمود إدريس : المرجع نفسه ، ص ١٠٠.
- (١٩) محمد محمود إدريس : المرجع نفسه ، ص ٩٧ .
- (٢٠) القرآن الكريم : سورة الروم الآية (٢١) .
- (٢١) سعيد عاشور: الحياة الاجتماعية في الدولة الإسلامية، دراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦م، ص ٢٧٣، نجلاء سامي النبراوي: نماذج من العمالة النسائية الحرة في الأندلس، مجلة التاريخ والمستقبل، آداب المنيا، يوليو ٢٠٠٩م، ص ٣٧٢.
- (٢٢) ابن الحاج: المدخل الى الشرع الشريف على المذهب، دار التراث، القاهرة، ١٩٢٩م، الطاهر مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م ، ص ٢٦١، نجلاء سامي النبراوي: المرجع نفسه، ص ٣٧٢.
- (٢٣) الطاهر مكي : المرجع نفسه ، ص ٢٦١.
- (٢٤) راوية عبد الحميد شافع: المرأة في المجتمع الأندلسي، دار عين، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٩٥.
- (٢٥) راوية عبد الحميد شافع : المرجع نفسه ، ص ٩٥.
- (٢٦) مارية ج فيغيرا : المرجع السابق ، ص ١٠٠٠.
- (٢٧) ابن حزم: المصدر السابق ، ص ٧١، ٧٢، الطهر مكي: المرجع السابق، ص ٢٦٢،
- Barroso (Isabel Cobanillas);
- Las Mujer en Al-andalus , (IV Congreso Virtual sobre Historia de la Mujeres (de la 5 al 11de Octubre del 2012), p 17.
- (٢٨) المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار بيروت، صادر ١٩٦٨م، ج ٤، ص ٢٩٠، راوية عبد الحميد: المرجع السابق، ص ٩٧.

- (٢٩) رواية عبد الحميد: نفسه، ص ٩٧.
- (٣٠) الحميدى: جذوة المقتبس في ذكر بلاد الأندلس، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ترجمة (٨٨٨)، ص ٣٧٤، ٣٧٥.
- (٣١) ابن العطار: المصدر السابق، ص ٢، الونشريسي: المعيار المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م، ج ٣، ١٣٠، ١٣١.
- (٣٢) ابن عبد الرؤوف: في آداب الحسبة والمحتسب، ضمن ثلاث رسائل في الحسبة نشرها ليفي بروفنسال، المعهد الفرنسي، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٨٠، الونشريسي: المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٣٩، رواية عبد الحميد: المرجع السابق، ص ٩٧.
- (٣٣) ابن العطار: المصدر السابق، ص ٢.
- (٣٤) أباحت الشريعة الإسلامية للخاطب أن ينظر إلى مخطوبته، فقد نص الفقهاء على أن من أراد أن يتزوج امرأة فله أن ينظر إليها من غير أن يخلو بها، وقال ابن قدامة في المغنى: لا نعلم بين أهل العلم خلافاً في إباحة النظر إلى المرأة لمن أراد انكاحها. وقد روى عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) أن رسول الله (ص) قال: (إذا خطب أحدكم امرأة فإذا استطاع أن ينظر منها ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل) قال جابر: فخطبت جارية فكنت أتحبها لها حتى رأيت ما دعاني إلى نكاحها ففترجتها). أحكام الأسرة في فقه الإسلامي، وزارة الأوقاف، (د.ت)، ص ١٤.
- (٣٥) الخشنى: قضاة قرطبة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٨.
- (٣٦) كالمثال المصرى: (أخطب لبنتك ولا تخطب لأبنك).
- (٣٧) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفه، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٤م، ج ٢، ترجمة (٢٣٦)، ص ٤٤٨.
- (٣٨) الطاهر أحمد مكى: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٩٦.
- (٣٩) محمد على دبور: المرجع السابق، ص ١٣٤، الطاهر أحمد مكى: دراسات عن ابن حزم، ص ٢٦٢.

- (٤٠) الطاهر مكي :دراسات عن ابن حزم ، ص ٢٦٢ ،
Parsons (Timothy . H) ;The Rule of Empire ,oxford
university , 2010, p 102.
- (٤١) الطاهر مكي : دراسات عن ابن حزم ، ص ٢٦٢ ،
Parsons (Timothy . H) ;Ibid , p 102.
- (٤٢) يعرف عقد النكاح عبد اللغويون بأنه الأزواج والافتتران، فيقال زوج الشئ بالشئ وزوجه إليه إذا قرنه به وفيه قوله تعالى: "وزوجناهم بحور عين" أى قرناهم، وكل شئين اقترن أحدهما بالآخر فهما زوجان. أما تعريف الزواج في الاصطلاح فهو يترادف مع النكاح، وهو عبارة عن عقد يتضمن إباحة الاستمتاع بالمرأة. أحكام الأسرة، ص ٢٩، ٣٠ .
- (٤٣) أحكام الأسرة ، ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦.
- (٤٤) ابن عبد الروؤف : المصدر السابق ، ص ٨٠ ، ٨١، ابن سهل : ديوان الأحكام الكبرى ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٧م ، ص ١٧٥.
- Zomeno(Amalia); The Islamic Marriage Contract in Indalus,
Cambridge, 2008 , p 140, Barroso (Isabel Cobanillas);
Op cit , p 17 .
- (٤٥) ابن حزم: المصدر السابق، ص ٩٨، الطاهر مكي: دراسات عن ابن حزم، ص ٢٦١، ٢٦٢.
- (٤٦) ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٩٢.
- (٤٧) ابن العطار: المصدر السابق ، ص ١٢.
- (٤٨) الونشريسي: المصدر السابق ، ج ٣، ص ١١٣.
- (٤٩) الونشريسي: المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٢٤، ابن سهل: المصدر السابق، ص ١٧٧.
- (٥٠) ابن عبد الروؤف : المصدر السابق ، ص ٨٢.

(٥١) للصدّاق أسماء كثيرة أوصلها البعض إلى عشرة أسماء هي: "مهر، صدّاق أو صدقة، نحلة، أجر، فريضة، حباء، عقر، علائق، طول، نكاح"، ويجب المهر على الرجل دون المرأة، إما بالعقد أو الدخول بها، وذلك لقوله تعالى: " وأتوا النساء صدقاتهن نحلة " أى عطية من الله، وقال تعالى: " وأتوهن أجورهن ". ومن السنة الشريفة أن النبي (ص) ما أنكح أحداً من نسائه ولا أنكح أحداً من بناته إلا بصدّاق، وعن أبي سلمة قال سألت عائشة (رضي الله عنها) عن صدّاق الرسول لها فقالت: ثنتا عشرة أوقية ونش، فقلت : ما نش ؟ قالت: نصف أوقية. أبو داود: مسند، ج ٣ ، ص ٤٦ ، أحكام الأسرة ، ص ٢٢٧ . ٢٣٠.

(٥٢) أحكام الأسرة ، ص ٢٢٧ .

(٥٣) الونشريسي: المصدر السابق، ج٣، ص٢١٩، ابن سهل: المصدر السابق، ص ١٨٣ .

(٥٤) ابن رشد : فتاوى ابن رشد ، تحقيق المختار بن الطاهر التليلى ، دار

الغرب الإسلامي ، ١٩٨٧م ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .

(٥٥) ابن رشد : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٣٠٣ .

(٥٦) الونشريسي : المصدر السابق، ج٣ ، ص ١٣٨ .

(٥٧) الونشريسي : المصدر نفسه، ج ٣ ، ص ١٤٧ ،

Marian (Manlela) ؛

Women and Gender in Medieval Europe , An Encyclopedia ,

2006 ,p 527.

(٥٨) الونشريسي : نفسه ، ج ٣ ، ٢٦٣ .

(٥٩) ابن رشد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٠٨ .

(٦٠) ابن رشد : نفسه، ج ١ ، ص ٦٠٨ .

(٦١) الونشريسي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٠١ .

(٦٢) ابن ورد : نوازل ، مسألة رقم (٨٨) ، ص ٢٦ .

(٦٣) ابن ورد : المصدر نفسه ، مسألة رقم (٣٣) ، ص ١١ .

- (٦٤) الونشريسي : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٦٦ .
- (٦٥) ابن رشد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٣٨ .
- (٦٦) ابن رشد : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٠ .
- (٦٧) ابن رشد : نفسه ، ج ٢ ، ص ١١٣٧ ، ١١٣٨ .
- (٦٨) الونشريسي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١٧ ،
Barroso (Isabel Cobanillas);op cit , p 18.
- (٦٩) الونشريسي : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٥٢ .
- (٧٠) ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١٥٨ .
- (٧١) ابن رشد : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١١٥٨ .
- (٧٢) ابن ورد : المصدر السابق ، مسألة (٨٨) ، ص ٢٦ .
- (٧٣) الونشريسي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٦ ،
Zomeno(Amalia);op cit, p 142.
- (٧٤) الونشريسي : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٦ ،
Zomeno(Amalia);op cit, p142.
- (٧٥) ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٥٧ ، ١٥٥٨ .
- (٧٦) ابن بشتغير: المصدر السابق، ص ٦٤ ، ٦٥ ، ابن رشد: المصدر نفسه، ج ٣ ،
ص ١٥٩٨ .
- (٧٧) الطاهر مكي : دراسات عن ابن حزم ، ص ٢٦١ .
- (٧٨) الونشريسي : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٢٣، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٤٥ .
- (٧٩) المقرئ : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٨ .
- (٨٠) ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٥٥٨ ، ١٥٥٩ .
- (٨١) ابن رشد : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٤١٨ ، ١٤١٩ .
- (٨٢) ابن رشد : نفسه ، ج ٢ ، ١٥٥١ .
- (٨٣) ابن عبد الرؤوف : المصدر السابق ، ص ٨١ .

- (٨٤) ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٥٩٧ ، ١٥٩٨ .
- (٨٥) الونشريسي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٧ .
- (٨٦) ابن العطار : المصدر السابق ، ص ٤٣٤ .
- (٨٧) الونشريسي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٤١ .
- (٨٨) الونشريسي : نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٣٦ .
- (٨٩) الونشريسي : نفسه ، ج ٣ ، ١١٠ .
- (٩٠) الونشريسي : نفسه ، ج ٣ ، ص ١١٥ ، ١١٦ .
- (٩١) أحمد الشامي : التطور التاريخي لعقود الزواج في الإسلام ، القاهرة ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٥ ، رواية عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٩٦ ،
Zomeno (Almalia); op cit , p 144.
- (٩٢) ابن العطار : المصدر السابق ، ص ٧ ، ٨ .
- (٩٣) ابن ورد : المصدر السابق ، مسألة ٦٧ ،
Zomeno (Almalia); op cit , p 144, Barroso (Isabel
Cobanillas);po cit , p 18 .
- (٩٤) ابن رشد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٣ ، الونشريسي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٤ ،
Zomeno (Almalia); op cit , p 144.
- (٩٥) ابن العطار : المصدر السابق ، ص ٨ ، أحمد الشامي : المرجع السابق ، ص ٢٧ ، رواية عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٩٦ ،
Zomeno (Almalia); op cit , p 144, Barroso (Isabel
Cobanillas);po cit , p 18 .
- (٩٦) أحمد الشامي : المرجع نفسه ، ص ٢٧ ، رواية عبد الحميد : المرجع نفسه ، ٩٦ ،
Zomeno (Almalia); op cit , p 144,
Barroso (Isabel Cobanillas);po cit , p 18 .

- (٩٧) ابن العطار : المصدر السابق ، ص ٨ ، ابن رشد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٨٥ ، ابن سهل : المصدر السابق ، ص ١٢١ ، Zomeno (Almalia); op cit , p 144., Marian (Manlela) ; op cit , p 527 .
- (٩٨) الونشريسي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣٦ ، Zomeno (Almalia); op cit , p 144, Marian (Manlela) ;ibid, p 527.
- (٩٩) ابن رشد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، Zomeno (Almalia); op cit , p 144.
- (١٠٠) ابن العطار : المصدر السابق ، ص ٨ ، Zomeno (Almalia); op cit , p 144.
- (١٠١) ابن العطار : نفسه ، ص ٨ ، Zomeno (Almalia); op cit , p 144.
- (١٠٢) ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، Zomeno (Almalia); op cit , p 144.
- (١٠٣) ابن رشد : نفسه ، ج ١ ، ص ٢٩٥ ، Zomeno (Almalia); op cit , p 144.
- (١٠٤) ابن عبد الروؤف : المصدر السابق ، ص ٨١ .
- (١٠٥) ابن فرحون : تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، دار الكتب ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .
- (١٠٦) الونشريسي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٥٦ .
- (١٠٧) ابن رشد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، ابن سهل : المصدر السابق ، ص ١٨٣ .
- (١٠٨) ابن عبدون : رسالة في القضاء والحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال ، المعهد الفرنسي للأثار الشرقية ، ١٩٥٥م ، ص ١٣ .
- (١٠٩) ابن رشد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

- (١١٠) الونشريسي :المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٩٨ .
- (١١١) الونشريسي: نفسه، ج ٣ ، ١١١ ، ابن رشد: المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٧٦ .
- (١١٢) الونشريسي : نفسه ، ج ٣ ، ص ١١١ .
- (١١٣) الونشريسي : نفسه ، ج ٣ ، ١١١ .
- (١١٤) ابن العطار : المصدر السابق، ص ٨ ، ٩ ، راوية عبد الحميد: المرجع السابق، ص ٩٤ .
- (١١٥) الونشريسي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ١٦٨ ،
- Zomeno(Amalia);op cit , p 140.
- (١١٦) الونشريسي: نفسه، ج ٣، ص ٢٥٢ ، سعيد عاشور: المرجع السابق، ص ٢٧٣ .
- (١١٧) سعيد عاشور : نفسه ، ٢٧٤ .
- (١١٨) سعيد عاشور : نفسه ، ص ٢٧٤ .
- (١١٩) فيرناندو دي لاثرانخا: الاحتفالات بأعياد مسيحية في الاندلس، دراسات أندلسية وموريسكية ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م ، ص ١٨٨٧ ،
- Barroso (Isabel Cobanillas);op cit , p 18 .
- (١٢٠) ابن بشتغير: المصدر السابق، ص ٥٥ ، محمد محمود إدريس: المرجع السابق، ص ١٠٢ .
- (١٢١) ابن لب الغرناطي: تقريب الامل البعيد في نوازل أبي سعيد، تحقيق حسين مختاري، هشام الرامي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ٢٠٠٤ م ، ج ٢، ص ٧ ،
- سعيد عاشور: المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .
- (١٢٢) الونشريسي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .
- (١٢٣) ابن سهل : المصدر السابق ، ص ١٩٥ .
- (١٢٤) الونشريسي : نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .
- (١٢٥) الونشريسي : نفسه ، ج ٣ ، ص ١٢٩ .
- (١٢٦) ابن عبدون : المصدر السابق ، ص ٥٢ .
- (١٢٧) نجلاء النبراوي: المرجع السابق ، ص ٣٧٢ .

- (١٢٨) ليو الأفريقي: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، ج ١، ص ٢٥٦، نجلاء النبراوي: المرجع نفسه، ص ٣٧٠.
- (١٢٩) ابن عبد الروؤف: المصدر السابق، ص ٨٣، نجلاء النبراوي: نفسه، ص ٣٧٢.
- (١٣٠) نجلاء النبراوي: نفسه، ص ٣٧١.
- (١٣١) ليوالأفريقي: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٦، نجلاء النبراوي: نفسه، ص ٣٧٠.
- (١٣٢) ابن عبدون: المصدر السابق، ص ٥١.
- (١٣٣) الجرسفي: المصدر السابق، ص ١٢١، سامية عامر: المرجع السابق، ص ٧٩.
- (١٣٤) الونشريسي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٥٠، ٢٥١، ابن المناصف: تنبيه الأحكام، دار التركي، تونس، ١٩٨٨م، ص ٣١٤، ٣١٥.
- (١٣٥) ابن حزم: المصدر السابق، ص، ابن عبد الروؤف: المصدر السابق، ص ٨٣، الونشريسي: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٥٠.
- (١٣٦) ابن عبدون: المصدر السابق، ص ٥٣، ٥٤.
- (١٣٧) ابن عبد الروؤف: المصدر نفسه، ص ٨٣.
- (١٣٨) الونشريسي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٥٠، ٢٥١.
- (١٣٩) الحميدى: المصدر السابق، ترجمة (٢٤٤)، ص ١٤٣.
- (١٤٠) ابن خفاجة: ديوان ابن خفاجة، تحقيق مصطفى غازي، منشأة الإسكندرية، ١٩٦٠م، ٣٥١.
- (١٤١) ابن زيدون: ديوان ابن زيدون، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص ٢٦٦، ٢٦٧.
- (١٤٢) ابن حزم: المصدر السابق.
- (١٤٣) ابن عبدون: المصدر السابق، ص ٥١.
- (١٤٤) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، دار الثقافة، ١٩٧٩م، ج ٣، ص ٥٩٦، سامية عامر: المرجع السابق، ص ٨٠.
- (١٤٥) ابن حزم: المصدر السابق، ص ،
- Barroso (Isabel Cobanillas);po cit , p 18 .

- (١٤٦) ابن رشد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٠٤ .
- (١٤٧) المقرئ : المصدر السابق، ج ١ ، ١٨٧ ، حسين يوسف دويدار: المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة ، ١٩٩٤ م ، ص ٣١٠ .
- (١٤٨) ابن قزمان : المصدر السابق ، ص ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ .
- (١٤٩) سحر عبد العزيز سالم : الزواج المختلط في الأندلس، الندوة العلمية الدولية، الرباط ، ١٩٩٤ م، ص ١ . Barroso (Isabel Cobanillas);po cit , p 17 .
- (١٥٠) سحر سالم : المرجع نفسه، ص ١ .
- Barroso (Isabel Cobanillas);po cit , p 17 .
- (١٥١) حرم الإسلام زواج المرأة المسلمة من غير المسلم مهما كانت ديانتها، وقال القرطبي: أجمعت الأمة على أن المشرك لا يوطأ المؤمنه بوجهه، لما في ذلك من الغضاضة على الإسلام وذلك لقوله تعالى: "وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" (سورة البقرة ٢٢١)
- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٦ م ، ص ٧٢ .
- (١٥٢) ابن حيان : المقتبس (السفر الثاني)، تحقيق محمود علي مكي، مكتبة الملك فيصل ، الرياض ، ٢٠٠٣ م ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، حاشية (٦٧ ، ٦٨)، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٨ م ، ج ١ ، ص ٥٠٢ ، عبد الرحمن الحجي :أندلسيات، دار الإرشاد ، بيروت ، ١٩٦٩ م، ص ٨٢ .
- Documentos , Historis de Espana Primera Parte , Madrid , Cadiz , 1978,p151.
- (١٥٣) ابن العطار : المصدر السابق ، ص ٧ .

- (١٥٤) إبراهيم القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ص ١٢٨ .
- (١٥٥) ابن بشتغير: المصدر السابق، ص ٦١، محمد محمود إدريس: المرجع السابق، ص ١٠٣ .
- (١٥٦) الزجالي : المصدر السابق ، مثال رقم (٧٢٣ ، ١٠٣٥) ص ٢١٠ ، ٢١١ ، سامية عامر : المرجع السابق ، ص ٨٣ ،
Barroso (Isabel Cobanillas);po cit , p 18 ,
Marian (Manlela) ;op cit , p 527.
- (١٥٧) محمد محمود إدريس : المرجع السابق ، ص ١٥١ .
- (١٥٨) آدم متر : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٦ .
- (١٥٩) ابن رشد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٢٤ ،
Barroso (Isabel Cobanillas);po cit , p 18 .
- (١٦٠) ابن عبد الروؤف : المصدر السابق ، ص ٨٣ .
- (١٦١) أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي ، ص ٧١ .
- (١٦٢) ابراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص ١٩ ، راوية عبد الحميد: المرجع السابق، ص ٩٥ .
- (١٦٣) ابن عبد الروؤف : المصدر السابق ، ص ٨١ .
- (١٦٤) . Marian (Manlela) ; op cit , p 528 .
- (١٦٥) أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، (د . ت) ، ص ٢٣٣ .
- (١٦٦) السقطي : المصدر السابق ، ص ٤٩ ، ٥٠ .
- (١٦٧) آدم متر : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .
- (١٦٨) السقطي : المصدر السابق ، ص ٥٤ ، ٥٥ .
- (١٦٩) الطاهر مكي : دراسات عن ابن حزم ، ص ٢٦٢ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : قائمة المصادر:

١. ابن بسام : أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٩م .
٢. ابن بشتغير: (أبو العباس أحمد بن سعيد بن بشتغير اللورقي الأندلسي ت ٥١٨هـ / ١١٢٤م): النوازل ، مخطوط بالمكتبة الحسنية بالرباط رقم (١٦٩٥ ز).
٣. ابن الحاج : أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري ت ٧٣٧هـ / ١٤٣٧م: مدخل الشرع الشريف على المذهب ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٢٩م.
٤. ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م): طوق الحمامة مكتبة وهبه، القاهرة ، ١٩٧٧م. جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .
٥. ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف بن حسن بن حيان بن محمد (٤٦٩هـ / ١٠٧٦م): المقتبس (السفر الثاني)، تحقيق محمود علي مكي، مكتبة الملك فيصل، الرياض ، ٢٠٠٣ م.
٦. ابن خفاجة : (أبو اسحاق ابراهيم بن خفاجة الأندلسي ٤٥١. ٥٣٣هـ): ديوان ابن خفاجة ، تحقيق مصطفى غازي، منشأة لإسكندرية ، ١٩٦٠م.
٧. ابن رشد: أبي الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م): فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧م .
٨. ابن زيدون: أحمد بن عبد الله بن غالب: ديوان ابن زيدون ، دار صادر، بيروت، (د. ت) .
٩. ابن سهل: أبي الأصبع عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الحياتي (٤١٣ . ٤٧٦هـ): ديوان الأحكام الكبرى، تحقيق يحيي مراد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م.
١٠. ابن عبد الرؤوف : أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف القرن ٦هـ: في آداب الحسبة والمحتسب ،ضمن ثلاث رسائل في الحسبة نشرها ليفي بروفنسال ، المعهد الفرنسي، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

١١. ابن عبد الملك المراكشي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٤م): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفه، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٤م.
١٢. ابن عبدون: محمد بن أحمد بن عبدون القرن ٦هـ: رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق ليفي بروفنسال، المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، ١٩٥٥م.
١٣. ابن العطار: (محمد بن أحمد الأموي ٣٣٠. ٣٩٩هـ): الوثائق والسجلات، تحقيق بدرو شالميتا وكورينطي، المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٨٣م.
١٤. ابن فرحون: برهان الدين بن علي (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٨م): تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، دار الكتب، بيروت، ١٩٩٥م.
١٥. ابن قزمان: محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى الزهري القرطبي (ت ٥٥٥هـ): ديوان ابن قزمان القرطبي (إصابة الأغراض في ذكر الأعراض)، تحقيق فيديريكو كورينتي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٥م.
١٦. ابن لب الغرناطي: أبو سعيد بن لب الغرناطي (ت ٧٨٢هـ): تقريب الامل البعيد في نوازل أبي سعيد، تحقيق حسين مختاري، هشام الرامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
١٧. ابن المناصف: محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ، أبو عبد الله بن المناصف الأزدي القرطبي (ت ٦٢٠هـ): تنبيه الأحكام، دار التركي، تونس، ١٩٨٨م.
١٨. الثعلبي: أبو اسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي (ت ٤٢٧هـ): الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، تحقيق أبو محمد بن عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.
١٩. الجرسفي: في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥م.
٢٠. الحميدى: أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م: جذوة المقتبس في ذكر بلاد الأندلس، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢١. الخشنى: (أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيروانى ت ٣٧١هـ): قضاة قرطبة،
الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨م.
٢٢. الزجالى : أبو يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالى القرطبي ٦١٧. ٦٩٤هـ : أمثال
العوام في الأندلس ، تحقيق محمد بن شريفه ، وزارة الدولة للشئون الثقافية، فاس،
١٩٧٥م .
٢٣. السقطى : (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطى): في آداب الحسبة، تحقيق
كولان ، وليفى بروفنسال ، باريس ، (د. ت).
٢٤. المقرئ : (أحمد بن محمد المقرئ التلمسانى ت ١٠٤١هـ): نفح الطيب من غصن
الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م .
٢٥. الونشريسي : أحمد بن يحيى الونشريسي (ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م): المعيار المغرب
والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس والمغرب ، دار الغرب
الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨١م .
٢٦. اللخمى : (ابن عبد الله محمد بن أحمد بن هشام اللخمى الإشبيلي): المدخل إلى
تقويم اللسان ، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٣م.
٢٧. ليو الإفريقي: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجى، دار الغرب الإسلامي، بيروت،
١٩٨٣م .

ثانيا : المصادر الأسبانية :

Documentos ; Historis de Espana Primera Porte , Madrid , Cadi

ثالثاً : قائمة المراجع :

١. إبراهيم القادري بونتشيش : مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة ، بيروت، ١٩٩٧م .
٢. أحمد الطاهري : التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، شركة المدارس، الدار البيضاء ، ١٩٩١م .
٣. أحمد الشامي : التطور التاريخي لعقود الزواج في الإسلام ، القاهرة ، ١٩٨٢م .
٤. أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).
٥. الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م .
٦. الطاهر أحمد مكي: دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، مكتبة وهبة، القاهرة ، ١٩٧٧م .
٧. حسين يوسف دويدار : المجتمع الأندلسي في العصر الأموي ، مطبعة الحسين الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٤م
٨. رابوية عبد الحميد شافع: المرأة في المجتمع الأندلسي، دار عين، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٩. سامية عامر: صور من المجتمع الأندلسي، دار عين ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .
١٠. سحر عبد العزيز سالم: الزواج المختلط في الأندلس، الندوة العلمية الدولية، الرباط، ١٩٩٤م .
١١. سعيد عبد الفتاح عاشور : الحياة الاجتماعية في الدولة الإسلامية ، دراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية ، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦م .
١٢. عبد الرحمن علي الحجى: أندلسيات ، دار الإرشاد ، بيروت، ١٩٦٩م.
١٣. فيرناندو دى لاثر انخا: الاحتفالات بأعياد مسيحية في الأندلس، دراسات أندلسية وموريسكية، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .
١٤. مارية ج فيغيرا: أصلح للمعالي (عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس)، (الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس) ، بيروت ، ١٩٩٨م .

١٥. محمد على دبور: ملامح المجتمع الأندلسي كما تصورها الأمثال الأندلسية .
١٦. محمد محمود إدريس: الحياة الاجتماعية لطبقة العامة في قرطبة في القرن ٦ هـ / ١٢م، المطبعة التجارية الحديثة، ١٩٩٢ م .
١٧. مجموعة : أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي، وزارة الأوقاف، (د. ت) .
١٨. نجلاء سامي النبراوي: نماذج من العمالة النسائية الحرة في الأندلس، مجلة التاريخ والمستقبل ، كلية الآداب ، المنيا ، يوليو ٢٠٠٩ م .

رابعاً : المراجع الأجنبية :

- Al-andalus ;
Muwallads (spain Thenadnow .com).
- Barroso (Isabel Cobanillas);
Las Mujer en Al-andalus , (IV Congreso Virtual sobre
Historia de la Mujeres (de la 5 al 11de Octubre del 2012).
- Marian (Manlela) ;
Women and Gender in Medieval Europe , An Encyclopedia ,
2006 .(books,google .com)
- Parsons (Timothy . H) ;
The Rule of Empire , oxford university , 2010.
- Zomeno(Amalia);
The Islamic Marriage Contract in Indalus, Cambridge, 2008.

الفن الحربي المملوكي وأثره علي الفن الحربي للحبشة.

د / محمد أحمد محمد علي بهنساوي

تتناول هذه الدراسة موضوع الفن الحربي^(١) المملوكي وأثره علي الفن الحربي للحبشة، ولقد رؤى أن يتم عرضه في ثلاثة أقسام رئيسية بحيث يتناول القسم الأول نبذة تاريخية عن الدولة المملوكية بمصر، في حين يتناول القسم الثاني طرق انتقال الفن الحربي المملوكي إلي الحبشة، أما القسم الثالث فيتناول توصيف واقع الفن الحربي المملوكي و مظاهر تأثر الفن الحربي الحبشي بالفن الحربي المملوكي :

أ - نبذة تاريخية عن الدولة المملوكية بمصر :

جاءت دولة المماليك في مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) استمراراً لدولة بني أيوب^(٢) (٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م) باعتبارها إفراراً سياسياً وعسكرياً للواقع التاريخي الذي كان يعيشه العالم الإسلامي آنذاك، حيث كان الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧هـ/١٢٤٠-١٢٤٩م) حريصاً علي زيادة عدد مماليكه الترك من بين القبائل

١ - يقصد بالفن الحربي بصفة عامة الخط الأساسي الذي ترسمه قرارات القادة من تخطيط وتنفيذ للقواعد الحربية والعسكرية سواء علي المستوى الاستراتيجي أم التكتيكي، وتعتبر نظرية فن الحرب من الموضوعات الهامة التي لا غنى عنها لدارسي العلوم الحربية، وهي تعني بدراسة كل من طرق وأشكال الأعمال القتالية علي المستويات كافة وتطبيق خوض المعارك وأهم سماتها وأسس التنظيم والتدريب والتربية في القوات العسكرية، وشروط التجهيز للمعارك والقيام بها. ولا شك أن معرفة تاريخ فن الحرب (أي معرفة تاريخ نشأة وتطور القوات العسكرية وأساليب خوض المعارك وطرق وأساليب التدريب العسكري) من شأنه أن يؤدي إلي فهم أعمق لواقع الفن الحربي المعاصر وأفاق تطوره في المستقبل. للمزيد أنظر كلاوزفيتز: عن الحرب، تحقيق سليم الأمامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧، ص ص ١٣٩-١٤٢، صلاح الدين كامل السيد : أسس تحديد وتحديث مبادئ الحرب لدي المدارس العسكرية التقليدية والإسلامية وتعيين أنسبها للقوات المسلحة المصرية- دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، أكاديمية ناصر للعلوم العسكرية، ١٩٩٦م، ص ص ٩-١٥.

٢ - كان الأيوبيون أصحاب العروش الصغيرة المتنافسة يشتركون المماليك صغاراً في سن الطفولة من تجار الرقيق، ويعلمون إلي من يعلمهم العربية ويلقنهم مبادئ الدين الإسلامي، ثم يتدربون علي الحياة العسكرية بحيث يضمنون لهم قدراً عالياً من الكفاءة العسكرية والولاء الشخصي لسيدهم، وبهذا يكونون قوة وسنداً له في الصراعات والمنافسات الداخلية بين أبناء الأسرة الأيوبية، ومع ازدياد أعداد المماليك في جيوش أولئك الحكام من ناحية، وتساعد أهميتهم في الحياة السياسية الأيوبية من ناحية أخرى، برزت أهميتهم في دوائر الحكم في مصر والشام بشكل مطرد منذ أخريات القرن السادس الهجري (الثالث عشر الميلادي). للمزيد أنظر ابن واصل: مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، الأجزاء من ١-٣ تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٣-١٩٦٠م، ج٢، ص ١٣٤، قاسم عبد قاسم، علي السيد علي: الأيوبيون والمماليك (التاريخ السياسي والعسكري) عين للدراسات والبحوث الإنسانية، الجيزة، د. ت، ص ١٢٥.

التي استولى عليها المغول في أثناء غزوهم لبلاد الشرق والشمال والقفجاق^(١)، وكون منهم حرسه الخاص، وعاشوا في كنفه ورافقوه في حملاته العسكرية وكانت تكنتهم العسكرية في قلعة جزيرة الروضة علي النيل، وقد أطلق عليهم الصالح أسم المماليك البحرية^(٢) والتي أصبحت هي العمود الفقري للجيش، وليس أدل علي ذلك من اشتراكهم في المعارك الرئيسية للجيش المملوكي، ففي معركة المنصورة عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م كان لهذه الفرق اليد العليا في النصر، وظل المماليك البحرية يتفاخرون بهذا العمل ويقولون "نحن خلصنا مصر والشام بسيوفنا من الفرنج"^(٣)، ومن هنا يمكن القول أن الدولة المملوكية قامت علي أساس أنها دولة عسكرية قبل كل شيء، بل يمكن القول بأنها مؤسسة عسكرية في زمن كان للقوة العسكرية الدور الأكبر في حسم مصائر الحكام والمحكومين، وهكذا فقد بدا فرسان المماليك يتقدمون تدريجياً حتى صار وجودهم مرادفاً للقوة العسكرية والقدرة السياسية للدولة^(٤).

ولقد أهتم المماليك وعلي رأسهم الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م) بشراء المماليك فاشترأهم من بني جنسه "إذا مالت الجنسية إلي الجنسية" -علي حد قول

١ - بلاد القفجاق (بلاد ما وراء النهر): هي بلاد القبجاق أو القفجاق أو القبشاق وتعرف أيضا بإسم القبيلة الذهبية، وهو إقليم بحوض نهر الفولجا بالجنوب الشرقي من روسيا الحالية و شمال البحر الأسود و القوقاز، وأهله من الترك، وكانو أهل حل و ترحال على عادة البدو و في ضيق من العيش، وبلادهم كانت فرضة سوقاً عظيمة للرفيق المماليك الترك. انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٣، ص ص ١٧٦-١٧٨.

٢ - المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الثاني، نشره محمد مصطفى زيادة، مكتبة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٩، الأجزاء ٣-٤ تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٣، ١٩٧٠م، ج ١، ص ص ٣٣٩-٣٤٠، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٤ جزء، القاهرة، ٢٠٠٤م. ج ٤، ص ١٦.

٣ - المقرئزي: السلوك، ج ١، ص ص ٣٥٥-٣٥٦.

٤ - الطبري: (عبد الرحمن الشافعي بن الحسين، ت ٤٩٨هـ/١١٠٤م) (يشك في نسبه إليه)، الواضح في الرمي والنشاب، مكتبة الأزهر، مخطوطة تحمل رقم ٧٢٧٥، ورقة ٣، أحمد مختار العبادي: تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٥م، ص ص ١٢٧-١٣٦، أسمت غنيم: الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعة، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٠م.

القلقشندي- ووقعت الرغبة في الاستكثار من القفجاق "حتى أصبحت مصر بهم أهلة المعالم، محمية الجوانب، منهم زعماء جيوشها، وعظماء أرضها، وحمد الإسلام موقفهم في حماية الدين حتى أنهم جاهدوا في الله أهليهم"^(١).

ولقد جلب هؤلاء التتار معهم ثقافات جديدة كان لها أكبر الأثر في النظم المملوكية بدليل قول المقرئزي "ثم كثرت الوافدية أيام الملك الظاهر بيبرس، فغطت أرض مصر والشام بطوائف المغول"^(٢) كما انتشرت أيضاً عاداتهم وطرائقهم، وامتد التأثير المغولي في الجيش المملوكي بصفة عامة، فقد أخذ الجيش المملوكي العديد من الأسلحة والدروع، والملابس العسكرية التي كان يرتديها قادة وأمرأه وجند الجيش المغولي^(٣)، حتى التكتيكات العسكرية التي استخدمها الجيش المملوكي في معاركه المختلفة^(٤)، والقوانين التي كانت تحدد العلاقات بين القادة والجند في الجيش . وبمعني آخر فيمكن القول بتأثر فن الحرب والقتال عند المماليك بفن الحرب والقتال لدي المغول علي النحو الذي أكدته المصادر المملوكية والمغولية بشكل صريح^(٥).

١ - القلقشندي : صبح الأعشى، ج٤، ص٤٥٨.

٢ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار في مصر والقاهرة والنيل وما يتعلق بها من الاخبار (المعروف بالخطط المقرئزية) ، دار صادر ، بيروت (بدون تاريخ)، ج٢، ص ص٢٢٠-٢٢١.

٣ - ماير : الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، مراجعة وتقديم، عبد الرحمن فهمي محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٢، ص ص٣٣-٣٩، ٤٠-٤٢، ٥٦، أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار السلاسل، الكويت، ١٩٨٦م، ص ٦٣.

٤ - المقرئزي : الخطط، ج٢، ص ص٢٢٠-٢٢١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق د.جمال محمد محرز، فهمي محمد شلتوت، ج١٤، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج٦، ص ص٢٦٨-٢٦٩.

٥-عرفت هذه القوانين لدي المغول باسم "الياسا" وهي القوانين الخاصة بالضوابط أو التنظيمات العسكرية للجيش المغولية، وهي تعد الأساس الذي بني عليه المماليك أنظمتهم عليها خاصة من الناحيتين العسكرية والسياسية وذلك منذ عهد بيبرس" وغالب أحكامه من أمر الياسا" للمزيد أنظر صلاح الدين محمد نوار ، الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحرية(٦٨٥-٧٨٣هـ/١٢٦٠-١٣٨١م) ، منشأة

ب- طرق انتقال الفن الحربي المملوكي إلى الحبشة:

على الرغم من بعد المسافة بين مصر والحبشة في عصور لم تعرف من وسائل المواصلات سوى الدواب والسفن، فإن هناك روابط عديدة قوية ربطت هذين البلدين منذ أقدم العصور، إذ أثبتت حوادث التاريخ أن هناك علاقات متعددة الجوانب ربطت بين البلدين. وإذا كانت العلاقات الدينية هي أحد أبرز هذه الجوانب، إلا أنها أفرزت تأثيرات عديدة بين البلدين فلا يكاد يذكر تاريخ الحبشة السياسي أو الديني في العصور الوسطى إلا وارتبط بشكل أو بآخر بتاريخ مصر^(١). فطبيعة النظم السياسية والدينية والعسكرية في البلدين كانت تبدو متشابهة، كما تشابهت أيضاً أشكال الصراعات وأسباب الحروب في كل البلدين وإن اختلفت أطرافها، ففي الوقت الذي عانى فيه مسلمو الحبشة من الملاحقة المستمرة والاضطهاد الدائم من قبل الأباطرة المسيحيين، فقد لاقى أقباط مصر معاملة مماثلة-في بعض الأحيان- من قبل سلاطينها المماليك المسلمين، وإذا كانت الحبشة قد لعبت دور القوة المسيحية الكبرى في شرق القارة السمراء، فإن مصر كانت في عهد سلاطين المماليك كذلك قوة عالمية إسلامية عظيمة^(٢). علاوة على ذلك فلقد كانت المصالح السياسية والاقتصادية والدينية للحبشة تحتم عليها مد شبكة علاقاتها لتلتقي مع

المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص ٥٠-٥٩، سعد الغامد، الياسا، مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية، مجلد ٣٧، ص ٧٨-٨٤.

١ - حول جذور العلاقات بين الحبشة والمماليك في هذه المرحلة . انظر سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م، ص ٢٥٣-٢٥٨. كذلك

- Huntingford G.W.B.: The Wealth of the kings and the end of the zague dynasty , in Bulletin of the school of Oriental and African Studies, Vol.XXVIII,London,1965, p. 134.

٢ - الطرابلسي (لاجين بن عبد الله الذهبي الحاسمي، ت ٧٣٨هـ/١٣٣٧م): تحفة المجاهدين في العمل بالميادين، ميكروفيلم مصور بمعهد المخطوطات العربية رقم من ١١-١٦ فنون حربية، ورقة ١١، أحمد دراج : المماليك والإفرنج في القرن التاسع الهجري- الخامس عشر الميلادي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٤٩-٥٤.

المصالح المصرية، خاصة في ظل أن إمبراطور الحبشة كان يعتبر نفسه مسئولاً عن حماية الأقباط في مصر^(١).

ويوضح الجزء التالي أهم معابر الاتصال بين المملكة الحبشية وسلطنة المماليك في مصر، والتي يعتقد أنها ساهمت بشكل أو بآخر في انتقال الفن الحربي المملوكي إلي الحبشة:

١ - نظام الرسل والسفارات :

اعتمدت الاتصالات والمراسلات في تلك العصور بصفة أساسية على نظام الرسل والسفارات، وعلي الرغم من تعدد أغراض هذه السفارات ما بين أغراض اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، فإن السفارات التي نشأت بين مصر والحبشة اتخذت في مجملها طابعاً دينياً^(٢)، فكثيراً ما أرسل أباطرة الحبشة السفارات إلي مصر إما لطلب مطران، وإما

١ - سعيد عبد الفتاح عاشور: بعض أضواء جديدة علي العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطي، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، العدد الثاني، مايو ١٩٥٢م، ص ١، قاسم عبده قاسم ، علاقة مصر بالحبشة في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠-١٥١٧م) ندوة العرب في أفريقيا، الجذور التاريخية والواقع المعاصر، دار الثقافة العربية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٥٨.

٢ - كان من أغراض هذه السفارات أيضاً السماح للأحباش التوجه إلى بيت المقدس، خاصة وأن الأحباش فضلوا طريق مصر عند ذهابهم إلي بيت المقدس للحج، وذلك لأن مصر رفعت عنهم ضريبة الخفر المقررة علي الحجاج المسيحيين مقابل حراستهم، ولذلك كانت أعدادهم كبيرة عندما يقصدون الحج، فقد أرسل يجيبا صيون عام ٦٨٩هـ/١٢٨٩م إلي السلطان قلاوون، وأرسل لبنا دنجل عام ٩٢٢هـ، ١٥١٦م إلي السلطان الغوري بهذا الغرض. انظر ابن عبد الظاهر (محيي الدين عبد الله الجذامي المصري، ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م) تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق د. مراد كامل، القاهرة، ١٩٦١م، ص ١٧٠-١٧٣، ابن إياس (أبو البركات محمد أحمد، ت . ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ج٣، ص ٧-٩، حامد عمار، العلاقات بين مصر والدول الإفريقية في العصور الوسطي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١٥٧.

- Manfred Kropp : Die Geschichte Des Lebna-Dengel, Claudius Und Minas, Scriptores Aethiopoci, Tomus 84, Vol 83,84, Lovanii in Aedibus E. Peeters, 1988, p.36.

لمد يد العون لأقباط مصر^(١). كما أخذت هذه السفارات أحياناً طابع التهديد إما بمعاملة مسلمي الحبشة معاملة مماثلة وإما بقطع مياه النيل عن مصر^(٢)، علي أنه لا يمكن إغفال أيضاً بعض السفارات التي استهدفت التجسس وإن أخفت هذا الغرض غير الرسمي تحت ستار أغراض أخرى معلنة لكنها ليست حقيقية^(٣).

ومهما يكن من أمر فلقد نقلت هذه السفارات إلى الحبشة كثيراً من جوانب الحياة المصرية بصفة عامة وما يتعلق منها بالأمور العسكرية بصفة خاصة، ولقد ساعد علي انتقال هذه الأمور عدة عوامل من أهمها طول فترة بقاء أعضاء هذه السفارات في مصر بسبب مشقة وعناء السفر "لأن بلادهم بعيدة حتى قيل إن مدة السفر حوالي تسعة أشهر"^(٤)، بالإضافة إلي حرص المماليك في مصر على إقامة مراسم الاستقبال الرسمي لهؤلاء السفراء^(٥).

٢ - التجارة :

كما ساهمت التجارة في انتقال المؤثرات المصرية إلي الحبشة، فلقد ربط بين مصر والحبشة طريق البحر الأحمر، ذلك الطريق التجاري الهام الذي ظل طوال العصور التاريخية يربط بين بلاد شرق أفريقية وجنوب آسيا من ناحية، وبلاد حوض البحر المتوسط من ناحية أخرى، وبناءً علي ذلك فقد قامت علاقات تجارية بين مصر والحبشة منذ أقدم العصور^(٦)، وأن قامت هذه العلاقات بشكل رئيسي مع ما يعرف حالياً ببلاد

١ - كانت الحبشة من أكثر القوى الخارجية المدافعة بحماسة عن حماية الأقباط في مصر، نظراً للعلاقة الوثيقة بين الكنيسة المصرية والحبشية . انظر جرجس فام ميخائيل: السلطان جقمق وحاله مصر في عصره (١٤٣٨-١٤٥٣م) رسالة ماجستير غير منشورة بآداب القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٥٩.

٢ - المقريري : السلوك، ج٢، ص ٢٧٠.

٣ - مني إبراهيم عبد الرحمن: السفارات الأجنبية في مصر علي عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة بآداب القاهرة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ص ٣٤.

٤ - ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٥، ص ١٠.

5 - Francisco Alvarez : The Prester John of the Indies translated by C.F. Beckingham and G.W.B Huntingford , Cambridge ; Hakluyt Society, 1961,p. 214.

6 -Andrewc Ethenkreutz : Strategic Implications of the State Trade between Geneoa and Mamluk Egypt in the Second Half of the Thirteenth Century, in : A.L.Udawitch (ed) . The Islamic Middle East,700-1900, Studies in Economic and Social History, The Darwin Press, Princeton, 1981, p.14.

الصومال التي كانت في مختلف عصور التاريخ القديم والوسيط جزءاً متمماً لبلاد الحبشة، حيث كانت بعض المدن الحبشية -مثل عدل- مراكز تجارية هامة، بحكم موقعها المتوسط بين بلاد جنوب آسيا وشرقها من ناحية، وبلاد البحر الأحمر وخاصة مصر من ناحية أخرى^(١). خاصة وأن التجارة كانت بالنسبة للمسلمين في الحبشة الأسلوب الرئيسي - إن لم يكن الوحيد- للكسب والحياة في تلك العصور، نظراً لفقر البيئة من ناحية، وعدم سماح الأحباش المسيحيين لإخوانهم المسلمين بتولي الوظائف العامة وممارسة كثير من الأعمال من ناحية أخرى، ويؤيد القلقشندى ذلك من أن سلطنة أوفات وأعمالها كانوا يستخدمون العملة المصرية "وليس بأوفات سكة تضرب، بل معاملاتهم بدنانير مصر ودارهما الواصلة إليها صحبة التجار"^(٢).

وتؤكد المراجع التاريخية أهمية التجارة في نقل المؤثرات الحضارية بصفة عامة من مصر إلى الحبشة، خاصة في ظل إقامة التجار الأحباش لأوقات طويلة بمصر^(٣). ولقد وصلت أهمية التجارة بين البلدين إلى حد مشاركة أباطرة الحبشة أنفسهم بأموالهم في هذه التجارة، فقد أرسل الإمبراطور زرع يعقوب (٨٣٨-٨٧٣هـ / ١٤٣٤-١٤٦٨م) وفداً إلى مصر عام ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م في عهد السلطان جمقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ / ١٤٣٨-١٤٥٣م)، حيث كان يصحب هذا الوفد تاجر الرقيق عبد الرحمن الذي كان معه أكثر من مائتي رأس منهم^(٤)، كما اتبع خلفه الإمبراطور لبنا دنجل (٩٦٤-٩٤٧هـ / ١٥٠٨-

١ - سعيد عبد الفتاح عاشور : بعض أضواء جديدة، ص ١٢.

٢ - القلقشندى : صبح الأعشى، ج ٥، ص ٣٣١.

٣ - حيث كان هؤلاء التجار يقيمون في الحبشة في مواسم التجارة، ويوطدون صلتهم بالزعماء، ويعملون في نفس الوقت علي نشر الإسلام للمزيد انظر حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٧١، رجب محمد عبد الحليم، العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية حتى قدوم البرتغاليين، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٢٩-٣٠.

٤ - المقرئزي : الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التأليف، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٧-٨، السخاوي : (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المصري الشافعي، ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣١٥هـ، ص ٦٧-٧١.

١٥٤١م) نفس الأسلوب مع ممالك الزيلع الإسلامية حيث كان يتاجر مع التجار المسلمين^(١).

ولقد تحدث ابن تغري بردي في شأن دور التجارة في انتقال بعض فنون الحرب من مصر إلى الحبشة عن طريق تاجر يدعى نور الدين علي بن محمد بن يوسف التبريزي -الفارسي الأصل- فقد نزح هذا التاجر إلى بلاد الحبشة حيث ازدهرت تجارته، وتقرب إلى إمبراطور الحبشة حيث قدم له التحف والهدايا، فوثق به وإرساله إلى مصر في عهد السلطان برسبائي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢-١٤٣٨م)، ويقول أيضاً أن على التبريزي قام بشراء كل ما يحتاج إليه بلاط الحبشة من نفائس مصر، فضلاً عن أنه اشترى لإمبراطور الحبشة ما يحتاج إليه جيشه من أسلحة وخيول^(٢)، كما تؤكد الكثير من المصادر والمراجع العربية وغير العربية حصول أباطرة الحبشة علي الأسلحة من التجار المسلمين والتي جلبوها عن طريق مصر^(٣).

١ - عرب فقيه: (شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان الجيزاني، الشهير بعرب فقيه، عاش في القرن السادس عشر الميلادي): تحفة الزمان وفتوح الحبشة، نشره رينيه باسية، تحقيق محمد شلتوت، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ص ٣٤-٣٥، رجب محمد عبد الحليم، العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٥٠-٥١، السيد فؤاد شكر الله: لبنا دنجل إمبراطور أثيوبيا، دبلوم غير منشور بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٩٣.

٢ - النجوم الزاهرة، ص ٣٢٤-٣٢٦.

3 -Budge (E . A . W) : A History Of Ethiopia , Nubia & Abyssinia , London ,1928, p.321

٣- نزوح الأقباط المصريين إلي الحبشة :

أدى توتر العلاقات بين مصر والحبشة في عصر الحروب الصليبية^(١)، وما صاحب ذلك من رغبة سلاطين المماليك في الظهور بمظهر حماة الدين لتدعيم مركزهم في نظر المسلمين، إلي تعرض المسيحيين في مصر لشئ من الاضطهاد، وفي مقابل ذلك فلقد فتح أباطرة الحبشة أبوابهم للأقباط النازحين من مصر فراراً من الاضطهاد، حيث ردت سلطنة المماليك علي هذا الأجراء بفصل المسيحيين الذين يشغلون وظائف رسمية في الديوان السلطاني، وكان علي رأس هؤلاء فخر الدولة الكاتب الذي نزح إلي الحبشة فرحب به الإمبراطور إسحاق (٨١٧-٨٣٣هـ/١٤١٤-١٤٣٠م)^(٢) وأدخله في خدمته^(٣).

١ - أخذت العلاقات بين البلدين في الفتور وخاصة في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حيث كان سلاطين مصر لا يحتفلون كثيراً بقدوم رسل الحبشة، فقد استقبلهم السلطان الغوري عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م بموكباً "من غير شاش ولا قماش"، كما يلاحظ انقطاع رسل الحبشة عن مصر في الفترة بين عامي ٨٨٦هـ/ ١٤٨٠م، ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م وللمزيد انظر ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٠-١١، رجب محمد عبد الحليم، العلاقات السياسية، ص ٤٣-٤٤.

٢ - الإمبراطور إسحاق بن دواد : أحد أشهر أباطرة عصر الأسرة السليمانية الأول، اتخذ لنفسه لقب (جبرا مستقال الرابع)، كان رجلاً عطوفاً محبوباً من رعيته لأنه أكثر من بناء الكنائس، كما قام بأول إصلاح مالي في تاريخ الحبشة إذ قام بتدوين الدواوين وأبوابها بفضل خبرة أحد المصريين، كما قام بتدريب جيشه علي القتال ومحاربة المسلمين مستخدماً سلاح النار الأغريقية الذي مكنه من هزيمتهم أكثر من مرة، إلا أنه قتل في أحدي هذه المعارك. الجدير بالذكر أنه يعد أول امبراطور حبشي يقتل في معاركه مع المسلمين في تاريخ الأسرة السليمانية . لمزيد أنظر :

- Edward Ullendorff : The Ethiopians an introduction to country and people , London, oxford university ,Press Newyork.toronto,1965, pp.24-28,

٣- رجب محمد عبد الحليم: العلاقات السياسية، ص ٣٩-٤٠، بولس مسعد، الحبشة في منقلب تاريخها، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٥م، ص ص ٣٢-٣٣.

- Ayalon, David : Gun Powder and fire Arms in the Mamluk Kingdom, London, 1956, p.36.

ولم يلبث فخر الدولة أن قام بتنظيم ديوان الإمبراطور إسحاق علي نمط الديوان السلطاني بالقاهرة، ووضع قواعد جديدة لجباية الأموال والضرائب، وبفضل هذه النظم التي انتقلت من مصر، صار لإمبراطور الحبشة -علي حد قول المقريري- "ملكاً له سلطان وديوان، بعد أن كانت مملكته ومملكة آبائه همجاً، لا ديوان لها ولا ترتيب ولا قانون. فانضبطت عنده الأمور"^(١). وعلي يد فخر الدولة أيضاً أمتد التأثير المملوكي أيضاً علي الملابس العسكرية للجيش الحبشي، فقد أرجع المقريري أيضاً في نص يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك مدي التأثير المملوكي علي ملابس الجيش الحبشي سواء كانت ملابس القادة أو الجند أو إمبراطور الحبشة نفسه حيث "تميز عن رعيته بالملابس الفاخرة، بعد أن كان أبوه داود بن أرعد يخرج عريانا"^(٢) كما ذكر العديد من الباحثين أن ملابس الأحباش العسكرية كانت بسيطة في أوائل عهد الأسرة السليمانية، إلا أنه قد تم إدخال بعض التطورات عليها^(٣).

٤ - لجوء بعض أمراء المماليك المسلمين إلي الحبشة:

أدت الخلافات الداخلية بين السلطان المملوكي وبعض أمراء المماليك المسلمين إلي لجوء هؤلاء الأمراء إلي بلاد الحبشة، وكان علي رأس هؤلاء اللاجئين الأمير الطنبحا حاكم قوص في عهد السلطان المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ / ١٤١٢-١٤٢١م)، حيث قام هذا الأمير بتدريب الأحباش علي استخدام النار الإغريقية، والرمي بالنشاب، واللعب بالرمح، والضرب بالسيف. علاوة علي ذلك فقد أشار المقريري إلي فرار أحد المماليك الزردكاشية -ولم يذكر اسمه- من مصر أيضاً، حيث لجأ إلي بلاد الحبشة وعهد إلي الإمبراطور

١ - العيني (بدر الدين محمود) : عقد الجمعان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ٣، ص ٣٠٥.

٢ - المقريري : الإلمام، ص ٤.

3 - Mordechai Abir : Ethiopia and The Red Sea The Rise and Decline Of The Solomonic Dynasty and Muslim – European Rivalry in the Region, Gainsborough House, London, E11.Rs, England, 1980,. P.42

إسحاق بعمل "زردخانات عظيمة" أي دار لصنع الأسلحة وصيانتها علي نفس نمط دور صناعة الأسلحة المملوكية بمصر^(١).

٥- دور المطارنة المصريين:

يؤكد بعض الباحثين أن المطارنة المصريين قد لعبوا دوراً بالغ الأهمية في نقل بعض فنون العمارة من مصر إلي الحبشة، فكثيراً من الكنائس التي شيدت بالحبشة خلال العصور الوسطى تشبه في تصميمها وطرزها وهندستها وزخارفها أسلوب بناء الكنائس المصرية المعاصرة لها، مما يشير إلي احتمال قيام مهندسين وعمال مصريين بتشييدها، الأمر الذي يمكن معه الادعاء كذلك باحتمالات عدم اقتصار دور المطارنة علي نقل الفنون المعمارية فقط إلي الحبشة، بل تعدي ذلك إلي نقل الكثير من المؤثرات الحضارية الأخرى في شتي المجالات ومنها الفنون الحربية^(٢).

٦- موسم الحج وتوافد الأحباش إلي الأزهر الشريف:-

وثمة مجال آخر لتبادل المؤثرات الحضارية بين المسلمين بصفة عامة، وبين مسلمي مصر والحبشة بصفة خاصة ألا وهو موسم الحج، ذلك أن مسلمي الحبشة كانوا يلتقون بإخوانهم المصريين خلاله، وكانت مصر تحتل مكانة خاصة في العالم الإسلامي خاصة بعدما تم أحياء الخلافة العباسية فيها عام ٦٥٨هـ / ١٢٦١م، كما نزح إلي مصر كثيراً من أساتذة العلم وطلابه من مختلف العالم الإسلامي، وكانت هناك نسبة كبيرة من مسلمي الحبشة الذين صارت لهم أروقة بالأزهر الشريف^(٣)، فمن أولئك الأحباش الذين جاءوا بالأزهر وبرزوا في ميدان العلم، الشيخ جمال الدين عبد الله المتوفى عام ٦٢٥هـ/١٣٦١م، والشيخ الإمام الزيلعي فخر الدين عثمان، شارح الكنز والمتوفى عام ٧٤٣هـ/١٣٤٢م، وغيرهم الكثير الذين عادوا إلي بلادهم بعد إتمام دراستهم، وهناك

١ - المقرئزي : الإمام، ص٤، رغد الرفاعي : البارود والبندقية، السلاح الناري الأول، مجلة الدفاع الخليجي، العدد الثاني، يناير ١٩٩٣م.

٢ - سعيد عاشور: بعض أضواء جديدة، ص١٤، إبراهيم علي طرخان : الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة في العصور الوسطى، بحث بالمجلة التاريخية المصرية، القاهرة، المجلد الثامن، ١٩٥٩، كذلك

-Roland Oliver : The Middle Age Of African History , Oxford

1968,p.72

3 - Trimingham J S : Islam In Ethiopia , oxford, 1952,,p.62

نظر إليهم إخوانهم المسلمون نظرة إجلال واحترام، ونقلوا ما رواه في القاهرة من مؤثرات حضارية^(١).

ج- مظاهر تأثر الفن الحربي الحبشي بالفن الحربي المملوكي :

يتناول هذا القسم توصيفاً لواقع الفن الحربي المملوكي بمصر وبصفة خاصة تم التركيز علي الجوانب التالية :-

١ - النشأة العسكرية :

اهتمت دولة المماليك بالنشأة والتعليم للمماليك المجلوبين من المناطق المختلفة بسبب دورهم الحربي، فلقد اتصفت تربيتهم ونشأتهم العسكرية بكثير من المعالم المميزة، فإذا اشترى السلطان عدداً من المماليك أرسلهم أولاً لفحصهم للتأكد من سلامة أجسامهم حتى إذا ثبت أنهم في صحة جيدة أنزل منهم طبقة جنسه وتقارب موطنه^(٢)، بحيث لا تجمع الطبقة الواحدة سوى المماليك وذوي الأصل المشترك أو المجلوبين من بلد واحد ليتلقوا التعليم الديني والحربي وفق قوانين خاصة^(٣)، فعندئذ يتسلمه الطواشي المقدم علي الطبقة، وهؤلاء الطواشية "الخصيان"^(٤) وهم المسئولون عن تربية المماليك في الطباق^(٥)، وكانت هذه الطباق بساحة الإيوان بالقلعة، وكانت كل طبقة منها تحتوي على عدة مساكن قد يصل اتساعها إلى ألف مملوك، كذلك كان لكل طباق فقيه أو مؤدب فقيه يتردد عليهم لتعليمهم القرآن والخط وأحكام الدين وآداب الشريعة بالإضافة إلي العلوم الأخرى^(٦)، ولما كان الجيش المملوكي يعتمد على الفروسية التي كانت الأساس للفن الحربي في العصور

١ - مراد كامل: في بلاد النجاشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ٣٥-٤٥، سعيد عاشور،

المرجع السابق، ص ٨، رجب محمد عبد الحليم، العلاقات السياسية، ص ٩٥.

٢ - ابن تغريدي بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٢٦٨-٢٦٩.

٣ - عرفت هذه القوانين لدى المغول باسم "الياسا" وهي القوانين الخاصة بالضوابط أو التنظيمات العسكرية للجيش المغولية، وهي تعد الأساس الذي بنى عليه المماليك أنظمتهم عليها خاصة من الناحيتين العسكرية والسياسية وذلك منذ عهد بيبرس" وغالب أحكامه من أمر الياسا" للمزيد انظر . صلاح الدين محمد نوار، المرجع السابق، ص ٥٠-٥٩، سعد الغامد، المرجع السابق، ص ٧٨.

٤ - المقرئزي: المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٢٠-٢٢١.

٥ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٨، ابن تغريدي بردي، النجوم، ج ٨، ص ٢٨٨.

٦ - ابن إياس : بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣٤٧، المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٤١٣.

الوسطى، فقد كان المملوك يتعلم في هذه الطباق فن الفروسية. والجدير بالذكر اهتمام سلاطين المماليك أنفسهم بالإشراف على مماليتهم إشرافاً مباشراً فراقبوا حركاتهم وسكناتهم وعاقبوا الخارج على الآداب عقوبة صارمة^(١).

ولقد كانت الدراسة في الطباق تستغرق أربعة عشر أو خمسة عشر شهراً، وأحياناً كانت تمتد إلى عدة سنوات، فإذا انتهت الدراسة أعتق المملوك، حيث يقام له احتفال خاص يحضره السلطان والأمراء، ويسلم المملوك سلاحاً وفرساً ولباساً خاصاً وإقطاعاً يبقى له طوال حياته وحينئذ يسمى عتيقاً أو معتقاً باسم أستاذه^(٢)، وكان المماليك المتخرجون يقسمون إلى جماعات، لكل جماعة منهم باش أو نقيب، أما الذين يصلون إلى الإمارة وهي مرتبة تهيئ للوظائف الكبرى الحاكمة في البلاط والجيش أو حتى للسلطنة نفسها، وكان من المفروض أن المملوك لا يحصل على الإمارة إلا بعد أن ينتقل من مرتبة لأخرى فلا يليها إلا وقد تهذبت أخلاقه وصبغت آدابه بروح الإسلام وبرع في فنون القتال، ومع ذلك كان منهم من يعمل بعد ذلك في مرتبة فقيه أو أديب لكثرة علمه^(٣). وقد عاش المماليك في مصر كطبقة منفصلة عن المجتمع المصري حيث لم يسمحوا لأهالي مصر بالانخراط في صفوفهم، حيث منعوا المصريين مهما عظم شأنهم من الانخراط في الجيش كجند محاربين^(٤).

وقد استفاد الأقباش من تلك النشأة حيث تشابهت أسس هذه النشأة في كل من البلدين إلى حد كبير. كما اتبعت نفس الإجراءات لضمهم إلى الجيش، فقبل أن ينضم هؤلاء إلى الجيش كان يتم تسليمهم إلى مسئول الجيش ليتم فحصهم أولاً للتأكد من سلامة أجسامهم، قبل أن يسمح لهم بالاختلاط مع الجند السابقين، (حيث كان يتم هذا الأمر على الملأ في

١ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٣، ص٤١٤، ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ص٨٣.

٢ - ابن إياس : بدائع الزهور، ج١، ص١٥٠، السيد الباز العريني، الفروسية في مصر في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠-١٥١٧م)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص١٣٤.

٣ - إبراهيم على طرخان، مصر في عهد دولة المماليك الجراكسة ١٣٨٢-١٥١٧م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٦٨.

٤ - مجهول (يشك في نسبه إلى الطرابلسي): الفروسية برسم الجهاد، وما أعد الله للمجاهدين من العباد، ميكروفيلم ميكروفيلم مصور برقم ٣٧، فنون حربية، معهد المخطوطات العربية، ورقة ١٢، ابن إياس : بدائع الزهور، ج١، ص١٢١، سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، ص٣٢٤.

أسواق الرقيق في مصر) حتى إذا ثبت أنهم في صحة جيدة أنزل منهم طبقة جنسه وإقليمه أو تقارب موطنه، بحيث لا تجمع الطبقة الواحدة سوى الجند ذوي الأصل المشترك أو المجلوبين من بلد واحد ليتلقوا التعليم الحربي، أو ينضموا إلي الجيش الحبشي الإمبراطوري^(١).

٢ - الأسلحة المملوكية:

تنوعت الأسلحة التي استخدمها المماليك في القتال والتدريب ما بين أسلحة هجومية ومن أهمها: السيف والرمح والخنجر والطبر^(٢) والبلطة^(٣) والفأس والنفط والمكاحل^(٤) والبنادق والمدافع^(٥)، والمقلع^(٦) والدبوس، وأسلحة دفاعية فمن أهمها الأقواس^(٧)

١ - صلاح الدين كامل السيد: المرجع السابق، ص ٣٤٥ كذلك

-Tadesse Tamrat : Church and State in Ethiopia (1270-1527), Oxford, Clarendon press, 1972, p .99.

٢ - الطبر أو الطبرزين هو سلاح يشبه الفأس أو البلطة برأس نصف مستدير يركب في قضيب من الحديد أو الخشب المتين. محمود نديم أحمد فهم : الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري (٦٤٨-٧٨٣ هـ / ١٢٥٠-١٣٨٣م) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م ، ص٣٩.

٣ - البلطة وهي سلاح من حديد مركب في قائم من الخشب، ويكون نصله مدبباً من ناحية رقيقاً من أخرى يكون رقيقاً ، انظر محمود شيت خطاب : العسكرية العربية الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣، ص١١٧، محمد مصطفى زيادة، نهاية السلاطين المماليك في مصر، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، مايو ١٩٥١م، ص٢١٤.

٤ - المكاحل وهي ضمن الأسلحة النارية التي تشبه المدافع وتصنع عادة من النحاس أو الحديد، وكانت بأحجام مختلفة، وهي على نوعين، نوع يحمل على عجل تتك تجربته في الهواء الطلق، والآخر كانت تتم تجربته علي سفن في نهر النيل عند طره انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص١٤٢، ٢١٥ ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الأسلحة الإسلامية، السيوف والدروع، الرياض، نعرض مقام في قاعة الفن الإسلامي، ١٤١١هـ، محمود نديم، المرجع السابق، ص١٨٠.

٥ - كان استخدام المدافع في عصر المماليك محدوداً للغاية، خصوصاً في عصر دولتهم الأولى واستمر الأمر كذلك في عصر دولتهم الثانية، إلا أن الأمر بدأ يتغير منذ عهد السلطان خشقدم

الأقواس^(٢) والسهم^(٣) والدروع والتروس والنشاب. كما استعان المماليك في حروبهم أيضاً بالعديد من الأدوات الحربية مثل المنجنيق^(١) والدبابة^(٢) والصنبور^(٣) والكبش^(٤) والقلاع المتحركة^(٥).

الذي جرب عام ٨٦٨هـ/١٤٦٣م مكحلة جاء مدي حجرها (٤٦٢٠ ذراع حديد) وزاد اهتمام السلطان قايتباي من بعده بهذا السلاح، حيث أدخل وحدة جديدة لرماة البندق (حملة البنادق) في الجيش واستطاع بهذا السلاح من هزيمة الأتراك العثمانيين عام ٨٩٥هـ/١٤٩٠م، ولكن ابنه أجبر على حل هذه الوحدة ودفع حياته ثمناً لذلك لأن هذه الوحدة كانت خطراً على نظام الفروسية وأمرائها، كما كانت كراهية المماليك لاستخدام البنادق كانت واضحة، لأن استخدامها كان يتطلب تجردهم من الأسلحة التقليدية المتوارثة وللمزيد انظر ابن تغردي بردي، حوادث الدهور، ج٣ ص ٤٧٤-٤٧٦، عبد الرحمن زكي، السلاح في الإسلام، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، دار المعارف، مصر، ١٩٥١م، ص ١٠٤-١٠٥، مصطفى نجيب، الاستعدادات العسكرية للسلطنة المملوكية في عهد السلطان الغوري ١٥٠١-١٥١٦م، مجلة كلية الآثار، العدد ٤، القاهرة، ص ٣٢٠.

١ - المقلاع: عبارة عن كفه من الجلد أو القماش، إما ببيضاوية أو مستديرة لها طرفان في الأول أو ثلاثة في الثانية وتربط من طرف في الكفه ويترك الثاني مرصلاً، وطريقة استعماله هي أن يجعل لكل حبل عروة عدا حبل واحد يظل متروكاً ويمسك بالأصابع فتصير الكفه معلقة ثم يلقي طرف الحبل من الأصبع فينطلق الحجر انظر الزردكاش (ابن أرنبغا، ت ٨٦٧هـ/١٤٦٣م) : الأنيق في المجانيق، تحقيق إحسان هندي، منشورات جامعة حلب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. مخطوطة مصورة علي ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٤/ فنون حربية، ورقة ٣٨، ٣٧، القلقشندي : صبح الأعشى، ج٢، ص ١٣٧.

٢ - كانت الأقواس النثرية معروفة ومستخدمة في الجيش المملوكي انظر ابن تغردي بردي، النجوم، ج١٤، ص ٢١٩.

٣ - استخدم المماليك السهام الخطائية وهي سهام عظام يرمى بها عن قسي عظام توتر بلولب يجر بها ويرمي عنها فتكاد تخرق الحجر ويقال إن هذه السهام كانت توضع رؤوسها كتل محترقة وتذف علي العدو تاركة وراءها خطأ نارياً للمزيد انظر ابن الشحنة، البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر محمد بن قايتباي، تحقيق د. عمر التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٧٣، ٧٨، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ١٤٤.

- ١ - **المنجنيق**: وهو سلاح يستخدم في الرمي بالحجارة على مسافة طويلة، فيحطم الحصون والأبراج ويهدم المعسكرات، عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الاسلام، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦١م، ص ١٥٦، سوزى أباطة محمد حسن، السودانيون في جيش مصر الإسلامية حتى سقوط الدولة الفاطمية ودورهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٨٧.
- ٢ - **الدبابة**: وهي عبارة عن هودج من الخشب مثبت علي قاعدة خشبية تحملها عجلات مزودة بآلات لضرب الأسوار، ويدخل المحاربون في جوفها وعند المعركة يدفعونها أمامهم متقين بها سهام الأعداء، حتى إذا ما التصقوا بالأسوار أخذوا يعملون على هدمها أو إحداث تغيرات فيها أو إشغال النيران فيها نتيجة دهن الأخشاب بالنفط . للمزيد أنظر، عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ١٦٨.
- ٣ - وهو كالدبابة تقريباً ويصنع من الخشب المغطى بالجلد ويكمن فيها المهاجمون ويقربون للحصن، فيقاتلون أهله وهم فيه ويعرف بالسيارة المدرعة انظر جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، تقديم د. حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة (د . ت)، ج ١، ص ١٤٣-١٤٤.
- ٤ - **الكبش**: عبارة عن حجرة صغيرة مركبة علي عجل ومصنوعة من الخشب المحكم مغلفة باللبود أو جلود منقوعة في الخل ويدخلها الجند الذين يحركونها بدفعها حيث لا يوجد بها أرضية، وقد يعلق في سقفها سلاسل يربط فيها عمود أفقي ونهايته رأس الكبش، وتقرب الألة إلي أسوار الحصن أو القلعة حيث يعمل الرجال في الأسوار لتقريبها أما بآلات عندهم أو بواسطة الكبش، وذلك بتحريكها حتي تصطدم بحائط السور، انظر محمود نديم ، المرجع السابق، ص ١٤٩ ، أبن أرنيغا الزردكاش: الأنيق في المنجنيق، ورقة ٨٢، ٨٨.
- ٥ - وهي أبراج من الخشب مرتفعة مغلفة باللبود والجلود مثل الكبش، وتدار حركتها بواسطة لولاب أو مشاقص يدفع بها لتساعد من أسفل وهي ضيقة من أعلاها وفي أسفلها بكر مركب عليه، يتصل بعضه ببعض باضلاع من الخشب فيأتي الرجل بالمشاقص فيدخلها بين تلك الخشب، ثم يقيمها بدفعة قوية فتتحدر وتجري بسهولة، ويصعد الرجال إلى أعلاها وقد دبرت حولهم الستائر، ويحمل على هذه القلاع المنجنوقات الصغيرة، حتى يشرف الرماة علي أماكن المحصورين، وتستعمل هذه القلاع إذ لم يكن هناك أكمله أو مرتفع يمكن اعتلاؤه بالمنجانيق. انظر محمود نديم، المرجع السابق، ص ١٤٩ نقلاً عن أبن أرنيغا الزردكاش، الأنيق في المنجنيق، ق ٨٢، ٨٨.

وكانت هذه الأسلحة علي اختلاف أنواعها تحفظ في دار أطلق عليها اسم "الزردخاناه أو السلاح خاناه" أي بيت السلاح وتحتوي هذه الدار علي مختلف أنواع الأسلحة، وتحمل إليها كل عام ما يصنع من الأسلحة من مختلف الجهات^(١). كما كان لكل أمير من الأمراء زردخاناه خاصة به وبجنوده حيث كانت صورة مصغرة من خزينة القلعة، ويعمل فيها جماعة من الصناع يختص كل منهم بنوع معين من أنواع السلاح ويعهد إليه بأمر صنعه ومهمة إصلاحه إذا أصابه تلف ويطلق على كل منهم أسم "الزردكاش"، وكانت خزائن السلاح توجد في أماكن أخرى غير القاهرة مثل قصر السلاح في الإسكندرية^(٢).

وقد انتقلت بعض أنواع الأسلحة المصرية إلى الحبشة حيث استخدمها الأحباش المسيحيون في حروبهم ضد المسلمين. وفي هذا الصدد توجد عدة إشارات تاريخية إلى استخدام الأحباش للسيوف المصرية، حيث يصف عرب فقيه أنه عند استعداد الإمبراطور لبنا دنجل لدخول إحدى المعارك مع المسلمين بقيادة الإمام أحمد، أخرج خزائنه ومنها "السيوف المصرية" حيث قام بتوزيعها على بطارقه وعساكره^(٣). علاوة على ذلك فلقد وجد أيضاً نوع من التشابه بين بعض الأسلحة الأخرى المستخدمة في كل من مصر والحبشة، وخاصة الرماح والنشاب، حيث قام الأمير المملوكي الطنبغا بتدريب الأحباش علي استخدام هذه الأسلحة في الأغراض الحربية^(٤).

٣ - ملابس القتال:

تنوعت ملابس المماليك بصفة عامة باختلاف المواقف والمناسبات، فهناك ثياب خاصة بالخدمة السلطانية وأخرى تتعلق بالسفر، وثالثة بالسرحات والعيد إلى غير ذلك من

١ - القلقشندي : صبح الأعشي، ج٤، ص١١، ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، تحقيق قسطنطين

زريق، طبعة بيروت، ١٩٤٢، ج٧، ص١٤٧.

٢ - المصدر السابق، ص ص ١١-١٢.

٣ - المصدر السابق، ص ص ٦٦-٦٧. كذلك

- Manfred Kropp :op,cit, p.31.

٤ - ريتشارد هول : إمبراطوريات الرياح الموسمية، ترجمة كامل يوسف حسين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، المقريري : الإمام، ص ١٢.

المناسبات^(١). وفيما يتعلق بملابس القتال، فإنه إذا ما دعي الجنود إلى القتال ارتدوا ملابس الحرب والتي كانت تختلف كلية عن ملابسهم العادية في أوقات السلم. ولقد حافظ المماليك بصفة عامة والجنود منهم بصفة خاصة على لباس الرأس الذي اتخذوه من أيام بني أيوب وهي الكلوتة^(٢) الصفراء وكذلك الكليندات^(٣) حيث كان لها شأن عظيم من الناحية الرسمية، كما أصبح لبس العمائم أمراً شائعاً حتى صار نزعها أو تغييرها من العار، كما ارتدى المماليك أيضاً الشربوش حيث كانت له المكانة الأولى إذ يعتبر بصفة خاصة الطابع المميز بطبقة الأمراء^(٤) ويصفه المقرئزي بأنه "مثل شيء يشبه التاج"^(٥). كما ارتدى المماليك أيضاً الطواقي التي تشبه الكوفية وقد لبسها الرجال والنساء والعسكريون من جميع الطبقات^(٦)، وهناك لباس رأس آخر وهو "الزنت"^(٧)، ويذكر بعض المؤرخين أن زى المماليك اختلف من طائفة لأخرى حتى بلغ المائة^(٨).

أما علي أجسادهم فقد ارتدى المماليك الدروع^(٩)، حيث كانت لها أسماء متعددة أغلبها فارسية مثل زرديات وهي تغطي الجسم كله، وقرقلاط أو كزغندات أو بكابز وهي كلها أسماء دروع ربما تكون مبطنة، وهناك كذلك الجوش وهي عبارة عن صدر بغير ظهر، هذا بالإضافة إلي أنهم كانوا يضعون "المضمض" وهي خوذة مسدولة علي مؤخرة

١ - المقرئزي : الخطط، ج٢، ص ١٠١.

٢ - الكلوتات: جمع كلوته وهي طاقية صغيرة من الصوف مخلوطة بالقطن انظر، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ٣٣، ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ١٩٨.

٣ - الكليندات : هي لباس للرقبة تشد الكلوته التي فوق الشعر وتمنعها من السقوط أو الحركة المقرئزي ، الخطط، ج٢، ص ٩٨.

٤ - ماير: المرجع السابق، ص ٥٢.

٥ - المقرئزي: الخطط، ج٢، ص ٩٩.

٦ - ابن إياس : بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٣٢.

٧ - الزنت : هو عبارة عن قماش يستعمل كغطاء للرأس.

٨ - القلقشندى : صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٩-٤٠.

٩ - كان يوجد ثلاثة أنواع من الدروع كانت مستعملة في العصر المملوكي وهي قميص الزرد، والدرع ذو الرقائق المعدنية أو البريجاندين . انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٣٥٩-٣٦٠.

رأس المحارب وأذنيه لوقاية العنق، ويبدو أن لبس الدروع في المجتمع المملوكي خاصاً بالأرستقراطية العسكرية^(١).

وقد استفاد الأحباش استفادة كبيرة من ملابس المماليك في تلك الفترة فعلى يد فخر الدولة أمتد التأثير المملوكي على الملابس العسكرية للجيش الحبشي، فقد أرجع المقريري في نص يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك مدي التأثير المملوكي على ملابس الجيش الحبشي سواء كانت ملابس القادة أم الجند أم إمبراطور الحبشة نفسه إذ قال المقريري انه "تميز عن رعيته بالملابس الفاخرة"^(٢).

على انه يبدو أن الملابس الحربية الحبشية بصفة عامة كانت خليطاً من أزياء أو ملابس متنوعة بتنوع المصادر التي أخذ منها الأحباش خلال هذه الفترة ملابسهم، وإن كان من المرجح أن هذه الملابس الحربية بصفة عامة كان يغلب عليها الطابع المملوكي، وليس أدل على ذلك من استخدام الجنود الأحباش لبغض الملابس المملوكية وفي مقدمتها الزمط^(٣)، وهو لباس للرأس استخدمه القادة الأحباش وخاصة الأباطرة^(٤).

كما قام فخر الدولة بتنظيم ديوان الإمبراطور إسحاق على نمط الديوان السلطاني بالقاهرة، ووضع قواعد جديدة لجباية الأموال والضرائب، وبفضل هذه النظم التي انتقلت من مصر، صار لإمبراطور الحبشة -على حد قول المقريري- "ملكاً له سلطان وديوان، بعد أن كانت مملكته ومملكة آبائه همجاً، لا ديوان لها ولا ترتيب ولا قانون. فانضبطت عنده الأمور"^(٥).

٤- تكوين الجيش :

تكون الجيش المملوكي من ثلاث فرق أساسية، الفرقة الأولى عبارة عن طائفة المماليك السلطانية أي ممالك السلطان القائم في الحكم والتي أطلق عليها (الاجلاب

١ - محمود نديم : المرجع السابق، ص ص ٤٩-٥٠.

٢ - الإمام، ص ٤.

٣ - ما زال هذا اللفظ يطلق على إحدى قطع الزى العسكري المصري في الوقت الحاضر مع اختلاف لفظي طفيف فيطلق عليه "زناً" وهو عبارة عن سترة ملتصق بها غطاء للرأس . للمزيد انظر:

مصطفى نجيب، الاستعدادات العسكرية، ص ٣٠٩.

٤ - ماير : المرجع السابق، ص ص ٥٨-٦٠.

٥ - العيني: المصدر السابق ، ج٣، ص ٣٠٥.

والجلبان)، وقد وصفهم القلقشندي بأنهم "أعظم الأجناد شأناً، وأرفعهم قدراً، وأشدهم قرباً، وأوفرهم اقطاعاً، ومنهم تؤمر رتبة بعد رتبة"^(١)، أما الفرقة الثانية فهي طائفة ممالك الأمراء، أي الذين اشتراهم الأمراء كل علي حسب درجته ورتبته حيث تعهد الأمراء برعاية هؤلاء الجنود وكونوا منهم الوحدات الحربية التي ترافق السلطان في حروبه، وكانت كل وحدة تتألف من أمير علي رأس ممالكه، وأخيراً تأتي الفرقة الثالثة وهي طائفة أجناد الحلقة والتي إشملت علي ممالك السلاطين والأمراء السابقين وأولادهم الذين أحترفوا الجندية، وصاروا بمثابة جيش ثابت للدولة لا يتغيروا بتغير السلطان، ويشرف علي كل ألف منهم في وقت الحرب أمير مائة مقدم ألف، أي أمير له الحق في امتلاك مائة مملوك لنفسه ويقود في وقت الحرب ألف جندي من أجناد الحلقة^(٢).

وإذا كانت الفرق الثلاثة السابقة تعد بمثابة الأعمدة الرئيسية للجيش، فلقد وجدت إلي جانب ذلك فرق أخرى تتكون من رجال السيف المقطعين، حيث تضم هذه الفرق العربان والتركماني والأكراد، والذين يتركز عملهم في حماية أطراف سلطنة المماليك في مصر، علاوة علي مشاركتهم بفرسانهم في الجيش في أوقات الحرب وذلك نظير ما يحصلون علي من أقطاعات^(٣).

أما عن قيادة هذه الفرق فلقد كان السلطان علي رأس هذه القيادات، باعتباره الرئيس الأعلى للسلطنة وزعيم أمراء المماليك، ويلي السلطان رتبة تسمى أتابك العساكر^(٤)، ثم يأتي القادة (الأمراء)، وكان الوصول إلي إمرة جيش المماليك يتم من خلال الترقي تدريجياً من أمير خمسه^(٥) إلي أمير عشرة^(١) إلي أمير طبلخاناه^(٢) أو أمير أربعين^(٣) (أي

١ - القلقشندي: صبح الأعشي، ج٤، ص١٥.

٢ - المقرئزي: السلوك، ج٤، ص٤٦٢، محمد مصطفى زيادة: نهاية السلاطين المماليك في مصر، ص٢١٤.

٣ - المصدر السابق، ص٤٦١.

٤ - أتابك: معناها الأمير الأب ثم صارت تعني قائد الجيش علي اعتبار انه أبو العساكر، وهو كبير أمراء المماليك وكان شائعاً أن يخلف السلطان في العرش. انظر ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، ج٧، ص١٤٧.

٥ - أمراء الخمسات: وكانوا قلة في مصر، وربما كان أكثرهم من أولاد الأمراء الذين توفوا ومنح الأبناء هذه الرتبة رعاية لأبنائهم أنظر قاسم عبد قاسم، علي السيد علي، المرجع السابق، ص٣٥.

(أى أن الأمير الذي يحوز إقطاعاً في الجيش المملوكي يكفي لشراء أو إستخدام أربعين مملوكاً) ثم الترتي بعد ذلك إلي أمير مائة^(٤) . وعلي ذلك فإن أساس هذا التدرج في الرتب العسكرية هو أعداد الجند الموجودين تحت إمرة القائد وأعداد المماليك الذين يمتلكهم^(٥) .

ولقد كان من المتبع قبل خوض المعارك، أن يتم عقد مجلس حرب برئاسة السلطان وعضوية أتابك العساكر والخليفة والقضاة الأربعة وأمرأه المئين، وذلك بغرض المشورة قبل الإقدام علي الحرب، فإذا ما تم إعلان الحرب أو اتخاذ قرار بشنها، يأمر السلطان

١ - **أمرأه العشرة** : ويكون لكل منهم إمرة عشرة من الفرسان، وربما كان للواحد منهم عشرون فارساً ولكنه يظل من أمرأه العشرات. ومن هذه الفئة يكون صغارا الولاة ومن مثلهم من أرباب الوظائف الصغرى أنظر قاسم عبد قاسم، علي السيد علي، المرجع السابق، ص ٣٥.

٢ - **الطبلخاناه** : كلمة فارسية من جزئين ، طبل وخاناه، ومعناه بيت الطبل ويقصد به الطبول والأبواق التي تدق علي أبواب الأمراء ذوي الرتب العالي، ويتولى أمرها أمير عشرة يكون مسئولاً عنها في المخازن وفي السفر وفي الحرب وتحت يده عددا من ضاربي الطبول وناقخي النفير (البوق) وضاربي الصنوج وغيرهم . انظر القلقشندي، صبح الاعشي، ج ٤، ص ١٣.

٣ - **أمير الأربعين** : وتعني أن عدة كل منهم في الغالب أربعين فارساً ، وربما كان من حقه أن يزيد هذا العدد إلي ثمانين فارساً، ولكن هذه الرتبة لا تعطي أبداً لأقل من أربعين فارساً. ومن هذه الطائفة من الأمراء تكون الرتبة الثانية من أرباب الوظائف والكشاف بالأقاليم، وأكابر الولاة. انظر القلقشندي، صبح الأعشى ج ٤، ص ١٤-٣٧.

٤ - **أمير المئين مقدمو الألوف** : وعدة كل منهم مائة فارس، أي أن كل منهم يحق له أن يكون جيشاً من ممالিকে في حدود مائة فارس من الفرسان ثقيلي العدد، وربما زاد علي ذلك عشرة أو عشرين فارساً. ومن ناحية أخرى يكون له حق قيادة ألف فارس- من غير ممالিকে- ممن هم دونه من الأمراء، وأصحاب هذه الرتبة من الأمراء هم أعلي أمرأه المماليك قدراً، ومنهم يكون أصحاب الوظائف الكبرى ونواب السلطان. انظر العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الرابع، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزايمة و يوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة لأولي، ٢٠٠١م، ص ٢١.

٥ - قاسم عبد قاسم، علي السيد علي، المرجع السابق، ص ٣٤-٣٥.

باستدعاء الجنود من مختلف أرجاء البلاد، ثم يقسم الأمراء يمين الطاعة والولاء في حضرة السلطان، ويتسلمون ما يلزمهم من عتاد الحرب من خزانة السلاح، ثم يبدأ التجهيز للحرب بإعداد الخطط العسكرية وتجهيز المعدات الحربية، ويقوم السلطان بتفقد أحوال الجند وأسلحتهم ومعداتهم، ثم يحسن اختيار أرض المعركة مستهدفاً تحقيق عنصر المفاجأة وأخذ العدو علي غرة، رافعاً شعاراً إما النصر أو الشهادة^(١).

ونستنتج من خلال دراستنا لتاريخ النظام الحربي في الحبشة في العصور الوسطى^(٢) مدي التشابه الكبير في كل من مصر والحبشة، إذ أنقسم الجيش الحبشي إلي ثلاثة فرق أساسية هي : الفرقة الأولى تتكون من الجيش المركزي الإمبراطوري هو الجيش النظامي الثابت المختص برعاية مصالح الدولة والدفاع عنها بشكل دائم، وهو يشكل القوة الهجومية المؤثرة في الدولة، وكانت هذه القوة تتألف من الغلمان العبيد وأسري الحروب^(٣). وكانت طريقة الحصول علي هؤلاء الغلمان هي الشراء والرسوم المقررة علي حكام المقاطعات المختلفة^(٤) حيث اتخذت هذه الرسوم عدة أشكال منها الحصول علي عدد معين من الرقيق^(٥). أما الفرقة الثانية فكانت فرقة جنوا الشوا^(٦) التي لعبت دوراً هاماً

١- ابن زنبيل : آخرة الممالك، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١٢٤، محمود نديم : المرجع السابق، ص ١٦٩-١٧٠.

٢ - محمد أحمد محمد علي بهنساوي : السلطة والمجتمع الحبشي في عهد الأسرة السليمانية (٨٣٨-٩٤٧هـ/١٤٣٤-١٥٤١م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١٢م، ص ص ١١٧-١٣٤.

3 - Roland Oliver Anthony Atmore : Medieval Africa, 1250-1800, university of Cambridge, england, press, 2001, pp. 115-6.

4- Mordechai Abir : Ethiopia and The Red Sea. p.54.

5 - Roland Oliver Anthony Atmore : op. cit., p. 116.

^٦ - الشوا : تطلق هذه الكلمة في المصادر الحبشية علي الجنود أو الفرقة العسكرية، وهم الجنود التابعون للإمبراطور في المقاطعات، كما كان يطلق علي زعيم كل فرقة لفظ " تشوا"، ولكنها تدل في الأمهرية حالياً علي " الشخص ذي المنزلة الاجتماعية الرفيعة" وان كان معناها العام يقابل لفظ الممالك وإن كانت طبيعة عملهم تؤكد أنهم أتباع الملك . انظر مجدي عبد الرازق سليمان : النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصري الإمبراطورين زره يعقوب (١٤٣٤-١٤٦٨) وابنه

هاماً في تأثير وتيسير مجريات الأمور في المملكة الحبشية، حيث تعددت مهام هذه الفرق العسكرية في المملكة، كما عدت النصوص الحبشية مهام هذه الفرق، ولكن تأمين شخصية الإمبراطور والمملكة السليمانية كان أحد أهم هذه المهام، حتي أثناء إقامته في قصره حيث يقومون بالطوف حول القصر من داخل السور حاملين أسلحتهم ضد كل من يحاول أزاء الإمبراطور^(١). أما الفرقة الثالثة والأخيرة فكانت قوات حكام المقاطعات التي شكلت جزءاً كبيراً من القوات الملتحقة بالجيش النظامي الحبشي، بعد أن تعهد هؤلاء الحكام بدعم الجيش النظامي للدولة الحبشية حين تم اسناد مهمة حكم المقاطعات لهم^(٢). وقد كان حاكم المقاطعة يحتفظ بقوة دائمة بالإضافة إلي القوة الاحتياطية والتي يستدعي أفرادها في وقت الحرب^(٣).

وبالإضافة إلي قوات حكام المقاطعات التي كانت تتضمن للجيش الحبشي انضمت أيضاً الفرق التابعة لأصحاب الإقطاع، والتي تتباين أعدادها بتباين عدد الأفراد التابعين لصاحب الإقطاع، إلا أنها في الغالب كانت أقل عدداً من تلك القوات التي جلبها حكام المقاطعات. وقد اعتمد الحكم الملكي بدرجة كبيرة علي هذه القوات رغم الشك في ولائها (نظراً لقيام الكثير من أفرادها ببعض الثورات)^(٤)، ولقد كان قوام هذه القوات في الغالب من أهالي المقاطعات المختلفة والمتمثلة في القبائل المختلفة في الدين واللغة، حيث احتفظت قوات كل إقليم بخصائصها المحلية وتشترك في الحروب في شكل فرق متعددة، مثل فرقة التيجري - ولاستا - وامهرا - وشوا^(٥).

بئد ماريام (١٤٦٨-١٤٧٨) ترجمة ودراسة تحليلية، رسالة دكتوراة غير منشورة - كلية الآداب -

جامعة القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٦

1 - Perruchon :Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, pp . 35-36.

٢ - بولس مسعد : المرجع السابق، ص ٣٦.

3 -O.G.S.Cra Wford: Ethiopians itineraries Circa 1400-1524,Cambridge,1985, p. 52, Richard Pankhurst, The Ethiopians , Blackwell, Cambridge , London ,1968, p.63.

4 - Mordechai Abir : op.cit., pp.70-79, Taddesse tamrat : op.cit., pp.89-90.

٥ - عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، دار مطبعة يوسف، القاهرة، ص ٤٥.

كما كان هناك العديد من العناصر الحبشية التي تشترك مع الجيش الحبشي بطريق غير مباشر، ومن هذه العناصر عصابات الشفتا^(١) التي استعان بها بعض الأباطرة في أحيان كثيرة لضرب المسلمين والأغارة عليهم وسرقة أموالهم ومواشيهم، فقد أشار عرب فقيه إلي كثير من هذه الأغارات غلي مقاطعات المسلمين والتي أستهذفت إثارة الفتن في بلادهم^(٢). كما أستخدم أباطرة الحبشة أيضاً الرقيق حيث أشتراك بعضهم بعد تدريبه عسكرياً كجنود في الحرس الملكي، كما أستخدم البعض الآخر كقوة نقالة لحمل المؤن والمستلزمات الحربية المختلفة، فقد سمح للفرسان والنبلاء بأصطحاب عبيدهم لمعاونتهم أثناء الحرب، حتي إذا أصيب أحدهم يمكن أن يقوم خدمه أو عبيده بمساعدته لأنقاذ حياته^(٣).

١ - الشفتا : أطلق هذا التعبير علي عصابات اللصوص وقطاع الطرق الذين انتشروا بالمملكة الحبشية بداية من القرن الرابع الميلادي في عهد الملك عيزانا، واستمروا بها طوال عهد الأسرة السليمانية. ولقد تخصصت هذه العصابات في الإغارة علي القرى والمدن والقوافل التجارية، وقامت باختطاف الرجال والنساء والأطفال لبيعهم في أسواق الرقيق المختلفة داخل وخارج الحبشة والاستيلاء علي أموال القوافل التجارية وبضائعها، كما كانت تستولي أيضاً علي أموال ومواشي سكان القرى وكانت هذه العصابات في ذاك الوقت لا تتردد في قتل كل من يتصدى لهم من الأهالي والرعاة وأصحاب المواشي التي يستهدفونها للمزيد أنظر :-

- منال عبد الفتاح محمود عبد الله : النص الملكي في تاريخ الحبشة في عصر الإمبراطور جلاوديوس (١٥٤٠-١٥٥٩م) ترجمة ودراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة -كلية الآداب-جامعة القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٦، زاهر رياض: الشفتا في أثيوبيا في العصور الوسطي وأثرهم في تاريخ البلاد السياسي والاقتصادي، بحث في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد ١٩، العدد الثاني، ديسمبر، ١٩٥٧، طبعة ١٩٦١م، ص٢١٥.

- Paul E.le Roy : Slavery In The Horn Of Africa . " Horn Of Africa" , Vol 2 ,N3, July, September 1979,p.24 see also Francisco Alvarez : op.cit., pp.277-279 .

٢ - عرب فقيه : المصدر السابق، ص ٩٤ ، كذلك

Taddesse tamrat : op.cit., p. 114 .

3 -K.Ingham: Foreign Relation Of African States, Butterworths ,London ,1974.pp79-80& Mordechai Abir : Ethiopia and The Red Sea ,p .23.

٥-التشكيلات العسكرية:

كانت التشكيلات العسكرية في عهد المماليك تقوم على أساس ترتيب الجند على هيئة صفوف متراسة " وأنهم يقسمون ثلاثة صفوف، يضربون صفا وراء صف ويترجلون من خيولهم"^(١) وكانت هذه الصفوف تشتمل على القلب واليمين والميسرة، فضلاً عن المقدمة والمؤخرة. وكان موقع القائد العام للقوات عادة في قلب الجيش، وأحياناً في مقدمته لينثر روح الإقدام والشجاعة بين الجنود، وليس أدل على وصف التشكيلات العسكرية المملوكية مما ذكره المقرئزي عند حديثه عن خروج السلطان الناصر محمد لقتال التتار عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢م في عهد سلطنته الثانية "أن الأمراء والأكابر ظلوا طول الليل دائرين على الأجناد يرصونهم ويرتبونهم، ويكثر من التأكيد عليهم في التيقظ وأخذ الأهبة فلما طلع فجر يوم الأحد كان قد اجتمع شمل عساكر السلطان ووقف كل واحد في مصافه مع أصحابه"^(٢).

ولقد كان من المتبع قبل خوض المعارك، أن يتم عقد مجلس حرب برئاسة السلطان وعضوية أتابك العساكر والخليفة والقضاة الأربعة وأمراء المؤمنين، وذلك بغرض المشورة قبل الإقدام على الحرب، فإذا ما تم إعلان الحرب أو اتخاذ قرار بشنها، يأمر السلطان باستدعاء الجنود من مختلف أرجاء البلاد، ثم يقسم الأمراء يمين الطاعة والولاء في حضرة السلطان، ويتسلمون ما يلزمهم من عتاد الحرب من خزانة السلاح، ثم يبدأ التجهيز للحرب بإعداد الخطط العسكرية وتجهيز المعدات الحربية، ويقوم السلطان بتفقد أحوال الجند وأسلحتهم ومعداتهم، ثم يحسن اختيار أرض المعركة مستهدفاً تحقيق عنصر المفاجأة وأخذ العدو على غرة، رافعاً شعار النصر أو الشهادة^(٣).

١ - ابن منكلي : (محمد بن محمود منكلي الناصري، ت ٧٧٨هـ/١٣٧٦م): الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، ميكروفيلم مصور بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ١ فنون حربية، ورقة ١٥، ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد المغربي ، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ٥٦ - ٥٨.

٢ - المقرئزي : السلوك، ج١، ص ٩٢٣.

٣ - ابن زنبيل : آخرة المماليك، ص ١٢٤، محمود نديم ، المرجع السابق، ص ١٦٩ - ١٧٠.

ولقد أدرك المماليك أهمية الخيل في التشكيل القتالي، وفي تحقيق القرار العسكري، والجدير بالذكر في هذا المقام أن المماليك كانوا فرساناً قبل أي اعتبار آخر، واعتمد نظامهم العسكري بصفة رئيسية على الفروسية فكان الجيش المملوكي يتألف أساساً من الفرسان، الأمر الذي أدّى إلي اهتمامهم بالخيول اهتماماً بالغاً، فعينوا كبار الموظفين للأشراف عليها وعلي أدواتها كاللجم والسروج وغيرها، كما أنفقوا الأنفاق بسخاء علي الأصطبلات الخاصة بها^(١).

علاوة علي ما سبق فقد استخدم المماليك الوسائل المرئية والصوتية المتاحة كافة في ذلك الوقت في التشكيلات العسكرية، حيث كانت الموسيقى تصحب الجيش وقت القتال، وكانت الفرقة الموسيقية تنتشر في أنحاء المعسكرات الحربية كافة، وكان لكل أمير طبله الخاص "وتحمل الطبول على عشرين بغلاً، ويعتمد عليها في تنظيم الحركة وإعطاء الإشارات ببدء القتال"^(٢)، وكانت الفرقة الموسيقية تصدر أنغاماً متعددة ودقات اصطلاحية مما يدل على استخدام المماليك للطبول كأدوات اتصال بين الجنود وقادتهم، وكان يشرف أمير عام علي شئون الموسيقى. بالإضافة إلي ذلك فلقد عرف المماليك استخدام الأعلام والرايات في التشكيلات العسكرية، حيث كانت تتقدم الجيش ويلتف حولها كل قسم من أقسامه^(٣).

أما عن تأثير الجيش الحبشي بالتشكيلات العسكرية المملوكية، فلم يقتصر تأثير لجوء أمراء المماليك إلي الحبشة علي مجرد التدريب علي بعض الأسلحة وإنشاء الزردخانات، بل أن التأثير المملوكي قد تعدي ذلك إلي نقل بعض التشكيلات القتالية

^١ - نبيل محمد عبد العزيز: الخيل ورياضيتها في عصر سلاطين المماليك، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٧٥، ص ٩.

^٢ - القلقشندي: صبح الاعشي، ج٣، ص ٤٧٥.

^٣ - كان للسلطان المملوكي من الأعلام ثلاثة أحدهما من الحرير الأصفر المطرز بالذهب، وينقش عليه ألقاب السلطان وأسمه، والثاني كبير أبيض تعلق عليه خصلة من الشعر، أما العلم الثالث فهو عبارة عن راية صفراء صغيرة، وكانت هذه الرايات تستخدم في جميع وحدات الجيش المملوكي كرمز أنه يتبع الجيش المصري. انظر سعيد عاشور: الأيوبيون والمماليك، ص ٣٢٦، محمود نديم، المرجع السابق، ص ١٦٣، الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، تحقيق، عبد الرؤوف عون، المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م، ورقة ١١.

المملوكية إلى الحبشة خاصة طريقة القتال في صفوف، بعد أن اقتصررت طريقة تكوين الجيش الحبشي قبل التأثر بالمماليك علي مجموعة من الجنود يقاتلون في جموع صغيرة من خلال التلاحم ببعض الأسلحة التقليدية من دون تشكيل ولا تعبئة بحيث أخذ شكل القتال كتلة واحدة متراسة، وبعد أن كان جيش المسلمين لا تعدو حروبه كونها أكثر من حروب العصابات التي يغلب عليها عمليات الكر والفر ولا يحكمها نظام ثابت^(١). والجدير بالذكر أنه على الرغم من أن المماليك كان لديهم أكثر من طريقة للتشكيلات القتالية^(٢)، إلا أنه لم ينقل منها إلى الحبشة سوي طريقة قتال الصفوف^(٣).

٦- الإقطاع العسكري:

كان الإقطاع في العرف المملوكي أمراً لا يعترف بحقوق الملكية، كما لا يخضع لأحكام الوراثة، وكان المقطع يحل في الإقطاع محل السلطان، وكان الإقطاع يؤول إلى السلطان بمجرد انتهاء المدة المتفق عليها، أو بمجرد وفاة المقطع إذا كان الإقطاع مدي الحياة^(٤). وقد قسمت أرض مصر الزراعية خلال هذه الفترة إلى أربعة وعشرين قيراطاً، أختص السلطان منها بأربعة قراريط، والأمراء بعشرة، وما تبقي خصص للأجناد^(٥).

1- Paul B . Henze : Layers Of Time A history Of Ethiopia , Hurst , Company, London , 2000, p.43, Thomas P. Ofcansky and Laverle Berry, Ethiopia A Country Study, Federal Research Division Library of Congress, 2004, p.63.

٢ - للمزيد من التفاصيل عن أنواع التشكيلات القتالية والتعبئة في عهد المماليك ، انظر محمود نديم: المرجع السابق، ص ص ١٥٠-١٦٣.

٢ - سعيد عاشور: بعض أضواء جديدة، ص ١٤، مراد كامل، في بلاد النجاشي، ص ص ٣٥-٤٥، سعيد عاشور، المرجع السابق، ص ٨، كذلك

- Harold G. Marcus : A History of Ethiopia , university of California, press, 2002, p 62, Roland Oliver , The Middle Age Of African History , p.72

٤ - المقرئزي : السلوك، ج ١، ص ٤١١ ، إبراهيم على طرخان، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٣٢.

٥ - كان الإقطاع الذي يمنح للأمير يحدد منه للأمير ثلثه، والأجناد التابعين له الثلثان، ولم يكن للأمير أو لأحد من أتباعه أن يطلب إلي أحد الأجناد التنازل له عن شيء من إقطاعه، بل حتم

الجدير بالذكر أن نظام تقسيم الأرض المعمول به في عهد المماليك لم يراعي تساوي الإقطاعات من حيث المساحة أو درجة خصوبة الأرض، بل تفاوتت ذلك تفاوتاً كبيراً، غير أنه قد أجريت عدة تعديلات علي هذا النظام في تقسيم الأرض وذلك في عصر سلاطين المماليك، وكانت هذه العملية التي عرفت بأسم الروك لا تتم بعد مسح الأراضي الزراعية في البلاد، مثال ذلك الروك الذي تم في عهد السلطان لأجين ٦٩٧هـ/١٢٩٨م، والروك الذي تم في عهد الناصر محمد بن قلاوون ٧١٥هـ/١٣١٥م^(١). بالإضافة إلي ما سبق فلقد كان مقررّاً للأمراء المعيّنين في خدمة السلطان حصة من الرواتب السلطانية من اللحم والتوابل والعليق والزيت والكسوة والشمع، وأجناد الحلقة حصة مماثلة من هذه الرواتب يمنحها لهم السلطان وإن تفاوتت مقاديرها زيادة أو نقصاً^(٢). الجدير بالذكر أن هذه الرواتب التي كان يحصل عليها هؤلاء الأمراء والمماليك والأجناد لم تكن لتؤثر علي حصتهم من أراضي الإقطاع، وإنما كان يمنحها لهم السلطان علي سبيل الفقة^(٣).

ولقد ارتبط نظام الإقطاع في عهد سلاطين المماليك ارتباطاً قوياً بديوان الجيش، وليس أدل علي ذلك من أنه قد أطلق علي هذا الديوان أسم ديوان الأقطاع، وكان ديوان

علي كل أمير أن لا يفصل أحد من أجناده من غير أن يعرض أمره علي نائب السلطنة في القاهرة أولاً، فإن رأي ما يستدعي اخراجه من حاشية الأمير التابع له، أمر بإخراجه وعين من يحل محله في خدمة ذلك الأمير، ويبدو أن هذا الأجراء قد أتبع وصار وكأنه قانون لضمان عدم التجاء أحد من الأمراء إلي طرد أجناده بقصد زيادة نصيبه من الإقطاع المخصص له، انظر المقرئزي: الخطط ج٢، ص٢١٥، ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٦.

١ - كان هناك بعض الأمراء أو الجنود من طبقة المماليك الذين لا يستطيعون القتال لكبر سنهم أو ضعف قدرتهم فيسمي الواحد منهم طرخاناً وهؤلاء لا يتسلمون اقطاعاً أو قيمة اقطاع، وإنما مبلغاً من المال وهو ما يعرف بالجامكية المقرئزي: الخطط، ج٢ ص٢١٥، والطرخان: هو السماح لشخص بالإقامة حيث يشاء وتمنح الطرخانية للأمراء أو الأجناد وبخاصة عند كبر سنهم وضعف تدريبهم علي العمل وعجزهم عن الخدمة السلطانية. انظر القلقشندي، صبح الأعشي، ج١٣، ص٤٨.

٢ إبراهيم طرخان: النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطي، القاهرة، ١٩٦٨م، ص١٥٢، ٢٠٨.

٣ - القلقشندي: صبح الاعشي، ج٤، ص ص ٥٠-٥١.

الإقطاع هذا هو المشرف علي شئون الجيش، حيث كان يرأسه ناظر الجيش ويعاونه بعض كبار الموظفين مثل "مستوفي الجيش" ^(١) و"مستوفي الرزق" ^(٢) و"نقيب الجيش" ^(٣) كما أختير لمساعدتهم عدداً من الكتاب والشهود من ذوي الخبرة ^(٤) وفي هذا الديوان تحفظ الأوراق الخاصة بأسماء الجنود والأمراء وكان مركز هذا الديوان قلعة الجبل وهو يعد "أكبر الدواوين المختصة بالشئون الإدارية" ولم تكن أسماء الجنود تسجل بديوان الجيش إلا عن طريق أمرائهم ^(٥).

أما علي الجانب المقابل فقد اعتمد الإمبراطور الحبشي علي النظرية السائدة التي تقول بأنه المالك الوحيد لكل أراضي المملكة، وعلي ذلك يرجع نظام نشأة الإقطاع بصفة عامة إلي عصور سابقة علي عصر الأسرة السليمانية ^(٦)، إذ أفرط هؤلاء الأباطرة في تقديم منح الجلت وبخاصة إلي الكنائس ومؤسسة الجيش وكبار رجال البلاط، وذلك نتيجة التوسع العسكري الكبير وضم أراضي جديدة إلي المملكة ^(٧). لذلك فقد تطور نظام الإقطاع في تلك الفترة كرد فعل طبيعي لرغبة الملوك في تحقيق أهداف سياسية معينة، يأتي في

١ - يقوم بتحديد الرواتب التي تصرف للجنود وتسجيلها في كشوف خاصة وذلك بمساعدة موظف يطلق عليه مستوفي الأقطاعات.

٢ - وهو الموظف الذي يشرف علي صرف المرتبات للأجناد وأرزاقهم .

٣ - وهو يساعد ناظر الجيش وكان يعهد إليه أمر حراسة السلطان أثناء سفره أو حين خروجه في الموكب، ويقوم بأستدعاء من يطلبه السلطان من الأمراء أو أجناد الحلقة ويشرف علي الجند في أثناء عرضهم، وكان من أختصاصاته أيضاً الحكم في الأمور البسيطة، وللمزيد حول هذه الوظائف أنظر، القلقشندي، صبح الأعشي، ج٥، ص٤٥٦، ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ص٤٥٥.

٤ - الأشرافي : بغية الرامي وغاية المرامي (في الرمي بالقوس والنشاب والبنذية)، ميكروفيلم مصور برقم ٥ فنون حربية، معهد المخطوطات العربية، ورقة ١٣٦، سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، ص٣٢٤.

٥ - القلقشندي : صبح الأعشي، ج١٣، ص١٥٣، إبراهيم علي طرخان : النظم الأقطاعية، ص١١٩.
6 - Donald Crummey : Land and Society in the Christian Kingdom of Ethiopia, university of Illino, press, 2000, p.34.
7- Taddesse Tamrat : op, cit , p.99.

مقدمة هذه الأهداف حاجة الأباطرة إلى تأييد المؤسسات الدينية والعسكرية إلى حكمهم^(١)، إذ أشارت المصادر الحبشية إلى أن توسع الأباطرة في منح الإقطاع للكنائس كان لأسباب تتعلق بالإيمان الديني وبالرغبة الجامعة في تقوية أقسام الجيش المختلفة^(٢). وقد أولي الأباطرة الأحباش اهتمامًا كبيرًا بنظام الإقطاع عامة والإقطاع العسكري خاصة، واعتبروه قاعدة لقوة العرش الملكي في الحبشة خاصة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، كما أشار تادييسي تامرات إلى أن الذين منحوا الإقطاع ازدادت مكانتهم الاجتماعية في المملكة^(٣). فقد كانت الإقطاعات العسكرية هي أهم أرزاق ومرتبوات الجند الحبشي، وقد وزعت أراضي الإقطاعات على الجند، وسلمت إلى كل مقطع قرية أو أقل أو أكثر كل علي قدر طاقته وطاعته^(٤). أما الأسباب التي دعت الأباطرة إلى التوسع في منح الجلت للمؤسسة العسكرية فقد كانت تتمثل في الرغبة في توسع نظام الجيش والفرسان ليجعلوا منه قوة فعالة في ميدان الحرب، إذ كان هذا التوسع يتطلب نفقات ضخمة لإعداد ما يحتاج إليه الجندي من فرس ودرع وسلاح وملابس، فضلاً عن أن هؤلاء الجنود يجب أن يتوافر لهم موارد يعيشون منها حتي يتفرغوا لشئون الحرب والقتال^(٥) ولذلك رغب الملوك في زيادة أراضي الدولة بالاستيلاء على أراضي الإمارات الإسلامية والوثنية المجاورة لهم^(٦).

وقد استغل الإمبراطور إسحاق تلك التطورات والتأثيرات المملوكية التي حدثت في عهده في التتكيل بالمسلمين، فأنزل بهم أبشع ألوان الاضطهاد والانتقام، وما كاد يعلم بنجاح سلطان مصر الأشرف برسباي في غزو جزيرة قبرص وأسر ملكها جانوس

١ - لذلك فقد اضطر مؤسس هذه الأسرة - يكونو أملاك - إلى منح ثلث أراضي الدولة إلى المؤسسات الدينية لكسب ولائها فضلاً عن الهدايا المختلفة من مملكتاته الشخصية إلى دير القديس سان ستيفن.

2 - Merid Wolde Aregay : Southern Ethiopia and The Christian Kingdom, 1508-1708, With Special Reference to The Galla Migrations and Their Consequences , London, 1971, p.32.

3 - Tadesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, p .98.

4 - L. Dudley Stamp : Africa Astudy In Tropical Development , John Wiley , sons, 1nc, New york 1948 , p. 356 .

5 - Tadesse Tamrat : op, cit , pp . 98-99.

6- C.H. Walker, O.B.E : The Abyssinian at Home, London, 1933, pp.187-189

لوزجنان ٨٢٩هـ - ١٤٢٦م، حتى اشتد غضبه^(١)، فأرسل إلى "ملوك الإفرنج يحثهم على علاقاته لإزالة دولة الإسلام وواعدهم على ذلك"^(٢) مبدياً استعداداه للهجوم على مصر براً من ناحية الجنوب، في الوقت الذي تقوم فيه الجيوش الأوربية بغزوها من ناحية الشمال^(٣).

وأخيراً ومن خلال العرض السابق للفن الحربي المملوكي وأثره علي الفن الحربي للحبشة، يمكن الخروج ببعض الملاحظات والإستنتاجات الهامة والتي يتمثل أبرزها فيما يلي:

١ - إن المعابر التي أنتقل من خلالها تأثير الفن الحربي المملوكي من مصر إلي الحبشة، لم تكن بمثابة قنوات سمحت بانتقال التراث الحربي بين البلدين بطريقة مخططة ومقصودة، وإنما يمكن القول أن هذه المعابر قد ساهمت في نقل المؤثرات الحضارية المملوكية بصفة عامة من مصر إلي الحبشة بما تضمنته هذه المؤثرات من جوانب حربية جنباً إلي جنب مع بعض المؤثرات الأخرى في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، علاوة علي ذلك فإن سريان هذه المؤثرات من السلطنة المملوكية إلي الدولة الحبشية لم يتم بطريقة مقصودة وإنما حدث ذلك كرد فعل طبيعي لفرض التقاء بعض المصالح المشتركة بين البلدين. وقد سبق عرض أهم هذه المعابر وقنوات الاتصال بين البلدين حيث اشتملت علي ستة معابر رئيسية هي : نظام الرسل والسفارات، التجارة، نزوح الأقباط المصريين إلي الحبشة، لجوء بعض أمراء المماليك المسلمين إلي الحبشة، دور المطارنة، موسم الحج.

١ - للمزيد عن هذه الحملة الصليبية . انظر سهير محمد إبراهيم نعينع : الحروب الصليبية المتأخرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٢ - المقريري : الإلمام، ص ٥.

٣ - سعيد عاشور : المرجع السابق، ص ٣٣، والجدير بالذكر أن الإمبراطور سيف أرعد قد سبقه في ذلك، حينما اتصل بملك قبرص بطرس لوزجنان على أساس أن يقوم الأخير بمهاجمة مصر من ناحية الشمال ويقوم إمبراطور الحبشة بمهاجمتها من ناحية الجنوب. للمزيد انظر، رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص ١٠٤-١٠٥، فتحي غيث، : الإسلام والحبشة عبر التاريخ، دار النهضة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٠٤، ١١٩.

٢- لم تقتصر أطماع الملوك والأباطرة الأحباش علي مجرد تأمين الأوضاع الداخلية ببلادهم والتصدي بكل قوة لجيوش المسلمين بالحبشة، وإنما تعدت ذلك إلي محاولتهم المستمرة (خاصة الأقوياء منهم) لرفع الإضطهاد عن أقباط مصر متخذين في سبيل ذلك شتى الطرق والوسائل والتي وصلت في أحيان كثيرة إلي حد التهديد باتخاذ إجراءات مماثلة ضد المسلمين الأحباش، وتحويل مجري نهر النيل إلي الصحراء، وكذلك الإضرار بطرق القوافل التجارية بين القاهرة والحبشة، علاوة علي القيام ببعض الأعمال العسكرية ضد جنوب مصر كسبيل للضغط علي الممالك لرفع الاضطهاد عن نصارى مصر وبطارقة الإسكندرية. الجدير بالذكر أن هذه الأمور والتي اتخذت طابعاً سياسياً أحياناً وعسكرياً في أحيان أخرى، إلا أنها كانت تتم في إطار يتسم بحرص كل من الطرفين علي بقاء العلاقات والمصالح المشتركة عند حد معتدل بين البلدين.

٣- علي الرغم من استمرار حركة جهاد مسلمي الحبشة، وتوالي الدول التي قادت حركة الجهاد (مملكة عدل، مملكة أوفات،... وغيرها) وعلي الرغم أيضاً من الهزائم المتكررة لمسلمي الحبشة علي يد الجيوش المسيحية، إلا أن كل هذه الأمور مجتمعة لم تكن كفيلة باتجاه مسلمي الحبشة إلي طلب العون والمساعدة بصورة مباشرة ورسمية من القوة الإسلامية المجاورة لهم وهي مصر المملوكية. ويرى بعض الباحثين في هذا المجال أن ضعف قنوات الاتصال بين المسلمين في كلا البلدين كان من أهم الأخطاء السياسية البارزة لملوك الزيلع الإسلامية أثناء جهادهم ضد حكام الحبشة، وحتى خلال الفترات التي مارست فيها مصر ضغوطاً علي الأحباش لرفع الاضطهاد عن مسلمي الزيلع مستغلة في ذلك العلاقة الوطيدة القائمة بين كلتا الكنيستين الحبشية والمصرية، فلم يكن السبب وراء هذه الضغوط هو مساعي ملوك الزيلع الإسلامية بقدر ما كان رد فعل طبيعي لما وصل إلي مسامع سلاطين مصر من اضطهاد ملوك الأحباش لمسلمي الزيلع وسلاطينهم^(١). الجدير بالذكر أن مثل هذه الضغوط لم تصل في تأثيرها إلي كانت يمكن أن تحدثه المساندة الرسمية المباشرة، الأمر الذي ساهم مع غيره من العوامل الأخرى في تدهور الأمور لدي مسلمي الزيلع مما مكن الجيوش الحبشية المسيحية من التصدي لجهادهم^(٢).

١ - وفاء محمد علي: جهود المماليك الحربية ضد الصليبية والمغول، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ص ١٢٧-١٣٤.

٢ - عن أهم أسباب كثرة هزائم المسلمين وانتصار الأحباش عليهم. انظر، رجب محمد عبد الحليم، العلاقات السياسية، ص ٢١٢-٢٤٨.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق الحبشية .

- 1- Jules Perruchon: Les chroniques de Zar'a ya-eqobe et de Baeda Maryam, Rois d Ethiopie de 1434 A 1478, Paris, 1893.
- 2- Manfred Kropp : Die Geschichte Des Lebna-Dengel, Claudius Und Minas, Scriptores Aethiopici, Tomus 84, Vol 83,84, Lovanii in Aedibus E. Peeters, 1988.
- 3- W. Conzelman : Chronique de Galawdewos roi d' Ethiopie, texte ethiopien, Libraire Emile Bowllon, Paris, 1895.

ثانياً : المخطوطات العربية:

- الأشرفي : (علاء الدين طيغاف، ت ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م).
- ١- بغية الرامي وغاية المرامي (في الرمي بالقوس والنشاب والبنقية)، ميكروفيلم مصور برقم ٥ فنون حربية، معهد المخطوطات العربية.
 - الطبري: (عبد الرحمن الشافعي بن الحسين، ت ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م) (يشك في نسبه إليه).
 - ٢- الواضح في الرمي والنشاب، مكتبة الأزهر، مخطوطة تحمل رقم ٧٢٧٥.
 - الطرابلسي : (لاجين بن عبد الله الذهبي الحاسمي، ت ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م).
 - ٣- تحفة المجاهدين في العمل بالميادين، ميكروفيلم مصور بمعهد المخطوطات العربية رقم من ١١-١٦ فنون حربية. مجهول (يشك في نسبه إلي الطرابلسي).
 - ٤- الفروسية يرسم الجهاد، وما أعد الله للمجاهدين من العباد، ميكروفيلم مصور برقم ٣٧ ، فنون حربية ، معهد المخطوطات العربية.
 - ابن منكلي : (محمد بن محمود منكلي الناصري، ت ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م).
 - ٥- الأكلة الرسمية في التعابي الحربية، ميكروفيلم مصور بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ١ فنون حربية.

ثالثاً : المصادر العربية:

- ١- القرآن الكريم. ابن عباس : (أبو البركات محمد أحمد، ت . ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م). بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م. ابن تغري بردي: (جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م).
- ٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق د. جمال محمد محرز، فهميم محمد شلتوت، ج ١٤، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- ٣- منتخبات من حوادث الدهور في مدي الأيام والشهور، نشرها وليم بير، كاليفورنيا، ١٩٣١م. ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد المغربي ، ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م).

- ٤ - العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- الرشيدي : (عبد الله بن محمد بن محمد الرشيدي، ت ٨٠١-٨١٤هـ/١٣٩٩-١٤١١م).
- ٥ - تفريج الكروب في تدبير الحروب، نشر وتحقيق جورج سكانلون، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٦١م. الزردكاش : (ابن أرنبغا، ت ٨٦٧هـ/١٤٦٣م).
- ٦ - الأنيق في المجانيق، تحقيق إحسان هندي، منشورات جامعة حلب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. مخطوطة مصورة علي ميكرو فيلم بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٤/ فنون حربية.
- ابن زنبيل : (أحمد بن الحسن علي بن أحمد نور الدين المحلي، ت ٩٦٠هـ/١٥٥٣م)
- ٧ - آخرة المماليك، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٢م.
- السخاوي : (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المصري الشافعي، ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م).
- ٨ - التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣١٥هـ.
- أبن الشحنة : (محب الدين أبي الوليد محمد بن كمال الدين، ت ٨١٥هـ/١٤١٢م).
- ٩ - البدر الزاهر في نصره الملك الناصر محمد بن قايטباي، تحقيق د. عمر التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ابن شداد : (بهاء الدين يوسف بن رافع، ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)
- ١٠ - النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ابن عبد الظاهر : (محيي الدين عبد الله الجذامي المصري، ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م)
- ١١ - تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق د. مراد كامل، القاهرة، ١٩٦١م .
- عرب فقيه : (شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان الجيزاني، الشهير بعرب فقيه، عاش في القرن السادس عشر الميلادي) .
- ١٢ - تحفة الزمان وفتوح الحبشة، نشره رينيه باسية، تحقيق محمد شلتوت ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- العمرى : (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ، ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) .
- ١٣ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الرابع، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزيمة و يوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- العيني : (بدر الدين محمود بن أحمد، ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م).

- ١٤- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ابن الفرات: (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م).
- ١٥- تاريخ الدول والملوك، تحقيق قسطنطين زريق، طبعة بيروت، ١٩٤٢م.
- القلقشندي: (شهاب الدين أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م).
- ١٦- صبح الأعشى في صناعة الأنشا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٤ جزء، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- المقرئى: (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م).
- ١٧- الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التأليف، القاهرة، ١٩٥٨م.
- ١٨- السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الثاني، نشره محمد مصطفى زيادة، مكتبة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٩، الأجزاء ٣-٤ تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٣، ١٩٧٠م.
- ١٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار في مصر والقاهرة والنيل وما يتعلق بها من الأخبار (المعروف بالخطط المقرئية)، دار صادر، بيروت (بدون تاريخ)، الهرثمي: (أبو سعيد الشعراني، ت ٢٣٤هـ / ٨٤٨م).
- ٢٠- مختصر سياسة الحروب، تحقيق، عبد الرؤوف عون، المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ابن واصل: (محمد بن سالم، ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م).
- ٢١- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الأجزاء من ١-٣ تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٣-١٩٦٠م.

رابعاً : المراجع العربية والمعرية:

- (١) إبراهيم على طرخان : النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٨م.
- (٢) مصر في عهد دولة المماليك الجراكسة ١٣٨٢-١٥١٧م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.
- (٣) أحمد دراج : المماليك والإفرنج في القرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦١م .
- (٤) أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار السلاسل، الكويت، ١٩٨٦م.
- (٥) أحمد مختار العبادي : تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٩٥م.
- (٦) أسمت غنيم : الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعة، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٠م.

- (٧) السيد الباز العريني : الفروسية في مصر في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠-١٥١٧م)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت. (د.ت)
- (٨) بولس مسعد : الحبشة في منقلب تاريخها، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٥م.
- (٩) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي، تقديم د. حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة (د. ت).
- (١٠) حامد عمار : العلاقات بين مصر والدول الإفريقية في العصور الوسطى، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.
- (١١) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٤م.
- (١٢) ريتشارد هول : إمبراطوريات الرياح الموسمية، ترجمة كامل يوسف حسين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- (١٣) رجب محمد عبد الحليم : العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- (١٤) العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية حتى قدوم البرتغاليين، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٩م.
- (١٥) سعيد عبد الفتاح عاشور : الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٣م.
- (١٦) العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.
- (١٧) سهير محمد إبراهيم نعينع : الحروب الصليبية المتأخرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- (١٨) صلاح الدين محمد نوار : الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحرية (٦٨٥-٧٨٣هـ/ ١٢٦٠-١٣٨١م) ، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٦م.
- (١٩) عبد الرعوف عون : الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦١م.
- (٢٠) عبد الرحمن زكي : السلاح في الإسلام، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، دار المعارف، مصر، ١٩٥١م.
- (٢١) — : الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، دار مطبعة يوسف، القاهرة، ١٩٦٥م.
- (٢٢) فتحي غيث: الإسلام والحبشة عبر التاريخ، دار النهضة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ.
- (٢٣) قاسم عبد قاسم، علي السيد علي : الأيوبيون والمماليك (التاريخ السياسي والعسكري) عين للدراسات والبحوث الإنسانية، الجيزة، د. ت.
- (٢٤) كلاوزفيتير : عن الحرب، تحقيق سليم الأمامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧م.

- (٢٥) ماير : الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، مراجعة وتقديم، عبد الرحمن فهمي محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٢م.
- (٢٦) محمود شيت خطاب: العسكرية العربية الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣م.
- (٢٧) محمود نديم أحمد فهمي : الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري (٦٤٨-٧٨٣هـ / ١٢٥٠-١٣٨٣م) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م.
- (٢٨) مراد كامل : في بلاد النجاشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٩م.
- (٢٩) مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الأسلحة الإسلامية، السيوف والدروع، معرض مقام في قاعة الفن الإسلامي، ١٤١١هـ.
- (٣٠) نبيل محمد عبد العزيز : الخيل ورياضيتها في عصر سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م.
- (٣١) وفاء محمد علي : جهود المماليك الحربية ضد الصليبية والمغول، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

خامساً: المراجع الأجنبية

- 1) **Ayalon, David** : Gun Powder and fire Arms in the Mamluk Kingdom, London, 1956.
- 2) **Budge (E . A . W)** : A History Of Ethiopia , Nubia & Abyssinia , London ,1928 .
- 3) **C.H.Walker,O.B.E:** The Abyssinian at Home, London,1933.
- 4) **Donald Crummey** : Land and Society in the Christian Kingdom of Ethiopia, university of Illino, press, 2000.
- 5) **Edward Ullendorff** : The Ethiopians an introduction to country and people , London, oxford university ,Press Newyork.toronto,1965 .
- 6) **Francisco Alvarez** : The Prester John of the Indies translated by C.F. Beckingham and G.W.B Huntingford , Cambridge ; Hakluyt Society, 1961.
- 7) **Harold G.Marcus** : A History of Ethiopia , unversity of California, press,2002
- 8) **Jones and Elizabeth Monroe** : A history of Ethiopia , oxford university, at the clarendon press,1974 .

- 9) **K .Ingham** : Foreign Relation Of African States, Butterworths ,London ,1974.
- 10) **L. Dudley Stamp** : Africa Astudy In Tropical Development , John Wiley , sons, 1nc,New york,1948.
- 11) **Merid Wolde Aregay** : Southern Ethiopia and The Christian Kingdom, 1508-1708,With Special Reference to The Galla Migrations and Their Consequences ,London, 1971.
- 12) **Mordechai Abir**: Ethiopia and The Red Sea The Rise and Decline Of The Solomonic Dynasty and Muslim – European Rivalry in the Region, Gainsborough House, London, E11.Rs, England, 1980
- 13) **O.G.S.Cra Wford** : Ethiopians itineraries Circa 1400 1524, Cambridge,1985.
- 14) **Paul B . Henze** : Layers Of Time A history Of Ethiopia , Hurst , Company, London , 2000
- 15) **Richard Pankhurst** : The Ethiopians , Blackwell, Cambridge , London ,1968
- 16) **Roland Oliver Anthony Atmore** : Medieval Africa,1250-
- 17) **Taddesse Tamrat** : Church and State in Ethiopia (1270- 1527), Oxford, Clarendon press, 1972.
- 18) **Thomas P. Ofcansky and Laverle Berry** : Ethiopia A Country Study, Federal Research Division Library of Congress,2004.
- 19) **Trimingham J S** : Islam In Ethiopia , oxford, 1952.

سادساً : الرسائل العلمية

- (١) السيد فؤاد شكر الله : لبنا دنجل إمبراطور أثيوبيا، دبلوم غير منشور بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، ١٩٦١م.
- (٢) جرجس فام ميخائيل: السلطان جمقمق وحاله مصر في عصره (١٤٣٨- ١٤٥٣م) رسالة ماجستير غير منشورة بآداب القاهرة، ١٩٦٩م.

- (٣) **سوزى أباطة محمد حسن:** السودانىون فى جيش مصر الإسلامىة حتى سقوط الدولة الفاطمىة ودورهم فى الحىاة السىاسىة والاقتصادىة والاجتماعىة، رسالة ماجستىر غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الأفرىقىة، القاهرة، ١٩٨٩م.
- (٤) **صلاح الدىن كامل السىد:** أسس تحدىد وتحدىث مبادئ الحرب لدى المدارس العسكرىة التقلدىة والإسلامىة وتعىن أنسبها للقوات المسلحة المصرىة- دراسة مقارنه، رسالة دكتوراه غير منشوره، أكادىمىة ناصر للعلوم العسكرىة، ١٩٩٦م.
- (٥) **محمد أحمد محمد على بهنساوى :** السلطة والمجتمع الحبشى فى عهد الأسرة السلىمانىة (٨٣٨-٩٤٧هـ/١٤٣٤-١٥٤١م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفرىقىة، جامعة القاهرة، ٢٠١٢م.
- (٦) **مجدى عبد الرازق سلىمان :** النص الملكى فى تأرىخ الحبشة خلال عصرى الإمبراطورىن زره يعقوب (١٤٣٤-١٤٦٨) وابنه بئد مارىام (١٤٦٨-١٤٧٨) ترجمة ودراسة تحلىلىة، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلىة الآداب- جامعة القاهرة، ١٩٩٨م.
- (٧) **منال عبد الفتاح محمود عبد الله :** النص الملكى فى تأرىخ الحبشة فى عصر الإمبراطور جلاودىوس (١٥٤٠-١٥٥٩م) ترجمة ودراسة تحلىلىة، رسالة ماجستىر غير منشورة - كلىة الآداب - جامعة القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .
- (٨) **منى إبراهىم عبد الرحمن:** السفارات الأجنبىة فى مصر على عصر سلاطىن الممالىك، رسالة ماجستىر غير منشورة بآداب القاهرة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

سابعاً : الدورىات العربىة :

- (١) **إبراهىم على طرخان :** الإسلام والممالك الإسلامىة بالحبشة فى العصور الوسطى، بحث بالمجلة التأرىخىة المصرىة، القاهرة، المجلد الثامن، ١٩٥٩.
- (٢) **رغد الرفاعى :** البارود والبندقىة، السلاح النارى الأول، مجلة الدفاع الخلىجى، العدد الثانى، يناير ١٩٩٣م.
- (٣) **زاهر رىاض :** الشفتا فى أثىوبىا فى العصور الوسطى وأثرهم فى تأرىخ البلاد السىاسى والاقتصادى، بحث فى مجلة كلىة الآداب جامعة القاهرة، المجلد ١٩، العدد الثانى، دىسمبر، ١٩٥٧، طبعة ١٩٦١م.

- (٤) **سعد الغامد** : الياسا، مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية، مجلد ١٩٩٢، ٣٧م.
- (٥) **سعيد عبد الفتاح عاشور** : بعض أضواء جديدة علي العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطي، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، العدد الثاني، مايو ١٩٥٢م.
- (٦) **قاسم عبده قاسم** : علاقة مصر بالحبشة في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠-١٥١٧م) ندوة العرب في أفريقيا، الجذور التاريخية والواقع المعاصر، دار الثقافة العربية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- (٧) **محمد مصطفى زيادة** : نهاية السلاطين المماليك في مصر، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، مايو ١٩٥١م .
- (٨) **مصطفى نجيب** : الاستعدادات العسكرية للسلطنة المملوكية في عهد السلطان الغوري (١٥٠١-١٥١٦م) مجلة كلية الآثار، العدد ٤، القاهرة.

ثامناً : الدوريات الأجنبية:

- 1) **Andrew Ethenkreutz** : Strategic Implications of the State Trade between Geneoa and Mamluk Egypt in the Second Half of the Thirteenth Century, in : A.L.Udawitch (ed) . The Islamic Middle East, 700-1900, Studies in Economic and Social History, The Darwin Press, Princeton, 1981.
- 2) **Huntingford G.W.B.**: The Wealth of the kings and the end of the zague dynasty , in Bulletin of the school of Oriental and African Studies, Vol.XXVIII, London, 1965.
- 3) **Paul E.le Roy** : Slavery In The Horn Of Africa . " Horn Of Africa" , Vol 2 , N3 (July , September 1979).

الأوقاف وأثرها في المجتمع الكويتي

(١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م - ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م)

د. عايد عتيق جريد

المقدمة:

مثلت الأوقاف الكويتية عصباً ورافداً من أهم الروافد المالية؛ التي ساهمت في سد الاحتياجات الرئيسية للمجتمع الكويتي، قبل توفر الموارد المالية، حتى أواخر الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي، وتأتي أهمية الدراسة كونها تبرز دور الأوقاف في توفير الاحتياجات الأساسية للمجتمع، وتوثيق الترابط الاجتماعي والأسري بينهم، بالإضافة إلى دورها في بناء وإعمار المساجد والإنفاق على العاملين فيها.

وانطلاقاً مما سبق؛ فإن هذه الدراسة تهدف إلى بيان إسهامات الأوقاف في المجتمع الكويتي خلال الفترة ما بين عامي ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م - ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م، مع معرفة موقف النظام السياسي منها، بالإضافة إلى معرفة تأسيس (دائرة الأوقاف العامة) في ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م ودورها.

لقد تناولت هذه الدراسة في التمهيد: نشأة وتعريف الوقف، مع التطرق إلى ملامح من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الكويت، ثم تطرقت الدراسة إلى دور الأوقاف في المجتمع الكويتي، في الفترة ما بين عامي ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م - ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م، ثم تطرقت إلى تأسيس (دائرة الأوقاف العامة) ودورها، وأخيراً جاءت الخاتمة لترصد أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

التمهيد:

يُعد الوقف الإسلامي من أعظم صور الأعمال الخيرية؛ التي تسهم في بث روح التعاون والمحبة والتكافل والمواخاة بين أفراد المجتمع، وانطلاقاً من قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لعمر - رضي الله عنه - (احبس أصلها وسبل ثمرتها)، يكون معنى الوقف هو: عدم التصرف في الأصل الموقوف، والتصرف في عوائده واستثماراته في

مجالات البر والإحسان، وتسهيل المنفعة أو الثمرة، ومن الآيات الكريمة الداعية إلى استحسانه، قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢) ^(١). وتطبيقاً لما حث عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - من الوقف على أعمال البر والخير، فقد أسس أول مسجد في الإسلام (مسجد قباء) ليصبح أول وقف في الإسلام، ثم (المسجد النبوي)، بناه وأوقفه للعبادة، واقتدى الصحابة الأجلاء بالنبي - صلى الله عليه وسلم - ^(٢)، فأوقف عثمان رضي الله عنه من أمواله، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه تصدق بأرضه (ينبع) ^(٣) حبساً وصدقة على الفقراء والمساكين ^(٤).

وينقسم الوقف إلى ثلاثة أنواع هي: الوقف الأهلي (الذري) وهو ما جعلت فيه المنفعة لأفراد معينين أو لذريتهم، سواء من الأقرباء أو من الذرية أو غيرهم، وقد يشترط الواقف فيه أن يؤول إلى جهة بر بعد انقطاع الموقوف عليهم، و(الوقف الخيري) وهو ما جعلت فيه المنفعة لجهة بر أو أكثر، وكل ما يكون الإنفاق عليه قربة لله تعالى ^(٥)، و(الوقف المشترك) وهو يجمع بين الوقف (الأهلي) و(الخيري)، وقد يتم الجمع ابتداءً، كمن يوقف أمواله على ذريته من بعده، مع تحديد سهم معين كالثلث الموقوف لجهة خيرية ^(٦).

-
- (١) عبد الرحمن الجويبر: الأوقاف الإسلامية ودورها الحضاري الماضي والحاضر والمستقبل، ط٢، ص٢٥.
- (٢) بعد أن أقر النبي عليه الصلاة والسلام لعمر ولأبي طلحة رضي الله عنهما؛ بوقف ممتلكاتهما لأعمال البر والخير، سارع الصحابة في الوقف، للمزيد عبد الرحمن الجويبر: المرجع السابق، ص ٢٨-٢٩.
- (٣) بلغ قطاف نخل أرض (ينبع) في عهده رضي الله عنه حمل ألف بعير، للمزيد انظر عبد الرحمن الجويبر: المرجع السابق، ص ٢٥.
- (٤) عبد الرحمن الجويبر: المرجع السابق، ص ٢٧-٢٩.
- (٥) أطلس الأوقاف: الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، ط١، ص ٢٦.
- (٦) محمد الزحيلي: الوقف الإسلامي تعريف عام بأحكامه ومستجداته المعاصرة، ط١، ص ٢٧.

أما عن تاريخ وأهم ملامح الوقف في الكويت؛ فقد شهدت الفترة ما بين عامي ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م - ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م، والتي تولى فيها الحكم الشيخ سالم مبارك الصباح (١٩١٧ - ١٩٢١م) ثم الشيخ أحمد الجابر الصباح (١٩٢١ - ١٩٥٠م)، تطوراً ملحوظاً في الأوقاف، والتي أسهمت بإيجابية في توفير احتياجات المجتمع ومتطلباته المهمة.

وقبل التطرق إلى موضوعنا الرئيس: نتعرف على بعض ملامح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالكويت، في النصف الأول من القرن العشرين، أما عن الأوضاع الاقتصادية: فقد ازدهرت تجارة اللؤلؤ، واعتبرت من أهم الموارد^(٧) المالية^(٨)، حيث بلغ عائد الغوص في أوائل القرن العشرين ستة ملايين روبية، بما يقارب ٤٠٠ ألف جنيه إسترليني، وكان الغوص يمثل النشاط الرئيس للسكان^(٩).

أما عن الأوضاع الاجتماعية: فكانت قيم الإسلام تسود المجتمع كالتعاون والتآخي، وخير مثال على ذلك: أن أهل البادية كانت لهم سابلتهم^(١٠) المستمرة مع أهل المدينة^(١١)، فكانت الكلمة هي العقد بينهم، وهذا ما وصفه لويس أسكدر^(١٢) حين قال: " إن روح التعاون ساعدت على تماسك المجتمع الكويتي وانتعاشه، بل كان التعاون بمنزلة الروح العظيمة لهذا المجتمع الصغير"^(١٣).

(٧) إيرادات إدارة الجمارك كانت من الموارد المالية الرئيسية للكويت، والتي أنشأها الشيخ مبارك عام ١٨٩٩م، ج.ج. سلدانها: التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك، ص ٢٧٧.

(٨) س. ستانلي ج. ماليري: الكويت قبل النفط، ترجمة وتقديم: محمد الرميحي، ط ٢، ص ٤٧-٤٨.

(٩) يوسف القناعي: صفحات من تاريخ الكويت، ص ٧١.

(١٠) المسابلة: عرض كل من أهل المدينة وسكان الصحراء لبضائعهم، ويحدث تبادل تجاري بين الطرفين، وكانت تتم صيف شتاء، للمزيد انظر يوسف القناعي: صفحات من تاريخ الكويت، ص ٨٨.

(١١) يوسف القناعي: المرجع السابق، ص ٨٨.

(١٢) لويس أسكدر ابن أول طبيب بالكويت، للمزيد انظر صحيفة الأنباء: سعاد راضي، حديث الذكريات، الكويت، العدد ٦٩٨٦، ٢٤ أكتوبر ١٩٩٥م، ص ٩.

(١٣) صحيفة الأنباء: سعاد راضي، حديث الذكريات، العدد ٦٩٨٦، ٢٤ أكتوبر ١٩٩٥م، ص ٩.

والمتمأمل في الوقف بالكويت يدرك أن أهل الكويت قد جلبوا على البر منذ القدم، ف جاء الوقف ليعبر عن سمة من سمات المجتمع، وللدلالة على ذلك ما ذكره خليفة بن حمد النبهاني في كتابه (التحفة النبهانية) أنه اطلع على ورقة (حجة شرعية) مكتوب فيها أن (مسجد ابن بحر)^(١٤) المبني في عام ١٦٧٠م، قد جدد بناءه عبد الله بن علي بن سعيد البحر، عام ١١٥٨ هـ ١٧٤٥م، بعد أن حصل من قاضي الكويت على الإذن ببيع دار كانت موقوفة على المسجد^(١٥) لينفق ثمنها على تجديده^(١٦).

بصورة عامة قد بينا بعضاً من ملامح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الكويتي، أما عن الوقف فقد تولى توثيقه^(١٧) القضاة الشرعيون^(١٨) منهم الشيخ محمد^(١٩) بن عبد الله العدساني^(٢٠)، حتى عام ١٩١٩م^(٢١)، وكان من أبرز مجالاته: أوقاف

(١٤) ذكر عبد العزيز الرشيد أنه لما ثبت لدى القاضي خراب مسجد ابن بحر وخطورة تهدمه على المصلين، أذن ببيع الدار ليصرف ثمنها على تعمير المسجد، فبيعت بثلاثين قرشاً (القرش في ذلك الوقت يساوي مائة فلس من العملة الكويتية)، للمزيد انظر عبد الله الحاتم: من هنا بدأت الكويت، ط٣، ص ١٤.

(١٥) يقع مسجد (ابن بحر) قرب قصر السيف، وسمي فيما بعد (مسجد ابن بحر الفضة) للتفريق بينه وبين مسجد البحر الذي يقع قرب سوق الفضة، وسمي فيما بعد أيضاً مسجد إبراهيم، وكذلك مسجد الأبهية، وقد هدم، للمزيد انظر صحيفة القبس: فرحان الفرخان، العدد ١٤٨٥٤، ٩ أكتوبر ٢٠١٤م.

(١٦) أطلس الأوقاف: الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، ط١، ص ٢٦.

(١٧) من أبرز الذين تولوا توثيق الوقف الشيخ محمد بن عبد الله العدساني في الفترة ما بين عامي (١٢٧٤ هـ ١٨٥٧ م) إلى (١٣٣٨ هـ ١٩١٩ م)، للمزيد انظر عبد الله الحاتم: من هنا بدأت الكويت، ص ٢٠٥.

(١٨) كانت الحجج الوقفية تتم على يد القضاة الشرعيين، الذين تميزوا بغزارة علمهم، للمزيد انظر أطلس الأوقاف: المرجع السابق، ص ١٣٢.

(١٩) كانت وثائق الوقف الشرعية تعرف باسم (الوثائق العدسانية) نسبة لعائلة العدساني، للمزيد انظر عادل العبد المغني: وثائق الوقف الكويتية، ط١، الكويت، ٢٠٠٧م، ص ١٢.

(٢٠) عبد الله الحاتم: من هنا بدأت الكويت، ط٣، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٢١) عادل العبد المغني: وثائق الوقف الكويتية، ط١، الكويت، ٢٠٠٧م، ص ١٣.

المساجد^(٢٢)، والوقف على عموم الخيرات، والوقف على الإطعام (أوقاف العشيات)، والوقف على الأضاحي، والوقف على الفقراء والمساكين، والوقف على تغسيل الموتى وتجهيزهم ودفنهم^(٢٣)، ووقف آبار المياه، ووقف دكاكين الأسواق والبيوت السكنية.

الأوقاف وأثرها في المجتمع الكويتي ١٣٣٥هـ ١٩١٧م - ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م:

لقد تنوعت أدوار الوقف في المجتمع الكويتي، مع بداية حكم الشيخ سالم المبارك الصباح، في عام ١٣٣٥هـ ١٩١٧م، الذي كان من أهم أعماله تطهير البلد من الفسق^(٢٤)، وكان من بين هذه الأدوار الجليلة التي كان يقدمها الوقف (وقف سقي الماء)، الذي يُعد من أهم أنواع الوقف، لارتباطه بأهم عناصر الحياة، وهو النعمة العظمى التي أنعم الله علينا بها، فقد ورد ذكر الماء في القرآن الكريم والحديث الشريف عدة مرات، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠)، أي كل شيء موجود أصله من الماء^(٢٥).

من هنا كانت (أوقاف سقيا الماء) من أهم الأوقاف في المجتمع الكويتي آنذاك، نظراً لما كانت تعانيه الكويت من شح المياه، وقلة الموارد المالية، حتى منتصف القرن العشرين^(٢٦)، فلم تكن قبل تصدير النفط، في عام ١٩٤٦م، قادرة على بناء محطات لتقطير وتحلية مياه البحر، فكانت أزمة المياه تشكل أكبر التحديات التي واجهها الشعب

(٢٢) سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩م: الأمانة العامة للأوقاف، ج ٢، ط ٢، ص ٣١.

(٢٣) أطلس الأوقاف: المرجع السابق، ص ٢٦ - ٢٨.

(٢٤) عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، ص ٣٢٠-٣٢٣.

(٢٥) السيد معين الدين الشافعي: جامع البيان في تفسير القرآن، قدم له وراجعته: صلاح الدين مقبول

أحمد، ط ١، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، ص ٦٠١.

(٢٦) بعد اعتماد الكويت على النفط كمورد مالي بعد عام ١٩٤٦م تم بناء أول محطة تقطير (ميناء

الأحمدي) في عام ١٩٥٠م، للمزيد انظر مجلة الكويتي: مياه الكويت، شركة نفط الكويت المحدودة،

العدد ٤٦٥، ١٦ يناير ١٩٧١م، ص ٧.

والنظام السياسي، إلا أن الخيريين ساهموا في تخفيف حدة هذه الأزمة، وذلك استرشاداً بحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أنس: أن سعداً أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله! إن أمي توفيت ولم توص أفينفعها أن أتصدق عنها؟ قال: " نعم، وعليك بالماء " (٢٧).

والجدير بالذكر: أن التاريخي الإسلامي يحفل بالكثير من الشخصيات (٢٨) التي كانت لها إسهاماتها البارزة في مجال الأمن المائي، الذي يعتبر من أهم الأولويات التي تهتم بها الشعوب، فكان من أبرز هذه الإسهامات حادث شراء (بئر رومة)، التي كانت لرجل من قبيلة مزينة، ثم باعها لرومة الغفاري، ولم يكن بالمدينة المنورة ماء يستعذب غير مائها، ولهذا كان مالكا يبيع منها القرية بمد تمر نبوي، وقد سأل الرسول - صلى الله عليه وسلم - (رومة) أن يبيعها للمسلمين بقوله - صلى الله عليه وسلم - : بعنيها بعين في الجنة، فقال له الرجل: يا رسول الله ليس لي وعيالي غيرها، ولا أستطيع ذلك، فبلغ هذا الخبر عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، فاشتراها منه على دفعتين: الأولى بخمسة وثلاثين ألف درهم، واتفق مع صاحب البئر على أن يكون له يوم ولصاحب البئر يوم، فإذا كان يوم عثمان استسقى المسلمون ما يكفيهم يومين، ثم اشترى الدفعة الثانية بثمانية آلاف درهم، وجعلها كلها وقفاً على المسلمين (٢٩).

(٢٧) محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة محمد ناصر الدين الألباني. ط ٢. اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، ص ٣٣٦-٣٣٧.

(٢٨) يحفل التاريخ الإسلامي بأسماء الكثير من الشخصيات التي كانت لها إسهامات بارزة في مجال الأمن المائي، مثل: أبي جعفر محمد علي بن أبي منصور، المعروف بالجواد الأصبهاني، وزير صاحب الموصل الأيوبي، فقد بنى وأوقف الكثير من الأسبلة في مكة، واختط صهاريج الماء، ووضع الجباب في طرق الحج لتجميع ماء المطر فيها، للمزيد انظر مجلة الوعي الإسلامي: محمد عبد القادر الفقي، دور الوقف الإسلامي في التنمية وحماية البيئة، العدد ٥٣٢، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ٣ سبتمبر ٢٠١٠ م.

(٢٩) مجلة الوعي الإسلامي: محمد عبد القادر الفقي، دور الوقف الإسلامي في التنمية وحماية البيئة، العدد ٥٣٢، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ٣ سبتمبر ٢٠١٠ م.

أما عن أوقاف سقيا الماء في الكويت؛ فقد بادر الخيرون بوقف أموالهم على حفر الآبار وتسجيلها للناس، وكان من أبرز هذه الأوقاف (أوقاف عبد العزيز محمد الدعيج) التي خصصها لسبيل الماء الذي أنشأه لإرواء الظمأى دون توقف، وفقاً لما حدده في وصيته^(٣٠) الموثقة عام ١٣٣٨ هـ ١٩١٩ م^(٣١).

ونشير هنا إلى أن عبد العزيز محمد الدعيج يعتبر من المؤسسين الأوائل لسبيل الماء في الكويت عام ١٣٠٠ هـ ١٨٨٢ م، وقد جعل سبيل الماء مورداً لسد حاجة الفقراء والمحتاجين من مياه الشرب، حيث اشترى آبار ماء في (منطقة الشامية)، لتزويد هذا السبيل بالمياه، كما اشترى عدداً كبيراً من الجمال (الإبل) خصصها لنقل المياه يومياً من (الشامية) إلى السبيل في حي الدعيج^(٣٢).

يقول ابنه عبد الرحمن الدعيج: "كانت الجمال تنقل المياه من الآبار الموجودة في (منطقة الشامية)، وكانت عملية نقل المياه تتم على فترتين: صباحية ومساءية"^(٣٣).

لقد أثنى الحاكم الشيخ سالم المبارك الصباح على الدعيج، حين قال: "إن هذا الرجل يعمل للكويت بشكل يفوق عمل الكثيرين من أمثاله التجار في الكويت"، وذلك بعد مشاهدته للجمال المحملة للماء يومياً، من مقر له يطل على بوابة الشامية^(٣٤).

بعد فترة من الزمن: تمت توسعة السبيل الرئيسي على نفقة الوقف (الوصية)، وأنشئت عدة فروع في أماكن متفرقة من الكويت، ومن ريع (أوقاف الدعيج) أيضاً يقوم نظار الوقف بالإنفاق على الأقارب والفقراء والمحتاجين^(٣٥).

^(٣٠) انظر إلى ملحق رقم (١)، الخاص في وصية عبد العزيز الدعيج ١٣٣٨ هـ ١٩١٩ م.

^(٣١) أبرز الشاهدين في وثيقة الوقف حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر الصباح والشيخ عبد الله الجابر الصباح وهلال فجحان المطيري وحمد الخالد الخضير وشمعان بن علي آل سيف، وقام بتوثيقها الشيخ عبد الله خلف الدحيان، للمزيد انظر محسنون من بلدي: ص ٢٧٣.

^(٣٢) محسنون من بلدي: بيت الزكاة الكويتي، ط ١ المجلد ١، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤ م، ص ٢٧٣-٢٧٨.

^(٣٣) صحيفة القبس: أحمد شمس الدين، وثيقة للتاريخ قبل ١٠٠ عام، ١ أبريل ٢٠٠٩ م.

^(٣٤) محسنون من بلدي: المرجع السابق، ص ٢٧٤-٢٧٥.

^(٣٥) محسنون من بلدي: المرجع السابق، ص ٢٧٩-٢٨٠.

ظل عبد العزيز الدعيج ينفق في سبيل الله، ويتصدق على الفقراء، ويعين المحتاجين، ويصلح بين الناس، حتى توفي ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م^(٣٦)، وما يزال سبيل الماء الذي أوقفه قائماً، حتى وقتنا هذا، في سكة ابن دعيج^(٣٧)، حيث تفرع منه بما يقارب سبعة سبيل في كل أرجاء الكويت.

وعن سبيل عبد العزيز الدعيج: زودني ابنه عبد الرحمن ببعض الوثائق والمستندات الرسمية الخاصة بوثائق وقف الدعيج، ففي إحدى المستندات الصادرة من وزارة العدل الكويتية (المحكمة الشرعية) بتاريخ ١٦ جماد الثاني ١٣٨٠ هـ ٥ ديسمبر ١٩٦٠ م، جاء فيها أن ناظر الوقف صالح عبد العزيز الدعيج: أقام أخاه عبد الرحمن ناظراً على وقف والده، وأن يقوم بإيجاد ماء للسقاية والتسبيل؛ في أي مكان يراه مناسباً^(٣٨).

من الملاحظ أن أبناء عبد العزيز الدعيج كانوا حريصين على استمرار هذا العمل الخيري، وكان هذا سبباً في نجاح وتميز (سبيل الدعيج) إلى وقتنا هذا.

وكان للحاج يوسف العبد الهادي الميلم^(٣٩) أيضاً دور في التخفيف من حدة نقص المياه، ففي غرة صفر ١٣٦٦ هـ ١٩٤٢ م، اشترى أرضاً واسعة في (منطقة الشامية) بثمان وقدره ٢٢٠ روبية، بما يقارب ١٤ جنيهاً إسترلينياً، وكانت هذه الأرض عبارة عن مجموعة من آبار المياه الصالحة للشرب، والتي كانت تمثل آنذاك أحد أهم الموارد المائية، فقد أوقف الميلم تلك الأرض ليكون ثوابها لأخته ولأبيه، كما أراد بهذا الوقف والتسبيل ثواب الله^(٤٠).

وفي هذا المجال أيضاً كان للمرأة الكويتية دور في تسبيل المياه، ومن أبرزهم كانت: شريفة بنت جبر الغانم، التي أوقفت، في عام ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م، بيتاً في (منطقة شرق) لأعمال بر وخير، من أضحاي في كل سنة، لها ولوالديها و (تسبيل الماء) والإطعام^(٤١).

(٣٦) صحيفة الراي: سعود الديحاني، حديث الذكريات، العدد ١١٢٦٧، ٧ مايو ٢٠١٠ م، ص ١٨.

(٣٧) صحيفة القيس: أحمد شمس الدين، وثيقة للتاريخ قبل ١٠٠ عام، ١ أبريل ٢٠٠٩ م.

(٣٨) وزارة العدل: اعلام رسمي، رقم ٤٨٤، الكويت، ١٦ جماد الثاني ١٣٨٠ هـ ٥ ديسمبر ١٩٦٠ م.

(٣٩) انظر إلى ملحق رقم (٢)، الخاص بوثيقة وقف آبار يوسف العبد الهادي الميلم.

(٤٠) عادل العبد المغني: المرجع السابق، ص ٤٨.

(٤١) إيمان محمد الحميدان: المرأة والوقف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م، ص ٥٥.

ومن هنا يتضح دور الدعيج والميلم والغانم في توفير احتياجات المجتمع الكويتي من المياه، وذلك في ظل عدم استطاعة الإمارة إقامة مشروعات خاصة بتوفير المياه الصالحة للشرب. إلى جانب دور الوقف في التصدي لمشكلة نقص المياه والتخفيف عن غير القادرين، كان للوقف دور كبير في إعانة الفقراء والمعوزين، وتوفير الضروريات الأساسية لهم، كما كان له دور كبير في الترابط الاجتماعي والأسري في المجتمع، منها على سبيل المثال (وقف أحمد إبراهيم الوزان) في ٢ من شوال ١٣٣٥ هـ ٢١ يوليو ١٩١٧ م، والذي أوقف بيتاً وثلاثاً خبيراً ودكان وبيت، واشترط الواقف أن يكون الوقف على الذرية من أبنائه، وثلاث خيري للكفن والغسل والقبر، وما إلى ذلك من أعمال يعملها الحي للميت^(٤٢).

ومن الأوقاف التي ساهمت في إعانة الذرية والفقراء أيضاً (وقف راشد البدي) في ١٩ من ذي القعدة ١٣٣٩ هـ ٢٥ يوليو ١٩٢١ م، الذي أوقف بيته، وأوقفه على رأسه مدة حياته، ومن بعده على ذريته وذرية ذريته، يطعمون له ويضحون في كل سنة^(٤٣).

كان المحسنون دقيقين في وضع شروط الوقف، حتى يتحقق هدفهم الخيري ليستفاد منه الكثير، فهذا حمد بن علي بن حمد، الذي أوقف بين عامي ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م - ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م، داراً صغيراً وداراً كبيراً في (محلة العتيقي)، قد وضع شروطاً دقيقة، بأن تكون الدار الصغيرة على ابنه وعلى ذريته ما تناسلوا، ومن انتفع بالوقف يعمل أضحية لجده، كما كان من بين الشروط: أن تكون الدار الكبرى على ابنه عبد الله وإخوته الأشقاء الذكور لا الإناث، ثم على أولادهم ما تناسلوا وتعاقبوا، وجعل فيها ثلاث أضاحٍ له ولأمه، وواحدة لأبيه علي، وجعل لمن احتاج من بناته السكن مع إخوانهم فليسكنوا، كما أوصى بأن يخرج من ثلثه مئة ريال نمساوي^(٤٤) لأخته لطيفة، ينفقها عليها

^(٤٢) سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩ م: الأمانة العامة للأوقاف، ج ٢، ط ٢، ص ٥٣.

^(٤٣) سجل العطاء من عام ١٨٢١-١٨٩٩ م: الأمانة العامة للأوقاف، ج ١، ط ٢، ص ٦٨.

^(٤٤) الريال: هو ريال نمساوي أو ريال الملكة تريزا أو يطلق عليه ريال فرنسي وهو من الفضة، يزن ما يقارب من ٢٧,٨ غرام ويعادل نحو روبيتين ونصف الروبية (فضة) وزناً وكقيمة شرائية يعتبر أكبر عملة

ابنه علي حسب حاجتها، وأوصى أن يخرج ٤٠ ريال لأخيه عبد العزيز، وأخيه عثمان ٣٠ ريال، ولأخيه يوسف ٣٠ ريال، وأن يخرج لخاله و ١٠ ريالات لإبن خاله و ١٠ ريالات لبنت خاله، وإذا زاد من الثلث؛ فيصرف في وجوه البر من إطعام جائع وكسوة عار^(٤٥).

كذلك حرص المحسنون على أن يوقفوا أملاكهم في الخارج، فهذا غانم بن جبر الغانم: أوصى في ٧ جماد أول ١٣٥٣ هـ ١٧ أغسطس ١٩٣٤ م، بثلث من أرضه الواقعة في الدواسر، وهي مضافة من مضافات البصرة في العراق، والمزروعة بالنخيل والأشجار، المسماة بباب الهواء، الغنية بشهرتها عن التحديد، كما أوصى بالمكان الكائن في بلدية الكويت: أن يكون من ثلثه وأن يصرف كل من غلات الأرض والمكان في مصارف الخير، ووجوه المبرات من الإنفاق على الفقراء والمساكين، مما يعود نفعه عليه بعد أن تخرج من الغلات المذكورة مصالح الأرض والمكان من بناء وغيره مما تستداه به غلتهما^(٤٦).

كما كان للمرأة الكويتية الكثير من الإسهامات في هذا المجال، ومما يؤكد مكانتها قديماً وسعيها لفعل الخير^(٤٧)، ما ورد في سجل العطاء الصادر من الأمانة العامة للأوقاف: ذكر العديد من أوقاف النساء، من هذه الأوقاف (وقف سبيكة محمد السميطة) في ١ من جمادى أول ١٣٤٠ هـ ٣١ ديسمبر ١٩٢١ م، التي أوصت بإنفاق ثلث مالها على أعمال البر ووجوه الخير^(٤٨)، وأيضاً من الأوقاف (وقف شبيخة عبد الله الغانم)^(٤٩) في ١١ من شوال ١٣٣٩ هـ ١٧ يونيو ١٩٢١ م، التي أوقفت بيتها، وكان وقفها ذرياً^(٥٠).

فضة عرفت وتداولت في الكويت، ولقد استمر تداول الريال فترة طويلة ابتداءً من عام ١٧٩ م حتى

عام ١٩٢٠ م، للمزيد انظر سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩ م: المصدر السابق، ص ١٠٥.

^(٤٥) سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩ م: المصدر السابق، ص ٨٥.

^(٤٦) سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩ م: المصدر السابق، ص ٨٩.

^(٤٧) عادل العبد المغني: المرجع السابق، ص ٦٣.

^(٤٨) سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩ م: المصدر السابق، ص ٧٠.

^(٤٩) انظر إلى ملحق رقم (٣)، الخاص بوثيقة وقف شبيخة عبد الله الغانم.

^(٥٠) سجل العطاء من عام ١٨٢١-١٨٩٩ م: المصدر السابق، ص ٥٧.

إن مفهوم التكافل والتراحم، ومعنى الأخوة بين طبقات المجتمع، تمثل بصورة واضحة في وقف الوزان، والبدوي، وبن علي، والسميط، والغانم، وهو ما ساهم في جعل المجتمع الكويتي أسرة واحدة في ترابطها وتلاحمها، وعن ذلك يقول الدكتور وليد المنيس، في دراسة له عن الخصائص العامة لوثائق الوقف الكويتية: إنه يلاحظ في الوقف الكويتي من خلال نصوصه، وشهوده، ومنافعه؛ قوة الترابط الأسري والقبلي والاجتماعي من جهة، وقوة الارتباط بالدين الإسلامي، الذي يدعو إلى تحقيق التآلف والترابط، وتسييل المنافع بين الناس^(٥١).

أيضاً لاحظنا دور المرأة الكويتية في الوقف، وعن ذلك يقول الدكتور عادل العبد المغني: "الدارس لسيرة المرأة الكويتية في الماضي؛ يقف إعجاباً وتقديراً وشكراً وثناءً، لما كانت تقوم به من أعمال جليلة"^(٥٢).

والجدير بالذكر أن زوجات الرسول - صلى الله عليه وسلم - عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وأم سلمة، وصفية، وابنته فاطمة، وأسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهن جميعاً، تشاركن الرجال في الوقف وغيره من أعمال الخير، وكان لبعضهن دور مهم في النظارة على الأوقاف، فقد نص الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في صلب وقفيته: أن ناظر وقفه حفصة بنت عمر - رضي الله عنها -، زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -^(٥٣).

أيضاً من الأمثلة على ذلك: هناك وقفية الست هانم بنت علي حسن، من مصر، في عام ١٩٣٤م، حيث خصصت منها ربع ٥ قراريط لخدام الزاوية المعدة للصلاة، والسبيل والحوض المعد لشرب المواشي، وما يلزم لترميمها^(٥٤).

(٥١) وليد المنيس: الخصائص العامة لوثائق الوقف الكويتية، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، جمادي الآخر ١٤١٦هـ نوفمبر ١٩٩٥م، ص ١٥.

(٥٢) عادل العبد المغني: المرجع السابق، ص ٦٣.

(٥٣) إيمان محمد الحميدان: المرأة والوقف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، ص ٢٥.

(٥٤) إيمان محمد الحميدان: المرجع السابق، ص ٣٨.

إلى جانب دور الوقف في الترابط الاجتماعي والأسري، أيضاً كان له دور رئيس في بناء وإعمار المساجد، والإنفاق على العاملين فيها، وكان المحسنون يحرصون على هذا الدور، لما جاء في الآية الكريمة التي بينت فضل من يعمر المساجد، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة: ١٨)^(٥٥).

ونتيجة لهذا الفهم وتلك العقيدة؛ لفضل بناء المساجد، لدى محسني الكويت: وصل عدد المساجد في الكويت حتى عام ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م ٥٤ مسجداً^(٥٦)، كما أوقف المحسنون العديد من الأوقاف على إصلاح وترميم المساجد، ومن أبرز هذه الأوقاف وقف هلال فجحان المطيري^(٥٧)، الذي أوقف في ٢٨ ربيع ثاني ١٣٣٦هـ ١٠ فبراير ١٩١٨م: عشرين دكاناً في (الصفاء)، وبيتين على إمام ومؤذن (مسجد هلال)، وجاء في شروط الوقف على (مسجد الهلال) في (محلة الرشيدة)، ما يلي:

- ١- عدد أربعة دكاكين وقف على المؤذن.
- ٢- عدد اثني عشر دكاناً وقف على الإمام.
- ٣- عدل عدد أربعة دكاكين من الموقوفات على الإمام والمؤذن، وصاروا وفقاً على المسجد.
- ٤- حاصل الدكاكين الأصل لإصلاح المسجد، ومن بعد ترميم المسجد عمارة وترميم الدكاكين، وهو ما لا يكون إلا على الخراب البين.

^(٥٥) تفسير الآية: لا يعتني ببيوت الله ويعمرها إلا الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة، ولا يخافون في الله لومة لائم، هؤلاء العُمَّار هم المهنتون إلى الحق، التفسير الميسر: المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م. ص ١٨٩.

^(٥٦) المساجد القديمة مسيرة خير وتواصل: الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ٢٠٠٥م، ص ٨.

^(٥٧) هلال بن فجحان: أشهر أغنياء عصره، ومن تجار اللؤلؤ المعروفين، وكان محباً لأعمال الخير، فقد كان من أبرز المتبرعين لتأسيس المدرسة المباركية ١٩١١م، وأيضاً كان من أبرز المتبرعين في معركة الجهراء ١٣٣٩هـ ١٩٢٠م، كما كان عضواً في مجلس الشورى في عام ١٩٢١م، للمزيد انظر يوسف الشهاب: رجال في تاريخ الكويت، ج٢، ١٩٩٤م، ص ٢٩٨-٣٠٩.

شهد على توثيق هذا الوقف: الشيخ جابر الصباح، والشيخ أحمد الجابر الصباح، وكانت أرض هذه الدكاكين هبة من الحاكم الشيخ سالم الصباح^(٥٨).

الجدير بالذكر أن هلال المطيري كان له الكثير من الإسهامات في هذا المجال، منها تجديده لمسجد المحسن عيسى المناعي^(٥٩)، في عام ١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ م، كما ساهم في (مسجد أحمد عبد الله) في منطقة الشرق، وساهم أيضاً في (مسجد الفحيحيل القديم). يقول الشيخ عبد العزيز الرشيد في كتابه (تاريخ الكويت) إن أحد الشعراء مدح

هلال بمناسبة إحسانه لإصلاح مسجد هلال فقال:

مسجد أسس على التقوى المبين لجلال الله رب العالمين
مسجد قد أسست أساسه من هلال الخير بدر الآمين
نطق السعد لدى تاريخه أسس البيت على التقوى المبين^(٦٠)

أيضاً من الأوقاف التي ساهمت في هذا الجانب (أوقاف الملا صالح بن محمد^(٦١))، الذي أسس مسجداً عام ١٣٣٨ هـ ١٩١٩ م، وأنفق على بنائه نحو ثلاثة وعشرين ألف روبية، بما يقارب (١٥٣٣ جنيه إسترليني)، وقد أوقف عليه أوقافاً عديدة من البيوت والدكاكين، وهو يعتبر الآن من المساجد التاريخية في الكويت، حيث وضع حاكم الكويت الشيخ سالم أول حجر في أساسه الشمالي^(٦٢)، وكان الملا صالح هو الذي يعطي الإمام والمؤذن روايتهما^(٦٣).

^(٥٨) سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩ م: المصدر السابق، ص ٥٥.

^(٥٩) أسس المحسن عيسى المناعي (مسجد المناعي) في عام ١٣١٤ هـ ١٨٩٦ م، وأقام بناءه كل من المحسنين إبراهيم المصف وإبراهيم إسحق، للمزيد انظر محسنون من بلدي: المرجع السابق، ص ١٥٩.

^(٦٠) محسنون من بلدي: المرجع السابق، ص ١٥٩-١٦١.

^(٦١) محمد الشيباني: سكرتير الحكومة، ط ١، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ٢٠٠٣ م، ص ٢٣-٢٤.

^(٦٢) عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، ط ٣، دار قرطاس للنشر، الكويت، ١٩٩٩ م، ص ٢٦.

^(٦٣) محمد الشيباني: المرجع السابق، ٢٠٠٣ م، ص ٢٣-٢٤.

واستكمالاً لدور الوقف في أعمال البر والإحسان، وخدمة: الإسلام أنشئت في هذا المسجد (لجنة التعريف بالإسلام) التي دخل على يديها الكثيرون في دين الإسلام^(٦٤).

كذلك كان (وقف ناصر بن يوسف البدر) في ٢ من محرم ١٣٤٠ هـ ٥ سبتمبر ١٩٢١ م، من الأوقاف التي ساهمت في العناية بالمساجد، فقد أوقف البدر عدد واحد وثلاثين دكاناً وأرضاً وبيتاً، وكان شرط الواقف أن تصرف عوائدها جميعاً على إمام المسجد والمؤذن، وعلى فرش المسجد ومستلزماته، وتعمير الوقف^(٦٥).

من خلال ما سبق لاحظنا مشاركة الحاكم الشيخ سالم الصباح، وأفراد الأسرة الحاكم في توثيق الوقف، حرصاً منهم على أهمية الوقف ودوره في المجتمع.

لم يكن المحسنون يهتمون بأوقافهم فقط، بل كانوا يتسابقون على العناية بالمساجد الأخرى، ففي حادثة دالة على حرصهم على المساهمة في بناء وإصلاح المساجد الأخرى، هو: أنه في عام ١٣٤١ هـ ١٩٢٣ م، عندما أوشك (مسجد آل يعقوب) على الانتهاء، سارع إليه حمد الخضير^(٦٦) وقام ببنائه على أحدث طراز، كما حرص على إتمام البناء في ثلاثة أشهر، وقد بذل فيه من المال ما يقدر بحوالى ١٤٠٠٠ روبية، بما يقارب ٩٣٣ جنيهاً إسترلينياً^(٦٧).

لم يتوقف حرص المحسنين في أوقافهم على بناء وإصلاح المساجد، بل كانوا أيضاً حريصين على تأمين المسكن للإمام والمؤذن، ومن هذه الأوقاف (وقف خالد بن فايز الخميس)

^(٦٤) محسنون من بلدي: المرجع السابق، ص ٣٠.

^(٦٥) سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩م: المصدر السابق، ص ٦٨-٦٩.

^(٦٦) حمد خالد الخضير: كان من أبرز المتبرعين للمدرسة المباركية، وكان يؤمن بأهمية التعليم فيجانب ما تبرع به للمدرسة (المباركية) بمبلغ (٥٠٠٠) روبية، كرس وقته كعضو في اللجنة المالية التي انتخبت لاستثمار ما تبقى من التبرعات بعد أن شيدت المدرسة المباركية، للمزيد انظر صالح جاسم شهاب: تاريخ التعليم في الكويت والخليج أيام زمان، ج١، ص ٣٢-٣٨.

^(٦٧) محسنون من بلدي: المرجع السابق، ص ٢٥-٢٦.

في ٧ ربيع أول ١٣٥٢ هـ ٣٠ يونيو ١٩٣٣ م، الذي أوقف بيتين، وكان شرطه على مصالح (مسجد محمد بن بشر الرومي)، وبيت لسكن الإمام، وبيت لسكن المؤذن^(٦٨).

جاء هذا الحرص حتى يتمكن الإمام من تأدية الفروض بالمصلين في أوقاتها. ومن الأوقاف التي اهتمت بأمر توفير السكن للإمام (وقف أحمد بن عبد المحسن الخرافي)، في ٢٩ ذي الحجة ١٣٦٧ هـ ١ نوفمبر ١٩٤٨ م، الذي أوقف بيتاً له في (محلة القبلة)، يكون سكناً لمن يتولى الإمامة في (مسجد السائر)^(٦٩).

أيضاً حرص المحسنون على سد احتياجات أئمة المساجد، فهذا حامد النقيب ابن السيد رجب، أوقف في ١٠ شوال ١٣٥٦ هـ ١٣ ديسمبر ١٩٣٧ م، بيتاً في (محلة القبلة)، وشرط أن يكون الوقف على إمام (مسجد ابن عثمان)، بحيث تصرف غلات هذا البيت على إمام المسجد بعد أن تقام من أجرة البيت مصالح عمارته، مما تستدام به غلته وتبقى عينه^(٧٠).

وفي هذا المجال أيضاً أوقف مبارك بن محيسن العمر، في ١٢ رمضان ١٣٥٧ هـ ٥ نوفمبر ١٩٣٨ م، عينه الشرقية يحدها شرقاً الجادة، وجنوباً الفحال، ومن جبلة أرض فلاح الرشيد، وشمالاً البحرة الواقعة في أبو حليفة، وشرط أن يكون الوقف على (مسجد أبو حليفة)، يتصرف بها إمام المسجد بحفر الأرض، ويأكل خفارتها، ويستثمر النخل والشجر^(٧١).

كذلك كان للخيرين مساعٍ خيرة في بناء المساجد، في المناطق التي لا يوجد بها مساجد، فالحاج يوسف الميلم بنى مسجداً في (منطقة الصبيحية)، التي كان أهلها في أمس الحاجة لذلك، وأيضاً بنى مسجداً في (قرية أبرق خيطان)^(٧٢).

(٦٨) سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩ م: المصدر السابق، ص ٨٦-٨٧.

(٦٩) سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩ م: المصدر السابق، ص ١٠٣.

(٧٠) سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩ م: المصدر السابق، ص ٩١.

(٧١) سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩ م: المصدر السابق، ص ٩٢.

(٧٢) عادل العبد المغني: المرجع السابق، ص ٤٨.

وفي هذا المجال أيضاً: كان للمرأة الكويتية دور في بناء وتجهيز المساجد، ومن هذه الأوقاف (وقف آمنة بنت علي)، التي أوقفت في ٣ ذي الحجة ١٣٣٥هـ ٢٠ سبتمبر ١٩١٧م، بيتاً في (محلة المطبة)، وكان من بين شروط الواقفة، وقف على مصالح (مسجد بن بشر الرومي) من بناء وفرش، وما يحتاج إليه المسجد، بعد أن تقام فيه مصالح البيت من بناء وغيره، مما تستدام به غلته^(٧٣).

أيضاً كان من بين الكويتيات في هذا المجال: سارة بنت برجس، التي أوقفت في ٢٥ محرم ١٣٤٨هـ ٣ يوليو ١٩٢٩م، نصف بيتها، وكان شرط الواقفة على بناتها ومن بعدهم، على مصالح (مسجد الساير) الكائن في (دروزة الفداغ)^(٧٤).

كذلك أوقفت منيرة محمد العمران، في ١٥ صفر ١٣٤٨هـ ٢٢ يوليو ١٩٢٩م، بيتاً لها واقع في (محلة الحيارة)، وكان شرط الواقفة على مصالح (مسجد النومان) الواقع في (دروزة العبد الرزاق)^(٧٥).

لم تتوقف الأوقاف عند المدينة وضواحيها، بل أوقف المحسنون أوقافهم على المساجد الموجودة في (جزيرة فيلكا)، التي كانت تستحوذ على عدد لا يستهان به من الأوقاف، وكانت تتركز في معظمها على (مسجد شعيب) وهو المسجد الجامع في الجزيرة، حيث وقف على هذا المسجد أعداد من البيوت والمزارع والحوطى والأراضي، منها مثلاً (وقف حجي حسين بن سالم)، الذي أوقف أرضه على المسجد المذكور في ٢٢ شعبان ١٣٤٠هـ ١٩١٩م^(٧٦).

كذلك أوقف المحسن حسين بن سالم، في ٢٩ شوال ١٣٤٠هـ ١٩١٩م، لصالح (مسجد شعيب). وعن الوقف في (جزيرة فيلكا) يقول الدكتور عادل العبد المغني: " لم تكن الجزيرة بعيدة عن الوقف في الكويت، فقد نالها الوقف كسائر الوقف في مدينة الكويت القديمة "^(٧٧).

^(٧٣) سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩م: المصدر السابق، ص ٥٣.

^(٧٤) سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩م: المصدر السابق، ص ٨٢-٨٣.

^(٧٥) سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩م: المصدر السابق، ص ٨٣.

^(٧٦) وليد المنيس: الخصائص العامة لوثائق الوقف الكويتية، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، جمادي

الآخر ١٤١٦هـ نوفمبر ١٩٩٥م، ص ٢٣.

^(٧٧) عادل العبد المغني: المرجع السابق، ص ٧٥.

والى جانب دور الوقف في بناء وإعمار المساجد، أيضاً لعب دوراً رئيسياً في دعم التعليم، فقد كان من أهم مصادر تمويل التعليم، ومن الأوقاف التي ساهمت في ذلك (وقف عبد الرحمن الغريب) بتاريخ ١٣٤٠هـ ١٩٢١م، الذي أوقف بيتاً على مدرسة، وقد شرط الواقف أن يكون على طلبة العلم، حيث تولى التدريس فيها الشيخ بن غريب، ثم الشيخ أحمد الفارسي، ثم الشيخ عبد العزيز قاسم حمادة^(٧٨).

لقد بلغ مجموع الأوقاف، خلال الفترة ما بين عامي ١٩١٧-١٩٤٩م، ١٣٠ وقفاً^(٧٩)، كان أغلبها أوقاف البيوت والعقارات^(٨٠)، ومع هذا النمو دعت الحاجة لتأسيس (دائرة الأوقاف العامة)، وذلك حينما شعر المسؤولون ورجال الكويت بضرورة تأسيسها؛ لتتولى الإشراف على المساجد وأوقافها، وكذا الأوقاف الخيرية وصيانتها، واستغلالها استغلالاً نافعاً، يعود بالخير على ما أوقفت عليه.

وبفضل جهود العديد من الشخصيات الكويتية: تأسست الدائرة في غرة ربيع الأول ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م^(٨١)، وكان من أبرزهم الشيخ عبد الله السالم الصباح^(٨٢)، والشيخ عبد الله الجابر الذي عُين رئيساً لها، كما اختير عبد الله العسوسي مديراً لها^(٨٣). ومن الملاحظ أن من كان لهم دور في (دائرة الأوقاف العامة) هم أنفسهم من ساهموا في تأسيس الدوائر والمجالس الأولى في تاريخ الكويت، كدور الشيخ عبد الله الجابر

^(٧٨) سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩م: المصدر السابق، ص ٦٩.

^(٧٩) هذه الأوقاف إما لتكون (وقفاً ذرياً) لذريتهم أو لأقربائهم، أو لتكون (وقفاً خيرياً) على إطعام الفقراء والمحتاجين والمساكين والضحايا، أو لتكون (وقفاً مشتركاً) ذرياً وخيرياً، للمزيد انظر سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩م: المصدر السابق، ص ٩-١١٦.

^(٨٠) سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩م: المصدر السابق، ص ٩-١١٦.

^(٨١) تاريخ دائرة الأوقاف العامة من ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م-١٣٧٧هـ ١٩٥٧م: مطبعة حكومة الكويت، ص ١٥.

^(٨٢) الشيخ عبد الله السالم الصباح تولى الحكم في ١٩٥٠م حتى عام ١٩٦٥م، وكان رئيساً للمجلس التشريعي ١٩٣٨م وفي عهده صدر دستور الكويت في عام ١٩٦٢م.

^(٨٣) تاريخ دائرة الأوقاف العامة من ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م-١٣٧٧هـ ١٩٥٧م: المرجع السابق، ص ١٦.

في تأسيس المجلس البلدي ودائرة البلدية ١٩٣٠م، ومجلس ودائرة المعارف ١٩٣٦م، وكذلك الشيخ عبد الله السالم كان له دور في تأسيس المجلس التشريعي ١٩٣٨م، مما يدل أن طرح مشروع (الدائرة) كان من قبل شخصيات لهم دراية بأهمية تأسيس الدوائر الحكومية، ويدركون أهمية وجود دائرة تختص بشؤون الأوقاف لإدارتها وتنميتها.

والى جانب تأسيس الدائرة؛ تشكل مجلس للأوقاف (٨٤) بالتعيين (٨٥)، يعقد اجتماعاته لبحث المواضيع التي تتعلق بشؤون الدائرة واختصاصاتها، ومناقشة الميزانية العامة لها (٨٦). الجدير بالذكر أن الكويت شهدت قبل تأسيس هذا المجلس: قيام العديد من المجالس، كمجلس الشورى ١٩٢١م، و(المجلس البلدي) ١٩٣٠م، و(مجلس المعارف) ١٩٣٨م، و(المجلس التشريعي) ١٩٣٨م، وهذا يدل على أن تأسيس مجلس للأوقاف يُعد خطوة متقدمة في أهمية المشاركة الشعبية في إدارة وتنمية الأوقاف، في منطقة قلما نجد فيها مثل هذه المجالس. وشهد اجتماع للمجلس في ١٨ من ربيع الأول ١٣٦٨هـ يناير ١٩٤٩م، اتخاذ عدة قرارات أهمها:

- ١- إصدار إعلان للجمهور بطلب أوراق الأوقاف.

- ٢- تقرير معاشات للأئمة والمؤننين، فجعل راتب الدرجة الأولى من الأئمة ٢٢٥ روبية بما يقارب ١٧ جنيهاً إسترلينياً، وراتب الدرجة الثاني ١٧٥ روبية، وراتب المؤن ١٠٠ روبية^(٨٧).

وإضافة إلى ذلك حددت اختصاصات الدائرة بالإشراف على المساجد وأوقافها، وكذلك الأوقاف الذرية والخيرية الأهلية وغيرها.

^(٨٤) تشكل المجلس من أحمد محمد البحر وسليمان مسلم ويوسف الحميضي وعبد الله السدحان وعبد العزيز الراشد وحمد المشاري وحمد المشاري وأضيف إليهم الشيخ يوسف القناعي والشيخ محمد كامل الشمسي والشيخ أحمد عطية الأثري وعبد اللطيف الشملان، للمزيد انظر تاريخ دائرة الأوقاف العامة من ١٩٤٩هـ ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م: المرجع السابق، ص ١٥.

^(٨٥) تاريخ دائرة الأوقاف العامة من ١٩٤٩هـ ١٣٦٨هـ ١٩٥٧م: المرجع السابق، ص ١٦.

^(٨٦) التقرير السنوي ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م: دائرة الأوقاف العامة، حكومة الكويت، ص ٣.

^(٨٧) تاريخ دائرة الأوقاف العامة من ١٩٤٩هـ ١٣٦٨هـ ١٩٥٧م: المرجع السابق، ص ١٦.

وأما عن الأوقاف التي تشرف عليها الدائرة، فهي على النحو الآتي:

- ١- تقوم الدائرة بإدارة الأوقاف التي لم يكن لها قيم ولا ناظر، أو كان لها وتوفى، ثم أهملت ولم يعين مسئول لإدارتها، وذلك حسب الحكم الشرعي.
- ٢- الأوقاف التي شرط الواقفون أن ما زاد عن حاجة المسجد يصرف في سبيل الخير، لأقاربهم أو غيرهم، أو ما زاد عن الجهة المعنية في الوقف يصرف إلى المسجد، ففي الحالة الأولى تستوفي الدائرة من ريع هذا الوقف ما يسد حاجة المسجد، وفي الحالة الثانية تستولي الدائرة على ما فضل بعد الجهة المعنية.
- ٣- الأعيان الموقوفة على الذرية وذرية الذرية، ثم انقرضوا ولم يبق منهم أحد.
- ٤- الأوقاف الأهلية الآيلة للخراب، والتي لم يستطع مستحقوها تعهدها أو امتنعوا، ولم يوجد من يقوم بذلك، تتولى الدائرة تعهدها أو استغلالها إلى أن تستوفي مثل ما أنفقت، ثم تعيدها إلى مستحقيها.
- ٥- الأوقاف الأهلية التي تصدر (المحكمة الشرعية) قراراً بأن تكون إدارتها بمعرفة الدائرة.
- ٦- أما باقي الأوقاف، غير ما سبق بيانه، فلا تتولى الدائرة إدارتها، وإنما لها فقط الإشراف، وتوجيه القائمين عليها إلى أحسن الوجوه لاستغلالها، والانتفاع بريعتها والمحافظة عليها. ووفقاً لهذه الاختصاصات والتبعات قسمت أعمال الدائرة إلى عدة أقسام: أهمها قسم خاص للأوقاف (الذرية والخيرية والأهلية)، يختص بتنظيم الأمور المالية والإدارية^(٨٨) التي تتعلق بالأوقاف^(٨٩). وفي مستهل أعمالها أصدرت الدائرة إعلاناً للجمهور بطلب أوراق الأوقاف، وقد لاقت الدائرة في بداية الأمر مشقة كبيرة في سبيل الحصول على وثائق الوقف الشرعية^(٩٠).

^(٨٨) تنظيم الأمور المالية والإدارية للأوقاف الذرية والخيرية والأهلية، يكون بحفظها بسجلات خاصة بها، وفتح حسابات خاصة بكل وقف، وتنظيم عمليات تحصيل الأجور من المستأجرين، وصرف ما هو مطلوب حسب تعليمات المحكمة الشرعية وتوزيعه على الورثة أو في أوجه الخير وأعمال البر وغيرها، تاريخ دائرة الأوقاف العامة من ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م - ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م: المرجع السابق، ص ١٦-٢٦.

^(٨٩) تاريخ دائرة الأوقاف العامة من ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م - ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م: المرجع السابق، ص ١٦-٢٦.

^(٩٠) عادل العبد المغني: المرجع السابق، ص ٣٢.

وقد أشار إلى ذلك مدير الدائرة عبد الله العسوسي بقوله: " إن من أبرز العراقيل التي واجهت عمل الدائرة، عند بداية عملها، هو معارضة البعض استرداد مسئولية المساجد من الأئمة، ولم يكن من سبيل سوى اللجوء إلى المحاكم الشرعية، لاستصدار حكم يلزم الأئمة بتسليم عملية الإشراف على المساجد إلى (دائرة الأوقاف)"^(٩١).

وقد بدأ المواطنون، بصورة تدريجية، بإدراك الدور المهم الذي أنيط بالدائرة ومهامها الرئيسية في متابعة شؤون الوقف^(٩٢)، حتى أصبحت الدائرة المرجع الأول في جميع الأوقاف^(٩٣).

ولم تقتف الدائرة بدورها الداخلي في إنشاء المساجد، ومتابعة شؤون الوقف فقط، بل كانت لها إسهاماتها الفاعلة والإيجابية خارجياً، حيث ساعدت في بناء وتعمير المساجد في مختلف البلدان الإسلامية^(٩٤)، كما كان لها دور خيري، إلى جانب اللجان الخيرية، في جمع التبرعات للدول الإسلامية عن طريق مساجدها، وكان من أبرزها دعوتها للمواطنين في عام ١٩٥٦م، بعد العدوان الثلاثي على مصر، للتبرع لأهالي بورسعيد^(٩٥).

ومما تجد الإشارة إليه: أنه في هذا العام تأسست لجنة لجمع التبرعات لمصر، وُجِع لإعادة وإعمار بورسعيد^(٩٦)، مبلغ ١٥ مليون روبية بما يقارب ١,١١١ مليوناً إسترلينياً، ساهم معظم الكويتيين فيه^(٩٧)، حتى الموظفين الذين لا يملكون غير رواتبهم تبرعوا براتب شهر^(٩٨)، فالمبلغ الذي جمع حول إلى الرئيس جمال عبد الناصر وسمي (تبرعات إعمار بورسعيد)^(٩٩).

^(٩١) يوسف الشهاب: رجال في تاريخ الكويت، ج٢، وزارة الإعلام، سبتمبر ١٩٩٤م، ص ١٩٣.

^(٩٢) عادل العبد المغني: المرجع السابق، ص ٣٢.

^(٩٣) تاريخ دائرة الأوقاف العامة من ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م - ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م: المرجع السابق، ص ١٦-٢٧.

^(٩٤) تاريخ دائرة الأوقاف العامة من ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م - ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م: المرجع السابق، ص ١٦-٢٧.

^(٩٥) التقرير السنوي ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م: دائرة الأوقاف العامة، حكومة الكويت، ص ٥.

^(٩٦) لقاء شخصي مع الأديب محمد السداح: عن الأندية الكويتية، ١٠ سبتمبر ٢٠١٤م.

^(٩٧) يوسف الشهاب: رجال في تاريخ الكويت، ج١، ط٣، وزارة الإعلام، ٢٠١٠م، ص ٥٣.

^(٩٨) أحمد السقاف: أحاديث في العروبة، ط١، الكويت، ١٩٩٧م، ص ١٠٧.

^(٩٩) يوسف الشهاب: المرجع السابق، ص ٥٣.

الخاتمة:

- من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى جملة من النتائج، يمكن إيجازها في الآتي:
- تمسك المجتمع الكويتي بالقيم والمبادئ الإسلامية، والتي هي عماد بناء ونهوض المجتمعات، ساهم في نمو الوقف وتنوعه.
- ركزت معظم الأوقاف في الفترة ما بين عام ١٣٣٥ هـ ١٩١٧ م - ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م، على سد حاجات المجتمع الأساسية، كالمياه والطعام وعمارة المساجد والقيام بشؤونها.
- كان لدور الأوقاف الفاعل في الرعاية الاجتماعية الشاملة للأقرباء والمحتاجين - أثر في تحقيق الترابط الاجتماعي، وتعميق معاني الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع، بالإضافة إلى حفظ كرامة الإنسان، وإشعاره أنه جزء من المجتمع.
- بزوغ دور السلطة الحاكمة للعمل الوقفي، من خلال حرصهم على المشاركة في توثيق الأوقاف، كمشاركة الشيخ سالم المبارك، والشيخ أحمد الجابر، والشيخ عبد الله السالم.
- نجح الكويتيون في إدارة أوقافهم قبل تأسيس (دائرة الأوقاف) ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م، وخير مثال على ذلك (وقف عبد العزيز محمد الدعيج)، الذي ما زال قائماً إلى وقتنا هذا.
- كان للمرأة الكويتية إسهامات فاعلة، ومشاركات واسعة، في مجال الوقف، حيث كانت أوقاف النساء تشكل النصف من هذه الأوقاف.
- نجاح (دائرة الأوقاف) يعود لوجود خبرات على دراية تامة بعمل الدوائر الحكومية.
- كان لوثائق الوقف دور في التعرف على الكثير من المحسنين الكويتيين والمواقع، في مدينة الكويت القديمة، وقد أشار الدكتور وليد المنيس إلى أنه: من خلال وثائق الوقف يمكن التعرف على مكونات مدينة الكويت كالأحياء والشوارع والمساجد والأسواق، والأسماء المحلية المعروفة بشهرتها بين السكان^(١٠٠).

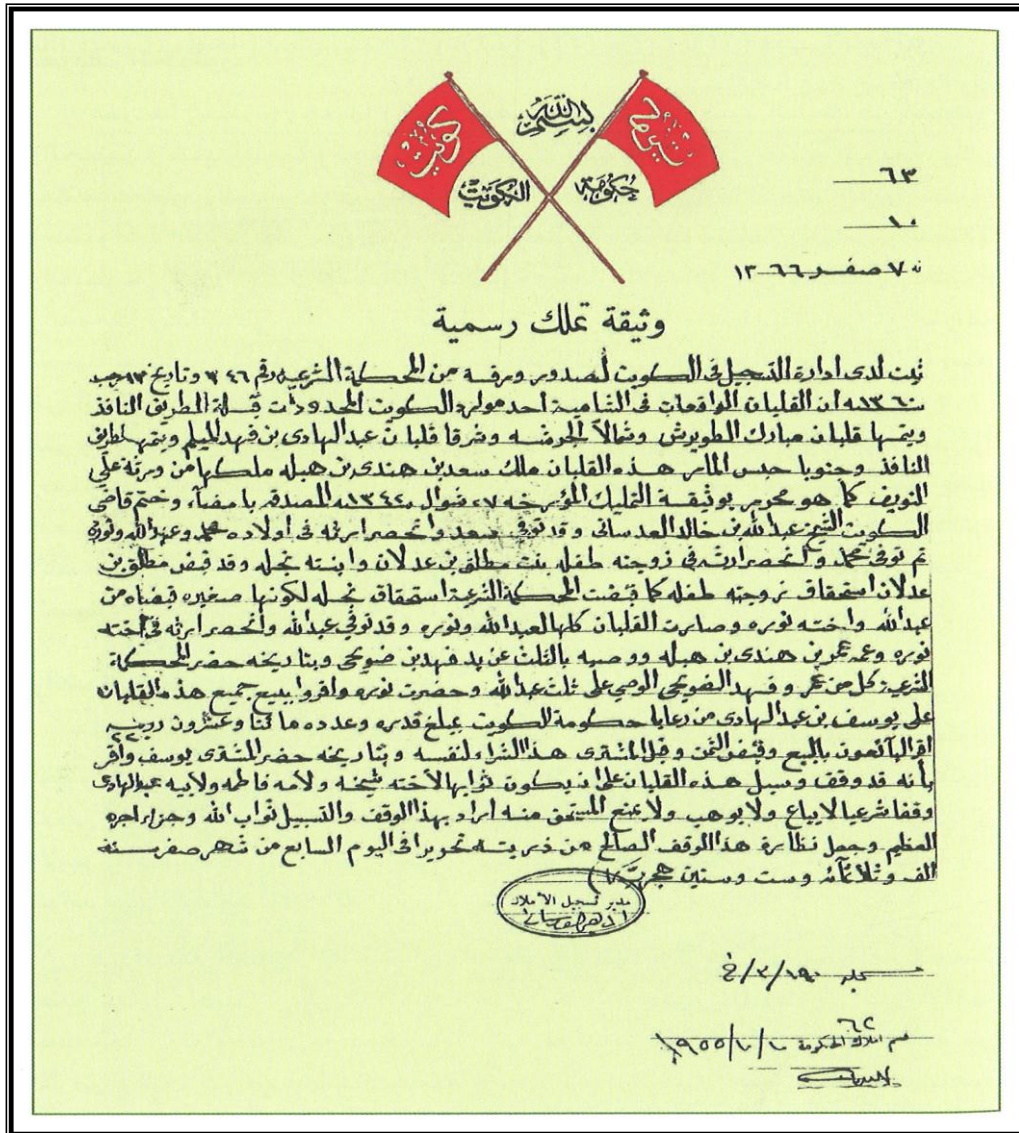
(١٠٠) وليد المنيس: الخصائص العامة لوثائق الوقف الكويتية، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، جمادي الآخر ١٤١٦ هـ نوفمبر ١٩٩٥ م، ص ١٦.

ملحق رقم (١)



المصدر: عبد الرحمن عبد العزيز محمد الدعيج.

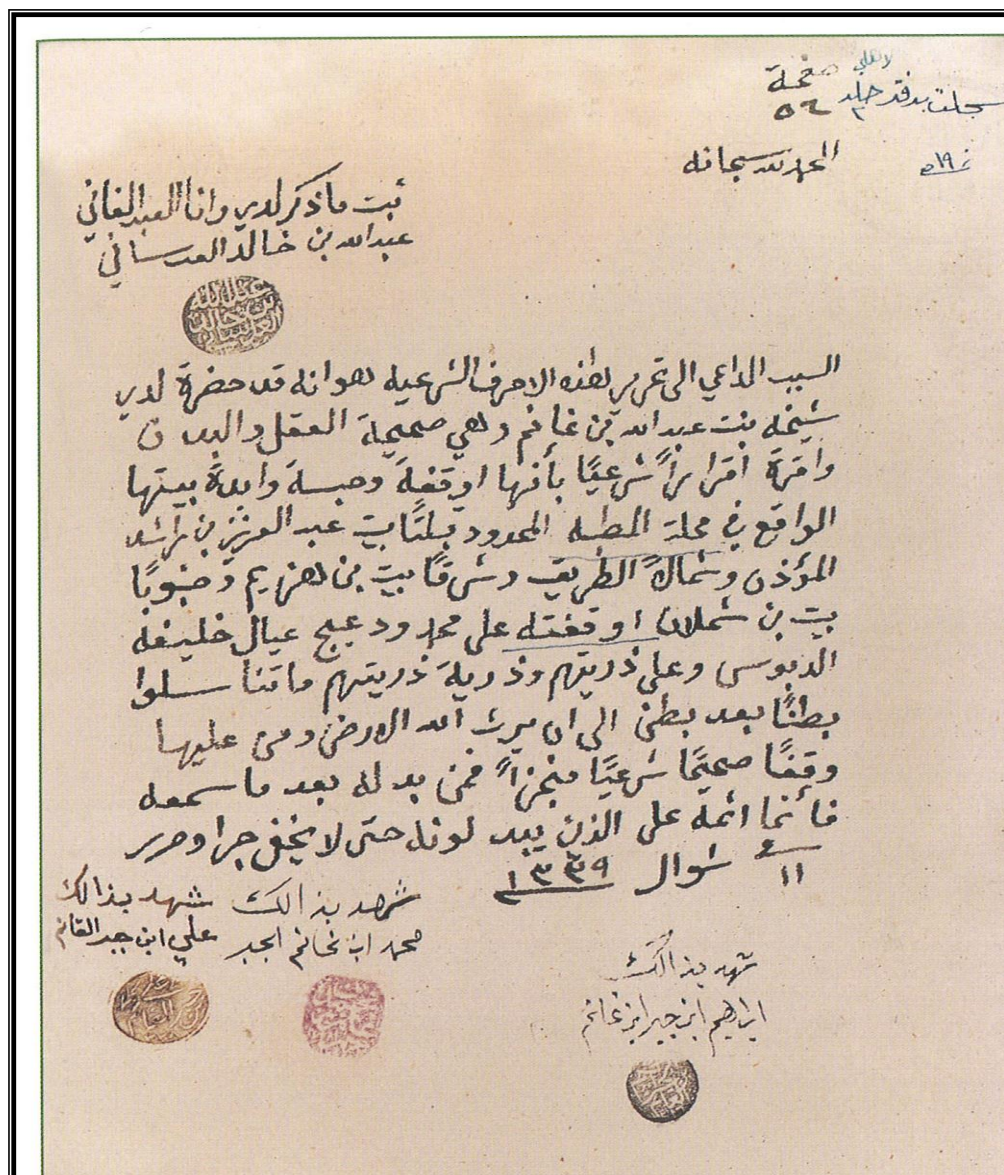
ملحق رقم (٢)



وثيقة وقف آبار يوسف العبد الهادي الميلم.

المصدر: عادل العبد المغني: وثائق الوقف الكويتية، ط١، الكويت، ٢٠٠٧م، ص ٥١.

ملحق رقم (٣)



وثيقة وقف شيخه عبد الله الغانم في ١١ شوال ١٣٣٩ هـ ١٧ يونيو ١٩٢١ م.
المصدر: عادل العبد المغني: وثائق الوقف الكويتية، ط١، الكويت، ٢٠٠٧ م، ص ٦٦.

قائمة المصادر والمراجع

- أولاً: المصادر:

- ١- التفسير الميسر: المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م.
- ٢- التقرير السنوي ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م: دائرة الأوقاف العامة، حكومة الكويت.
- ٣- وثيقة وصية عبد العزيز محمد الدعيج ١٣٣٨ هـ ١٩١٩ م: عبد الرحمن عبد العزيز محمد الدعيج.
- ٤- وزارة العدل: اعلام رسمي، رقم ٤٨٤، الكويت، ١٦ جماد الثاني ١٣٨٠ هـ ٥ ديسمبر ١٩٦٠ م.

- ثانياً: لقاءات:

- ١- لقاء شخصي مع الأديب محمد السداح: عن الأندية الكويتية، ١٠ سبتمبر ٢٠١٤ م.

- ثالثاً: المراجع العربية والمعرية:

- (١) السيد معين الدين الشافعي: جامع البيان في تفسير القرآن، قدم له وراجعته: صلاح الدين مقبول أحمد، ط١، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م.
- (٢) إيمان محمد الحميدان: المرأة والوقف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م.
- (٣) ج.ج. سلدانها: التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك، ترجمة: فتوح الخترش، ط١، الكويت، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.
- (٤) س. ستانلي ج. ماليري: الكويت قبل النفط، مذكرات س. ستانلي ج. ماليري الطبيب في البحرين والكويت ١٩٠٧ م-١٩٤٧ م، ترجمة وتقديم: محمد غانم الرميحي، ط٢، دار قرطاس للنشر، الكويت، ١٩٩٧ م.
- (٥) صالح جاسم شهاب: تاريخ التعليم في الكويت والخليج أيام زمان، ج ١، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.
- (٦) عادل العبد المغني: وثائق الوقف الكويتية، ط١، الكويت، ٢٠٠٧ م.
- (٧) عبد الله الحاتم: من هنا بدأت الكويت، ط٣، المطبعة العصرية، الجمهورية اللبنانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- (٨) عبد الرحمن الجويبر: الأوقاف الإسلامية ودورها الحضاري الماضي والحاضر والمستقبل، ط٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٣٢ هـ ٢٠١١ م.
- (٩) عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، ط٣، دار قرطاس للنشر، الكويت، ١٩٩٩ م.

- (١٠) محمد الزحيلي: الوقف الإسلامي تعريف عام بأحكامه ومستجداته المعاصرة، ط١، الأمانة العامة للأوقاف، الشارقة، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.
- (١١) محمد الشيباني: سكرتير الحكومة، ط ١، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ٢٠٠٣م.
- (١٢) محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة محمد ناصر الدين الألباني. ط٢. اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- (١٣) وليد المنيس: الخصائص العامة لوثائق الوقف الكويتية، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، جمادي الآخر ١٤١٦هـ نوفمبر ١٩٩٥م.
- (١٤) يوسف القناعي: صفحات من تاريخ الكويت، ط ٥، ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- (١٥) يوسف الشهاب: رجال في تاريخ الكويت، ج١ (ط ٣)، (٢٠١٠م)، ج٢ (سبتمبر ١٩٩٤م)، وزارة الإعلام، الكويت.

- رابعاً: الدوريات:

- ١- صحيفة الأنباء: الكويت.
- العدد ٦٩٨٦، ٢٤ أكتوبر ١٩٩٥م.
- ٢- صحيفة القبس: الكويت.
- أبريل ٢٠٠٩م.
- العدد ١٤٨٥٤، ٩ أكتوبر ٢٠١٤م.
- ٣- مجلة الكويتي: الكويت.
- العدد ٤٦٥، ١٦ يناير ١٩٧١م.
- خامساً: إصدارات.**
- ١- أطلس الأوقاف: الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، ط١.
- ٢- تاريخ دائرة الأوقاف العامة من ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م-١٣٧٧هـ ١٩٥٧م: مطبعة حكومة الكويت.
- ٣- سجل العطاء من عام ١٨٢١-١٨٩٩م: الأمانة العامة للأوقاف، ج ١، ط٢، الكويت ٢٠٠٣م.
- ٤- سجل العطاء من عام ١٩٠١-١٩٤٩م: الأمانة العامة للأوقاف، ج ٢، ط٢، الكويت.
- ٥- محسنون من بلدي: بيت الزكاة الكويتي، ط ١ المجلد ١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

السلطانية عاصمة مغول الأيلخانيين

٧٠٤ - ٧٣٦ هـ / ١٣٠٤ - ١٣٣٥ م

د/ الشيماء سيد كامل محمد(*)

تتناول هذه الورقة البحثية دراسة تاريخ مدينة "السلطانية" التي تعد من أهم العواصم التي اتخذها مغول الإيلخانية^(١)، في عهد "أولجايتو"^(٢) (٧٠٣ - ٧٣٦ هـ / ١٣٠٣ - ١٣١٦ م)، وعهد السلطان "أبو سعيد"^(٣) (٣١٧ - ٣٣٦ هـ / ١٣١٧ - ١٣٣٥ م) والذي يرجع أصلهما إلى العنصر المغولي المنحدر من "هولاكو خان"^(٤) بن تولوي بن جنكيز خان^(٥)، حيث تولى قرابة السبعة عشر أيلخان منهم حكم منطقة اشتملت على العراق العجمي والعربي، و"خراسان"^(٦) وبلاد الروم^(٧) و"أذربيجان"^(٨)، والبلاد الأرمينية^(٩) و"ديار بكر"^(١٠). ويعد بعض المؤرخين أن عام ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م هو نهاية هذه الدولة، وذلك لما طرأ على حكامها من تدهور وضعف، حيث صار منصب الإيلخان موضع نزاع بين الأمراء غير الأكفاء، فانتقلت العاصمة من مدينة "السلطانية" التي صارت أطلالاً؛ إلى العاصمة القديمة مدينة "تبريز".

أولاً: عواصم الإيلخانية قبل السلطانية:

لم تكن "السلطانية" هي العاصمة التي اتخذها الإيلخانيون منذ بداية عهدهم في "إيران"، فلقد أقدم "هولاكو" علي فتح تلك المناطق بأمر من الإمبراطور "منكوقا آن"^(١١) - الخان الأعظم للمغول - بالقضاء على قلاع "الإسماعيلية"، وإسقاط الخلافة العباسية "ببغداد"، فاختار مدينة "بادغيس"^(١٢) قاعدة لانطلاق جيوشه ومقاماً له، وبعد فتحه "أصفهان"^(١٣) واستكمال فتوحاته؛ اتخذ من مدينة "المراغة"^(١٤) إحدى مدن "أذربيجان" - عاصمة لإمبراطوريته - لطيب هوائها وقربها من "بلاد الشام" و"مصر"، أكبر الأهداف الاستراتيجية التي كان يرغب في فتحها، ولقد ظلت "المراغة" عاصمة لـ "هولاكو" حتى توفي، فدفن بقلعة "تلا" بالمراغة^(١٥).

(*) أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية كلية دار العلوم جامعة المنيا.

لقد حظيت مدينة "المراغة" العاصمة باهتمام كبير من قبل "هولاكو"، فأنشأ مرصداً فيها، نظراً لاهتمامه بقراءة الفلك والاطلاع على علم التنجيم، وكان السبب الرئيس في إقامة هذا المرصد: أن الإمبراطور "منكوقا آن" طلب من أخيه "هولاكو" إرسال الخواجة "نصر الدين الطوسي"^(١٦) إلى العاصمة "قراقورم" لإقامة المرصد هناك، إلا أنه خرج في حرب "الخطا"؛ وبالتالي بنى "هولاكو" المرصد في عاصمته "المراغة"^(١٧) مستفيداً من خبرة هذا الخواجة، وخبرة من استعان بهم من العلماء^(١٨).

وعقب تولية "أباقا خان"^(١٩) الحكم؛ نقل عاصمة الإيلخانيين من "المراغة" إلى مدينة "تبريز"^(٢٠)، واتخذها حاضرة لملكه، وقد شهدت "تبريز" في عهده ازدهاراً كبيراً، خاصة وأن هذه المدينة لم تتعرض للتخريب على يد المغول، ولم تعانِ ما عانتها سائر مدن "إيران" من غارات التتار^(٢١). وقد نظم "أباقا" شئون المملكة، فجعل الإشراف عليها للملك "صدر الدين"، كما وزع باقي الولايات على حكام يديرون شئونها^(٢٢).

وظلت "تبريز" عاصمة للإيلخانيين منذ عهد "أحمد تكودارخان"^(٢٣)؛ حتى عهد "كيخاتوخان"^(٢٤)، وهذا الأخير أمر بتداول العملة الورقية المسماة الجاو^(٢٥)، مع فرضه على الرعية قانوناً يمنع تغييرها أو تبديلها، وجعل من يفعل هذا يقع تحت طائلة قانون "الياسا"^(٢٦)، وتتسحب العقوبة كذلك على أمرائه وأولاده^(٢٧). وهذا يدلنا على تداولها في "تبريز" العاصمة.

كما استمرت مدينة "تبريز" عاصمة للإيلخانية في عهد "غازان خان"؛ الذي دخلها في العاشر من ذي الحجة سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م، وكان في استقباله الوزير "صدر الدين الزنجاني"^(٢٨)، وقد أعلن "غازان" إسلامه في "تبريز" بحضور الشيخ "زيادة صدر الدين إبراهيم بن حمويه"^(٢٩)، وأطلق "غازان" على نفسه اسماً مسلماً هو "محمود"، ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ ابتهاجاً بتلك المناسبة السعيدة^(٣٠)، ولقد كانت "تبريز" كعاصمة للإيلخانية من أهم المدن التي شيد فيها "غازان" عدة منشآت معمارية، منها جامعاً ومدرسة وبني قبة لتكون ضريحاً له، وهذه القبة ليس لها نظير في علوها وسعتها، وقد استغرق بناؤها حوالي خمس سنوات كاملة، كما شيد وزيره "علي شاه الجيلاني" جامعاً

كبيراً في "تبريز" العاصمة^(٣١). وعندما توفي "غازان" في قزوین^(٣٢) في سنة ١٣٠٣هـ/١٣٠٣م، حمل جثمانه إلى عاصمته "تبريز"، ودفن في القبة التي بناها لهذا الغرض^(٣٣)، ولم تكن قبور ملوك المغول معروفة قبل ذلك، ومن ثم تولى أخوه "أولجايتو" الحكم في "تبريز"، فأغدق العطايا والهبات على الأمراء بمناسبة هذا التنصيب^(٣٤).

ثانياً: تشييد مدينة السلطانية:

لقد شرع "أولجايتو" في بناء مدينة "السلطانية"، منذ عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م، في المكان الذي يسميه المغول "قنغور آلانك"^(٣٥)، وهو موضع يقع شمال غربي العراق العجمي^(٣٦)، على مسافة خمسة فراسخ من "زنجان"^(٣٧)، وتسعة فراسخ من "أبهر"^(٣٨)، ويسمى بالبديسي^(٣٩) "النك قنقور" حيث بنى البلدة والقلعة فيها.

شيدت مدينة "السلطانية" في مكان ذي مروج ومرتع للحيوانات والأغنام، فقد كانت خربة تماماً، وكان قادة المغول وجنودهم ينزلون في هذا الموضع؛ في طريق ذهابهم وإيابهم بين "العراق" و"أذربيجان" والعكس^(٤٠)، فأتم بناءها في حدود عشر سنوات، حيث صارت في سنة ٧١٦هـ/١٣١٣م كأحد أعظم البلاد، وأنشئت بها كثير من العمارات والمساجد والحمامات والأسواق، وتجمع بها سكان كثيرون من كل الطبقات^(٤١)، أي أنه جعل جميع عناصر السكان وطوائف المجتمع تعمر تلك المدينة.

وقد قيل إن الذي فكر في إقامة تلك المدينة "أرغون خان"^(٤٢)، ولكنه توفي دون أن يحقق ذلك^(٤٣)، بينما يشير عباس إقبال^(٤٤) إلى أن "غازان" هو الذي بدأ، في أواخر حياته، في التفكير في إقامتها، وأنه شرع في تنفيذ ذلك بالفعل، لولا أنه وافاه الأجل، وفي حقيقة الأمر؛ فإنني أميل إلى رأي عباس إقبال، بأن "غازان" هو الذي شرع في تشييد هذه المدينة، وليس "أرغون"، الذي حكم ما بين ٦٨٣هـ-٦٩٠هـ/١٢٨٤-١٢٩١م، وجاء بعده أخوه "كيخاتو" ثم "بايدو"^(٤٥)، وفي حين توفي "غازان" في سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، ومن خلال سيرته نلاحظ أنه كان يميل إلى البناء والتشييد، وقد تولى خلفاً له "أولجايتو" مباشرة.

شيد "أولجايتو" السلطانية" على شكل حصن مربع الشكل، حوله سور بطول ثلاثين ألف ذراع، وبلغ سمك جدرانه اتساعاً يسمح لأربعة فرسان بالتحرك فوقها جنباً إلى جنب، وأقام في منتصف المدينة قلعة ضخمة تشبه المدينة في ضخامتها، وبنى فيها ضريحاً لنفسه يعرف "بقبة شاه خدابنده"، ويعد هذا الضريح من أهم نماذج العمارة المغولية^(٤٦)، وقد بدأ الفنانون من "فارس" و"قزوين" يتبارون في تزيين المدينة، فتمت إنجازات فنية جديدة تبرز الأسلوب الإيلخاني في فن البناء، وتميزت بالأبراج المثلثة^(٤٧)، وقد وصف البدليسي^(٤٨) مدينة "السلطانية": (بأنها بلدة على شكل مربع طول كل ضلع منها خمسمائة ذراع، ولها باب عظيم وستة عشر برجاً).

وقد اقتفى "أولجايتو" في بنائها الأسلوب الذي سار عليه "غازان" في بنائه "سنب غازان" في "تبريز"، فقد أمر ببناء سبعة مساجد زين أحدهما بالمرمر والصيني، وأقام فيها كثيراً من الأبنية كدار الشفاء، ودار الدواء، ودار السيادة والخانقاه^(٤٩)، وأقام قصرًا لإقامته الخاصة، ومدرسة كبيرة على غرار المدرسة "المستنصرية" ببغداد، استدعى إليها المدرسين والعلماء، وأهل البحث والعلم، من كل حذب وصوب^(٥٠)، وإمعاناً وتقخيماً في بناء "السلطانية"؛ فقد أشار ابن خلدون^(٥١) إلى ذلك بقوله: (تم أنشأ مدينة .. واتخذ بها بيتاً لطيفاً بلبن الذهب والفضة، وأنشأ بإزائها بستاناً جعل فيه أشجار الذهب بثمر اللؤلؤ والفصوص، وأجري اللبن والعسل أنهاراً، وأسكن به الغلمان والجواري تشبيهاً له بالجنة)، وفي ذلك كثير من المبالغة من مؤرخنا ابن خلدون.

ونتيجة لرغبة "أولجايتو" الشديدة في البناء والتشييد -حيث عُرف عنه الميل إلى التعمير- فقد أقام عدة مبانٍ غير "السلطانية"، منها مدينة باسم "سلطان آباد وجمجمال"، وفي "موغان" إحدى مدن "أذربيجان" رفع أعمدة مدينة أطلق عليها اسم "سلطان آباد"، على ضفاف النهر^(٥٢)، كما قام بتجديد جسر "بغداد"، وبنى جامعاً فيها أنفق عليه ألف ألف درهم، في سنة ٧١١هـ/١٣١١م^(٥٣).

لقد أنفق "أولجايتو" على بناء عاصمته "السلطانية" مبالغ طائلة، حيث كان تحت يديه خزائن "غازان"، وكل مخصصات الولايات التابعة للمملكة، كما أوفد الرسل لجميع الجهات لتحصيل الضرائب والعوائد المقررة على الرعية، وجلب أرباب الحرف والفنيين مع نسائهم وأولادهم إلى مقر الإنشاء^(٥٤)، مما يدلنا على مدى اهتمام "أولجايتو" بتشييد عاصمته وحاضرة مملكته.

وقد تجلّى اهتمام رجال الدولة في عهد "أولجايتو"؛ ورغبتهم في التشييد في "السلطانية" في بناء قصورهم بها، وخير دليل على ذلك: الوزير "رشيد الدين فضل الله الهمداني"، الذي أقام محلة على نفقته الخاصة، ضمت ما يقرب من ألف منزل، ومسجداً ومدرسة ودار للشفاء وخانقاه^(٥٥)، مما يوضح مدى رغبتهم في إظهار مدينة "السلطانية" بصورة مبهرة وفاخرة، لذا عين "أولجايتو" على مدينته: "رشيد الدين" نائباً يتفقد أحوالها وييسر شئون تشييدها، ويوفر سبل الأمن والاستقرار بها، ثم صيره حاكماً عليها^(٥٦)، كذلك شيد الوزير "تاج الدين عليشاه" في "السلطانية"، على نفقته الخاصة، عدة أبنية وأقام سوقاً لم ير مثيل له، فحاز بذلك على رضى "أولجايتو"^(٥٧).

اعتبرت مدينة "السلطانية" مكاناً لدفن أبناء "أولجايتو" وزوجاته، الذي بلغ عددهم عشرة أبناء، ستة أولاد وأربع بنات، مات معظمهم في سن صغيرة، فدفنهم في قلعة "السلطانية"، وعندما توفيت زوجته "ايلتورميش خاتون"، وابنته "قائمة خاتون"، من زوجته "قتلغ شاه خاتون"، في سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م، تم دفنهما في مدينة "آران"، ثم نقل جثمانيهما إلى "السلطانية" بعد تمام بنائها^(٥٨)، بناء على رغبة "أولجايتو" في جمع رفات أسرته بجوار قبته في "السلطانية"، والتي أعدها لهذا الغرض، والتي دفن بها "أولجايتو" نفسه في سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م^(٥٩). وجدير بالذكر أن السلطان "أبا سعيد بهادر شاه"، عقب وفاته في ١٣ ربيع الأول سنة ٧٣٦هـ/٣١ أكتوبر ١٣٣٥م، تم نقل جثمانه إلى مدينة "السلطانية"، ودفن في الجامع الذي بناه لهذا الغرض^(٦٠)، ويطلق على ذلك الموضع اسم "شروياز"^(٦١).

ولابد أن نشير في نهاية هذه النقطة إلى أمر مهم: فبرغم المجهودات الكبيرة التي بذلها "أولجايتو" في تزيين "السلطانية" وبنائها، وجلبه الحرفيين من "تبريز"، وتكليفهم بالترويج عن صناعاتهم، والسعي إلى ازدهار المدينة، حتى غدت سلطانيته من أولى مدن الممالك الإيلخانية في فترة وجيزة من الوقت، وبرغم استقرار ابنه أبو سعيد فيها، واتخاذها حاضرة لملكه أيضاً، إلا أن هذه المكانة لم يكتب لها الدوام، فقد فقدت أهميتها بعد وفاة أبي سعيد في سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م، وآلت إلى الخراب بالسرعة نفسها التي ازدهرت بها، فسرعان ما سوى "تيمورلنك" بباقي مبانيها الأرض، فخربت وتهدمت^(٦٢).

ثالثاً: الجيوش السلطانية في عهدي أولجايتو وأبي سعيد:

حرص "أولجايتو" على أن تكون مدينة "السلطانية" المركز الأول الذي تخرج منه الجيوش الرئيسة للغزو، فسارع عقب اعتلائه العرش؛ إلى إسناد القيادة العامة للجيوش إلى الأمير "قتلغشاه" -قطوشاه- ثم وضع تحت قيادته عدداً كبيراً من الأمراء، مثل الأمير "جوبان"، والأمير "قولا"، والأمير "سونج"، والأمير "إيسن قتلغ"^(٦٣)، وبذلك نظم رأس جيشه، ثم تدرج في إعداد باقي أركانه، فأصبح على أتم استعداد لخوض أي معارك خارجية. وأول ما يصادفنا من عملياته العسكرية هي فتح مدينة "هراة"^(٦٤)، ومعاقبة حاكمها الملك "فخر الدين كرت"، نتيجة لعدم تقديم -هذا الأخير- التهنئة على جلوس "أولجايتو" على العرش، فأيقن بإعلانه الخلاف على دولته، وبالتالي جهز جيشه تحت قيادة "دانشمند"، ووجهه إلى هراة ففتحها، وفرض "أولجايتو" على أبناء هذا الملك الوصاية، وتدخل في تعيين حاكمها، حيث أقام "غياث الدين فخر الدين" مكانه^(٦٥)، وأضحت بذلك "هراة" تابعة إلى الدولة الإيلخانية.

لقد خرجت الجيوش الإيلخانية، في عهد "أولجايتو"، تجاه منطقة "جيلان" - كيلان^(٦٦) - ويرجع السبب في ذلك إلى ما بلغ مسامعه من أن أهلها على مذهب مخالف لمذهب المسلمين، وكانت جيلان مقسمة بين سبعة عشر حاكماً، وقد قاد جيش "أولجايتو" القائد "قتلغشاه" في أربعين ألفاً، والأمير "جوبان" في عشرين ألفاً، وقد قتل "قتلغشاه" في

هذه المعركة^(٦٧)، وعاد "جويان" ومعه أسرى من أمراء تلك المناطق^(٦٨)، ومن ثم خرج "أولجايتو" على رأس جيوشه إلى "جبلان"، وتمكن من فرض الجزية على حكامها، والتي قدرت بكمية كبيرة من المنسوجات الحريرية، التي تشتهر بها هذه المناطق، وخطب باسمه على منابرها وكتب اسمه كذلك على السكة^(٦٩).

رابعاً: علاقة السلطانية بسلاطين المماليك في مصر والشام:

اتسمت علاقة "السلطانية" في عهد "أولجايتو" بالود والسلام، في بداية عهده، مع سلاطين المماليك في "مصر" و"الشام"، ثم تحولت هذه العلاقة من المصالحة إلى الحرب، فقد بدأ حكمه بإرسال الرسل إلى السلطان "الناصر محمد بن قلاوون"، يطلب الصلح وعقد المعاهدات، والاتفاق على هدنة مدتها خمسين عاماً، أو أقلها اثني عشر سنة، يستطيع الطرفان فيها تعمير البلدان و العمل على استقرار شئون الحكم، متهماً أخاه غازان في إسلامه بقوله: (.. أنه كان مسلماً في الظاهر كافراً في الباطن)^(٧٠)، وبذلك يعتبر "أولجايتو" غير سياسة أخيه "غازان" الذي هاجم بلاد "الشام" ثلاث مرات، بسبب فرار بعض أمراء الإيلخانيين إلى "مصر" وترحيب السلطان بهم^(٧١).

ولكن سياسة "أولجايتو" لم تستمر على تلك الوتيرة في علاقاته بالمماليك، فقد غير سياسته في سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، فاستقبل عدداً من أمراء "الشام" الفارين - من السلطان "الناصر محمد بن قلاوون" المملوكي - تجاه المملكة الإيلخانية، منهم الأمير "شمس الدين قراسنقر الزركاشي"، والأمير "جمال الدين الأفرم"، فأرسل لهم تومان^(٧٢) من الجند لاستقبالهما، تحت قيادة أميراً مغولاً هو "سوتاي"، ثم أقطع كلاً منهما مدينة إيرانية ليحكمها، وعين لهم رواتب كبيرة للصرف منها، وقد قام هذان الأميران المملوكيان بتسهيل مهمة "أولجايتو" لغزو بلاد "الشام"، ويسروا الأمر عليه^(٧٣).

وبناء على ذلك؛ فقد زحف "أولجايتو" إلى "الشام"، ونزل في "الرحبة"، وزحف على قلعتها وحاصرها ثلاثة وعشرين يوماً، إلا أنه ما لبث أن رحل عنها، بسبب غلاء الأسعار، وقلة العلف والمراعي، وموت أكثر الخيول، فعاد دون تحقيق أي انتصار على المماليك^(٧٤).

تولى "أبو سعيد" حكم الدولة الإيلخانية في سنة ٧١٧هـ - ٧٣٦هـ / ١٣١٧-١٣٣٥م^(٧٥)، فاتخذ سياسة مغايرة تماماً للسياسة التي اتبعها عمه "غازان" ووالده "أولجايتو"، حيث حرص حرصاً شديداً على أن تسود العلاقات الودية بين عاصمة بلاده "السلطانية" وبين "مصر" و"الشام"، في العصر المملوكي، وكانت أولى الخطوات التي اتبعها في هذا الصدد: عقد معاهدة سلام بين الطرفين، سواء من الناحية السياسية أو التجارية^(٧٦)، حيث نصت المعاهدة على حرية التبادل التجاري بينهما، وتأمين طرق التجارة، ونقل البضائع بسهولة ويسر بين البلدين، الأمر الذي أدى إلى تطور حركة التجارة الخارجية بين الطرفين^(٧٧).

وبالفعل فقد ساد السلام والمودة بين الطرفين، وتجلّى ذلك في موسم الحج، حيث اتخذ منه عيداً يعدون له الترتيبات والتجهيزات، فخرج كثير من رعايا الإيلخانية لأداء فريضة الحج، وسيروا معهم المحمل حاملاً علم أبي سعيد طبقاً لشروط المعاهدة - وقوم في وقفة عرفات ما عليهم من الذهب واللاّليء بالشيء الكثير^(٧٨)، وقد أكد الإيلخانيون علي تمسكهم بالاحتفال بالخروج لتأدية فريضة الحج، خاصة وأن الخروج للحج يتم قبل موعده بفترة من الوقت، ففي شهر رمضان سنة ٧٢٣هـ / أكتوبر ١٣٢٣م، خرج وفد من المغول على رأسهم بعض أميرات الإيلخانية، منهن ابنة الإيلخان "أباقا"، وأخت "أرغون" وعمّة "غازان" و"أولجايتو"، من "العراق" إلى الديار المصرية، حيث أقاموا في "مصر" إلي حين خروج ركب الحجاج من بركة الحاج بالقاهرة، فاستقبلوا بالحفاوة والتكريم من قبل السلطان "الناصر محمد"، وخصص لهم القصر الأبلق لإقامتهم^(٧٩).

هذا ولم يخل "أبو سعيد" بتوزيع الصدقات في الأراضي الحجازية، فكان كثير البذل والعطاء لأهل "مكة"، ففي سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م، أرسل بعثة تحت رئاسة "أحمد بن الأمير مبارك بن عطيفة"، ومعه الأمير "محمد الحويج"، والشيخ "زاده الحراوي"، والشيخ "دانيات"، لتوزيع الصدقات التي بلغت اثني عشر تومانا من الذهب، على المجاورين ومشايخ العرب، وبالتالي ذكر اسمه على منابر الجوامع، بعد ذكر اسم سلطان مصر "الناصر محمد بن قلاوون"^(٨٠).

شيد رجال الدولة الإيلخانية عدة مشاريع عمرانية في الأراضي الحجازية، في عهد "أبي سعيد"، وعلى رأسهم الأمير "جوبان"، الذي حفر عيناً بمكة المكرمة، لكثرة شكوى الحجاج من قلة الماء، أطلق عليها "عين بازان"، كما بنى مدرسة أطلق عليها المدرسة الجوبانية نسبة إليه، وأقام "جوبان" ضريحاً لدفنه في "المدينة المنورة" وقد عملت ابنته "بغداد خاتون" زوجة "أبي سعيد"؛ على دفنه في مقبرته، ولكنه دفن في "البقيع" إلى جوار مقبرة "الحسن بن علي بن أبي طالب"^(٨١). كذلك قام الوزير "تاج الدين عليشاه" بإرسال بعض الهدايا القيمة إلى الكعبة المشرفة عبارة عن حلقتين من الذهب ليعلقوها في أستارها^(٨٢).

ومن الحقائق التاريخية التي لا بد من ذكرها: الصلة السياسية بين الحاكمين "أبو سعيد" و"الناصر محمد بن المنصور قلاوون"، حيث وقف "الناصر محمد" معه في القضاء على الفتنة التي أحدثها "تيمورتاش بن جوبان" حاكم "بلاد الروم"، وذلك بعد إعلان الأخير الاستقلال بإقليمه عن الإيلخان، مدعياً أنه المهدي المنتظر، وضرب العملة باسمه وقراءة الخطبة له، وفي هذه المرحلة تقدم الأمير "جوبان" إلى ابنه بجيش فقبض عليه، وحمله مكبلاً بالأغلال للسلطانية^(٨٣)، فعفا عنه "أبو سعيد"^(٨٤)، إلا أن الأمير "تيمورتاش" ثار مرة أخرى بسبب وصول الأخبار بمقتل الأمير "جوبان"، وراسل السلطان "الناصر محمد" ملتصقاً باللجوء السياسي إلى "مصر"، وبالتالي استقبل بالحفاوة في "مصر"، إلا أن السلطان "أبا سعيد" أرسل رسولاً "للناصر محمد" يوضح له نوايا الإيلخان تجاه هذا الأمير، وأنه ما قدم إلى مصر إلا بهدف امتلاكها والسيطرة عليها، وفرض نفوذه فيها^(٨٥)، وبناء عليه فقد تشكك السلطان المملوكي من نوايا الأمير "تيمورتاش"، وإن كانت هذه الشكوك ليس لها دليل من الصحة، بدليل رفضه حكم مدينة "الإسكندرية"، وهي تعد من أكبر وأهم المدن المصرية، والتي عرضها عليه "الناصر محمد" وبذلك وضعت نهاية هذا الأمير على يد سلطان "مصر"، فتم خنقه وقطع رأسه وأرسلت إلى "السلطانية" في شوال سنة ٧٢٨هـ/سبتمبر ١٣٢٨م^(٨٥)، وهكذا نرى أن العلاقات الطيبة نتيجة معاهدة السلام أدت إلى تدخل السلطان "الناصر" لصالح الإيلخان، ووضعت نهاية للأمير "تيمورتاش" بن الأمير "جوبان" وتطلعاته السياسية في الدولة الإيلخانية.

خامساً: بعض مظاهر الحضارة في السلطانية:-

أ - النظام الإداري في "السلطانية":

كان على رأس النظام الإداري والحكم الإيلخان؛ الذي يعتبر الحاكم المطلق في ممتلكاته، والذي جرت العادة أن يرسل الخان الأعظم في "قراقورم" فرماناً بتوليته مع الخلع والتاج، وربما يحدث أن يرفع الإيلخان للحكم لبعض الوقت، ومن ثم يصل فرمان "القآن" فينصب نفسه مرة أخرى، وذلك في الفترة الأولى من حكم الإيلخانيين، مثلما حدث أثناء تولية "أباخان" و"أرغون خان"^(٨٦)، حيث أرسل الإمبراطور "قوبلاي" من "قراقورم" فرماناً بتولية عرش الإيلخانية، حيث كان يطبق في هذه الحقبة: تعاليم "الياسا" الجنكيزية؛ التي نصت في شأن تولية العرش: أن تتولى زوجة الخان المتوفى إدارة البلاد حتى يتم الاتفاق على تعيين الحاكم الجديد، ومن ثم يتم عقد مجلس القوريلتاي^(٨٧)، ويتم الاعتراف بالإيلخان حاكماً على البلاد.

وقد استمر هذا النظام معمولاً به في الإيلخانية حتى عهد "غازان" الذي نظم البلاد، وترك الانتماء إلى الخان الأعظم في "قراقورم"، واتخذ لقب "خان" بدلاً من "إيلخان" - أي الخاضع للخان الأعظم - ووضع ما يعرف بـ "الياسا الغازانية"^(٨٨)، وسار عليها بدلاً من "الياسا الجنكيزية".

أما فيما يختص بتولية "أولجايتو" فعندما وصله خبر وفاة أخيه، وهو في "خراسان"، فقد تأمر على ابن عمه "الأفرنك" الذي كان يتطلع للحكم، وقائده "هورقداق" أكبر أمراء "خراسان" المؤيد للأفرنك، وقضى عليهما^(٨٩)، ثم استأذن من الزوجة الكبرى لـ "غازان" فأيدته في تولية العرش، ومن ثم عقد مجلس "القوريلتاي"، في يوم الاثنين منتصف ذي الحجة سنة ٧٠٣هـ/يوليو ١٣٠٤م بحضور الأمراء وجميع الخواتين، وبذلك تربع على العرش دون الرجوع إلى "الخان الأعظم" في بلاد "الصين"^(٩٠).

كذلك كان اختيار "أبو سعيد" خلفاً لأبيه "أولجايتو"، فمنحه ولاية العهد من بعده، وأسند إليه حكم إقليم "خراسان"، منذ سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م^(٩١). وعقب وفاة "أولجايتو" خرج

"الأتابك سونج"، ومعه "أبو سعيد"، من "خراسان" إلى "السلطانية"، واستقبله الأمراء والخواتين عند "صاين" -قلعة جنوب أذربيجان- ووضعوا تاج "أولجايتو" وحزامه وملابسه وأسلحته على العرش، وبكوا وأعدوا مراسم العزاء، ثم دخلوا "السلطانية" وقدموا ولائم العزاء، ثم بدلوا ملابس العزاء وتوجوا "أبو سعيد"، وانشغلوا في الشراب والطرب، وذلك حسب أحكام النجوم في تحديد يوم جلوس السلطان الجديد^(٩٢).

ب - الوزارة :

لم تكن الوزارة مقننة القواعد ولا مقررة القواعد إلا في خلافة العباسيين، وكان الوزير قبل ذلك يسمى كاتباً، ونتيجة لعدم خبرة المغول في شئون الحكم والإدارة، لذا اعتمدوا على أهل الممالك المغلوبة، وخاصة الفرس الذين استوفوا الشروط التي يجب توافرها في الوزير^(٩٣)، ومن هؤلاء الوزراء: أسرة "الجوينيين"، وعلى رأسهم "شمس الدين محمد الجويني" صاحب الديوان في عهدي "أباقا" و"أحمد تكودار"^(٩٤)، و"صدر الدين أحمد بن عبد الرزاق الخالدي" في عهد "كيخاتو"^(٩٥).

استمر منصب صاحب الديوان يطلق على الوزير حتى عهد "بايدو"، سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م، عندما رأى وزيره "جمال الدين الدستجرداني" أن يطرح لقب صاحب الديوان جانباً، ويختار لقب "الوزير"، وقد تولى هذا الوزير شهرين في عهد "غازان"، ثم عزله وقتله بسبب عدم رضا الأمير "نوروز" عنه، وتولى بدلاً منه "صدر الدين أحمد الخالدي الزنجاني"^(٩٦).

وقد جرت العادة منذ عهد "غازان" على تولية منصب الوزارة لوزيرين، وذلك لاتساع رقعة الدولة، وللحد من تدخل الأمراء في شئون البلاد، وحتى يكون كل واحد منهما رقيباً على عمل الآخر، إلا أن هذا النظام آثر النزاع بين الوزيرين، وزاد من اتساع الفقرة والانقسام بين المرؤوسين، ومن أبرز الأمثلة على ذلك: ما حدث عندما عين "غازان" الخواجه "سعد الدين محمد الساوجي"، ومعه خواجه "رشيد الدين"^(٩٧)، وسارت أمور الوزارة على ما يرام، كما استمر الوزيران في منصبيهما في عهد "أولجايتو"، إلى أن

قام "سعد الدين" بتحريض جماعة من نوابه للكيد للوزير "رشيد الدين"، في مقابل خمسمئة تومان، إلا أن المكيدة بانّت خيوطها، فتم التحقيق معهم بمعرفة السلطان "أولجايتو"، وانتهت بإعدام الوزير "سعد الدين" وأعوانه^(٩٨).

وبذلك أسند "أولجايتو" تدبير الوزارة إلى "رشيد الدين"، وأشرك معه خواجه "عليشاه الجيلاني"، وقد استمر في الوزارة حتى عهد "أبي سعيد"، إلى أن قرر "رشيد الدين" اعتزال منصبه^(٩٩)، وقد تدخل الأمير "جوبان" أمير الأمراء في محاولة إقناعه بالعودة إلى منصبه، إلا أن السلطان قتله بتهمة أنه دس السم كطبيب للسلطان "أولجايتو"، بالتعاون مع ابنه "إبراهيم" الذي كان يعمل ساقياً في مجالس السلطان، وذلك في جمادي الأولى سنة ٧١٨هـ/يونيو ١٣١٨م^(١٠٠).

توفى "تاج الدين عليشاه" في سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٣م، بعد أن انفرد بإدارة البلاد، وأقام عدة أبنية فاخرة؛ منها مدارس وخوانق وأربطة، وأوقف عليها أوقافاً كثيرة، ومن ثم أسند "أبو سعيد" إلى ابني "عليشاه" اللذين تنازعا معاً، ودخلا في خصومة كبيرة، فعزلهما السلطان من منصبيهما، مع مصادرة جميع أموالهما وممتلكاتهما^(١٠١).

وبناء على ذلك ولي "أبو سعيد" في منصب الوزارة: "ركن الدين صاين"، ولقبه بلقب الزاهد، ولكنه عزل على يد الأمير "جوبان"، بعد اصطحابه معه إلى "خراسان"، ثم قتله في مدينة هراة^(١٠٢).

ويعد "غياث الدين محمد بن رشيد الدين الهمداني" من أهم وزراء "أبي سعيد"، الذي شاركه في الوزارة "علاء الدين محمد" من أعيان "خراسان"، ولكن "غياث الدين" انفرد بهذا المنصب، حيث أسند إلى "علاء الدين" ديوان الاستيفاء، وقد اهتم "غياث الدين" بالتشييد والبناء، فأقام مدرسة في "تبريز"، سميت بـ"المدرسة الغياثية" تيمناً باسمه، وألف علماء الفترة كتباً قيمة ورسائل مفيدة باسمه، مثل كتاب "مواقف وفوائد غياثية" لـ"فخر العلماء القاضي عضد الدين الإيجي"^(١٠٣).

ج - الولاية :

اهتم الإيلخانيون بتعيين ولاية على الأقاليم الكبرى في ممتلكاتهم، لمساندتهم في إدارة شئون الحكم، وكان تركيزهم الأكبر على إقليم "خراسان"، فكان يعين أحد أفراد البيت الإيلخاني لذلك، فنرى أن "أباقا" عين أخاه "توبسين" مع تفويض الوزارة إلى "عز الدين طاهر"، كما أسند "أحمد تكودار" إلى الأمير "أرغون" حكمها في عهده^(١٠٤)، وفي عهد "أرغون خان" أرسل ابنه "غازان" حاكماً على "خراسان" و"مازندران" و"قوس"، مع تعيين الأمير "كينشو" مساعداً له، والأمير "توروز" أتابكاً عليها، وكانت الرسل تتردد دائماً بينهما^(١٠٥).

كذلك أسند إلى الأمير "أولجايتو" -قبل تولية الحكم- حكم "خراسان" نائباً عن أخيه "غازان"^(١٠٦)، وعند وصوله للعرش أسند إلى ابنه الصغير "أبي سعيد" حكمها، الذي لم يتجاوز عمره الإثني عشرة سنة، وولى الأمير "سونج" أتابكاً عليه، وأوفد مجموعة من أبناء الأمراء والقواد تتفق أعمارهم مع عمر الأمير، للإقامة معه في "خراسان"، وقد خرج "أولجايتو" من "السلطانية" إلى مدينة "أبهر" لتوذيعة، وذلك في سنة ٧١٣هـ/٣١٣م^(١٠٧)، وعند تولي "أبو سعيد" العرش رفع الأمير "شيخ علي" بن الأمير "قوشجي"، من أمراء الأسرة الأيلخانية، على إقليم "خراسان"، في سنة ٧٣٠هـ/٣٢٩م^(١٠٨).

أما باقي أقاليم الإيلخانة، فمنها "بلاد الروم" التي أسندت إلى "بالتو وسولاميش"، في عهد "غازان خان"^(١٠٩)، وأرسل "أبو سعيد" في حكمها الأمير "تيمورتاش" بن الأمير "جويان"، وجعل "جلال الدين بن رشيد الدين" وزيراً له، ونتيجة لإغواء بعض الأمراء لـ"تيمورتاش"، فقد اغتر بقوته وسك العملة باسمه، وتلقب بـ"مهدي آخر الزمان"، وأعلن انفصاله عن الإيلخانية، وبالتالي خرج إليه أبوه "جويان" بجيش فقبض عليه، وأعادته للعاصمة "السلطانية" مكبلاً بالأغلال، فعفى الإيلخان عنه إكراماً لوالده^(١١٠).

أما عن ولاية "ديار بكر"، وهي من الولايات المهمة في الإيلخانية، فقد عين عليها الأمير "إبرنجين"، وعلى "قزوين" المؤرخ "حمد الله مستوفي القزويني"^(١١١)، وفي عهد السلطان "أبي سعيد" تولى حكم "ديار بكر" الأمير "سوتاي"، وتولى ابنه الأمير

"طغاي بن سوتاي" على "أرمينية" و"خلاط"، والأمير "تاش" على "أصفهان" و"فارس" و"كرمان"، وفي سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م منح الأمير "مسافر اناق" حكم بلاد "فارس" (١١٢).

د- الحالة الاجتماعية في العاصمة "السلطانية":

قام "أولجايتو" بجلب جميع عناصر وطبقات المجتمع، في عاصمته "السلطانية" عند بنائها، فضلاً عن أرباب الحرف والفنيين، واستقدم معهم نساءهم وأولادهم لتعميرها (١١٣).

١ - عناصر المجتمع في "السلطانية": يعد المغول والترك والفرس من أهم العناصر السكانية في "السلطانية"، الذين اختلط بعضهم ببعض نتيجة المصاهرات، فصارت بينهم صلات وثيقة، وقد أكد فؤاد الصياد (١١٤) على تدخل عناصر المغول في شئون الإيلخانية على أساس أنهم العنصر الغالب في البلاد، بقوله: (.. أمراء المغول يتدخلون دائماً في شئون البلاد، وعمل الوزير خاصة، ويملون عليه إرادتهم، ويحرصون على أن يظل العوبة في أيديهم، وأداة طيعة لتحقيق مآربهم). معتمدين في ذلك على أحقيتهم في الإدارة والحكم، بصفتهم من الأسرة الحاكمة.

اتصف جنود المغول في "السلطانية" بأنهم في غاية الانضباط، خوفاً من عقابات "الياسا"، حتى لم يجرؤ أحد منهم على التعرض للجيش (١١٥)، وانتشر الأمن والاستقرار وأصبح صفة من صفاتهم، وكانت الطاعة العمياء لقيادتهم من أهم المهام الرئيسية في حياتهم، فعندما سير "أولجايتو" قائده "دقندار" إلى "مازندران"؛ انضم إلى صفوفه عشرة آلاف جندي كان أكثرهم من المغول (١١٦)، كذلك عندما ثار القائد "توروز" على "غازان"؛ انضم إليه العديد من الجنود المغول (١١٧)، وأطاع الأمير "جويان" عدد عشرين ألفاً من الجنود المغول، أثناء توجهه لحرب "الأوزبك" صاحب مغول "القفجاق"، وأنزل الهزيمة به، وأحضر الأسرى منهم إلى بلاد الإيلخان (١١٨).

أما عن الفرس في "السلطانية"؛ فقد مثلوا العناصر أصحاب الحضارة العريقة منذ القدم، وهم العنصر الذي ساعد في استمرار التأليف، ونتيجة لوجود اللغة الفارسية فقد

ألفت القصائد الشعرية بها، مما دفع الكثير إلى إجادتها والاطلاع على مؤلفاتهم، الأمر الذي يوضح دور العناصر الفارسية في الارتقاء بالثقافة في "السلطانية"، حيث عاش العديد من الموظفين والكتاب كالوزراء، وذلك نظراً لبداءة المغول، وافتقارهم لوسائل الإدارة والإشراف على النواحي المالية، ونرى منهم الوزير "رشيد الدين فضل الله الهمذاني"^(١١٩). أما عن الأتراك فقد مثلوا عنصراً من أهم عناصر السكان في "السلطانية"، وظهر دورهم بصورة واضحة بعد انضمامهم إلى الجيوش الإيلخانية، مثل قبائل التاجيك^(١٢٠)، ومن هنا بدأت اللغة التركية في الانتشار في مجتمع المغول، كلغة للتأليف وفي الدواوين الحكومية، وقد بلغ تأثيرهم إلى أن باتوا لا يكادون يعون اللغة المغولية، وصارت اللغة التركية لسان البلاط والمجتمع معاً، وخاصة بعد اعتناق الإيلخانيين الدين الإسلامي، فأصبحت "السلطانية" المركز الرئيس للاستيطان التركي المغولي، وذلك بصفتها مقر قوة الإيلخانية وحاضرتها^(١٢١).

٢ - الطوائف الدينية في مدينة "السلطانية" :

حفلت "السلطانية" بالعديد من الطوائف الدينية، من المسلمين سنة وشيعة ومتصوفة، حيث أصبح التصوف من المعالم البارزة بين الطوائف الدينية، وأقيمت الخانقاوات في الدولة، بالإضافة إلى أهل الذمة في مدينة "السلطانية".

أ - أهل السنة: اعتنق كثير من سكان "السلطانية" الإسلام على مذهب السنة، فكان "غازان" مسلماً على المذهب الشافعي^(١٢٢)، كما اعتنق "أولجايتو" في بداية حياته الإسلام على المذهب الحنفي، فقد أعلن إسلامه عقب توليه العرش بثلاثة أيام وتسمى بـ"محمداً" وتلقب بـ"غياث الدين"^(١٢٣)، ثم تحول إلى المذهب الشيعي، حيث زين له الفقيه "جمال الدين بن مطهر" مذهب الروافض، وفضله على غيره من المذاهب^(١٢٤).

كذلك اعتنق "أبو سعيد" الإسلام على المذهب الحنفي، ونقش على العملة في عهده أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة، فكانت عملته على وجهها: "ضرب في أيام دولة السلطان الأعظم أبي سعيد خلد الله ملكه، وعلى الظهر لا إله إلا الله، أبو بكر وعمر وعلي"^(١٢٥).

لقد برزت المناظرات المذهبية بين أئمة الشافعية وأئمة الحنفية، في عهد "أولجايتو"، في "السلطانية"، فبرز الشيخ "نظام الدين عبد الملك المراغي" كقاضي قضاة الشافعية فيها، والشيخ الإمام "صدر جهان البخاري الحنفي"^(١٢٦)، ووقف الوزير "رشيد الدين" إلى جانب أئمة الشافعية، وشاركهم في المناظرة الشيخ "سيف الدين علي بن محمد الرفاعي الشافعي"^(١٢٧)، وكذلك كان قاضي القضاة "عبد الله محمد العبيدلي الفرغاني" من أمهر شيوخ الفقه الشافعي، وله مؤلفات في شرح المذهب، مثل "شرح الغاية"، وشرح القاضي "ناصر الدين البيضاوي" المتوفى سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م^(١٢٨).

هذا وقد تم تأليف العديد من المؤلفات المذهبية، منها "شرح الأصول" لـ"ابن الحاجب"، و"شرح حكمة الإشراف" لـ"إمام قطب الدين محمد الشيزاري بن مسعود"^(١٢٩). ولا يفوتنا أن نشير إلى انتشار المدارس الفقهية في "السلطانية"، حيث شيد "أولجايتو" مدرسة كبيرة على غرار "المدرسة المستنصرية" في "بغداد"، استدعى إليها المدرسين والعلماء، كما شيد الوزير "رشيد الدين" في محلته بـ"السلطانية" ألف منزل ومسجداً ومدرسة للمذهب الشافعي وداراً للشفاء^(١٣٠)، وأقام الوزير "عليشاه" أبنية رفيعة من مدارس وخوانق ومساجد، وأوقف عليها الأوقاف، وشيد الوزير "غياث الدين محمد" مدرسته في "تبريز" سميت بـ"المدرسة الغياثية"، وأوقف عليها مزارع، وجعلها لتدريس المذاهب الفقهية الأربعة^(١٣١).

ب- طائفة الشيعة في "السلطانية":

لم تنقطع الدعوة للتشيع وللخليفة "علي بن أبي طالب" - كرم الله وجهه - وآل بيته، وخاصة في العراق، لوجود النجف الأشرف بها، والمدرسة التي شاهدها ابن بطوطة^(١٣٢)، وتحدث عنها، كما ارتفع شأن فقهاء التشيع في عهد "أولجايتو" في المجتمع الإيلخاني. وباعتناق "أولجايتو" للمذهب الشيعي على يد الأمير "طرمتاز بن بايجو بخش" الذي تربى في بلاط "غازان"، واتصف بالجرأة واللباقة في الحديث، ونشأ بين صفوف الشيعة في مدينة "الري"، والذي زين لـ"أولجايتو" هذا المذهب، وزهده في باقي المذاهب

الفقهية^(١٣٣)، والذي انضم إليه بعض أئمة الشيعة، وعلى رأسهم "تاج الدين الأوجي"، و"جمال الدين مطهر الحلي"^(١٣٤)، فمال الإيلخان إلى الشيعة، وزار مشهد الإمام "علي" - كرم الله وجهه - بـ"العراق"، واتخذ من مذهب الاثني عشرية مذهباً له^(١٣٥)، وبناء على ذلك فقد اقتدى الأمراء والجنود بسلطانهم، فتبعه أعداد كبيرة منهم، فيما عدا الأميرين "جوبان" و"ايسن قتلغ"، اللذين استمرا على مذهبهما السني، وكتب "أولجايتو" إلى الأقاليم التابعة لدولته يأمرهم باعتناق التشيع، فامتنع عن ذلك أهل "بغداد" و"شيراز" و"أصفهان"، وهدد البغداديون خطيب المسجد بالقتل إن هو غير في خطبة الجمعة عما هو معتاد^(١٣٦).

وزيادة في الأمر؛ فقد أصدر الإيلخان "أولجايتو" فرماناً باسقاط أسماء الخلفاء الثلاثة -"أبي بكر" و"عمر" و"عثمان" رضي الله عنهم- وسائر الصحابة، من خطبة الجمعة على منابر مملكته، ولا يذكر إلا اسم "علي بن أبي طالب" -كرم الله وجهه- وأسماء الأئمة الاثني عشر، وأضاف في الأذان عبارة "حي على خير العمل"^(١٣٧)، وقد أصدر أوامره بإنشاء مدرسة أخرى في معسكره، باسم "المدرسة السيارية"، من خيم تطوف مع الجيش أينما ذهب وتحرك، معهم طائفة من كبار علماء الفقه، إلى جانب المدرسة الخاصة بالتشيع في "السلطانية"، التي عمل فيها ستون معلماً ومدرساً، واجتمع عليهم مائتا تلميذ^(١٣٨).

وبالرغم من مبالغة "أولجايتو" في تشيعه، وإصراره على نشره في دولته، إلا أنه عدل في أيامه الأخير عن ذلك، حيث أصدر فرماناً بإعادة ذكر أسماء الخلفاء الراشدين في خطبة الجمعة وعلى السكة، عندما رأى أن أغلبية سكان "إيران" رفضوا هذا المذهب، وتدخل بعض قضاة الحنابلة في قتل "تاج الدين" نقيب الأشراف العلويين^(١٣٩).

ج - طائفة المتصوفة في "السلطانية" :

انتشر التصوف في الإيلخانية بوجه عام، و"السلطانية" بوجه خاص، حيث بدأ التيار الصوفي يشتد ويتزايد، خصوصاً لميل الناس إلى خصاله السمحة واللين والرحمة، والحلم الذي ظهر على الدراويش، فأقبل الناس على الاندراج في سلكه، خاصة وأن التصوف بث فيهم الشعور بالأمان والرضى والسكينة، والعزوف عن الدنيا.

أتبع انتشار التصوف إنشاء الخانقوات والزوايا في "السلطانية" و"أذربيجان"، وربطت الأوقاف للصرف على ساكنيها، ففي عهد "أولجايتو" أنشأ خانقاه وسبعة مساجد في "السلطانية"، وشيد وزيره "رشيد الدين" في محله بـ"السلطانية" خانقاه على نفقته الخاصة^(١٤٠). كما أقام "أبو سعيد" خانقاه في "السلطانية"، وشيد الأمير "جوبان" خانقاه على نفقته الخاصة وخصص لها أوقافاً كثيرة، وعندما حدث الخلاف بينه وبين الإيلخان؛ وسط شيخ الخانقاه الشيخ "ركن الملة والدين علاء الدولة" في التدخل لإزالته، إلا أن "أبا سعيد" رفض ذلك^(١٤١)، كذلك شيد الوزير "عليشاه" في "السلطانية" مدارس وخوانق وأربطة ومساجد^(١٤٢)، مما يدل على اهتمام الدولة ورجالها بأمر طبقة المتصوفين، والإنفاق عليهم ببذخ كبير.

د - أهل الذمة :

ازداد نفوذ وسيطرة المسيحيين من "النساطرة" في عهد الدولة الإيلخانية، خاصة في عهد "أباقاخان"، الذي رفع من قدر هذه الطائفة، متأثراً في ذلك بأمه المسيحية الديانة السيدة "دوقوزخاتون"^(١٤٣)، وعقد مع الغرب الأوربي المعاهدات لضرب المماليك في "مصر" و"الشام"، إلا أنه في حقيقة الأمر قد أعفى رجال الدين من الضرائب، فيما عدا رجال الدين اليهود، وجدد كنائس "اليعاقبة" و"النساطرة"، وأمن لهم حرية التبشير بدينهم ونشاطهم الدعوي في عهده^(١٤٤).

وبعد بناء مدينة "السلطانية"، لعب النصارى دوراً بارزاً في عهد "أبي سعيد"، حتى أقنعوه بإنشاء كنيسة في عاصمته، التي قام البابا في سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م بافتتاحها، بمقتضى مرسوم إيلخاني، وأوفد أحد القساوسة ويدعى "فرانسوا دوبيروز" لتولي أسقفية الرعايا المسيحيين فيها، وظل هذا القس في منصبه حتى سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٣م، ثم خلفه قس آخر، ولكن قل نفوذ النصارى في الإيلخانية بعد ذلك، ولم يعد لهم نفس المكانة السابقة^(١٤٥).

وقد ألزم "أبو سعيد" أهل الذمة من يهود ونصارى بلبس الغيار، وشد الزنار في أوساطهم، ووضع خرقة صفراء اللون على عمائم اليهود، ليطمئذوا في ملابسهم عن باقي الطوائف في "السلطانية"، مع العلم بأن مكانة اليهود في الإيلخانية قد وصلت إلى أعلى مكانة في عهد "أرغون خان" الذي استعان بأحد اليهود في وزارته، وهو طبيب القصر "سعد الدولة"، الذي ما لبث أن أسند إلى بني جنسه المناصب الرئيسية في الدولة، ورفعهم على المسلمين الذين أبغضوا معاملته^(١٤٦)، ولعدم اندماج اليهود في المجتمع، فقد تآثرت الرعاية على هذا الوزير وقتلته ونهبت دور اليهود ودكاكينهم^(١٤٧)، ولقد أشار اليوسفي^(١٤٨) إلى دخول عدد من اليهود في الدين الإسلامي، منهم حاخام اليهود في "بغداد"، وذلك في أواخر عهد "أبي سعيد" في سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م.

٣- وسائل التسلية في "السلطانية":

تعد مجالس الطرب والغناء من وسائل الترفيه والتسلية التي مارسها الإيلخانيون في مجالسهم الخاصة، ولأهمية مجالس الغناء والشراب؛ فقد أفرد الوزير نظام الملك الطوسي^(١٤٩) لها فصلاً في كتابه، مشيراً إلى أنه ليس للسلطان أفضل من الإكثار من عقد المجالس، وأن لهذه المجالس نظاماً ونسقاً معيناً.. ولا مفر من حضور الندماء في تلك المجالس، لذا كان "أبو سعيد" يحضر هذه المجالس ومعه نديمه المسمى "الخواجه عبد اللطيف"^(١٥٠)، كما أعطى السلاطين اهتماماً بارزاً بالندماء الذين على علم بضرب الوتر ومعرفة الغناء، فكان على النديم أن يدبر كل ما يلزم للشراب واللهو والنزهة، ورحلات الصيد والصولجان^(١٥١).

وقد اتخذ "أبو سعيد" لمجالسه ساقياً خاصاً به، هو "عز الدين إبراهيم" بن الوزير "رشيد الدين"، الذي امتاز بجمال الوجه والصوت^(١٥٢)، وقد تحدث ابن بطوطة^(١٥٣) عن مجالس الطرب في عهده وتنزهه واستمتاعه بالطرب والغناء في نهر "دجلة"، في سفينة خفيفة تسمى "الشيارة"، وبين يديه الأمراء، وتحيط به "شيارتان" أخريان بهما أهل الطرب والغناء، فقد كان "أبو سعيد" شغوفاً بالغناء واللهو والطرب في مجالسه، وكان له موهبة فذة في العزف على العود، ومصنفات عديدة في فن الموسيقى.

هذا إلى جانب الإكثار من رحلات الصيد، في أوقات معلومة في العام، وهو فصل الربيع، وللصيد حيواناته المعروفة، منها الفهد والسبع والكلاب^(١٥٤)، وعلى الرجال المصاحبين لموكب الصيد الإعداد لحشر الصيد، وإرسال جماعة خارج الناحية التي يزمع الصيد بها لهذا الغرض^(١٥٥).

لقد جرت العادة على خروج الإيلخانيين في فصل الربيع للصيد، فكان "غازان" يتصيد في قوسان وأعمال الحلة^(١٥٦)، وقد أُلِع "أولجايتو" برحلات الصيد في نواحي "السلطانية"، وقد توفي في آخر رحلاته للصيد، ونقل جثمانه إلى "السلطانية"، وكثيراً ما ذهب "أبو سعيد" إلى رحلات الصيد في "أوجان" بـ"السلطانية"، هذا وقد جرت العادة على خروج كبار رجال الدولة لهذه الرحلات، مثل الأمير "جوبان" في عهد "أبي سعيد"، الذي كان يتصيد في نواحي "أذربيجان"، الأمير "أيسن قتلغ" الذي كان يخرج للصيد في منطقة "آران"، وقد توفي في آخر رحلاته ونقل جثمانه إلى "السلطانية"^(١٥٧).

كما جرت العادة على اتخاذ الإيلخانيين مكاناً لمشتاهم وآخر لمصيفهم، يقضون فيه هذين الفصلين بعيداً عن العاصمة "السلطانية"، فكان "أولجايتو" يقضي شتاءه في "بغداد"، أو في مدينة "موغاي" على حدود "أذربيجان"، ويعود للسلطانية في بداية الربيع^(١٥٨)، بينما كان "أبو سعيد" يقضي صيفه في "أوجان" وشتاءه في "بغداد"^(١٥٩)، وقد خرج الوزير "عليشاه" في نهاية أيامه، سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م، إلى "أوجان" لقضاء فصل الصيف هناك، فتوفي ونقل جثمانه إلى العاصمة، ودفن في مسجده المعد لذلك^(١٦٠).

ومن المظاهر الاجتماعية التي مارسها الإيلخانيون: عدة عادات وتقاليد موروثة من أيام المغول الأولى، فقد مارسوا عدة عادات، منها أنه عند وفاة الخان تغلق الطرق، وتصدر الأوامر بالألا ينتقل أي مخلوق من مكان إلى آخر^(١٦١).

كما جرت العادة بإعطاء أطفالهم الرضع إلى مربيات لإرضاعهم والاهتمام بشأنهم، وقد اشترطوا على تلك المربيات بالألا يسمحن لبعولتهن بأن يقربوا منهن^(١٦٢)، كما يحدد للطفل الرضيع أتابك لتربيته وتعليمه فنون القتال والعلوم المختلفة، وعند بلوغ الطفل

سن الخامسة من العمر تقام له احتفالية كبيرة، مثلما حدث لـ"أبي سعيد" الذي اجتمعت كل الخواتين والأبناء والأمراء، والأمير "سونج" الأتابك، وأركبوه حصاناً، ووجهوا هذا الحصان إلى ناحية الشرق، وسكبوا قدحاً من اللبن المخثر على وجهه وظهره^(١٦٣).

وقد جرت في مراسم العزاء: نزع الريش من قلانس الحاضرين، احتراماً وإجلالاً للمتوفى، هذا إلى جانب وضع تاج الإيلخان المتوفى وحزامه وملابسه وأسلحته فوق كرسي العرش، ولبس ملابس الحداد، والأخذ في البكاء والنواح على المتوفى^(١٦٤).

٤ - المرأة الإيلخانية في العاصمة "السلطانية":

لعبت المرأة الإيلخانية دوراً بارزاً في الحياة السياسية، ووصلت سيدات القصور إلى مكانة رفيعة، فكان الإيلخان يكتب في مراسيمه وفرماناته: (عن أمر السلطان والخواتين)^(١٦٥)، وكن يحضرن "القوريلتاي" -مجلس الشوري- الذي لا يتم إلا بحضور الخاتون الكبرى المفضلة لدى الحاكم، لذا كان من حق النساء في القصر اختيار الحاكم الجديد، والأخذ برأيهن فيمن يتولى العرش^(١٦٦)، وكانت الخاتون الكبرى يدق لها الطبول على بابها عقب طبل الخان، وإذا صحبهن الإيلخان في معسكره تنزل كل خاتون من خواتينه في محله على حدة، ولكل واحدة منهن الإمام والمؤذن والقراء ليعلمها أصول الدين الإسلامي^(١٦٧).

اعتاد المغول الزواج بأكثر من سيدة، لرغبتهم في التمتع بالنساء، سواء كن زوجات أو محظيات، فقد تزوج "أبو سعيد" وهو صغير السن من السيدة "أولجاي قتلغ خاتون" ابنة "غازان"، وذلك أثناء بداية إرساله إلى ولاية "خراسان"، وعقد له "أولجايتو" عليها بعقد شرعي على الطريقة الإسلامية، وقد بلغت زوجاته خمس سيدات غير المحظيات^(١٦٨).

ثم مال "أبو سعيد" إلى عشق السيدة "بغداد خاتون" ابنة الأمير "جوبان"، وكانت متزوجة من الأمير "حسن الجلائري" في سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، فطلب أن يطلقها من زوجها، وذلك طبقاً لأحكام "الياسا الجنكيزية"، التي تنص على: أن أي امرأة يقع نظر

الإيلخان عليها ويعجب بها تقدم إليه عن طيب خاطر^(١٦٩)، وبالتالي تم تزوجه منها، وقد حظيت بمكانة ومنزلة عالية في قصره، ووثقت علاقتها بالوزير "غياث الدين محمد"، الذي عمل على تلبية جميع أوامرها وتوجيهاتها^(١٧٠)، وساندها في تلبية طلبها لإقناع "أبي سعيد" في دفن أبيها وأخيها "جلوخان" في مقبرته بالأراضي الحجازية^(١٧١)، وبناء على الإشارات التي دارت حول مراسلات "بغداد خاتون" لمطلقها، فقد تزوج عليها الإيلخان من السيدة "دولشاد خاتون"، ابنة الأمير "دمشق خواجه"، فوضعت "بغداد خاتون" السم له في الطعام فمات، وبالتالي قام الأمير "لؤلؤ" بقتلها في الحمام بحريته، وتركت عدة أيام في موضعها^(١٧٢).

لقد تدخلت السيدات في التجسس على أمراء الدولة، وإبلاغ الإيلخان، بما يشين أفعالهم، فقد قامت السيدة "دنيا خاتون" ابنة المنصور نجم الدين صاحب ماردين، وزوجة "أولجايتو"^(١٧٣)، بالتجسس على نساء الحرم الملكي، وأخبرت "أبا سعيد" بأمر الأمير "دمشق خواجه" وعلاقته بالسيدة "طغي خاتون"، وعندما تحقق من حقيقة ما قالت، أمر بقتل الأمير "دمشق خواجه"، حيث لحق به الأمير "مصر خواجه" وغلان يعرف "بلؤلؤ"، فقتلاه وحمل رأسه إلى الإيلخان، فعلقها على بوابة القصر في سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م^(١٧٤). ومن الطبيعي أن تشارك المرأة الإيلخانية في الحرب وتقاتل في ساحات المعارك، حيث يصطحب الخان زوجاته ومحظياته في ميدان القتال، وذلك لرغبته في المحافظة عليهن من الاعتداءات، ولكي تشددن من أزره في ساحة الوغى، ففي أثناء الصراع بين "أولجايتو" والمماليك في "الرحبة"، ناشد الإيلخان السيدة "نجمة خاتون" الرحيل وترك ميدان المعركة، لسوء الأحوال الجوية ولطول فترة الحصار، دون الاشتباك الفعلي مع الجيش المملوكي^(١٧٥).

ثالثاً: - اهتمام الإيلخانيون بالثقافة:

ارتبطت الحياة الثقافية في الدولة الإيلخانية باعتمادهم للدين الإسلامي، فأقبلوا على بناء المدارس والمساجد، ورتبوا للقائمين عليها النفقات والأرزاق، وطبقوا تعاليم

الشرعية الإسلامية في القضاء، بتعيين قاضي القضاة الشافعي، الشيخ "نظام الدين عبد الملك المراغي"، لمباشرة النظر في الخصومات^(١٧٦)، فصارت بذلك أحكام الشريعة مطبقة في الإيلخانية.

فلم يكتف "أولجايتو" بتوجيه اهتمامه إلى العلوم الدينية مثل علم الحديث الذي برع فيه "الحافظ عبد الرزاق الفوطر"، المتوفى سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م^(١٧٧)، وشجع "رشيد الدين" للقيام بعمل تفسير لآيات القرآن الكريم، وأعد لذلك عدة رسائل جمعها في مصنف واحد سماه "التوضيحات"^(١٧٨)، بل أولى اهتمامه إلى علم التاريخ، وشجع المؤرخين في بلاطه على التأريخ، حتى إنهم تنافسوا فيما بينهم على تأليف الموسوعات التاريخية، فكان عصره يعتبر نهضة جديدة لعلم التاريخ^(١٧٩).

ونتيجة لهذا الاهتمام من قبل الإيلخانيون بتدوين التاريخ، لذا ظهر العديد من المؤرخين في "السلطانية"، وعلى رأسهم "رشيد الدين فضل الله الهمذاني"، الذي كان معروفاً في مجال العلم والتاريخ، فضلاً عن كونه طبيباً، فعمل على تسجيل تاريخ المغول في شكل موسوعات كبيرة، وصنف منظومته الموسوعة في ظل رعاية "غازان" و"أولجايتو"^(١٨٠)، مما يؤكد اهتمامهم بتاريخ أجدادهم ورغبتهم في إعلاء شأن الأسرة المغولية^(١٨١)، كما خصص لـ "غازان" تاريخاً خاصاً به هو "تاريخ غازان"^(١٨٢)، وقد أجزل "أولجايتو" العطايا والهبات لمؤرخنا هذا، وعمل على نشر مؤلفاته على نفقة الدولة، وقد بلغت عشر مجلدات تشتمل على ثلاث آلاف ورقة، كما أمر أن توضع مؤلفاته في مسجد "السلطانية" ليسهل على طلاب العلم الاطلاع عليها^(١٨٣).

ومن مؤرخي تلك الفترة: "شمس الدين كاشي" مؤلف "تاريخ غازان"، وله قصيدة في مدح "خواجة بهاء الدين محمد بن رشيد الدين"، المتوفى في عهد "أبي سعيد"^(١٨٤)، ومن مؤرخي "أبي سعيد" المؤرخ "حمد الله المستوفي" الذي انضم إلى زمرة كتاب الوزير "رشيد الدين" وابنه "غياث الدين محمد"، وألف موسوعته التاريخية "تاريخ كزیده" و"نزّهة القلوب"^(١٨٥).

هذا إلى جانب المؤرخ "شهاب الدين عبد الله الشيرازي"، صاحب كتاب "تجزية الأمصار وترجيح الأعصار" المعروف بكتاب "تاريخ وصاف"، وهو من خمس مجلدات، يحتوي على تاريخ المغول، منذ عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م إلى عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م، وهذا الكتاب بمثابة ذيل لكتاب "الجويني" "تاريخ جهانكشاي" (١٨٦).

لقد تبارى "أبو سعيد" مع وزيره "غياث الدين محمد" في تشجيع العلماء والأدباء والشعراء، ورعايتهم والعمل على نهضة ورقي القصائد الشعرية، فلقد كان السلطان نفسه شاعراً يجيد نظمه، وله أشعار لطيفة، كما حباه الله بخط جميل، فقد أسند "أولجايتو" إلى السيد "شرف الدين الخطاط الشيرازي"، أشهر خطاطي العصر، بأن يعلم "أبا سعيد" فنون الخط وتجويده (١٨٧).

كذلك برز عدد كبير من أطباء القصر الإيلخاني، معظمهم من المسلمين في عهد "أولجايتو" و"أبي سعيد"، على خلاف ما قام به "أرغون" من الاعتماد على طبيب يهودي في قصره هو "سعد الدولة الأبهري" (١٨٨)، استعان "أولجايتو بالطبيب "موفق الدين" و"جلال الدين بن الحران الموصلية" (١٨٩)، ثم استعان بوزيره "رشيد الدين"، الذي عنى عناية فائقة بجلب العقاقير والأدوية اللازمة لدار الشفاء في "السلطانية"، والتي طلبها في مراسلاته إلى مدينة "همدان"، وهي الرسالة رقم اثنين وأربعين من مكاتباته (١٩٠)، كذلك الرسالة الثامنة عشر التي كتبها إلى السيد "علاء الدين هندو"، فيما يتصل بالأدوية بدار الشفاء بـ"تبريز"، والتي اشتملت على عدة زيوت، مثل زيوت برعم البنفسج قيمته ١٠٠ مَن، وزيوت برعم الورد قيمته ٥٠ مَن، وزيت برعم الياسمين ٢٠ مَن، وزيوت كافور جودانه ١٠ مَن، وغيرها من الزيوت (١٩١).

كذلك صدرت أوامر "رشيد الدين" إلى الكحالين بتعليم خمسة من طلاب العلم، حتى يتقنوا صنعة الكحالة وتطبيب العيون، وذلك في مستشفى الربع الرشيدية (١٩٢)، ولا ننسى أن نشير في ختام حديثنا عن الطب إلى تحول عدد من الأطباء اليهود إلى اعتناق الدين الإسلامي في عهد "أولجايتو" (١٩٣).

أهم النتائج المستخلصة من البحث :

- ١- "السلطانية" عاصمة الإيلخانيين في عهدي "أولجايتو" و"أبو سعيد بهادر خان" وهي من أهم عواصمهم.
- ٢- شيد "أولجايتو" مدينة "السلطانية" شمال غرب "أذربيجان"، وجلب إليها جميع عناصر وطبقات المجتمع.
- ٣- خرجت عدة جيوش من "السلطانية" في عهد "أولجايتو"، وتمت معاهدات في عهد "أبي سعيد" مع ممالك مصر.
- ٤- يعتبر الإيلخان على رأس الجهاز الإداري في "السلطانية".
- ٥- نظام الوزارة في "السلطانية" يعتمد على تعيين وزيرين في نفس الوقت، وليس وزيراً واحداً.
- ٦- من أهم ولايات الأقاليم، في عهد الإيلخان، ولاية "خراسان" التي يعين فيها أحد أفراد الأسرة الإيلخانية.
- ٧- تعددت الطوائف الدينية في "السلطانية"، من سنة وشيعة ومتصوفة وأهل الذمة.
- ٨- تمتع الإيلخانيون، وخاصة "أبو سعيد" بمجالس الطرب والشراب والغناء، ورحلات الصيد.
- ٩- تولت المرأة الإيلخانية شئون الحكم طبقاً للياسا، ولها دور في اختيار الإيلخان الجديد.
- ١٠- ضمت "السلطانية" العديد من المؤرخين والمحدثين والأطباء، في عهدي "أولجايتو" و"أبو سعيد".

الهوامش:

- ١- الإيلخانية: كلمة إيلخان كلمة مغولية الأصل، تتكون من مقطعين، أيل بمعنى الخاضع أو التابع أو المطيع، وخان بمعنى الحاكم، إذا معنى الكلمة الخاضع للحاكم في "قراقرم" عاصمة الخان الأعظم من المغول (فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين-أسرة هولاكو-، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢٨).
- ٢- أولجايتو: الحاكم رقم ثمانية من حكامهم، ولد سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م، وسموه تمودر، منعاً للعين الشريرة والحسد (البناتكي: روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب المشهور بتاريخ البناتكي، ترجمة وتقديم محمود عبد الكريم علي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٤٩٩)؛ ولما كانت أمه مسيحية الديانة فقد عمدته، وأطلقت عليه اسم نيغولا (ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ج ٥، ص ٥٤٩؛ العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان - عصر سلاطين المماليك، حققه محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ج ٤، ص ٣١٩)؛ ومعنى أولجايتو في اللغة المغولية هي المغفور له (عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة محمد علاء الدين منصور، مراجعة السباعي محمد السباعي، طبعة دار الثقافة و النشر، بالقاهرة، ص ٤٧٦)؛ كما أطلق عليه اسم خدابنده، والسبب في تسميته بهذا الاسم أنه بعد وفاة والدته أرغون، فر هارباً من أخيه غازان، إلى نواحي شيراز وكرمان، واختلط بالخريندكية والمكارين، أصحاب البغال والحمير، وأمضى وقتاً غير قليل معهم، فأطلق عليه الناس هذا اللقب (البديسي: شرفنامه، ترجمة محمد علي عوني، راجعه يحيى الخشاب، الناشر دار إحياء الكتب العربية، بالقاهرة، سنة ١٩٦٥م، ج ٢، ص ٢٠)؛ وقد أطلق الشيعة عليه اسم خدابنده بمعنى عبد الله (ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتبه هوامشه طلال حرب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢٤١)؛ تولى أولجايتو حكم إقليم خراسان في عهد أخيه غازان، حتى وفاة أخيه واعتلائه العرش (حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ رشيدي، مقدمة وحواشي وتعليقات خانيا بياتي، شركة تضامني علمي، تهران سنة ١٣١٧هـ.ش، ص ٦٦).
- ٣- أبوسعيد بن أولجايتو تولى حكم إقليم خراسان في سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م (عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبي ظبي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٣٢٠؛ Sykes: History of Persia, Vol.II, P.115 وقد تعرضت الإيلخانية في عهده لعدة هجمات من قبل خانية جغتاي، في بلاد ما وراء النهر، ومن الأوزبك خان

ملك صحراء القبجاق، وقد تمكن أبو سعيد بمساعدة أتاكبه الأمير سونج من إنزال الهزيمة بهم (البديليسي: شرفنامه، ج ٢، ص ٢٣؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٤١١ - ٤١٤؛ D'ohsson: Histore des Mongols, depuis techinginz khan, vol.III, (Amsterdam, 1834) p.p. 600 – 601).

٤- هولوكو: حفيد جنكيز خان الذي هاجم البلاد الإسلامية وخوارزم، في عهد السلطان علاء الدين خوارزمشاه وقتله في سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت- لبنان، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج ١٢، ص ٣٩٤؛ الجوزجاني: طبقات ناصري، ترجمة ملكة علي التركي، المركز القومي للترجمة، سنة ٢٠١٢م، ج ٢، ص ١٢٨-١٣٠)؛ فعندما اعتلى الإمبراطور منكوقان عرش إمبراطورية المغول في قراقورم، جهز حملة عسكرية كبيرة للزحف على إيران وقلاع الإسماعيلية (الهمداني: جامع التواريخ - الإبلخانيين - تاريخ أبناء هولوكو، ترجمة محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مجلد ٢، ج ٢، ص ٣٤٠)؛ وقد تمكن من إسقاط الخلافة العباسية، وقتل الخليفة المستعصم في سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م (الجويني: تاريخ فاتح العالم المعروف بتاريخ جهانكشاي، ترجمة محمد ألتونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، جلد أول، ص ٣٦٣؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، تقديم حسين مؤنس، تحقيق محمد زينهم محمد عزت، طبعة دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٩٩م، ج ٣، ص ٢٣٣؛ العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج ١، ص ١٦٧)؛ ولم يوقف تقدمه إلى بلاد الشام إلا عودته إلى قراقورم بسبب وفاة أخيه الإمبراطور، وتجهيز الجيوش المملوكية بقيادة سيف الدين قطز الذي انتصر على كتبغا نائب هولوكو في موقعة عين جالوت (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ووضع حواشيه الأب أنطون صلحاني اليسوعي، الطبعة الثانية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت- لبنان، سنة ١٩٥٨م، ص ٢٨٠)؛ وقد توفي هولوكو في سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٤م في مدينة المراغة (الجوزجاني: طبقات ناصري، ج ٢، ص ٢٠٥؛ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة، تحقيق مهدي المنجم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٢٥٣).

٥- جنكيز خان: اسمه تيموجين التتاري، يتصف بالبنية القوية وضخامة الجسم، وهو في غاية الشجاعة والذكاء، وحد القبائل المغولية تحت سلطانه ونفوذه، وتلقب بجنكيز خان، وضع في سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، ما يعرف بالياسا الجنكيزية دستوراً لهذه القبائل (الجوزجاني: المصدر السابق والجزء، ص ١١٦، ١٥٨).

٦- خراسان: بلاد مشهورة شرقها ما وراء النهر وغربها قهستان، قصبتها مرو، وهي من أعمار الأراضي وأكثرها خيرات، وأهلها أحسن الناس صورة، وأكملهم عقلاً، وأكثرهم رغبة في الدين والعلم (القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ٣٦١).

- ٧- بلاد الروم: بلاد واسعة من أنزه النواحي وأخصبها وأكثرها خيراً، مياهها أعذب المياه وهواؤها صحي وطيب، وترباها أطيب الأتربة وأصحها، وأهلها مسلمون ونصاري (القزويني: المصدر السابق، ص ٥٣٠).
- ٨- أذربيجان: من أشهر مدنها "تبريز"، وهي قصبتها وأكبر مدنها، وأذربيجان مملكة عظيمة، الغالب عليها الجبال، وفيها قلاع كثيرة، وخيرات واسعة وفواكه جمة، وقد فتحت أذربيجان في عهد عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- بقيادة المغيرة بن شعبة الثقفي والي الكوفة (ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت-لبنان، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج ١، ص ١٥٦).
- ٩- أرمينية: اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال، والنسبة إليها أرمني، وقيل أرمينية الكبرى خلاط ونواحيها وأرمينية الصغرى تغليس ونواحيها (ياقوت الحموي: المصدر السابق والجزء، ص ١٩١).
- ١٠- ديار بكر: ناحية ذات قرى ومدن كثيرة بين الشام والعراق، قصبتها الموصل وحران وبها دجلة والفرات (القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٣٦٨).
- ١١- منكوقآن: إمبراطور الدولة المغولية في قراقورم، جهز هولكو وقوبيلاي أخواه لغزو الشرق والغرب، تولى الحكم من بعده خمسة عشر حاكماً (خواندمير: دستور الوزراء، ترجمة حربي أمين سليمان، تقديم فؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٠م، ص ٣٢٥)؛ وقد وصل منكو إلى العرش بترشيح من باتو، أكبر شخصية سناً من أولاد جنكيزخان، الذي عقد مجلس القوريلتاي في الأقماق سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، ثم تم تنصيبه ثانياً في كلوران على حسب العادة المغولية، برفع القلائس وإلقاء الأحزمة على الأكتاف وركوع الأمراء والجنود تسع مرات (الجويني: تاريخ جهانكشاي، ج ٢، ص ١٤٩؛ الهمذاني: جامع التواريخ تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص ٢٢٥؛ D'ohsson: Histoire des Mongols, Tom 2, P. 292.
- ١٢- بادغيس: ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة، ومرو الروذ، وهي ذات خير ورخص يكثر فيها شجر الهياطلة، يكثر فيها الرياح، فتحها عبد الرحمن بن سمرة في عهد معاوية بن أبي سفيان (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٧٨).
- ١٣- أصفهان: وهي مدينة عظيمة مشهورة، وكانت مدينتها جيا ثم صارت اليهودية، وهي من نواحي الجبل، وتسم بطيب التربة وصحة الهواء وعذوبة الماء (القزويني: آثار البلاد، ص ٢٩٦).
- ١٤- المراغة: بلدة مشهورة عظيمة وهي من أذربيجان، عسكر بها مروان بن محمد وهو والٍ على أرمينية وأذربيجان، فكانت دوابه ودواب أصحابه تنمرغ في الأرض، فأطلقوا عليها اسم المراغة (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٩٣).
- ١٥- ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٢٥٣؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٢٠٧.
- ١٦- نصير الدين الطوسي: كان من ساوة، ونشأ في طوس، لذا اشتهر بالطوسي، تفوق في جميع أقسام الحكمة، وألف العديد من المؤلفات، منها كتاب أخلاق ناصري، ونظم الشعر بالعربية في مدح الخليفة المستعصم العباسي، توفي سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م، ودفن إلى جوار مزار موسى الكاظم (خواندمير: كتاب رجال حبيب السير، جمع عبد الحسين نوائي، ترجمة هالة حسن محمد بسيوني،

ضمن رسالة ماجستير جامعة عين شمس كلية الآداب، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٨٢-١٨٣؛ وقد قيل إنه دفن في المقبرة التي أعدها الخليفة الناصر العباسي لدفنه، إلا أن ابنه الظاهر خالف وصية أبيه ودفنه في أرض الرصافة (الهمداني: جامع التواريخ، ص ٣٠٤؛ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٢٦٩).

١٧- لقد استفاد نصير الدين الطوسي بما كان في بغداد من كنوز الكتب القيمة، ونقلها إلى مرصد المراغة، وذلك أثناء إرساله للنظر في الأوقاف بها، كما استولى على العديد من الكتب من مدارس واسط والبصرة (ابن كثير: البداية والنهاية، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف، بيروت- لبنان، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ج ١٣، ص ٢٤٢).

١٨- بناء على أوامر "هولاكو" لـ"نصير الدين" بالانتهاء من بناء المرصد في وقت قياسي، فما كان منه إلا استدعاء عدد من علماء الحكمة والنجوم والكيمياء من كل صوب، للاستعانة بهم في بناء هذا المرصد، أمثال "مؤيد الدين عروضي"، و"فخر الدين المراغي"، و"محيي الدين الأخلصي"، و"نجم الدين دبيران القزويني" (القزويني: تاريخ كزیده- ترجمة الفصول ٩، ١٠، ١١، ١٢ من الباب الرابع والملحق للباحثة فتحية حلمي أمين الدالي، ضمن رسالة دكتوراه جامعة الأزهر كلية الدراسات الإنسانية قسم اللغة الفارسية، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٦٩).

١٩- أباخان: هو أول حكام الإيلخانية، حكم ما بين ٦٦٣هـ- ٦٨٠هـ/ ١٢٦٤-١٢٨٠م وساندته أمه السيدة "دوقوز خاتون"، وهي الزوجة المفضلة لأبيه هولاكو، وطبقاً لأحكام الياسا الجكنيزية فقد آلت هذه السيدة لأكبر أبنائه، وقد أقامت كنيسة في مخيم الأوردو (الهمداني: جامع التواريخ، مجلد ٢، ج ١، ص ٢٢٠)؛ وقد حاول الإيلخان ضم بلاد الشام إلى مملكته إلا أنه هزم، وتوفي في سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م (الهمداني: المصدر السابق، مجلد ٢، ج ٢، ص ٨٣؛ Howarth: History of the Mongols, Vol. III, P.270).

٢٠- "تبريز": مدينة من أذربيجان، وهي مدينة عامرة، ذات أسوار عالية، وفي وسطها عدة أنهار جارية، والبساتين محيطة بها (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣).

٢١- الهمداني: جامع التواريخ، مجلد ٢، ج ٢، ص ١٣؛ البناكتي: تاريخ البناكتي، ص ٤٥٨؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٢١٩؛ لقد أغار المغول على المراغة في ٦١٨هـ/ ١٢٢١م، ثم على "تبريز" إلا أن صاحبها بذل لهم المال وقدم الكثير من الثياب والدواب، لذا لم يخربوا مبانيها (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٣٧٧).

٢٢- الهمداني: المصدر السابق والمجلد والجزء والصفحة.

٢٣- أحمد تكودار خان: هو الثاني من حكام الإيلخانية حكم قرابة العامين ٦٨١-٦٨٣هـ/ ١٢٨٢-١٢٨٣م، وقد اعتنق الإسلام على يد أنصار الطريقة الأحمدية - أتباع السيد أحمد البدوي، لذا تسمى بأحمد، وراسل سلطان مصر المملوكي المنصور قلاوون، بغرض طلب الصلح والتقارب معه (ميرخوند: روضة الصفا، طبعة طهران، ١٣٣٩هـ. ش، ج ٥، ص ٣٣١؛ Howarth: History of the Monogols, Vol. II, P. 290.) وقد انتهت حياة أحمد تكودار بالقبض عليه وقتله على يد

- أرغون خان الذي تولى بدلاً منه العرش، ٦٨٥هـ/١٢٨٦م (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٢٩٨؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ١٤٨).
- ٢٤- كيخاتو: تولى الإيلخانية سنة ٦٩٠هـ/١٢٩٦م خلفاً لأرغون خان، حتى سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م، ظهر في عهده عدة فتن وثورات، من قبيل ولاية الأقاليم، مثل ثورة حاكم لوستان وثورة التركمان واليونان في بلاد الروم، فزحف كيخاتو بنفسه للقضاء عليها (برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المملوكي، ترجمة خالد أسعد عيسى، مراجعة سهيل زكار، الطبعة الأولى، دار حسان للطباعة، دمشق، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٧١).
- ٢٥- الجاو: عبارة عن قراطيس مختومة بخاتم الملك يتعامل بها في جميع بلاد الخطا والصين، بدلاً من الدراهم والفضة، وقد روجوه في مدينة "تبريز"، وترواحت قيمتها بين نصف درهم وعشرة دنانير (الهمداني: جامع التواريخ، مجلد ٢، ج ٢، ص ١٨١-١٨٢).
- ٢٦- الياسا الجنكيزية: هي الفرمانات والتعليمات التي وضعها جنكيز خان لحكم المغول، وتتص الياسا في شأن تولية العرش أن تتولى زوجة الخان المتوفي إدارة البلاد؛ حتى يتم الاتفاق على تعيين حاكم جديد (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٢٨٥).
- ٢٧- ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٣٢٤؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٢٥٨.
- ٢٨- صدر الدين الزنجاني: كان من أبناء أحد قضاة ولاية زنجان، التحق في شبابه بخدمة الأمير طغاجار، وعينه كتاجاتوا وزيراً في "تبريز"، فأدار أمور السلطنة والديوان، فلقبه بصدر الدنيا، ومنحه خاتماً وأطواقاً وطبلاً، وخصص له عدداً من العسكر لحراسته (خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٦٦-٣٦٧)؛ وقد قتل بأمر من غازان خان عندما ظهر له سوء سيرته (ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٣٣٤).
- ٢٩- الشيخ الصوفي الزاهد والإمام الجليل صدر الدين أبو المجمع إبراهيم بن سعد الدين الشافعي، ولد في سنة ٦٦٤هـ/١٢٤٦م، في أمل بطبرستان، وتلمذ على أكثر علماء عصره، نال حظوة كبيرة في بلاط الإيلخانية، وتوفي سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م (الهمداني: تاريخ غازان، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ١٢٣-١٢٤).
- ٣٠- العيني: عقد الجمان، ج ٣، ص ٢٨١.
- ٣١- البدلسي: شرفنامه، ج ٢، ص ١٦-١٧.
- ٣٢- القاشاني: تاريخ أولجايتو - مجموعة متون فارسي زير نظر احسان يار شاطر شماره ٤٠، به اهتمام مهين همبلي، تهران ١٣٤٨هـ. ش، ص ١٥؛ قزوين: مدينة كبيرة مشهورة عامرة، طيبة التربة واسعة الرقعة كثيرة البساتين والأشجار، وهي مدينتان إحداهما في وسط الأخرى، والمدينة الصغرى تسمى شهرستان، لها سور وأبواب، والمدينة الكبرى محيطة بها (القزويني: آثار البلاد، ص ٤٣٤).
- ٣٣- القزويني: تاريخ كزیده، ص ١٨٣.
- ٣٤- القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص ٢٦.
- ٣٥- فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٣٥١.

- ٣٦- القزويني: تاريخ كزیده، ص ١٨٤.
- ٣٧- زنجان: هي قرية من أبهر وقزوين، ويقول العامة عنها زنگان، وقد فتحها البراء بن عازب في خلافة عثمان بن عفان- رضي الله عنه- ثم أكمل فتوحاته بقزوين فملكها (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ١٥٢).
- ٣٨- أبهر: مدينة بأرض الجبال كثيرة المياه والأشجار، وهي في غاية النزاهة من طيب الهواء والبساتين وخارجها أطيب من داخلها، ينزل فيها العساكر والجنود (القزويني: آثار البلاد، ص ٢٨٧).
- ٣٩- شرفنامه، ج ٢، ص ٢٠.
- ٤٠- عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٣١٠.
- ٤١- عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ٤٧٧.
- ٤٢- أرغون خان: هو الحاكم رقم أربعة من إيلخاناتهم، قتل أحمد نكودار في سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م، وتولى الحكم بدلاً منه بمساندة السيدة أولجاي خاتون زوجة أباقا، واتبع سياسة مخالفة لسابقه، وهي الاعتماد على اليهود في المناصب الكبرى، مثل سعد الدين اليهودي في الوزارة (خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٥٩)؛ الذي استعان بأقاربه من اليهود في حكم الولايات، وأظهر بذلك الكراهية للمسلمين، واستمر ذلك حتى تأمر الأمراء عليه وقتلوه، في صفر سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩٠م، ثم أعقب ذلك وفاة الإلخان أرغون في ربيع الأول من نفس العام (البناتكي: تاريخ البناتكي، ص ٤٧١، ميرخوند: روضة الصفا، ج ٥، ص ٣٦١؛ برتولد شبولر: العالم الإسلامي، ص ٧٠؛ Howorth: History of the Mongols, Vol. III, P. 350).
- ٤٣- حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ رشیدی، ص ٦٧.
- ٤٤- تاريخ المغول، ص ٣١٠.
- ٤٥- بايدو: هو بايدو بن طوغاي بن هولاکو، السادس من ملوك الإيلخانية، لم يستمر طويلاً نتيجة لتآمر كيخانو عليه، لذا كانت فترة حكمه من جمادي الأول سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م، إلى ذي القعدة من نفس العام (البناتكي: تاريخ البناتكي، ص ٤٧٧؛ خواندمير: حبيب السیر في أخبار أفراد البشر، جزء أول جلد سوم، انتشارات کتابخانه خیام، سنة ١٣٣٣هـ. ش، ص ١٤؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٢٥٩).
- ٤٦- عباس إقبال: المرجع السابق، ص ٣١٠؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، الطبعة الأولى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، ص ١٤١؛ ويشير فؤاد الصياد إلى ما ذكره زكي محمد حسن عن هذا الضريح: أنه نموذج لروعة فن العمارة الإسلامية في عصر المغول، فذكر أنه من الأضرحة ذات القباب التي زادت عظمة وفخامة بازدياد مساحتها وارتفاعها، ويكثر استخدام العقود فيها، مع زيادة تأثير العلو والارتفاع بأكتاف بناها حول قاعدة القبة، كأنها المآذن الممشوقة (الشرق الإسلامي في عهد الأيلخانيين، ص ٣٥٢).
- ٤٧- برتولد شبولر: العالم الإسلامي، ص ٧٧.
- ٤٨- شرفنامه، ج ٢، ص ٢٥.

- ٤٩- الخانقاه: تسمى الخوانق، وهي كلمة فارسية بمعنى البيت، مفردها خانقة، والأمراء يبنون تلك الخوانق لطائفة الفقراء والدرويش (ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٥٦).
- ٥٠- عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ٤٧٧؛ تاريخ المغول، ص ٣١١.
- ٥١- العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٥، ص ٥٤٩.
- ٥٢- القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص ٢٢٥؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٣٥١.
- ٥٣- العيني: عقد الجمان، ج ٣، ص ٣١٣.
- ٥٤- فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٣٥١.
- ٥٥- فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص ١٤٢.
- ٥٦- فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٣٥٢.
- ٥٧- القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص ٢٢٥؛ عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ٤٨١.
- ٥٨- البناكتي: تاريخ البناكتي، ص ٤٩٩.
- ٥٩- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ، ج ٥، ص ٥٤٩؛ البديسي: شرفنامه، ج ٢، ص ٢٤-٢٥.
- ٦٠- السمرقندي: مطلع السعدين ومجمع البحرين، ترجمة أحمد رياض عز العرب، ضمن رسالة ماجستير، كلية الآداب قسم اللغات الشرقية، جامعة جنوب الوادي، سوهاج، إشراف شعبان طرطور، سنة ١٣١٧هـ/١٩٩٧م، ص ٢٦٢؛ البديسي: المصدر السابق والجزء، ص ٣٥.
- ٦١- السمرقندي: المصدر السابق، ص ٢٦٤.
- ٦٢- البديسي: شرفنامه، ج ٢، ص ٢٥؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٣١١؛ تاريخ إيران، ص ٤٧٨.
- 63- Howarth: History of the Mongols, Vol. II, p.p. 535- 536.
- ٦٤- هراة: مدينة من مدن خراسان، وهي من أجل وأعمر المدن، بها بساتين كثيرة، ومياه غزيرة، ويحمل من هراة الأواني الصفوية المطعمة بالفضة، وأنواع الديباج (القزويني: آثار البلاد، ص ٤٨١).
- ٦٥- ميرخواند: روضة الصفا، ج ٥، ص ٤٥٤؛ خواندمير: حبيب السير، جزء أول جلد سوم، ص ٢٠١.
- ٦٦- جيلان أو كيلان: منطقة ممتدة ما بين حدود أردبيل واخلخان، وفي جيلان قوم من أبناء فارس عملوا بالزراعة فيها (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٠١).
- ٦٧- القزويني: تاريخ كزیده، ص ١٨٤؛ العيني: عقد الجمان، ج ٤، ص ٣٨٥-٣٨٦.
- ٦٨- ابن أبيك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، المعروف بالدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت رويمر، مطبعة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، سنة ١٩٦٠م، ج ٩، ص ١٤٩؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، حققه محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٦م، ج ١، ص ٢٨٢؛ ابن سباط: صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط، عني بتحقيقه عمر عبد السلام تدمري، جروس برس طرابلس، سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج ٢، ص ٥٩٥.
- ٦٩- القزويني: تاريخ كزیده، ص ١٨٤؛ عن حرب كيلان انظر عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، طبعة بغداد، سنة ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م، ج ١، ص ٤٠٤.

- ٧٠- ابن أبيك الدواداري: كنز الدرر، ج ٩، ص ١٢٧؛ القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص ٤٨؛ ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ج ٢، ص ٥٨٥.
- ٧١- أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ٥٨؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج ١، ص ٢١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢؛ العيني: عقد الجمان، ج ٣، ص ٢٨١؛ خواندمير: حبيب السير، ج ١، جلد سوم، ص ١٧٧؛ Sykes: History of Persia, Vol. II, P.234
- ٧٢- التومان: لفظ فارسية مفردا تومان، ويعني عشرة آلاف جندي (اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، هامش ٣، ص ١٧١).
- ٧٣- ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٤٠؛ القزويني: تاريخ غزيده، ص ١٨٤-١٨٥؛ ابن أبيك الدواداري: كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٣٠.
- ٧٤- ابن أبيك الدواداري: المصدر السابق والجزء، ص ٢٩١؛ اليوسفي: المصدر السابق، ص ٣٣٠؛ ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ج ٢، ص ٦١٤.
- ٧٥- لقب أبو سعيد بلقب علاء الدنيا والدين أبا سعيد خان، وعقب انتصاره على الأمير ايرنجين حاكم ديار بكر، لقب بلقب بهادر شاه، لما أظهره من الجلالة والبطولة في هذه المعركة (السمرقندي: مطلع السعدين ومجمع البحرين، ص ١٨٩، ٢٠٨).
- ٧٦- لمزيد من التفاصيل عن معاهدة الصلح بين أبي سعيد والمماليك انظر عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٣٤٢؛ لقد سبق هذه المعاهدة هجوم من المماليك على حدود ديار بكر في بداية عهد أبي سعيد، ولكن لصغر سن الإيلخان فقد ساندته أتابكه الأمير سونج في التصدي لهذه المحاولة (فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٤١١، ٤١٤؛ D'ohsson: Histoire des Mongols, Tom III, P.P. 600- 601
- ٧٧- عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٣٤٢؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٤٨٢.
- 78- Howorth: History of the Mongols, Vol. III, P. 600.
- ٧٩- ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٩٧، ١٠٥-١٠٦.
- ٨٠- ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢٥٩؛ Howorth: History of the Mongols, Vol. III, p. 530.
- ٨١- ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٤٠؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج ٢، ص ١٦٥؛ السمرقندي: مطلع السعدين، ص ٢٤١؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٣٤٢؛ Howorth : Ibid, p. 600

- ٨٢- عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ٤٨٨.
- ٨٣- حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ رشدي، ص ١٦٠؛ ميرخواند: روضة الصفا، ج ٥، ص ٥٠٤.
- ٨٤- أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ١١٤؛ السمرقندي: مطلع السعدين، ص ١٩٦؛ لقد أبدى السلطان الناصر محمد استعداداه بمنح تيمورتاش حكم مدينة الأسكندرية، إلا أن الأمير رفض ذلك رغباً في حصوله على الجند والإمدادات لقتال أبي سعيد في السلطانية (ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢٤٢-٢٤٣).
- ٨٥- أبو الفداء: المختصر، ج ٤، ص ١١٦؛ ابن حبيب: تذكرة النبیه، ج ٢، ص ١٨٠؛ عباس العزاوي: تاريخ العراق، ج ١، ص ٥٠٥.
- ٨٦- ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٢٩٨؛ الهمذاني: جامع التواريخ، مجلد ٢، ج ٢، ص ١٠-١١، ١١٦؛ القزويني: تاريخ كزیده، ص ١٦٩.
- ٨٧- مجلس القوريلتاي: هو مجلس شوری المغول، يجتمع فيه الأمراء والنبلاء والقادة العسكريين والخواتين، لدراسة جميع أحوال الدولة، ومن ضمنها اختيار الحاكم الجديد (الجويني: تاريخ جهانكشاي، ج ١، ص ١٧٥).
- ٨٨- الهمذاني: تاريخ غازان، ص ٢٠٢-٤٠٤؛ عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ٤٦٧-٤٧٥؛ تاريخ المغول، ص ٢٨٩-٢٩٦.
- ٨٩- الهمذاني: المصدر السابق، ص ١٨٩؛ القزويني: تاريخ كزیده، ص ١٨٣.
- ٩٠- البناكتي: تاريخ البناكتي، ص ٥٠٠.
- ٩١- البديليسي: شرفنامه، ج ٢، ص ٢٣.
- ٩٢- السمرقندي: مطلع السعدين، ص ١٨٨.
- ٩٣- فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص ١١٦-١١٨.
- ٩٤- الهمذاني: جامع التواريخ، مجلد ٢، ج ٢، ص ٧٣؛ خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٣٧.
- ٩٥- ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٣٢٤؛ القزويني: تاريخ كزیده، ص ١٨٠.
- ٩٦- انظر خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٦٦-٣٧١.
- ٩٧- الهمذاني: تاريخ غازان، ص ١٧٠؛ القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص ٢٨؛ القزويني: تاريخ كزیده، ص ١٨١؛ البديليسي: شرفنامه، ج ٢، ص ١٧؛ كان سعد الدين وزيراً فاضلاً وراعياً للفضيلة والفضلاء، ولم يكن له مثيل في علم الاستيفاء وفن الكتابة والإنشاء (خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٧٢).

- ٩٨- البناكتي: تاريخ البناكتي، ص ٥٠١؛ القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص ٥٠؛ العيني: عقد الجمان، ج ٤، ص ٤٥٥؛ عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ٤٨١؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٣٤٩.
- ٩٩- السمرقندي: مطلع السعدين، ص ١٩٠-١٩٢؛ البديليسي: شرفنامه، ج ٢، ص ٢٥.
- ١٠٠- ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج ٢، ص ٩٧؛ خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٧٧؛ برتولد شبولر: العالم الإسلامي، ص ٧٨.
- ١٠١- خواندمير: المصدر السابق، ص ٣٧٨-٣٧٩؛ حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ رشدي، ص ١١٦؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص ١٩٢.
- ١٠٢- القزويني: تاريخ كزیده، ص ١٩٣-١٩٥؛ البديليسي: شرفنامه، ج ٢، ص ٢٧؛ ركن الدين صاين من أهل بلدة فسا من شيراز، أقام فترة في نخجوان، وجده كان عارضاً للجيش في الدولة الخوارزمية، وعبر نهر السند مع السلطان جلال الدين منكبرتي، ولقب ركن الدين صاين بلقب نصر الدين العادل (السمرقندي: مطلع السعدين، ص ٢٢١).
- ١٠٣- القزويني: تاريخ كزیده، ص ١٩٦؛ السمرقندي: المصدر السابق، ص ٢٣١-٢٣٢؛ خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٨١-٣٨٢.
- ١٠٤- الهمذاني: جامع التواريخ، مجلد ٢، ج ١، ص ١٢، ٩٦.
- ١٠٥- الهمذاني: تاريخ غازان، ص ٨٧.
- ١٠٦- عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٣٠٨.
- ١٠٧- السمرقندي: مطلع السعدين، ص ١٨٤؛ ميرخواند: روضة الصفا، ج ٥، ص ٤٥٤؛ البديليسي: شرفنامه، ج ٢، ص ٢٣.
- ١٠٨- السمرقندي: المصدر السابق، ص ٢٥٦.
- ١٠٩- القزويني: تاريخ كزیده، ص ١٨١.
- ١١٠- السمرقندي: مطلع السعدين، ص ٢١٨.
- ١١١- فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص ٤١٢؛ كان على ديار بكر في عهد أباقا ملك رضي الدين ، ثم عزل وتولي جلال الدين الذي اتسم بالشهامة في عهد غازان (خواندمير: رجال حبيب السير، ص ١٩١).
- ١١٢- اليوسفي: نزهة الناظر، ص ٣٠٣؛ السمرقندي: مطلع السعدين، ص ١٩٠، ٢٤٣، ٢٦٠.
- ١١٣- عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ٤٧٧؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٣٥٢.
- ١١٤- مؤرخ المغول الكبير، ص ١٢١.

- ١١٥- الجويني: تاريخ جهانكشاي، ج ١، ص ٢٧٢.
- ١١٦- العيني: عقد الجمان، ج ٥، ص ٣٨٠-٣٨١.
- ١١٧- ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٣٣١.
- ١١٨- السمرقندي: مطلع السعدين، ص ١٩٥-١٩٦.
- ١١٩- الهمذاني: تاريخ غازان، ص ١٧٠؛ القزويني: تاريخ كزنده، ص ١٨١؛ رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، القاهرة، ص ٥٠؛
- Saunders: The History of the Mongols Conquests Rout ledge and Kegan Paut, (London, 1971), P.140.
- ١٢٠- رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق، ص ٥١؛ Saunders: Ibid, p.172.
- ١٢١- برتولد شبولر: العالم الإسلامي، ص ٧٣.
- ١٢٢- الهمذاني: تاريخ غازان، ص ٤١٤؛ أسلم غازان، طبقاً لنصيحة الأمير نوروز، على يد الشيخ صدر الدين حموية في سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م، وأسلم معه جميع الأمراء والجنود المغول، وأمر بإقامة المساجد والحمامات في كل قرية من قري الإيلخانية وخرب كنائس كثيرة وحولها إلى مساجد (العيني: عقد الجمان، ج ٣، ص ٢٨١).
- ١٢٣- ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٥٤٩؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٣٠٩.
- ١٢٤- ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢١٩؛ ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ج ٢، ص ٦٠٥؛ فؤاد الصياد: الشرق، ص ٣٧٠.
- 125- Norman Nicol, Raafat El Nabarawy, Jerel Bachach: Catalog of the Islamic Coins, glos welghts dies and medais in the Egyptian national, (Library cairo undena publication, 1982) P. 87.
- ١٢٦- البديسي: شرفنامه، ج ٢، ص ٢١.
- ١٢٧- البناكتي: تاريخ البناكتي، ص ٥٠١.
- ١٢٨- خواندمير: رجال حبيب السير، ص ٢٠٧.
- ١٢٩- البديسي: شرفنامه، ج ٢، ص ٢٢.
- ١٣٠- فؤاد الصياد: مؤرخ المغول، ص ١٤٢؛ عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ٤٧٧؛ تاريخ المغول، ص ٣١١.
- ١٣١- خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٧٨-٣٨٢.
- ١٣٢- الرحلة، ص ١٩٣.

- ١٣٣- القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص ٩٠؛ البدليسي: شرفنامه، ج ٢، ص ٢١؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول، ص ١٤٦-١٤٧.
- ١٣٤- القاشاني: المصدر السابق، والصفحة؛ عباس العزاوي: تاريخ العراق، ج ١، ص ٤٠٧.
- ١٣٥- خواندمير: حبيب السير، جزء أول، جلد سوم، ص ١٩١؛ Saunders: The History, P.136
- ١٣٦- ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢١٩-٢٢٠؛ ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ج ٢، ص ٦٠٥.
- ١٣٧- ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٧؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٥٤٩؛ القزويني: تاريخ غزیده، ص ٢٤؛ لقد تأثر العديد من رجال الدولة الإيلخانية بموقف أولجايتو، فارتفعت مكانة الوزير الثاني سعد الدين الساجي على الوزير الأول رشيد الدين، وظهر الشيخ جمال الدين مطهر الحلي، وارتفع شأنه في الدولة، وهو إمام الشيعة، العارف بالأصول والنحو والفقه، وله مصنفات في المذهب الإثنى عشري بلغت المئة وعشرين مصنفاً، ورتب له الإيلخان العطايا والهبات من خزانة الدولة (ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢٠٠؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج ٢، ص ١٦٢).
- ١٣٨- عباس إقبال: تاريخ إيران، ص ٤٨؛ تاريخ المغول، ص ٢١٦.
- ١٣٩- فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٣٨٣.
- ١٤٠- عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٣١١.
- ١٤١- السمرقندي: مطلع السعدين، ص ٢٣٥-٢٣٦.
- ١٤٢- خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٧٨.
- ١٤٣- ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٢٨٥.
- ١٤٤- برتولد شبولر: العالم الإسلامي، ص ٦٦.
- ١٤٥- القزويني: تاريخ غزیده، ص ١٨٤؛ رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام، ص ٢٢٥؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٣٤٣.
- ١٤٦- ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٣٣٣.
- ١٤٧- البناكتي: تاريخ البناكتي، ص ٤٧١؛ القزويني: تاريخ غزیده، ص ١٧٥؛ ميرخواند: روضة الصفا، ج ٥، ص ٣٦١؛ عباس العزاوي: تاريخ العراق، ج ١، ص ٢٤٧؛ Howorth: History, Vol. III, P.350؛ سعد الدولة بن صفى الدين الأبهري اليهودي، أسند إلى أخيه فخر الدولة حكم بغداد، وإلى أخيه الآخر حكم ديار بكر، في عهد أرغون خان (خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٦١).
- ١٤٨- نزهة الناظر، ص ٢٨٢-٢٨٣.
- ١٤٩- سياست نامه، ترجمة السيد محمد العزاوي، طبعة دار الرائد العربي بالقاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٥٦-١٥٨.

- ١٥٠- فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٤١٣؛ مؤرخ المغول، ص ١٧٤.
- ١٥١- نظام الملك الطوسي: سياست نامه، ص ١٢٣.
- ١٥٢- السمرقندي: مطلع السعدين، ص ١٩٣؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٤١٣.
- ١٥٣- الرحلة، ص ٢٤١.
- ١٥٤- القزويني: تاريخ كزیده، ص ٢٨.
- ١٥٥- قابوس الثاني: كتاب النصيحة المعروف بقابوسنامه، ترجمة محمد صادق نشأت ، وأمين عبدالمجيد بدوي، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو، سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، ص ١١٣.
- ١٥٦- ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٣٣٣؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ٣٢٢-٣٢٣؛ لقد مارس غازان الصيد وعمره ثماني سنوات، ومكث ثلاثة أيام في دامغان من أجل طلاء يده بالشحم، على أساس أنه صيده الأول، وأقام هناك الولائم وحفلات اللهو (الهمذاني: تاريخ غازان، ص ٨٢).
- ١٥٧- البناكتي: تاريخ البناكتي، ص ٥٠٢؛ القزويني: تاريخ كزیده، ص ٢٩، ١٩٠-١٩١.
- ١٥٨- البديليسي: شرفنامه، ج ٢، ص ٢١؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول، ص ٤٥٢.
- ١٥٩- السمرقندي: مطلع السعدين، ص ١٨٤، ٢٢٤.
- ١٦٠- البديليسي: شرفنامه، ج ٢، ص ٢٧.
- ١٦١- الهمذاني: جامع التواريخ، مجلد ٢، ج ٢، ص ٩.
- ١٦٢- الهمذاني: تاريخ غازان، ص ٧٩.
- ١٦٣- السمرقندي: مطلع السعدين، ص ١٨٢.
- ١٦٤- الهمذاني: تاريخ غازان، ص ١٠١؛ السمرقندي: المصدر السابق، ص ١٨٨.
- ١٦٥- ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢٤٣.
- ١٦٦- فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ١٢٢.
- ١٦٧- ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢٤٦.
- ١٦٨- البناكتي: تاريخ البناكتي، ص ٥٠٣؛ السمرقندي: مطلع السعدين، ص ١٨٣.
- ١٦٩- ميرخواند: روضة الصفا، ج ٥، ص ٥٧؛ خواندمير: حبيب السير، ج ١، جلد سوم، ص ٢٠٩؛ حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ رشیدی، ص ١٦٣.
- 170- Howorth: History of the Mongols, Vol. III, P. 611.
- ١٧١- السمرقندي: مطلع السعدين، ص ٢٤١.

- ١٧٢- ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢٤٣؛ حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ، ص ١٩١؛ برتولد شبولر: العالم الإسلامي، ص ٧٩.
- ١٧٣- العيني: عقد الجمان، ج ٥، ص ١٥٧؛ ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ص ٦٠٤؛ عباس العزاوي: تاريخ العراق، ج ١، ص ٤١٥.
- ١٧٤- أبو الفداء: المختصر، ج ٤، ص ١١٣؛ ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢٤١؛ السمرقندي: مطلع السعدين، ص ٢٢٨-٢٢٩.
- ١٧٥- ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج ١، ص ٤٥.
- ١٧٦- البديسي: شرفنامه، ج ٢، ص ٢١.
- ١٧٧- خواندمير: رجال حبيب السير، ص ٢٠٦.
- ١٧٨- ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٨٧؛ عباس العزاوي: تاريخ العراق، ج ١، ص ٤٥٣.
- ١٧٩- القزويني: تاريخ كزیده، ص ٢٨.
- ١٨٠- برتولد شبولر: العالم الإسلامي، ص ٧٧.
- Howorth: the History of the Mongols, Vol. III, P. 427.
- ١٨١- ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٥٤٩؛ ميرخواند: روضة الصفا، ج ٥، ص ٤٧٨.
- ١٨٢- ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج ٢، ص ٩٧؛ رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام، ص ٢١٦.
- 183- Howorth: History, Vol. III, P.561.
- ١٨٤- خواندمير: رجال حبيب السير، ص ٢٠٠.
- ١٨٥- خواندمير: المصدر السابق، ص ٢٠٦.
- ١٨٦- القزويني: تاريخ كزیده، ص ٢٨؛ Sykes: Ahistory of Persia, vol II, p.14.
- ١٨٧- خواندمير: رجال حبيب السير، ص ٢٠٢.
- ١٨٨- خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٥٩.
- ١٨٩- فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٤٢٢.
- ١٩٠- الهمذاني: مكاتبات رشیدی، ترجمة ثريا محمد علي، ضمن رسالة ماجستير في الأدب الفارسي، إشراف سعاد عبد الهادي قنديل وأحمد حمدي السعيد الخولي، سنة ١٩٨١م، ص ١٩٩.
- ١٩١- الهمذاني: المصدر السابق، ص ٥٣.
- ١٩٢- فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص ٤٣٦.
- 193- Saunders: The History of the Mongols, P.P. 143- 144.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً:- المصادر العربية:

- ١- ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): علي بن محمد بن محمد الشيباني :
"الكامل في التاريخ"، ج ١٢، دار صادر، بيروت-لبنان، سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- ٢- ابن أبيك الدواداري (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م): أبو بكر بن عبد الله :
"كنز الدرر وجامع الغرر"، ج ٩ المعروف بالدر الفاخرة في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت رويمر، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ٣- ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م): محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي :
"رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار"، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ٤- ابن حبيب (ت ٧٩٩هـ/١٣٧٧م): الحسن بن عمر بن الحسن :
"تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه"، ج ١، ج ٢، حققه ووضع حواشه محمد أمين، راجعه سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنوات ١٩٧٦م، ١٩٨٢م.
- ٥- ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي :
"العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، ج ٥، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- ٦- ابن سباط (ت ٩٢٦هـ/١٥٢٠م): حمزة بن أحمد بن عمر :
"صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط"، ج ٢، عني بتحقيقه عمر عبد السلام تدمري، جروس برس طرابلس، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- ٧- ابن العبري (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): غريغوريوس أبو الفرج بن اهرن :
"تاريخ مختصر الدول"، وضع حواشيه الأب انطون صلحاني اليسوعي، الطبعة الثانية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت- لبنان، سنة ١٩٥٨م.
- ٨- العيني (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م): بدر الدين محمود :
"عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان-عصر سلاطين المماليك"، ج ١، ج ٣، ج ٤، ج ٥، حققه محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، عدة سنوات.
- ٩- أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل :

- "المختصر في أخبار البشر"، ج ٤، تقديم حسين مؤنس، تحقيق محمد زينهم محمد عزت، طبعة دار المعارف بالقاهرة، سنة ١٩٩٩ م.
- ١٠- ابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م): كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد: "الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة"، تحقيق مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣ م.
- ١١- القزويني (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): زكريا بن محمد بن محمود: "آثار البلاد وأخبار العباد"، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩ م.
- ١٢- ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م): الحافظ بن كثير: "البداية والنهاية"، ج ١٤، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف، بيروت- لبنان، سنة ١٤١١هـ/١٩٩٠ م.
- ١٣- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي: "معجم البلدان"، ٥ أجزاء، دار صادر، بيروت- لبنان، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤ م.
- ١٤- اليوسفي (ت ٧٥٩هـ/١٣٥٨م): موسى بن محمد بن يحيى: "تزمة الناظر في سيرة الملك الناصر"، تحقيق أحمد حطيط، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت- لبنان، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦ م.

ثانياً:- المصادر الفارسية :

- ١٥- البديلي (ت بعد ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م): شرف خان: "شرفنامه"، ج ٢، ترجمة محمد علي عوني، راجعه يحيى الخشاب، الناشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٥ م.
- ١٦- البناكتي (ت ٧٣٥هـ/١٣٣٤م): أبو سليمان داود بن أبو الفضل محمد: "روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب المشهور بتاريخ بناكتي"، ترجمة وتقديم محمود عبد الكريم علي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١ م.
- ١٧- الجوزجاني (ت ٦٩٨هـ/١٣٠٠م): أبو عمر منهاج الدين عثمان: "طبقات ناصري"، ج ٢، ترجمة ملكة علي التركي، المركز القومي للترجمة، سنة ٢٠١٢ م.
- ١٨- الجويني (ت ٦٨٨هـ/١٢٨٩م): علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد: "تاريخ فاتح العالم جهانكشاي"، ترجمة محمد ألتونجي، المجلد الأول، والمجلد الثاني، دار الملاح للطباعة والنشر، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ م.

- ١٩- حافظ أبرو (ت ٨٣٨هـ/١٤٣٤م): شهاب الدين عبد الله بن لطف الله:
"ذيل جامع التواريخ رشدي" جاب دوم، مقدمة وحواش وتعليقات خانبا بياتي، شركة تضامني علمي، تهران سنة ١٣١٧هـ. ش.
- ٢٠- خواندمير (ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥م): غياث الدين بن همام الدين:
"حبيب السير في أخبار أفراد البشر"، جزء أول جلد سوم، انتشارات كتابخانه خيام، سنة ١٣٣٣هـ. ش.
- ٢١- "دستور الوزراء"، ترجمة وتعليق حربي أمين سليمان، تقديم فؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.
- ٢٢- كتاب رجال حبيب السير"، جمع عبد الحسين نوائي، دراسة وترجمة هالة حسن محمد بسيوني، رسالة ماجستير في الآداب، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم لغات الأمم الإسلامية، تحت إشراف محمد السعيد جمال الدين ويسري فؤاد مرسى، سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- ٢٣- السمرقندي (ت ٨٨٧هـ/١٤٨٢م): كمال الدين عبد الرزاق بن جلال الدين إسحاق:
"مطلع السعدين ومجمع البحرين"، ترجمة أحمد رياض عز العرب، ضمن رسالة ماجستير، كلية الآداب قسم اللغات الشرقية، جامعة جنوب الوادي، سوهاج، إشراف شعبان طرطور، سنة ١٣١٧هـ/١٩٩٧م.
- ٢٤- قابوس الثاني (ت ٤٦٢هـ/١٠٦٩م): عنصر المعالي كيكاس بن إسكندر:
"كتاب النصيحة المعروف بقابوسنامه"، ترجمة محمد صادق نشأت وأمين عبد المجيد بدوي، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.
- ٢٥- القاشاني (ت مجهول): أبو القاسم عبد الله بن محمد:
"تاريخ أولجانيو المعروف بتاريخ بادشاه سعيد غياث الدنيا والدين أولجانيو"، مجموعة متون فارسي زير نظر احسان يار شاطر شمارة، به اهتمام مهين همبلي، تهران ١٣٤٨هـ. ش.
- ٢٦- القزويني (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م): حمد الله مستوفي:
"تاريخ غزيده"، دراسة تاريخية وتحليلية نقدية مع ترجمة الفصول ٩، ١٠، ١١، ١٢، من الباب الرابع والباب الملحق، ترجمة فتحية حلمي أمين الدالي، ضمن رسالة بجامعة الأزهر، كلية

- الدراسات الإنسانية، قسم اللغة الفارسية، إشراف عفاف السيد زيدان، القاهرة، سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- ٢٧- ميرخواند (ت ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م): محمد بن خاوند شاه:
"روضة الصفا"، ج ٥، طبعة طهران، سنة ١٣٣٩هـ . ش.
- ٢٨- نظام الملك الطوسي (ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م): الحسن بن إسحاق بن العباس:
"سياست نامه"، ترجمة وتعليق السيد محمد العزاوي، طبعة دار الرائد العربي، القاهرة، سنة ١٩٧٥م.
- ٢٩- الهمذاني (ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م): رشيد الدين فضل الله بن يحيى:
"تاريخ غازان" دراسة وترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- ٣٠- "جامع التواريخ- تاريخ الأيلخانيين- أبناء هولاكو"، المجلد الثاني، ج ١، ج ٢، ترجمة محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد، راجعه يحيى الخشاب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- ٣١- "مكاتبات رشيد"، ترجمة ثريا محمد علي، ضمن رسالة ماجستير في الأدب الفارسي بكلية الآداب قسم اللغات الشرقية، إشراف سعاد عبد الهادي قنديل وأحمد حمدي السعيد الخولي، سنة ١٩٨١م.

ثالثاً: المراجع العربية:

- ٣٢- رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية.
- ٣٣- عباس العزاوي: "تاريخ العراق بين احتلالين- حكومة المغول، ٦٥٦-٧٣٨هـ/ ١٢٥٨ - ١٣٣٨م، ج ١، طبع في مطبعة بغداد، سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م.
- ٣٤- فؤاد عبد المعطي الصياد: "الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكو)، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ٣٥- "مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني"، الطبعة الأولى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، بالقاهرة، سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

رابعاً: المراجع الفارسية:

- ٣٦- عباس إقبال: "تاريخ إيران بعد الإسلام"، ترجمة محمد علاء الدين منصور، مراجعة السباعي محمد السباعي، طبعة دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- ٣٧- "تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية"، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي بأبي ظبي، الإمارات العربية المتحدة، سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

خامساً: المراجع العربية:

- ٣٨- برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي"، ترجمة خالد أسعد عيسى، مراجعة سهيل زكار، الطبعة الأولى، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

سادساً: المراجع الأجنبية :

- 39- D'ohsson: Histoire des Mongols depuis tchinginz khan, Vol.III, (Amsterdam, 1834).
- 40- Howorth: History of the Mongols, from the 9 to the 19 century, vol. III, (London, 1880).
- 41- Norman Nicol& Raafat El Nabarawy& Jerel Bachach: Catalog of the Islamic coins, glos weights dies and medis in the Egyption national , (Library cairo undena publication, 1982).
- 42- Saunders : The History of the Mongols conquests Routledge and kegan paut , (London , 1971) .
- 43- Sykes: A History of Persia, vol, II, (London, 1958).

معركة كوشريل (١٣٦٤م)

د. هشام على الحسيني

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة حلوان

نالت الحرب بين فرنسا وإنجلترا (١٣٥٠-١٣٦٠) من عزة فرنسا، وأضحت البلاد الفرنسية خراباً، وقضى الإنجليز على مجد فرنسا الحربي، واستطاعت جيوشهم أن تتقدم نحو أسوار ريمس Reims، وباريس Paris، وأن تدمر أقاليم فرنسا الوسطى والجنوبية الشهيرة بمزارعها وبساتينها وأحراشها^(١)، "حيث تحولت مناطق كثيرة في فرنسا إلى صحاروات"^(٢). وبذلك أصبحت الملكية الفرنسية في أشد حالات الحرج والبؤس؛ بعد أن تم تخريب أغنى منابع الإيراد فيها، ونقص سعر العملة إلى حد كبير^(٣)، وبعد أن أصبح ملكها حنا الثاني^(٤) (الطيب) (١٣٥٠-١٣٦٤م) أسيراً في إنجلترا^(٥)، كما فرض الانجليز مبلغاً مالياً كبيراً على الفرنسيين لإطلاق سراح ملكهم^(٦).

ولعل من أثار هذه الحروب: ثورة ايتين مارسيل Etienne Marcel، وثورة الجاكري^(٧) Jacquerie. وكان عزاء فرنسا الوحيد - بعد ما نالها من الأذى والخراب على أيدي الانجليز خلال تلك الحروب - هو نجاة باريس وبقاؤها في أيدي الفرنسيين. وكان من حسن حظ فرنسا أن تولى عرشها، بعد وفاة حنا الطيب في إنجلترا^(٨)، رجل عرف كيف يستغل جميع الوسائل التي تكفل له الانتصار على الانجليز؛ وهو شارل الخامس^(٩) Charles V (١٣٦٤م-١٣٨٠م)، والذي استعادت فرنسا أنفاسها بفضل^(١٠). وبخلاف شارل الخامس عن والده حنا الطيب المسرف المتلاف، على حد قول بعض المؤرخين، وذلك لإمامه بشئون الحكم، ولذلك وصفته كريستين دي بيزان^(١١) Christine De pizan بالملك الحكيم Le sage Roi، ذلك أنه شهد من تسلط الغوغاء، في الأيام التي تلت كارثة بواتييه^(١٢) Potiers، ما جعله يمقت أي نوع من أنواع الحكومة الشعبية، ولذلك ترسمت سياسته لإتهاض فرنسا طريقاً غير مجلس طبقات الأمة^(١٣) Etats Generaux. وسر نجاح شارل الخامس: أنه أعد الوسائل التي تكفل له الانتصار على الانجليز، فقد كان عاقلاً حذراً في تصرفاته، عكف على افتداء أبيه حنا، واستعاد الروح المعنوية، والحياة الاقتصادية لفرنسا، وانسحب الرجال الذين حاولوا أن يخلقوا سيادة برلمانية في صمت، والتف النبلاء حول العرش، وأصبح مجلس طبقات الأمة

أداة طيعة في يد ملكية زالت شوكتها، واستحق لقب الحكيم لأنه عرف كيف ينتصر على الانجليز في المعارك، دون أن يحرك يداً، فقد كانت يدها ضعيفة، ووصفها البعض بأنها نصف مشلولة، فلم يكن يستطيع رفع الرمح، وقيل إن شارل السيئ^(١٤) ملك نافار Charles De Navarre (١٣٣٢م - ١٣٨٧م)، دس له السم مما أبعد مكرًا عن الحياة العسكرية وميادين القتال^(١٥).

وإذا كان شارل الخامس قد فُرض عليه أن يعيش مقيداً، فقد أحاط نفسه بمستشارين حكماء^(١٦)، وأعاد تنظيم الهيكل الإداري، وأصلح الجهاز القضائي، وشجع الصناعة، وثبت سعر العملة، وجمع في اللوفر Louvre المكتبة الملكية؛ التي زوت النهضة الفرنسية بالنصوص القديمة والترجمات، وكانت نواة المكتبة القومية. وتذكر كريستين دي بيزان: أنه بالإضافة إلى ما قام به شارل الخامس من عمل مكتبة كبيرة في اللوفر؛ غنية بعدد كبير من الكتب النادرة، فقد كان مغرمًا باللاهوت، والتاريخ، وكان يحرص على أن يكون البلاط الملكي لامعًا ومشرقًا، لأنه كان يرى أن الأبهة والبذخ لا غنى عنهما للسلطة والجاه الملكي، فقد اهتم بالأدب والفن، وكان يستقبل الفنانين^(١٧)، ويجمع روائع الفن من تحف ومفروشات وسجاد في قصور بواتييه وفنسين Vincennes واللوفر^(١٨)، وبدأت فرنسا تنهض وتصلح ما أفسده الدهر، وامتدت باريس على ضفة السين اليميني، حيث تم إنشاء حي جديد هو "حي البستان"^(١٩).

بالإضافة إلى ذلك: استطاع شارل الخامس تكوين أسطول ينافس أسطول إنجلترا سيادة البحار في غرب أوروبا^(٢٠)، وجيش يلحق الخسائر بالجيش الإنجليزي؛ دون أن يشتبك معه في معارك فاصلة" الأساليب الفابيوسية"^(٢١)، ويعتمد على أمة تؤازر الملكية الفرنسية، بعد أن مل الفرنسيون من المنازعات الداخلية، وتطلعوا إلى النظام، ولكن الرغبة في الثأر من الانجليز رقت في قلوبهم اليقظة بالعاطفة القومية^(٢٢). كما حرص شارل الخامس على تحبيب الفرنسيين في ركوب البحار؛ حين دأب على زيادة المواني وأحواض السفن، وحض أعيان المملكة على القيام بذلك نيابة عنه؛ ليحصل منهم على الأموال اللازمة لبناء السفن، وبدأ العمل بالفعل في ترسانة كلودي جاليه Clos Des Galees، بالقرب من روان Rouen. ثم منح الامتيازات للمدن، وأغدق الألقاب لأغنيائها، واقتصد في مصاريف الحكم والإدارة، وبذلك كسب ثقة ورضاء الشعب الفرنسي^(٢٣).

يضاف أيضا إلى ذلك: أن البلاد تخلصت من الوباء الأسود The Black Death على أيامه^(٢٤)، ومن جماعات الجنود المسرحين Les Compagnies، وهم من جنسيات وطبقات مختلفة من إنجلترا وأسبانيا وجاسكوني Gascony وألمانيا وبريتاني Bretagne والأراضي

المنخفضة، خليط من نبلاء وبورجوازية وفلاحين وقطاع طرق. كونوا فرقا حربية للسطو على المدن والمزارع في جميع أنحاء فرنسا، فنشروا الرعب والذعر بين المواطنين، وتعقبهم الملك الشاب بالقوة أحيانا، وبالحيلة أحيانا أخرى، فأغرى بغضهم بمقاتلة الانجليز، والبعض الآخر بالذهاب إلى أسبانيا للاندماج في الحرب الأهلية الناشبة حول العرش في قشتالة^(٢٥)، فلقوا حتفهم بعيدا عن فرنسا^(٢٦).

غير أن بقايا هذه العصابات ظلت وبالأعلى فرنسا أكثر من قرن، وقاست البلاد منها الشيء الكثير، وتكونت أوليات هذه العصابات حول رؤساء من الانجليز جاءوا إلى فرنسا يقاتلون إلى جانب جيش إدوارد الثالث Edward 111 (١٣٢٧-١٣٧٧) النظامي، يضاف إليهم عصابات شارل السيئ ملك نافار، ثم تشتتت تلك العصابات بعد معاهدة بريتاني ١٣٦٠ م^(٢٧). حيث لم يعد إدوارد الثالث إلى إنجلترا إلا بجيشه النظامي، وظل الآخرون في فرنسا، وأنضم إليهم قطاع الطرق، وانتشروا في البلاد يسلبون وينهبون ويسبون الفتيات والغلمان، ويصطحبون الباعة الجائلين ليعيدوا بيع المنقولات التي يأخذونها من الفلاحين، كما يصطحبون القساوسة للتراتيل الدينية والصلاة على الموتى^(٢٨).

ويبدو أن ولي عهد إنجلترا، الملقب بالأمير الأسود^(٢٩)، لم يكتف بما حقق من مكاسب ومغانم، فوضع نصب عينيه إقفار فرنسا بحيث تظل عاجزة عن النهوض، وعملا بهذه الخطة: استقدم من إنجلترا عصابات؛ وأطلقها تسلب وتتهب وتحرق القرى الفرنسية^(٣٠). فهم على حد تعبير بعض المؤرخين "أناس لا أمان لهم ولا قانون"^(٣١).

استولت هذه العصابات على مدينة ليون^(٣٢) Lyon الفرنسية، وكذلك على قلعة بريجنيه^(٣٣) Brignais بالقرب من ليون، وعندما علم اللورد جيمس دي بوربون James De Bourbon حزن حزنا شديدا، وخاصة بعد أن كانت بوربون^(٣٤) قد تعرضت هي الأخرى لهجمات هذه العصابات^(٣٥)، وكانت لدى جيمس دي بوربون؛ الفرصة في التحكم في مدينة ليون، حيث أن الأرض التي استولت عليها هذه العصابات تخص ابن أخيه رينولد Raynold إيرل فوريه - Earl De Forez -، وعندئذ أرسل اللورد جيمس دي بوربون عيونه ليتعرف على مكان هذه العصابات وعددهم، وكانت المشكلة التي واجهت اللورد جيمس دي بوربون أن هذه العصابات منتشرة في الجبال، فلم تستطع عيونه وصفها بدقة، وسمح قادة هذه العصابات من الانجليز للكشافة الفرنسيين الذين أرسلهم اللورد جيمس دي بوربون بالاقتراب دون الحاق الأذى بهم^(٣٦).

وعندما عاد رجال جيمس دي بوريون أخبروه بأن جيش هذه العصابات يبلغ حوالي خمسة آلاف أو ستة آلاف فارس، وعتادهم رديء بصورة كبيرة. سمع اللورد جيمس دي بوريون ذلك وتعجب، وقال لرئيس أساقفه ليون " لقد أخبرتني أن عدد هذه العصابات حوالي ستة عشر ألف فارس، وأخبرني رجالي العكس تماماً" فبرر له رئيس الأساقفة أنه لم يتصور مطلقاً أن يكون العدد أقل مما ذكر، "وإن لم يكونوا كذلك فأمر جيد ونشكر الرب"^(٣٧).

اتخذ اللورد جيمس دي بوريون القرار بالاستعداد للمعارك، واجتمع لدي اللورد جيمس دي بوريون العديد من الفرسان، وعلى رأسهم شقيقه الأكبر بيتر peter، وابن أخيه إيرل فورييه، ولورد تورنون Tournon-، ولورد مونتليمار -Montelimar-، ولورد كروسليه دي دوفينييه -Croslee De Dauphine-، واللورد Louis، والسير روبرت دي بوجو -Robert De Beaujou-، والسير لويس دي شالون -Louis De chalon-، والسير هوج دي فيين -Hugh De Vienne-، وإيرل أوزيه -Earl D' Uzes-، وغيرهم عدد كبير من الفرسان، وحاملي الدروع، والجميع راغبون في التقدم بشرف لإحراز النصر، والتخلص من هذه العصابات التي انتشرت في البلاد^(٣٨).

أمر اللورد جيمس دي بوريون رجاله ببدء المعارك، وكان رئيس أساقفة ليون ومعه السير أرنولد دي سيرفول Arnold De cervolles صاحب الخبرة الكبيرة في الحرب، ومعهما حوالي ألف وستمئة فارس على رأس الأولى^(٣٩)، وعندما أترك قادة هذه العصابات جون هاكود John Hawkood، وسيجوين دي بادفول Seguin De Badesfol، وبيرين دي سافوي Pirrin De Savoie، وبيرين بوا Pirrin Boias، أن الفرنسيين قوة كبيرة ومنظمة، تجنبوا المواجهة المباشرة مع الفرنسيين، واستغلوا موقعهم المميز فوق الجبل، واغلقوا الممر الجبلي بالصخور لإجبار الفرنسيين على السير بمحاذاة الجبل، والقوا عليهم الصخور التي أصابت أعداداً كبيرة من الفرنسيين، ولم يستطع الفرنسيون الاقتراب أو المرور، وهزم الفرنسيين في المعركة الأولى^(٤٠).

أرسل اللورد جيمس دي بوريون ابنه بيتر وابن أخيه إيرل فورييه بريايتهم، غير أنهم هُزموا ومعهم أعداد كبيرة من الفرسان، ويبدو أن رئيس الأساقفة كان يفضل الدخول في مفاوضات مع قادة هذه العصابات بدلاً من الحرب^(٤١). وعلى الرغم مما تعرضت له القوات الفرنسية من خسائر، تقدم اللورد جيمس دي بوريون ومعه فرسانه بمحاذاة ذلك الجبل، فتعرض لنفس مصير القوات السابقة، ونزل قادة هذه العصابات من الجبل كالجراد على الفرنسيين وسحقوهم، وأصيب جيمس

إصابة خطيرة، وكذلك ابنه بيتر، وذبح ابن أخيه إيرل فوريه، وأسر رئيس الأساقفة وتعرض للأذى بصورة بالغة، وكذلك أسر السير روبرت دي بوجو، والسير لويس دي شالون، وإيرل أوزيه، وأكثر من مئة فارس وقعوا في الأسر، وكان ذلك يوم الجمعة بعد عيد الفصح سنة ١٣٦١م^(٤٢).

هرب معظم أهالي ليون بعد الهزيمة خوفاً من بطش هذه العصابات، وتحصنوا داخل المدينة، وقام أهالي مدينة ليون رجالاً ونساءً بزيارة اللورد جيمس دي بوريون وابنه بيتر، وتوفي اللورد وابنه بعد عدة أيام، وحزن الجميع حتى الملك الفرنسي حنا الطيب، ولكنه كان عاجزاً عن مساعدة الأهالي^(٤٣).

وعقب هزيمة القوات الفرنسية انتشرت هذه العصابات يسلبون وينهبون، وسيطروا على البلاد بعد هزيمة بريجنيه، فيما عدا الحصون والقلاع، وازدادت أعدادهم، وقويت شوكتهم، وكونوا جيشاً قوياً، وقسموا هذا الجيش إلى قسمين: الأول وهو الأصغر حجماً، ويبلغ حوالي ثلاثة آلاف رجل مسلح، ومقره في آنس Anse على نهر الساؤون Saone، على بعد ميل من ليون، وهذا الجيش بقيادة سيجوين دي بادفول الذي حصن المنطقة جيداً. أما القسم الثاني فكان على رأسه نودان دي بيجيران Naudan De Begeran، والفارس الإنجليزي جون كريسويل John Creswell، وروبرت بريكيث Robert Briquet وغيرهم^(٤٤).

هيمنت هذه العصابات على البلاد، فقتلوا وسلبوا ونهبوا وحرقوا في ليون، ونيفير Nevers، وبريتول Breteuil، وليسبار Lesparre، ولم تسلم مدينة أفينون Avignon مقر البابا^(٤٥)، وتعرض البابا لعملية ابتزاز من هذه العصابات، فطالبوا البابا والكرادلة بمبالغ مالية، وظلوا في مدينة ليون ليقوموا بافتداء الأسرى في معاركهم مع الفرنسيين، وينتظروا ما سوف تسفر عنه الهدنة بين فرنسا وإنجلترا^(٤٦).

رفض البابا إنوسنت السادس Innocent VI (١٣٥٢-١٣٦٢) الاستجابة لابتزاز هذه العصابات، فقرر قادة هذه العصابات التوجه إلى أفينون، واستولوا في طريقهم على عدد من المدن والحصون، وبلغهم أن مدينة بون سانت اسبري Pont - Saint- Esprit بها سبع حلفاء من أفينون، ومجموعة كبيرة من أثرياء البلد اجتمعوا عند حصن قوي، وأدرك قادة هذه العصابات أن الاستيلاء على هذه المدينة سيجعلهم سادة الرون Rhone، ومنها يمكنهم السيطرة على مدينة أفينون، وقرر قادتهم: ميشان الصغير petit Meshin، وجيوت دي بين Guyot De Pin، وجون هاكود، الاستيلاء على مدينة بون - سانت - اسبري، فتحركوا من ليون ليلاً؛ حتى وصلوا

إلى المدينة التي تبعد خمسة عشر فرسخاً، وفي الصباح وصلوا إلى المدينة واستولوا عليها، وذبحوا الكثير من الشرفاء، وهتكوا أعراض النساء، واستولوا على ثروات كبيرة تكفيهم لمدة عام كامل، واقتربوا من بوابات أفينون، حيث كان البابا إنوسنت السادس والكرادلة، في خوف وفزع كبير^(٤٧).
فقد اختارت هذه العصابات قادة من بينهم أعداء للرب وللناس على حد سواء^(٤٨).

كان هناك خطر آخر يهدد الفرنسيين؛ تمثل في تلك الأعداد الكبيرة من اللصوص وقطاع الطرق؛ الذين يقومون بعمليات السلب والنهب من الانجليز والجاسكونيين والألمان، حيث كانت تحت سيطرتهم بعض القلاع والحصون، وكان مندوبوا الملك الانجليزي أدوارد الثالث؛ قد أمرهم بالرحيل عن مدينة ليون لتوقيع الهدنة، وعلى الرغم من ذلك لم يطيعوا كلهم هذا الأمر^(٤٩).

أدت هجمات هذه العصابات إلى ازعاج الملك الفرنسي حنا الطيب ورجال مجلسه، وخاصة بعد هزيمة اللورد جيمس دي بوريون، واستيلاء هذه العصابات على مدينة بون سانت-اسبري، وما قاموا به من سلب ونهب للثروات، ومحاولتهم الاستيلاء على أفينون، لذلك أمر البابا إنوسنت السادس بمحاربة هؤلاء الذين وصفهم بالكفار، بعدما قاموا بنهب المدن، وهتك أعراض النساء والأطفال، وذبح الأطفال والنساء الحوامل بدون رحمة. كما اعتبرتهم كاترين دي سيينا Catherine De Siena^(٥٠): **خدام وعملاء الشياطين**، وأصدر البابا إنوسنت السادس مرسوماً بأن كل من يقتل وهو يحارب هؤلاء الكفار ينال الشهادة، واختار الكاردينال بيتر دي موستير Peter De Moustier، والكاردينال أوستيا دي أراس Ostia De Arras، لقتال هذه العصابات^(٥١).

حضر الكاردينال بيتر، والكاردينال أوستيا، بجيشهما عند كارينتراس Carpentras، على بعد سبعة أميال من أفينون، واستمالهم بيتر وأوسيتا بالمال، فذهب البعض منهما إلى لومبارديا Lombardy، والبعض الآخر إلى بلادهم، أما البقية فانضمت إلى هذه العصابات، وازدادت أعدادهم، وأغاروا على البابا إنوسنت السادس في أفينون، وكان ذلك في عام ١٣٦٢م^(٥٢).

ظهر في تلك الفترة فارس شجاع، ومقاتل على درجة عالية من الكفاءة، وهو المركز مونتفات Marquis De Montferat، واتفق مونتفات مع البابا إنوسنت السادس على أن يقوم بالتخلص من هذه العصابات؛ مقابل تسعين ألف من العملة الفلورنسية Florins، بالإضافة إلى مبالغ كبيرة من المال سيعطيها مونتفات لقادة هذه العصابات، ووافقوا على الرحيل مع المركز مونتفات إلى لومبارديا، لمحاربة لوردات ميلان Lords De Milan، وجلب هذا الاتفاق السرور

على الملك الفرنسي حنا الطيب ورجال مملكته، بما تم إنجازه مع هذه العصابات، وخاصة بعد انسحابهم من بون - سانت - اسبري، وأفينون، ورحلوا بعد أن كانوا سبباً رئيسياً للمتاعب التي واجهتها الملكية الفرنسية آنذاك^(٥٣).

معركة كوشريل Cocherel:

وبينما يقوم الفرنسيون بالقضاء على هذه العصابات، بلغتهم الأخبار من لندن بوفاة الملك الفرنسي حنا الثاني (الطيب) في الثامن إبريل ١٣٦٤م^(٥٤)، وقام الملك الانجليزي أدوارد الثالث، وولي العهد الأمير أدوارد (الأمير الأسود)، بإرسال جثمان الملك الفرنسي إلى باريس مع إيرل ارتوا Earl D' Artois، وإيرل دمارتين Earl De Damartin، ورئيس أساقفة باريس، وكان في استقبال الجثمان أبناؤه الأربعة: شارل دوق نورماندي (ولي العهد) ، والأمير لويس دوق انجو، وفيليب دوق بريتاني، ويوحنا دوق برجنديا، وحضر أيضاً بطرس ملك قبرص^(٥٥). وخرج رجال الدين والوردات والفرسان مشياً على الأقدام، وقابلوا جثمان الملك عند سانت دينيس Saint Denis، حيث تم دفن الملك الفرنسي، بعد أن أنشد رئيس أساقفة سينس Sens القديس على جثمانه^(٥٦).

قفل النبلاء والأساقفة عائدين إلى باريس، وعقدوا مجلس برلماني لاختيار من سيخلف حنا الطيب، لأنه لا يصح أن تظل المملكة بدون ملك، ويعد استشارة النبلاء والأساقفة أجمعوا على أنهم سيتوجهون إلى ريمس؛ لتتويج شارل دوق نورماندي ولي العهد ملكاً على فرنسا، وأرسل شارل الخامس إلى عمه وينسلاس Wencelas دوق برايبانت Brabant، وإيرل لوكسمبورج Earl De Luxembourg، وإيرل الفلاندرز Earl De Falnders، داعياً إياهم لكي يحضروا مراسم التتويج في يوم الأحد الثالث عشر من إبريل عام ١٣٦٤م^(٥٧)، وذلك في كنيسة السيدة في ريمس على يد رئيس أساقفة ريمس^(٥٨).

وبينما يستعد الفرنسيون لتتويج شارل الخامس، إذا بشارل ملك نافار (السيئ) يحاول الاستيلاء على العرش الفرنسي، مخالفاً الانجليز، وكان قد اتفق من قبل مع إدوارد الثالث ملك إنجلترا على اقتسام مملكة فالوا فيما بينهما^(٥٩)، وكان امتلاكه لأراضي شاسعة في المنطقة المجاورة لباريس يمثل مصدر قوة^(٦٠).

قام شارل ملك نافار (السيئ) بتحريك الفتنة في باريس، ثم ادعى بأن له حقوقاً في دوقية برجنديا Burgundy، وقرر الاستيلاء عليها، فقاد جيشاً إلى نورماندي مكوناً من فرسان نافاريين

اتحدوا مع المرتزقة الانجليز في نورماندي، ومعهم فرسان جاسكونيين^(٦١)، وجعلهم تحت قيادة بطل معركة بواتييه: جان دي جرايللي Jean De Grailly أمير بوش^(٦٢) Captal De Buch، الذي تشاور مع فرسانه من أجل المعركة مع الفرنسيين^(٦٣).

اجتمع كابيتال دي بوش في مدينة إيفرو Evreux مع رجاله، ثم ترك المدينة تحت قيادة ليجر أورجسن Leger D'orgessin، وأرسل اللورد جاي دي جوفيل Guy De Gauville إلى كونشس Conches لحماية الحدود، وترك إيفرو ومعه كل رجاله المسلحين؛ بعد أن بلغته أنباء عن أن الفرنسيين بالخارج مستعدون له، غير أنه لم يحدد موقعهم تمامًا، ولكنه كان لديه رغبة ملحة في العثور عليهم. واشتملت قوات كابيتال دي بوش على سبعة مئة فارس من حملة الرماح، وثلاث مئة من رماة السهام، وخمسمئة من رجال الحرب، والعديد من الفرسان ومساعدتهم من حملة الدروع^(٦٤)، وعلى رأسهم حامل الراية الملكية لمملكة نافار: اللورد سولت - Sault - والفارس الانجليزي جون حويل John Jouel الذي تلقى أوامر من أوارد الثالث بالحرب من أجل شارل ملك نافار (السيئ)، وكلاهما من خبراء الحرب^(٦٥)، ومعهم اللورد بيتر دي ساكوينفيل Peter De Saquainville، والسير وليم دي جوفيل William De Gauville، واللورد برتراند دي فرانس Bertrand De France، واللورد باسكال دي مارويل Bascle De mareuil، والعديد من الفرسان، وجميعهم على أتم الاستعداد لمحاربة الفرنسيين^(٦٦).

أسرعت القوات الإنجليزية والنافارية، بقيادة كابيتال دي بوش، نحو بواسي Poissy، وعبرت جسر أرش - Arch - لأنهم ظنوا أن الفرنسيين سيعبرون نهر السين، إن لم يكونوا قد عبروه بالفعل، وفي يوم الجمعة في أسبوع العنصرة: قابل كابيتال دي بوش رسولاً من الملك الإنجليزي إوارد الثالث يدعى فوكون Faucon، كان قد مر على الجيش الفرنسي في صباح ذلك اليوم، وعندما سأله القائد كابيتال دي بوش عن مكان القوات الفرنسية، أخبره عن موقعهم خلف جسر أرش، وأنهم من المفترض أنهم مروا بجسر فيرنون Vernon، واقتربوا من بواسي^(٦٧)، وسأله كابيتال دي بوش عن أعداد الفرنسيين، فأخبره أن عددهم حوالي ألف وخمسمئة رجل مسلح، وهم بقيادة برتراند دي جويسكلين Bertrand De Guisclin، قاهر الإنجليز، أو "النسر البريتاني"^(٦٨)، ومعهم إيرل دي اوكسير Earl D'Auxerre، وفايكونت بومونت Viscount Beaumont، واللورد لويس دي شالون Louis De Chalon، ولورد دي بوجو Lord De Beaujeu، ورئيس الأساقفة، واللورد أودارت دي رينتي Oudart De Renty، ومن جاسكوني جيش اللورد دالبرت Lord D' Albert، واللورد إيمينيو دي بومييه Aymenion De Pomiers، واللورد سوديك دي لاترو Saudic De Latrau. وأصيب القائد كابيتال دي بوش بالدهشة من سماعه لأسماء كل هؤلاء القادة الكبار^(٦٩).

تحايل الفرنسيون لمعرفة حجم قوات العدو، فإرسلوا مبعوثاً لهم بواسطة رئيس الأساقفة، لمقابلة كابيتال دي بوش، فرفض القائد مقابلته، لأنه كان على دراية بما يهدف إليه الفرنسيون من معرفة حجم القوات الإنجليزية والنافارية، واعتذر فوكون لمبعوث رئيس الأساقفة. في ذلك الوقت كان الفرنسيون قد استعدوا للحرب، كما أستخدم الجيش الإنجليزي والنافاري للحرب، بعد أن علم كلاهما أعداد وحجم قوات الجيش الآخر عن طريق رسل الحرب، ثم أرسل كابيتال دي بوش إلى قائد مدينة إيفرو السير ليجر أورجسن، لكي يرسل له كل من يستطيع تجنيده من رجال الحرب، وأن يلتقوا به عند بلدة كوشريل Cocherel، بالقرب من مانتس Mantes في نورماندي، لأنه أدرك أنه سيواجه الجيش الفرنسي هناك، فأرسل له مئة وعشرين شاباً، وظل كابيتال دي بوش يوم الأربعاء فوق الجبل بجيشه، وسار الفرنسيون في اتجاه جيش كابيتال دي بوش حتى وصلوا إلى نهر في تلك المنطقة يسمى إيتون Iton؛ يتجه نحو إيفرو، وينبع بالقرب من كونشس^(٧١)، وظلوا يوم الأربعاء في المروج الخضراء الواسعة على ضفاف نهر إيتون. وفي صباح يوم الخميس أرسل كل فريق عيونه للتعرف على أخبار الفريق الآخر، حيث كان كل فريق على مسافة فرسخين من الفريق الآخر، وعندئذ تقدم النافاريون، بقيادة فوكون، إلى بلدة كوشريل وقت الظهيرة، ووجدوا الفرنسيين وهم يستعدون للمعركة^(٧٢).

نظم قادة الجيش الإنجليزي والنافاري قواتهم واستعدوا للمعركة بعد أن قسموا معاركهم إلى ثلاثة أقسام؛ جميعها من المشاة، وعهدوا إلى الخدم والغلمان بالمؤن، وكان يقود المعركة الأولى السيرجون جويل، ومعه عدد كبير من الفرسان ورماة السهام من الإنجليز. أما المعركة الثانية فكانت بقيادة كابيتال دي بوش، ومعه أربعمئة مقاتل، ومعه اللورد سولت من نافار، والفارس القوى اللورد وليم دي جوفيل، والسير بيتريدي ساكوينفيل، ثم المعركة الثالثة بقيادة ثلاثة فرسان وهم: اللورد باسكال دي مارويل، واللورد برتراند دي فرانس، واللورد سانس دي لوبين Sanse De Lopins، وبصاحبهم أربعمئة فارس. عند بدء المناوشات سيطر الإنجليز على جزء صغير من التل، ووضعوا راية كابيتال دي بوش على كوخ صغير يحيط به مجموعة من الأشجار كثيفة الأغصان، ويحرس الراية حوالي ستين رجلاً مسلحاً لحمايتها من الفرنسيين، وأمرهم كابيتال دي بوش بعدم النزول أسفل الجبل لأي سبب، إلا إذا تقدم الفرنسيون نحوهم^(٧٣).

على الجانب الآخر ضاعف الفرنسيون أعدادهم من حملة الرايات والأعلام، لكي يبدو وكأنهم ضعف عددهم الحقيقي. وقسم الفرنسيون معاركهم إلى ثلاثة أقسام ومؤخرة، وكان السير

برتراند دي جويسكلين ومعه البرتيون Bretons على رأس المعركة الأولى^(٧٤)، وهو الذي سيلقي كابتال دي بوش، وكانت المعركة الثانية بقيادة إيرل أو كسير ومعه فايكونت بومونت، واللورد بودوين دي أنيكوين Baudwyn D' Annequin قائد الرماة، ومعهم البيكاردين Picards والنورمان Normans، ومنهم السير أودارت دي رينتي، والسير انجويراند دي أودوين Enguerrand D' Eduin، والسير لويس دي هافيسكيرك Louis De Haveskerke، والعديد من الفرسان وحملة الدروع^(٧٥). أما المعركة الثالثة، فكانت بقيادة رئيس الأساقفة، والبرجنديين Burgoynians، واللورد دي شالون، ولورد بوجو، واللورد جون دي فيين Lord De vienne، والعديد من الفرسان، وهذه المعركة ستلحق باسكال دي مارويل، أما عن مؤخرة الجيش الفرنسي فغالبيتها من فرسان جاسكوني وقائدهم السير إيمينيو دي بوميه، واللورد سوديك دي لاترو، واللورد بيردوكاس د البرت Perducas D'Albert، واللورد بيتيتون دي كورتون Petiton De Curton، والعديد من الفرسان واللوردات^(٧٦).

كان فرسان جاسكوني يعلمون جيداً موقع راية كابتال دي بوش، وأن عدداً كبيراً من الفرسان يقومون بحراستها، وتشاور لوردات فرنسا فيما بينهم عن خطة المعركة، وتحديث فرسان جاسكوني عن كابتال دي بوش، وأنه فارس شجاع وعظيم، وصاحب خبرة حربية لا يستهان بها، وبأنه سيسبب خسائر فادحة للفرنسيين، ولذلك اقترحوا إرسال ثلاثين فارساً مسلحاً من أفضل الفرسان، لا يلتفتوا إلى أي شيء سوى أن ينقضوا على كابتال دي بوش، ويقوم الباقي بالاستيلاء على راية الأمير، ثم قتله أو أسره، وأنه إذا لم يحدث هذا لن تنتهي المعركة لصالحنا. وبالفعل اتفق جميع فرسان فرنسا على أن هذا أفضل اختيار، واختاروا لتنفيذ هذه المهمة أفضل الفرسان وأفضل الجياد، وظل الباقون في أرض المعركة كمشاة في ترتيب وتنظيم جيد^(٧٧).

بعد أن قام القادة واللوردات بتنظيم معاركهم، وعلم كل قائد ما يجب عليه فعله، تشاوروا فيما بينهم عن أي صيحة سيردون، وأي راية سيتبعون، فاتفقوا على صيحة "سينا أوكسير" متخذين إيرل أوكسير قائداً لهم، ظناً منهم أن إيرل أوكسير سيوافق، ولكنه اعتذر عن تحمل مسؤولية القيادة وقال "إنه لشرف كبير لي أن نتفقوا بي لكي اتحمل هذه المسؤولية، ولكنني كبير السن، ولا أستطيع تحمل هذه المسؤولية" وطلب إيرل أوكسير منهم أن يختاروا قائداً آخر أعظم منه، مثل السير برتراند دي جويسكلين، أو رئيس الأساقفة، أو قائد الرماة بودوين دي أنيكوين، أو اللورد لويس دي شالون، أو السير أودارت دي رينتي، وأن هؤلاء القادة أفضل منه، واشتركوا في معارك كثيرة، ويعلمون بدرجة كبيرة كيف

ينظمون معاركهم، وطلب منهم أن يقاتل مثل أي فارس تحت قيادة من سيختارونه منهم كقائد للمعركة^(٧٨). تشاور القادة فيما بينهم، ووقع اختيارهم على السير برتراند دي جويسكلين؛ الذي لم يكن شخصية بارعة في فن التكتيك الحربي فقط، وإنما كان يتمتع بقسط وافر من الذكاء والدهاء^(٧٩)، وقرروا جميعاً أن تكون صيحتهم في المعركة "سيدنا جويسكلين"^(٨٠).

أما عن الجيش الإنجليزي والنافاري؛ فكان فوق الجبل على هضبة عالية، وكانت الشمس المحرقة مسلطة على الفرنسيين أسفل الجبل، وأيضاً نفدت كل المؤن من طعام ونبيد، ولم يبق إلا القليل من اللوردات لديهم كمية قليلة من النبيد، لأنهم كانوا يعتقدون أن المعركة ستكون في الصباح، وأدرك الفرنسيون أنهم إذا حاربوا فسوف يعرضون أنفسهم للخطر، وأن الدخول في المعركة في ذلك الوقت سيعد مخاطرة كبيرة^(٨١).

لجأ النافاريون للحيلة في تلك المرحلة، فأرسلوا عدداً من الأسرى من الفرسان وحملة الدروع والنورمان من الفرنسيين؛ الذين يعلمون لصالح الجيش النافاري، وتسلبوا وسط اللوردات الفرنسيين، وأخبروهم بأنه إذا مر ذلك اليوم بدون قتال فسوف تأتي إمدادات كبيرة للنافاريين، بقيادة لويس دي نافار Louis De Navarre، ومعه أربع مئة فارس من حاملي الرماح، وأثرت فيهم الكلمات، وقرروا قتال الأعداء، ولكن حكماء الحرب رفضوا هذا القرار، وقرروا عدم الدخول في معركة، وانتظار رد فعل الانجليز والنافار^(٨٢).

أدرك اللوردات والقادة الفرنسيون أن الانجليز والنافار لن يتركوا موقعهم فوق الجبل، بعد ما سمعوه من الأسرى، بجانب أشعة الشمس المحرقة، ولذلك أشار عليهم برتراند دي جويسكلين بعدم ترك أماكنهم، لأن الانجليز والنافار "عازمون على قتالنا" وكانت الخطة بأن يتظاهر دي جويسكلين بالتراجع والانسحاب، وأن القوات الفرنسية لن تحارب في ذلك اليوم، ويتم إرسال الخدم أو الغلمان والحياد الإضافية عبر الجسر، ويتظاهر الفرنسيون بالتراجع إلى ثكناتهم، ولكن في قرارة أنفسهم يستعدون للعودة مرة أخرى للقتال. وبالفعل تظاهر جويسكلين والقوات الفرنسية بتسليق الهضبة، ثم أمر قواته بالانسحاب والتظاهر بالهرب، مع الأخذ في الاعتبار الكر والالتفاف على الانجليز مرة أخرى كما خطط من قبل^(٨٣).

أما على الجانب الإنجليزي والنافاري فكان السير جون جويل من خبراء الحرب، وكانت لديه رغبة قوية وملحة في قتال الفرنسيين، لذلك عندما رأى الفرنسيين يفرون، طلب من كابيتال دي بوش ملاحظتهم وقتالهم في الحال، ولكن كابيتال دي بوش أخبره عن نية الفرنسيين في استرجاعهم، ولكن السير جون جويل كانت لديه رغبة ملحة في قتال الفرنسيين، ولذلك نادى في رجاله باسم

"القديس جورج"^(٨٤) Saint George : من يحبني فليتبني؛ لأني سأذهب لقتال الأعداء، وحمل رمحه في يده وتقدم كل المعارك، وترجل من فوق الجبل، وعندما رأى كابيتال دي بوش أن جون جويل خرج لقتال الفرنسيين بدونه، اعتبرها جرأة ووقاحة منه، وأمر فرسانه بالهبوط من الجبل بسرعة "لأن جويل لن يحارب بدوننا"، وتقدم كابيتال دي بوش لملاحقة الفرنسيين، وعندما نزل هو وقواته إلى الحقول السهلية^(٨٥)، قال الفرنسيون "هذا ما كنا نرغب فيه طوال اليوم"^(٨٦).

ارتد الفرنسيون بربائهم على النافاريين^(٨٧)، وصاحوا "سيدنا جويسكلين"، وصاح الانجليز والنافاريون باسم "القديس جورج"، وقاتل الفريقان بشجاعة فائقة، ودخل جويل في معركة مع البريتون، وأظهرت المعركة العديد من البطولات، وخاصة من الجانب الفرنسي، وعلى رأسهم برتراند دي جويسكلين الذي قام بأعمال بطولية رائعة في المعركة، وإيرل أوكسير، وفايكونت بومونت، والسر بودوين أنيكوين، والسير لويس دي شالون، ولورد بوجو، والسير انطوني Antony، والسير لويس دي هافيسكيرك، والسير أودارت دي رينتي، والسير انجويراند دي أودوين، ومن الجاسكونيين السير ايمينيودي بومييه، والسير بيردوكاس د البرت، والسير سوديك دي لاترو، والسير بيتيتون دي كورتون، والعديد من الفرسان الفرنسيين وحملة الدروع والرماة^(٨٨).

وبمجرد بدء المعركة طلب رئيس الأساقفة من رجاله، وكان تحت قيادته عدد كبير من الفرسان، أن يظلوا في المعركة لنهائيتها، ويؤدوا ما عليهم من واجبات إلى النهاية، أما هو فقد رحل عن أرض المعركة، ولم يعد إليهم مرة أخرى، لأنه لن يقاوم ضد فرسان كابيتال دي بوش - حسب تعاليم الكنيسة- فعبّر النهر، ورحل معه فارس واحد فقط، ولم يشعر الباقون بعدم وجوده لأن رأيتهم ظلت موجودة، وجماعته أيضاً، حتى نهاية المعركة^(٨٩). وقدم رئيس الأساقفة اعتذاره للملك الفرنسي شارل الخامس، لأنه رحل عن المعركة، وساعده في تقديم الاعتذار السير بيردوكاس دالبرت^(٩٠).

بدأت المعركة بهبوط جون جويل وفرسانه، ثم لحق به كابيتال دي بوش وجيشه كما ذكرت من قبل، وكان الجميع يتقون في النصر، ولكن ارتد عليهم الفرنسيون في تنظيم جيد^(٩١)، مستغلين السهول الخضراء الفسيحة المكشوفة^(٩٢)، وعندئذ أدرك الانجليز والنافار أنهم وقعوا في خطأ كبير بنزولهم من فوق الجبل، فأفسحوا طريقاً لرماة السهام ليتقدموا، وأطلق الانجليز سهامهم بقوة، ولكن القوات الفرنسية كانت على درجة كبيرة من القوة والتنظيم، ومزودين جيداً بالسلح^(٩٣)، واستطاعوا التغلغل بسرعة وسط الانجليز والنافاريين، وكانت المعركة عنيفة ووقع الكثير من الجانبين في الأسر، وقتل وذبح الكثير، وتناثرت الجثث من الجانبين في أرض المعركة^(٩٤).

قاتل الفرنسيون ببسالة وشجاعة دفاعاً عن الوطن، وبخاصة البريتون وفرسان جاسكوني. أما عن الفرسان المنوط بهم مهمة أسر كابتال دي بوش، فلم يستطيعوا في البداية الاقتراب من كابتال دي بوش؛ لأنه كان يقاتل ببساطة كبيرة، ووجه العديد من الضربات للفرنسيين، ولم يستطع أحد الاقتراب منه. وعلى الرغم من محاولة الانجليز نجدة كابتال دي بوش، بعد أن تكاثر عليه الفرسان الفرنسيون، إلا أن الفرسان استطاعوا أن يخرجوه من الميدان، وحاول الانجليز انقاذه ولكن دون جدوى، حيث أخذه الفرسان الفرنسيون بعيداً عن أرض المعركة^(٩٥). وهاجم لوردات فرنسا السير ايمينيو دي بوميه ، والسير بيتيتون دي كورتون، والسير سوديك دي لاترو، واللورد دالبرت وفرسانهم بقوة ليسيطروا على راية كابتال دي بوش. وعلى الرغم من دفاع الانجليز باستماتة وبسالة عن الراية استطاع الفرنسيون التخلص منهم^(٩٦).

وعلى أرض المعركة تناثرت الجثث من الجانبين، ما بين قتلى وجرحى كما ذكرت، فقد نبح السير باسكال دي مارويل، ووقع السير جيوفري دي روسيلون Geoffery De Roussillon في الأسر، أما السير ايمينيودي بوميه فلم يعلم حاله قتل أم وقع في الأسر، وعندما رأى اليرجنديون والبريتون والنورمان والبيكارديون راية كابتال دي بوش ممزقة، وسقوط فايكونت بومونت قتيلاً في أرض المعركة، اشتدت حماسهم وقاتلوا النافاريين بعنف وقتلوا منهم أعداد كبيرة، وكانت المعركة شديدة العنف كما ذكرت من قبل، لأن الكل كان يحارب كمشاة يدا بيد، واستخدمت البلطة بشكل كبير في المعركة، وتأذى الكثير من ضرباتها، فقد تأذى السير بيتيتون دي كورتون، والسير سوديك دي لاترو كثيراً، وبذلاً مجهوداً كبيراً في المعركة، كذلك أصيب الفارس الانجليزي جون جويل في أماكن متفرقة من جسده، ووقع في الأسر بواسطة أحد مساعدي الفرسان من بريتاني، من جماعة برتراند دي جويسكلين، وتوفي في الأسر في نفس اليوم. ونجح أيضاً عدد من الفرسان الفرنسيين، ومنهم قائد الرماة بودوين دي أنيكوين، والسير لويس دي هافيسكيرك، والعديد من الفرسان^(٩٧).

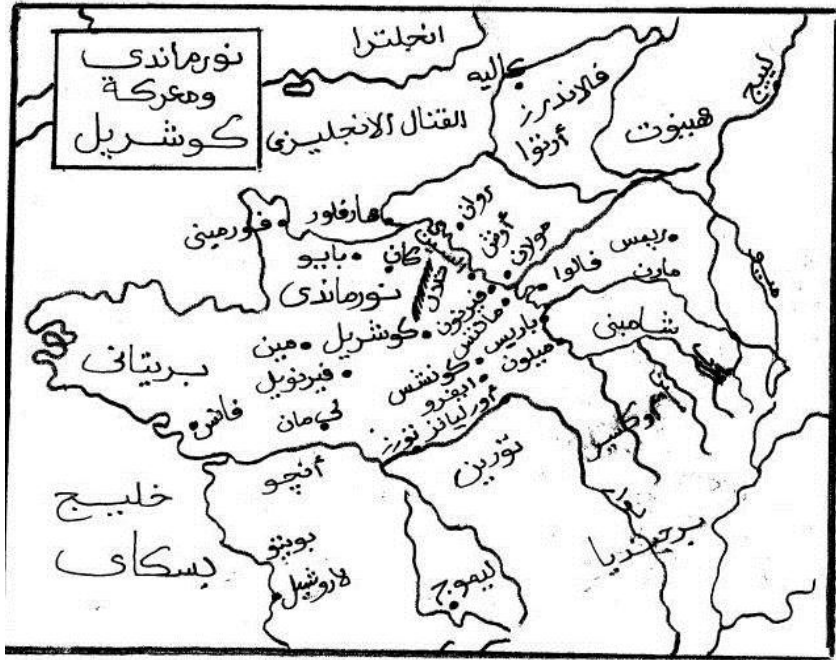
على الجانب الآخر: قتل من النافاريين اللورد سولت والكثير من رجاله، ووقع في الأسر السير جيوفري دي روسيلون، والسير برتراند دي فرانس، والعديد من الفرسان، ونجا القليل من النافاريين، فقد وقعوا في الأسر أو قتلوا^(٩٨). وكانت المعركة عند بلدة "كوشريل" بالقرب من ماننس في نورماندي، وذلك يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من مايو ١٣٦٤م^(٩٩).

وبعد خيبة الأمل والهزيمة التي تعرض لها الانجليز والنافاريين، وقتل وأسر العديد من فرسانهم، عاد الفرنسيون من أرض المعركة، وعبروا الجسر وهم منهكون واتجهوا إلى ثكناتهم، هذا في الوقت الذي خرج فيه من فرنسا عدد من الفرسان بقيادة جاي دي جوفيل Guy De

Gouville من موقعهم بالقرب من كوتشس، ومعه خمسين من رماة السهام بهدف الاستيلاء على راية كابيتال دي بوش وأسرره، وعندما وصلوا إلى أرض المعركة، وجدوا الكثير من جنث الانجليز والنافاريين، فعادوا إلى الطريق الذي قدموا منه، وعندما أثّرت مسألة رحيل رئيس الأساقفة، برر رجاله رحيله بقدر استطاعتهم. أما كابيتال دي بوش فقد اصطحبه الفرسان إلى قلعة فرنون Castle De vernon، وفي اليوم التالي عاد الفرنسيون إلى روان^(١٠٠) Rouen.

أدت الهزيمة النكراء للانجليز والنافاريين، وأسركابيتال دي بوش إلى تنازل شارل ملك نافار (السيئ) عن ادعاءاته في العرش الفرنسي بموجب معاهدة أفينون آذار ١٣٦٥م، كما تخلى ملك نافار عن أراضيهِ في نورماندي^(١٠١)، ولم يعد له أي أمل في هذه الممتلكات حتى وفاته^(١٠٢).

وأيضاً من أهم نتائج معركة "كوشريل" أنها ثبتت أقدام شارل الخامس في حكم فرنسا، وعلت مكانته هو وبرتراند دي جويسكلين؛ الذي استطاع فيما بعد أن يُجلى الجيوش الإنجليزية عن جميع الأراضي الفرنسية؛ التي فقدوها حنا الطيب، فيما عدا بايو Bayeux، وبورد و Bordeaux، وكاليه Calais^(١٠٣). غير أن عهداً من أفجع العهود في تاريخ فرنسا أعقب وفاة شارل الخامس، الذي لحق بقائده برتراند دي جويسكلين، بعد شهرين فقط ١٣٨٠م^(١٠٤)، فذهبت جميع المكاسب التي جناها الفرنسيون وأواخر حكمه أدراج الرياح، وتعرض كيان الأمة الفرنسية للخطر مرة أخرى، وذلك في عهد ابنه شارل السادس^(١٠٥) Charles VI (١٣٨٠-١٤٢٢م).



الهوامش

١- اشتهرت الأقاليم الفرنسية الوسطى والجنوبية بمزارعها ويساتينها التي تروى بواسطة اللوار والجارون Loire Et Garonne، في بويتو Poitou، وسانتون Saintogne، وبيريجورد Perigord وليموزين Limousin، وانجوه Angoumois، وجـ Guienne، واكويتين Aquitaine.

• Bloss. C.A: Heroine of the Crusades, New York, 1852, P. 119.

٢- هنري بيرين: تاريخ أوربا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)، ت. عطية القوصي، هيئة الكتاب، ١٩٩٦، ص ١٨٥.

3- Wergeland. A. M: History of the Working classes In France (Medieval period), In. Journal of political Economy, Vol. 11, No. 4, September 1903, p. 588.

ول ديورانت: قصة الحضارة، ت. عبد الحميد يونس، م١، ج٦، بدون تاريخ، ص ١٢٥، نظير حسان سعداوي: تاريخ انجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطى، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨، ص ٤٣.

٤- حنا الثاني (الطيب) هو الابن الأكبر لفيليب السادس (١٣٢٨-١٣٥٠) من زوجته جيان دي برجنديا، ولد في عام ١٣١٩، وحصل على لقب دوق عام ١٣٣٢م، وفي نفس العام تزوج من بون دي لكسمبورج Bonne De Luxembourg، ابنة الملك حنادي بوهيم. وتوج في ريمس Reims سبتمبر ١٣٥٠.

• Lavissee . E: Histoire De France Les premiers valois Et La Guerre De Cent Ans (1328-1422), Tome., IV, Premiere Partie, Par. A. Coville, Paris, 1911, PP. 89-92., Malcome Vale: Princely Court (medieval courts and culture In North- West Europe (1270-1380), oxford, 2001, P. 130.

5- Luce. M. S: Du Role Politique De Jean Maillard En 1358, In. Bibliotheque Del' Ecole Des Chartes, Tome. Troisieme, Paris, 1957, P. 422., Austin. F. OGG. A.M: Asource Book of Medieval History, New York, Cincinnati, Chicago, 1907, P. 439., Dana Carleton Munro And Raymond James Sontag: The Middle Ages (395-1500), London, And New York, 1921, P. 420., Kelly Devries and Robert Smith: Medieval Weapons, California, Denever, Oxford, 2007, P. 146.

٦- تم تحديد قيمة فدية الملك الفرنسي حنا الطيب بمبلغ ثلاثة ملايين كراون من الذهب، ويجب سداد أول دفعة (ستمئة ألف) في غضون أربعة أشهر في كاليه، ويتم سداد باقي الأقساط في مواعيدها

المحددة، وضمن ذلك تسليم قصور لاروشيل Larochall إلى الحكومة الإنجليزية وايضا كونتيه جوين Guienne.

- Obituario Monasterri Montisburgensis, In. R.H. G. F, Tome. XX111, Paris, 1894, P. 555., Vickers. K. H: England In Later middle Ages, London, 1913, pp. 201, 202., Hume. D: History of England, London, 1910, pp. 179, 180.

٧- تعرض ولي العهد (شارل الخامس فيما بعد) للعديد من المشاكل الداخلية والخارجية، أهمها ثورة ايتين مارسيل Etienne Marcel، نائب التجار في باريس، وروبرت لوكوك Robert Locoq، اسقف لاون Laon، حيث قاد مارسيل ولوكوك الثوار في باريس نوفمبر ١٣٥٧م، ومارسوا عمليات العنف والسطو على المناطق الريفية، إبان السنوات التي أعقبت انهيار فرنسا بعد معركة بواتييه ١٣٥٦م، واستغل العوام من الفرنسيين هذه الأوضاع وثاروا مطالبين ببعض الحقوق التي فقدوها، وقاد مارسيل الثوار المسلحين بعد أن تحول إلى زعيم للدهماء، وخطيب شعبي يستغل الاستياء لاكتساب النفوذ السياسي. وهكذا وقعت فرنسا في حرب أهلية بين ولي العهد شارل وبين أنصار مارسيل؛ الذي تحالف أيضا مع وليم كارل William Karle زعيم ثورة الجاكري Jacquerie، وهي الثورة التي أشعلها الفلاحون الفرنسيون في نهاية مايو ١٣٥٨م، والتي اتصفت بكل صفات العنف والوحشية، شأنها شأن ثورات البؤساء البائسين، فأقاموها في وجه النبلاء الذين باعوا فرنسا للإنجليز.

- Luce. M.S: Op. Cit, Tome. Troisieme, pp. 419-421., Luce . M. S: Examen Critique De L'ouvrage Intitule Etienne Marcel Et les Government La Bourgeoisie Au XIve Siecle (1356-1358), In Biblioteque De L' Ecole Des Chartes, Tome. Premiere Paris, 1860, P. 46., Lavissee. E: Op. Cit, Tome. IV, Premiere Partie, P. 111., Flynn. J: Medieval History, U.S.A, 1955, P. 119., Denys Hay: The Medieval Centuries, London, 1963, PP.131,132, Carlton. N: Medieval History Vol. I, New York, 1963, p. 26, Johnstone. H.M.A: England (Edward and Edward 11), In. Cambridge Medieval History, Vol. VII, Cambridge, 1968, P. 326., Jordan. W.C: Taxation French, In. Strayer. J.R.: Dictionary of the Middle Ages, Vol. 11, 1982, P. 623., Bainville J: Histoire De France, Paris, 1924, PP. 54, 55., Samuel. K. Cohn. Jr: The Politics of social revolt In Medieval Europe 1200-1425 (Italy- France- And Flanders), Cambridge, Massachusetts and London, 2006, P. 81.

- 8- Milles. C: The Hisotry of the Crusades, Vol. 2, London 1821, P. 290., Austin. F. Ogg. A. M: Op. Cit, P.442., Dana Carleton Munro and Raymond James Sontag: Op. Cit, P. 420.

٩- ولد شارل الخامس في الحادي والعشرين من يناير ١٣٣٨م في فينسين Vincennes، وهو ابن حنا الثاني (الطيب) من زوجته بون دي لكسمبورج، تولى الحكم في فرنسا عام ١٣٦٤م، عمل على إصلاح البلاد، وتمكن من استعادة الرخاء في فرنسا.

- Michelet.M: The Hisotry of France, London, 1846, PP. 230 FF., Mary. G. Honston: Medieval costum In England And France, New York, 1871, P. 90., Henneman. J. B: Charles V, Medieval France, An Encyclopeda New York and London, 1995, P. 377., Emmerson R.K: Key Figures In Medieval Europe, An Encyclopeda, New York and London, 2006, PP. 109-110.

- 10- Deloziere. M: De Erreurs De Date Contenues Dans Les Registres Du Tresor Des Chartes, In. Bibliohtequ De L'Ecole Des Chartes, Tome. Troisieme Paris, 1857, P. 152., James ESQ. G.P.P.: The . History of Chivalry, New York, 1885, P. 328., Mary. G. Honston: Op. Cit, P. 90., Lavis. E: Histoire De France, Livre Trois (La Guerre De Cent Ans), Paris, 1913, P. 64., Particia Carcon: The Faire Face of Flanders, Ghent, 1969, P. 103., Marten and Carters, Histories, Vol. 2, The Middle Ages (1000-1485), Oxford, 1926, P. 173., Deborah. A. Fraioli: Joan of Arc And the Hundred years War, U.S.A, 2005, P. 77.

١١- كريستين دي بيزان : ولدت في إيطاليا، حيث كان يعمل والدها، وبعد ولادتها مباشرة صار يعمل مستشاراً علمياً لشارل الخامس، وعاشت أسرتها في ظل رعاية الملكية الفرنسية، تزوجت وهي في سن السادسة عشرة من إيتين كاسل Etienne Castel، وكان كاتب عدل في بيكاردي Picardy، وبعد حوالي عشر سنوات توفي زوجها، وترك لها ثلاثة أبناء، ووجدت نفسها في عالم يمتلك قليلاً من الاحترام للمرأة، وكتبت الشعر لكي تعبر عن حزنها، وترجمت لحياة الملك الفرنسي شارل الخامس، وكانت تصفه دائماً بالملك الحكيم.

- Willard. C.C: Christine De Pizan, Medieval France, An Encyclopeda, New York and London, 1995, PP. 419-420., Regaudiere. A: The Theory and Practice of Government In Western Europe In The Fourteenth Century, In. The New Cambridge Medieval History, Vol. VI (1300-1415), Cambridge, 2008, P. 26., Bainville J. : Op. Cit, P. 56., Seward. D; The Hundred Years war (1337-1453), New York, 1982, P. 104., Emmerson. R.K:

Op. cit, P. 138., Personne. E. And Ohters: Histoire De France, paris, 1954, P. 61.

١٢- قام أدوارد الثالث ملك إنجلترا (١٣٢٧-١٣٧٧) وابنه الأمير أدوارد (الأمير الأسود) بتجهيز حملتين لغزو فرنسا، واحدة تتجه إلى نورماندي، بقيادة هنري لانكستر، Henry De Lancaster، والأخرى تتجه إلى أكويتين Aquitaine بقيادة الأمير الأسود، وفي عام ١٣٥٦م حشد حنا الثاني (الطيب) جيشاً للقاء الانجليز، لاسيما بعد أن تقدم الأمير الأسود عبر الأراضي الفرنسية، ودارت معركة بواتيه في التاسع عشر من سبتمبر ١٣٥٦م، في مكان يدعى مويرتوي Maupertuis على بعد سبعة أميال جنوب شرق بواتيه، وحقق الانجليز النصر. وعاد الأمير الأسود إلى بورديو Bordeaux، ومعه الكثير من الغنائم والأسرى، ووقع الملك الفرنسي حنا الطيب في الأسر، مما جعل معركة بواتيه أكبر نصر أحرزه الانجليز، وأعنف كارثة حلت بفرنسا.

- Hugues De Morville: L'Obituaire De L' hotel – Dieu De Saint- Lo, In. R.H. G.F, Tome. XX111, Paris, 1894, PP. 547-549., Obituario Sanctae Trinitatis De Exaquio, In. R. H. G. F, Tome. XX111, Paris, 1894, P. 546., Duchesne. A: Chronique Des Comtes D'Eu depuis 1130 Jusqu'En 1390, In. R. H. G.F, Tome. XX111, Paris, 1894, P. 446., MR. Rapin De Thoyras: The Hisotry of England, Tr. By. Tindal .N.M.A, Vol. 1, London, 1743., Lavissee. E: Op.Cit, Tome. IV, premiere Partie, P. 105., Mckisack . M: The Fourteenth Century (1307-1399), Oxford, 1959, P. 139., Bradburg.J: The Medieval Archer Great Britain, 1985, P. 109., Koenigsberger. H. G. and Asa Briggs : Ahistory of Europe (Medieval Europe, 1400-1500), New York, 1987, P. 309.

١٣- كانت الطبقات في القرن الحادي عشر هي: الأشراف الذين يحاربون، ورجال الدين، والفلاحون، ثم أضافت الثورة الاقتصادية في القرن الثاني عشر طبقة جديدة هي أهل المدن، أو الطبقة الوسطى العاملة، وكانت في فرنسا تسمى الطبقة الثالثة، واستطاعت هذه الطبقة أن تصل إلى الهيئة العامة للطبقات Etats Generaux أو مجلس طبقات الأمة. وكانت تضم كافة الممثلين لرجال الكنيسة الفرنسيين، ونواب نبلاء المقاطعة، ونواب المدن الكبرى.

- Boutarie.M. E: Les premier Etats Generaux (1302-1314), In. Bibliotheque De L' Ecole Des Chartes, Tome. Premiere, Paris, 1860, P. 1., Wergeland. A.M: Op. Cit, PP. 588-593., Denys Hay: Op. Cit, P. 131., Carlton. N: Op. Cit, Vol. 1, P. 26., Flynnn. J: Op. Cit, P. 119.

١٤- هو فارس من دم ملكي فرنسي، فهو حفيد لويس العاشر LouisX ملك فرنسا (١٣١٤-١٣١٦)، فهو ابن جان دي نافار Jeanne De Navarre ابنة لويس العاشر، والتي لم يعترف بها عمها فيليب الخامس. Philippe V (١٣١٦-١٣٢٢) ملك فرنسا، حيث كانت القاعدة القانونية تمنع النساء من وراثة العرش، وبالتالي فقدت إرثها في الكونتيات الغنية في شامبني

Champagne وبرى Brie، ولكن تم تعويضها بنورماندي، وأنجوموا Angoumois، واحتفظت بمملكة نافار كإرث من والدتها، وفي سنة ١٣٤٩م وهي سنة وفاتها وافقت جان دي نافار على مقايضة أنجوموا مع حنا الطيب في مقابل إقطاعات أخرى، ولذلك كان شارل دي نافار لديه ادعاءات في العرش الفرنسي هو والوارد الثالث ملك إنجلترا. وفي عام ١٣٥٠ توج شارل ملكا على نافار. وكان شارل يلقب (بالسيئ) Le Mauvais حيث أنه كان يقوم بقمع الثورات بقسوة وعنف، لذلك عرف بالسيئ في نافار. وفي عام ١٣٥٤م قتل بلا رحمة المفضل لدى حنا الثاني (الطيب) وهو قائد الجيش شارل دي لاسردا Charles De la Cerda، وعوضاً عن معاقبته حاول حنا استرضاء شارل دي نافار خوفاً من خيائته، وذلك بمنحه إقطاعات جديدة في نورماندي، وتشجع شارل بعدم العقوبة، وقدم لالوارد الثالث عونه شريطة أن يقطعه نورماندي وشامبني ولانجدوك Languedoc، كما طالب بـ أنجوموا، وطلب المساعدة من البابا إنوسنت السادس Innocent VI (١٣٥٢-١٣٦٢)، بعدما حاول حنا القبض عليه، وطلب المساعدة من هنري دي لانكستر، الذي وعده بمساعدة عسكرية في نورماندي ضد فرنسا. وفي العاشر من سبتمبر ١٣٥٥ قام شارل بعمل سلام مرة أخرى مع حنا الطيب، وتم منحه أقاليم جديدة كمكافأة. وفي الخامس من أبريل ١٣٥٦ قام حنا الطيب بمحاولة الثأر والانتقام، فاقحم عشاء كان شارل قد أقامه في روان Rouen، وتم القبض على شارل وسجنه، وتم إعدام جيوفري دي هاركورت Geoffrey De Harcourt ومن معه من النبلاء. ولكن عندما تم القبض على حنا وأسرته في معركة بواتييه، سبتمبر ١٣٥٦، هرب شارل دي نافار من السجن في ١٣٥٧م، واكتسب شعبية، واجتمع له حشد من المؤيدين في امينس Amiens وباريس، وعاد من جديد لادعاءاته في العرش الفرنسي، وتحالف مع ايتين مارسيل نائب التجار في باريس، وثورة الفلاحين (الجاكري). ثم في عام ١٣٥٨ انضم لإلوارد الثالث ضد فرنسا، وبعد معاهدة بريتاني ١٣٦٠م عاد إلى نافار، هذا في الوقت الذي بدأت تظهر فيه شخصية برتراند دي جويسكلين Bertrand Du Guisclin على مسرح الأحداث، وفي غياب شارل استولى برتراند على مانتس Mantes وميلون Melun، مما أدى إلى الصدام بين ملك نافار وشارل الخامس ملك فرنسا.

- Freville. M. E: Des Grandes Compagnies Au Quatorzieme siecle, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. Cinquieme, paris, 1843-1844, PP. 236, 237., Pounds. N: The Medieval City, London, 2005, P. 16., Allmand. C: War Government and power in late medieval France, In. Craig Taylon: War propaganda and Diplomacy In Fifteenth centure (France and England), Oxford, 2000, P. 81., Bainville.J; Op. cit, P. 53., Humc. D. : Op. cit, P. 170.,

- Samuel. K. Cohn. Jr: Op. Cit, P. 132., Kelly Devries. : Op. Cit, PP. 146, 147, Emmerson. R. K: Op. cit, P. 127, Dana Carleton Munro and Raymond James Sontag: Op. Cit, pp. 417, 418., Deborah. A. Fraioli: op. cit, pp. 82-84.
- ١٥- ول ديورانت: المرجع السابق، م١، ج٦، ص١٣٠، نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، ج٢، دمشق، ١٩٩٣، ص٥٠٣.
- ١٦- توماش ماستناك: السلام الصليبي، ت. بشير السباعي، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩، ص٤٥٤. نور الدين حاطوم، نفسه، ج٢، ص٥٠٣، ٥٠٤.
- 17- Leon Lacabane. M: Recherches sur Les Auteurs De Grandes Chroniques De France, Dites De Saint Denys, In. Bibliotheque De L' Ecole De chartes, Tome. Deuxieme, paris, 1810, P. 66., Raimond Du Temple: Architecte Du Roi Charles V, In. Bibliotheque De L' Ecole Des Chartes, Tome. Troisieme, Paris, 1846, pp. 55, 56, Seward. D: op. Cit, P. 104.
- 18- De Smet. J.J: Recueil Des chronique De Flandre puplie Sous – aDirection de La commission Royale De L' Histoire, Tome. 111, Bruxelles, 1856., In. Bibliotheque De L' Ecole Des Chartes, Tome. Troisieme, Paris, 1857, P. 472.
- ١٩- نور الدين حاطوم: نفسه، ج٢، ص٥٠٤.
- ٢٠- نظير حسان سعادوي: المرجع السابق، ص١٤٣.
- ٢١- ركن الفرنسيون إلى الأساليب الفابيوسية المنسوبة للقاتل الروماني المعروف بذلك الاسم (Fabius)، فاجتنبوا الدخول في معارك فاصلة، ومضوا يلحقون الخسائر بالجيش الإنجليزى القليلة العدد.
- Pounds. N: Op. Cit, P. 16., Dana Carleton Munro And Raymond James Sontag: Op. Cit, P. 420.,
راوس. أ. ل : التاريخ الإنجليزي ، ت. محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٦، ص٥٥.
- ٢٢- نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ج٢، ص٥٠٤.
- ٢٣- نظير حسان سعادوي: المرجع السابق، ص١٤٣، نور الدين حاطوم، نفسه، ج٢، ص٥٠٦.
- ٢٤- يمكن القول أن فترة انتشار الوباء الأسود BlackDeath في الغرب الأوربي كانت بمنزلة كارثة كبرى عمت أوروبا، وأصاب جميع بلدانها بنقص في الأرواح والأموال، زيادة على ارتباك الأحوال الاقتصادية، كما أنه نتيجة للخسائر الفادحة في الأرواح التي تحملتها المدن الأوربية، وبخاصة في

فرنسا، لم تستطع كثير من المدن الفرنسية تقديم المساعدات الحربية التي وعدت بها ملك فرنسا، عقب وأثناء انتشار الوباء، واضطرت كثير من المدن إلى تخفيض أعداد المحاربين الذين وعدت بتقديمهم، وبلغت نسبة الوفيات حوالي ٣٥% من سكان باريس، بجانب الوفيات في المدن الأخرى.

- على السيد على محمود: الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي (دراسة مقارنة بين الشرق والغرب)، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث والثلاثون، ١٩٨٦، ص ١٨١-١٨٣.

٢٥- كان بطرس القاسي - Peter The Cruel - متزوجاً من الأميرة بلانش ابنة الدوق بطرس دي بوربون Peter De Bourbon، وشقيقة ملكة فرنسا، ثم هجرها وتفرغ لمعشوقته ماريال البرتغالية Maria De Portugal، وكان بطرس قاسيا على رعيته، وأهلك الكثير منهم ظلماً، ومنهم إخوة له غير شرعيين، وفسد السم لزوجته بلانش البريونيّة، فخرج عليه الأسبان ونادوا "الحياة لهنري والموت لبطرس" وكان هنري دي تراستامارا Henry De Trastamara أحد هؤلاء الإخوة غير الشرعيين، ومعه دون تيللو Dontello، وسانشو Sancho. وانتهز الملك الفرنسي شارل الخامس وقائده برتراند دي جويسكلين Bertrand Du Gruisclin هذه الحرب واقبوا حوالي ثلاثين ألفاً من العصابات التي تركها الملك الإنجليزي أدوارد الثالث في فرنسا، حيث وجد القائد الفرنسي دي جويسكلين نفسه أمام قطاعات عسكرية منظمة، تغير على المدن فتحتلها أو تفرض عليها تأدية مبالغ مالية باهظة. انضمت هذه العصابات للحملة التي أعدها شارل وجويسكلين ضد بطرس القاسي، منافس تراستامارا على عرش قشتالة. وقد أحرزت الحملة انتصاراً أولياً في معركة نافاريت Navaret، وتولى العرش تراستامارا، وكان البابا أوربان الخامس UrbanV (١٣٦٢-١٣٧٠) قد حرم على بطرس القاسي وأهل مملكته ما أتوه من قبيح الأعمال، فكان ذلك من أكبر الأسباب التي أدت إلى هزيمة بطرس.

وكان أن التجأ بطرس إلى الأمير الأسود في بوردو Bordeaux، عاصمة جاسكوني Gascony، لاسترجاع مملكته، فوعده الأمير الأسود بالمساعدة، وبالفعل استطاع دخول إسبانيا وهزم جيش هنري ودي جويسكلين، وخاصة بعد أن قامت خيالة دي جويسكلين بالتخلي عنه كاشفة جناحيه، فكانت الهزيمة في معركة ناجيرا Najera بالقرب من بامبلونا Pampelona في الثالث من أبريل ١٣٦٧م، وتم أسر جويسكلين في المعركة، وهرب تراستامارا ملتجئاً للبابا أوربان

الخامس، وأعاد الأمير الأسود بطرس القاسي إلى العرش القشتالي. إلا أن أسر جويسكلين لم يستمر طويلاً، فافتداه الملك الفرنسي بمبلغ مالي كبير.

وثأر جويسكلين لنفسه في معركة مونتيل Monteil، حيث قُتل بطرس القاسي، فخلا بمصرعه العرش لمرشح البلاط الفرنسي، وجلس هنري تراستاماراً على العرش القشتالي. وجنت فرنسا من هذه الحرب فوائد كثيرة، منها أنها تخلصت من الجنود (العصابات) التي سببت مشاكل كثيرة لفرنسا، حيث أخذهم دي جويسكلين معه، وكذلك الأمير الأسود إلى أسبانيا، واستخدمهم ملك قشتالة.

- Froissart: The Chronicles of Froissart, Tr. By. Bouchier. J, Vol. 1, London, 1930, P. 153.FF., James Pettite and Andrews. F.A.S: The History of Great Britain (From Caesars Invation to The Deposition and Death of Richard 11), Vol. 1, London, 1794, P. 379., Ramsay. J. H: Genesis of Lancaster or, The Three Reigns of Edward 11, Edward 111, and Richard 11, 1307-1399, Vol. 1, Oxford, 1913, P. 475.FF., Adoumie. V: Histoire Geographie, Paris, 2007, P. 348. Deborah. A. Fraioli: Op. Cit, P. 76.

٢٦- نظير حسان سداوي: المرجع السابق، ص ١٤٤.

٢٧- بعد هزيمة الجيش الفرنسي في معركة بواتييه Poitiers ١٣٥٦م، وأسر الملك الفرنسي حنا الطيب، وعقد معاهدة لندن مارس ١٣٥٩م، والتي أثارت الغضب الفرنسي بعد الشروط المهينة التي فرضها إدوارد الثالث على فرنسا، كان رد فعل إدوارد الثالث هو تكثيف جهوده من أجل تحقيق أهدافه لغزو فرنسا مجدداً ١٣٥٩م، بيد أن الأمور لم تسر وفقاً لخطة إدوارد الثالث، حيث فشل في غزو فرنسا، بعد قضاء عاصفة على جيشه، وفقدانه لتأييد نافار، وتلاشي آماله المتعلقة بالتاج، ولم يعد قادراً على فرض الشروط المهينة - التي تصل إلى حد مصادرة ثلثي فرنسا لصالح إنجلترا بمقتضى معاهدة لندن، ومن ثم لجأ إلى محادثات سلام مايو ١٣٦٠م، وتوصل إلى هدنة عند بريتاني Bretagne بالقرب من شارتر Chartres، استمرت حتى سبتمبر ١٣٦٠م، واتخذ السلام شكله النهائي في كاليه، Calais "أكتوبر ١٣٦٠م" وبناءً على تلك المعاهدة، تحققت لإدوارد الثالث السيطرة الكاملة على جاسكوني، وكل الأراضي المتنازع عليها حدودياً، بما فيها كونتية بويتو Poitou، والتي كانت بعض أراضيها في أيدي الفرنسيين، وأيضاً سانتون Saintogne، وبيرجورد Perigord، وكونتات بونثيو Ponthieu، وجويين Guienne، وإقطاعية مارك Mark، ومدينة كاليه، وتم تحديد فيه الملك حنا الطيب بمبلغ ثلاثة ملايين كرون من الذهب، وتعهد إدوارد بتخليه عن المطالبة بعرش فرنسا. وعلى الرغم من

أن الشروط كانت مجحفة، فقد رحب الفرنسيون بمعاهدة بريتاني كعلامة لنهاية حرب لا قبل لهم بتحملها.

- * Froissart: Op. cit, Vol. 2, P. 140., Obituario Monasterii Montisburgensis, In. R. H. G.F, Tome. XX111, Paris., 1894, pp. 554, 555. MR Rapin De Thoyras: Op.cit, Vol. 1, P. 438. Lavissee. E: Op. Cit, Tome. IV, Premier Partie, P. 152., Tout. F: The History of England from The accession of Henry 111 To the Death of Edward 111 (1216-1377), The political History of England, Vol. 111, London, 1905, PP. 395-398., Charlotte. M. Walters: An Economic History of England (1066-1874), London, 1925, P. 146, Bainville. J: Op. cit, P. 56., Marten and Carters, op. Cit, P. 171., Dana Carleton Munro and Raymond James Sontag: Op. cit, p. 420., Bradburg. J: Op. cit, p. 114., Deborah. A. Fraioli: Op. cit, pp. 76, 77.

٢٨- نظير حسان سعداوي: نفسه، ص ١٤٥.

٢٩- هو الأمير إدوارد ابن إدوارد الثالث، ولد في مدينة ويستوك Woodstock يونيو ١٣٣٠م، وكان منذ صغره يتسم بالقوة والقدرة على تحمل المسؤولية، مما دفع إدوارد الثالث إلى تأهيله للمهام السياسية، ومنحه لقب أمير ويلز، بالإضافة إلى لقب دووق كورنوال Cornwall، ثم شرع في تدريبه عسكرياً، وحرص على أن يشاركه في حملته على فرنسا ١٣٤٦م.

• فاطمة عبد اللطيف: حملات الأمير الانجليزي الأسود على فرنسا، مجلة بحوث كلية الألب (جامعة المنوفية)، العدد الرابع والسبعون، يوليو، ٢٠٠٨، ص ٢-٦.

٣٠- لويس الحاج: الجيش الفرنسي، دار المكشوف، ١٩٤٥، ص ٦٥.

٣١- نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٠٤.

٣٢- ليون: تقع ما بين نهري الرون. Rhone والساونون Saon، وقبل عصر الكارولنجيين كان يحكمها أسقف، ولكن بعد ذلك خضعت للسلطة الملكية الفرنسية، واشتهرت بتجارة النبيذ.

• Stoddard: W.S: Lyon, Medieval France, An Encyclopedia, New York and London, pp. 1081, 1082.

33- Henneman. J. B: Brignais, Medieval France An Encyclopedia, New York and London, P. 277.

٣٤- بوريون: تقع في وسط فرنسا، شرق بيري Berry، وشمال أوفيرن Auvergne.

• Henneman. J. B: Bourbon, Medieval, France An Encyclopedia, New York and London, P. 263.

35- Henneman: Ibid, p. 263.

36- Frosisart: Op. Cit, Vol. 1, P. 140.

37- Froissart: Ibid, Vol. 1, pp. 140, 141.

- 38- Froissart: Ibid, Vol 1, P. 141.
39- Frosisart: Ibid, Vol 1, p. 141.
40- Henneman. J. B: Brignais, Medieval France, An Encyclopedia, P. 278., Henneman. J. B: Brigand, Medieval France, An Encyclopedia, New York and London, 1995, p. 277.
41- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 141.
42- Froissart: Ibid, Vol. 1, P. 141., Henneman. J. B: Brignais, Medieval France, An Encyclopedia, New York And London, 1995, P. 278.
43- Froissart: Ibid, Vol. 1, P. 142.
44- Froissart: Ibid, Vol. 1, P. 142.

٤٥- في عام ١٣٠٥م تم اختيار رجل فرنسي في المنصب البابوي هو: كليمنت الخامس Clement V (١٣٠٥-١٣١٤) ، وبدأت البابوية وكأنها صارت أداة بيد فيلب الرابع (١٢٨٥-١٣١٤) ملك فرنسا ، لأن كليمنت الخامس لم يغادر فرنسا إطلاقاً، إذ كانت بابويته بداية نفي طويلة للبابوية في روما، فقد اتخذ البابا الجديد، مقر له في مدينة أفينون Avignon بدلاً من روما، على الضفة الشرقية لنهر الرون، وظلت مدينة أفينون الواقعة تحت النفوذ الفرنسي مقراً للبابوية منذ عام ١٣٠٥م وحتى عام ١٣٧٧م، ثم عاد مقرها إلى روما. وقد أطلق على هذه الفترة اسم الأسر البابلي Babylonish Captivity بسبب الاعتقاد السائد آنذاك بأن إقامة البابوات في أفينون كانت إجبارية تحت الضغط الفرنسي، وذلك تشبيهاً لها بسبي بني إسرائيل، من قبل الملك البابلي الكداني نبوخذ نصر، وإجبارهم على الإقامة في بابل.

- Thomas. M. I. Bicki; : Avignon papacy, Medieval France, An Encyclopedia, New York and London, 1995, PP. 166-169., Kaplan. M: Le moyen Age. XI-XV, Rome, 1994, P. 316. FF., Pirenne. J.: The Tides of History, Vol. 11, 1963, P. 224., Synan. E. A: Clement V Pop, In. Strayer. J. R: Dictionary of the Middle Ages, Vol. 3, P. 438.
- 46- Froissart: Op. cit, Vol. 1, P. 142., James Pettite and Andrews. F.A.S: op. Cit, P. 381.
47- Froissart: Ibid, Vol. 1, P. 142, Henneman. J.B: Brigand, Medieval France, An Encyclopedia, New York and London, 1995, P. 277., James Pettite and Andrews. F.A.S: Ibid, P. 381.
48- Froissart: Ibid, Vol. 1, P. 142.
49- Froissart: Ibid, Vol 1, P. 143.

٥٠- كاترين دي سيينا (١٣٤٧-١٣٨٠): راهبة من الدومنيكان، عاشت حياة عميقة التدين إلى أن توقفت عن تناول الطعام وتوفيت في التاسع والعشرين من إبريل ١٣٨٠، وهي ما تزال شابهة، والحال أن تدينها هو الذين قادها للمشاركة في الحياة العامة. وفي سبعينات القرن الرابع عشر

خاضت حملة نشطة من أجل عودة البابا جريجوري الحادي عشر (Gregory XI ١٣٧٠-١٣٧٨م) إلى روما، ومن أجل السلام بين المسيحيين، ومن أجل الحملات الصليبية "العبور المقدس إلى ما وراء البحر". وقد ترحلت وأرسلت رسائل إلى كل من تعتقد أنه قد يكون عوناً على تحقيق تلك الأهداف. وذلك لأن مرسوم جريجوري الحادي عشر والدعوة إلى حملة صليبية تبتاً طيباً جميلاً. ولكن البابا جريجوري الحادي عشر أراد أولاً أن يتحقق السلام فيما بين المسيحيين، وعندما يتحقق هذا السلام سوف يأمر الرب بالحرب الصليبية. وكانت كاترين على دراية بمشكلة السرايا العسكرية المرتقة؛ التي كانت تستخدم ضد إخوانها المسيحيين، وكانت تكدر عيش المدنيين، وقد اعتبرتهم "أي المرتقة" خدام الشياطين، ولذلك كانت تدعو إلى السلام المقدس، ودعت ولامت شارل الخامس على خوض حرب ضد إنجلترا. ففي رأي كاترين كان قتال المسيحيين لمسيحيين آخرين وحده هو الحرب، أما الحملة الصليبية فلم تسمها حرب بل سمها "ذلك الزمن الجميل".

- De Mas Latrie. M: Documents Sur Le Commerce Maritime Du Midi De L'a, France, Extraits De Quelques Archives D' Italie, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome Troisieme , Paris, 1857, P. 213., Philip Schaff: History of The Christain Church, Vol. VI (The middle Ages 1294-1517), 1882, pp. 107, 108., Tierney. B: Sources of The. Middle Ages, Vol. I, U.S.A, 1999, P. 289., Maxwell – Stuart. P. G: Chronicle of The popes, London, 1997, pp. 133-135., Dana Carleton Munro and Raymond Jaines Sontage : op. cit, p. 460., Denys Hay: A general History of Europe, New York and London, 1989, P. 109.
- 51- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 143.
- 52- Froissart: Ibid, Vol. 1, P. 143.
- 53- Froissart: Ibid, Vol 1, P. 143.
- 54- Chronologie Des Baillis Et Des Senechaux Jusqu' AL' Avenement De Philippe De Valois, In. R.H. G.F, Tome. XXIV, Paris, 1904., Lavissee. E: op. Cit, Tome. IV, Premiere Partie, P. 170., Delorme .J. : Les Grand Dates Du Moyen Age, Paris, 1967, P. 107., Seward. D.: op. Cit, pp. 100, 101.

٥٥- اعتلى بطرس الأول لوزنجان Pierre I De Lusignan عرش قبرص في عام ١٣٥٩م، بعد وفاة والده هيو الرابع Hugues IV ، واشتهر بقوة شخصيته، ونظره في الحماسة الدينية. وقد أراد هذا الملك أن يجعل من نفسه بطلاً للمسيحية في صراعها ضد المسلمين، ولذلك فكر في القيام بحملة صليبية كبرى يطعن بها المسلمين طعنة قوية. وعندما أدرك أن هذا المشروع يحتاج إلى استعدادات ضخمة وأموال كثيرة؛ قام برحلة طويلة في غرب أوروبا (١٣٦٢-١٣٦٥)

للحصول على أكبر قدر ممكن من المساعدات البابوية ، وملكوك الغرب الأوربي، أبحر بطرس الأول من قبرص في ٢٤ أكتوبر سنة ١٣٦٢م، وممر برويس، ثم البننقية، ثم قصد أفينون حيث اجتمع بالبابا أوربان الخامس، كما اجتمع بملك فرنسا حنا الثاني (الطيب) ، وأعلن البابا أمام الملكين حملة صليبية جديدة (١٤ ابريل ١٣٦٣). وبعد ذلك أكمل بطرس رحلته فطاف بفلاندرز Flanders ، وبرابانت Brabant ، وبعض المقاطعات والمدن الألمانية ثم قفل راجعا بعد ذلك إلى باريس، للاجتماع مرة ثانية بحنا الثاني. وبعد زيارة نورماندي وبريتاني، أبحر بطرس من كاليه إلى انجلترا، ليقابل إدوارد الثالث، الذي أحسن استقباله. وبينما هو في طريق العودة من انجلترا سمع بوفاة صديقه حنا الطيب ملك فرنسا، فأسرع إلى باريس لحضور تتويج الملك الجديد شارل الخامس.

- De Mas Latrie. M. : Histoire De L' Ile De Chypre Sous Le Regne De Princes De La Maison De Lusignan, Vol. 11, Paris, 1852, P. 240.,

سعيد عاشور: قبرص والحروب الصليبية ، الهيئة المصرية، العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص ٥٦-٥٨.

56- Froissart : Op. Cit, Vol. 1, P. 144.

٥٧- توج شارل الخامس في كنيسة السيدة في ريمس على يد رئيس الأساقفة، وتم تتويج زوجته الملكة ابنة الدوق بيتري دي بوربون peter De Bourbon، وكان من بين الحضور بطرس الأول لوزنجان ملك قبرص، ودوق انجو Duke D' AnJou، ودوق بورجون Duke De Bourgogne، والسير وينسلاس دي بوهيميا Wenceslas De Bohemia، ودوق لوكسمبورج Duke De Luxembourg، ودوق برابانت Duke De Brabant، وإيرل دي دامارتين Earl De Damartin، وإيرل دي ترانسارفيل Earl DeTrancarvill، وإيرل فوديمونت Earl De Vaudemont، وفي حضور الأساقفة والوردات، وأقيمت الولائم والاحتفالات لمدة خمسة أيام ، ثم رحل الملك شارل الخامس إلى باريس.

- Froissart: Ibid, Vol. I, P. 151.

٥٨- تعتبر فترة حكم شارل الأصلع Charles Le Chaure الملك الكارولنجي (٨٢٣-٨٧٧) حداً فاصلاً في تتويج الملوك وترسيمهم، فقد أصبح من ذلك الحين التقليد السائد في القسم الغربي من الإمبراطورية: أن يتم تتويج ورسم الملك على يد رئيس الأساقفة، وبالتحديد على يد رئيس أساقفة ريمس، حيث تقام مراسم الاحتفال. ويمكن القول أنه عند اعتلاء أي ملك العرش، أو وجود أي محاولة للوصول إلى العرش، لم تكن لتتم إلا بعد انعقاد اجتماع قبل عملية الانتخاب

نفسها، من خلال احتفالات رسامة وتنويع، وتكون مثل هذه الاحتفالات متميزة، ويبدو أن مظهرها قابل للتغيير من عهد لآخر.

• Capitularia Caroli Calvi, In. R. H. G.F, Tome. VII, P. 689.,

فاطمة عبد اللطيف: مراسم تنويع الملك الكارولنجي شارل الأصغر (٨٢٣-٨٧٧م)، مجلة وقائع تاريخية، العدد السابع، يناير ٢٠٠٧، ص ٨٦.

٥٩- عندما توفي شارل الرابع Charles IV (١٣٢٢-١٣٢٨) ابن فيليب الرابع (١٢٨٥-١٣١٤)

ملك فرنسا، دون أن يترك وريثاً نكراً يخلفه، اختار زعماء فرنسا فيليب فالوا Philippe De Valois (١٣٢٨-١٣٥٠)، والذي صار فيليب السادس، ليؤسس أسرة جديدة هي أسرة فالوا، حلت محل أسرة كابيه في حكم فرنسا، وكان لإدوارد الثالث ادعاءات في العرش الفرنسي باعتباره ابن ايزابيلا Isabelle شقيقة الملك الفرنسي فيليب الرابع، ولكن كان إدوارد حينئذ في السادسة عشرة من عمره، ولم يهتم أحد باحتجاجات والدته ايزابيلا.

• Pierre cochon: Chroniques, In. R.H. G.F, Tome. XXIII, Paris, 1894, P. 225., Masselino. J: Altera Chronici Rotomagensis Continuatione, In. R. H. G. F, Tome. XXIII, Paris, 1894, P. 352., Necrologio Hospitalis Beatae Mariae Magdalenae Rotomagensis, In. R.H. G.F, Tome. XXIII, Paris, 1894, P. 416, Viard. J: La France Sous Philippe VI De Valois, Paris, 1986, P. 337-FF., Delorme J: Op. Cit, P. 102., Adomie. V: Op. Cit, P. 140.

60- Austin F. OGG: Op. Cit, P. 440. Ramsay. J. H: Op. Cit, PP. 384, 385., Vickers. K. H: Op. Cit, PP. 198, 199.

61- Tout. F: Op. Cit, P. 400., Bainville. J: Op. Cit, P. 58. Kelly Devries and Robert. D. Smith: Op. cit P. 146., Seward. D: Op. Cit, P. 104.

62- Kichin. G. W.M.A: History of France, Oxford, 1872, PP. 430,431, Tony Jaques: Dictionary of Battles and Sieges, Vol. 1, London, 2007, P. 2. Tout. F: Ibid, P. 400., Seward. D. : Op. cit, p. 104.

63- Froissart: Op. Cit, Vol. I, P. 145., Tony Jaques: Ibid, Vol. 1, P. 251.

64- Froissart: Ibid, Vol 1, P. 145.

65- Froissart: Ibid, Vol. 1, P. 145., Tout. F: Op. Cit, P. 400.

66- Froissart: Ibid, Vol. 1, P. 145.

67- Froissart: Ibid, Vol. 1, P. 145.

٦٨- برتراند دي جويسكلين: اقترن اسمه بالنهضة العسكرية في عهد شارل الخامس، كما اقترن

بالوقائع البطولية التي تميز بها ذلك العهد، ولد في بريتاني، وينتمي إلى أسرة نبيلة، والده روبرت

دي برون Robert Seigneur De Broon، ووالدته جان دي مالومين Jeanne De

Mallomains. بدأ نضاله في سبيل فرنسا وهو في سن السادسة عشرة، وبعد سقوط بريتاني

بأيدي الإنجليز، كون جويسكلين جماعة من مواطنيه، ووفق يناوي المحتلين، واستطاع في عام ١٣٥٠م أن ينتزع من الأعداء قلعة "فوجري" الحصينة، وانتهى هذا العمل إلى الملك الفرنسي، فأرسل في طلب برتراند دي جويسكلين، والحقه بخدمته، وجعله كونستابل فرنسا Connetable .De France

- Dictionnaire Historique- Portatif, Tome. Premiere, Paris, 1760, P. 646., Guessard. M: Gauluet ou Le Sire De Gaules (1380-1423), In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. Quatrieme, Paris, 1847, 1848, P. 442., Leopold Delisle: Dux Letters De Bertrand De Guesclin Et De Jean Le Bon. Comte D'Angouleme, Vol. 45, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Paris, 1884, PP. 302, 303., James EsQ. G.P: Op. Cit, P. 326., Henneman. J. B: Bertrand Du Guisclin, Medieval France, An Encyclolpedia, New York and London, pp. 808, 809., Lavis. E: Hisioire De France, liver Troisi (LaGuerre De Cent Ans), P. 67, Anne. J. Duggan: Nobles And Nobility In Medieval Europe, Great Britain, 2000, P. 272., Emmerson. R.K: Op. Cit, P. 127, Bainville J. : Op. Cit, P. 59., Adomie. V: Op. Cit, PP. 139-140.
- 69- Lavis. E: Ibid, Livre.Trois, P. 65.,
ول ديورانت: المرجع السابق، م ١، ج ٦، ص ١٣٠.
- 70- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 145.
- 71- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 146.
- 72- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 146.
- 73- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 146.
- 74- James Petite And Andrews. F.A.S: Op. Cit, Vol. 1, P. 381.
- 75- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 147.,
- 76- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 147. James petite and Andrews. F.A.S: op. Cit, Vol. 1, P. 381.
- 77- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 147.
- 78- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 147.
- 79- Emmerson. R.K: Op. Cit, P. 127,
- جوزيف داهموس: سبعة مؤرخين في العصور الوسطى، ت، محمد فتحي الشاعر، هيئة الكتاب،
١٩٨٩، ص ٢٢٧.
- 80- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 147.
- 81- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 147.
- 82- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 148.

83- Verbruggen. J. F: The Art of Warfare In Western Eruope Druing Middle ages, Tr. By. Sumner Willard And. Mrs. R.W. Southern, Great Britain, 1997, P. 108,

لويس الحاج: المرجع السابق، ص ٦٩.

٨٤- القديس جورج: هو من طراز القديسين الجنود؛ الذين يعتقد التراث المسيحي أنهم يهبون دائماً لتجدة جيوش المسيحيين في أي ورطة، وتدور حولهم أساطير كثيرة، ويعتقد الإنجليز أنه الراعي والحامي لهم، وكان الصليبيون يهتفون باسمه أثناء المعارك في الشرق، واستشهد حوالي ٣٠٣م (القرن الرابع)، وهو مدفون بالقرب من مدينة اللد.

- Coredon. C: Dictionary of Medieval Terms and Phrases Great Britain, 2004, P. 137., Alan Murray: The Crusades, An Encyclopedia, Vol. IV, California, Denewer, Oxford, 2006, PP. 508, 509.,

جوناثان ريلي- سميث: الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ت. محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص ١٠٩، قاسم عبده قاسم: الحملة الصليبية الأولى " نصوص ووثائق"، العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥، ص ٢٢٤.

٨٥- لويس الحاج: المرجع السابق، ص ٦٩.

86- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 149.

٨٧- لويس الحاج: نفسه، ص ٦٩.

88- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 149.

89- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 149.

90- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 151.

٩١- لويس الحاج: نفسه، ص ٦٩.

92- Tout. F: Op. Cit, P. 400.

٩٣- تسليح الجانبان جيداً، فهناك النبلاء الذين امتنطوا صهوة الخيول، والفرسان المدرعين بدروع ثقيلة الذين لازمهم، وزود الفرسان بالسترة الحربية، والخوذات التي زودت بجزء أمامي متحرك لتغطية الوجه، وحملت الخيول قدراً أكبر من الدروع لحمايتها. بجانب الفرسان المسلحين بأسلحة خفيفة، الذين عرفوا باسم الخيالة المساعدين، أو اتباع الفرسان، كما استخدمت الأقواس الطويلة؛ لأنها كانت أطول من القوس التقليدية، فإن مداها كان أطول، فضلاً عن أنها كانت أكثر دقة في إصابة الهدف.

* جوزيف داهموس سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، الهيئة العامة للكتاب،

ت ١٩٩٢، ص ١٥٩-١٦١.

- 94- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, PP. 149,150.
- 95- Froissart: Ibid, Vol. 1, P. 150., James Pettite and Andrews. F. A.S: Op. cit, Vol 1, P. 383., Tony Jaques: op. cit, vol. 1, P. 251.
- 96- Froissart: Ibid, Vol. 1, P. 150.
- 97- Froissart: Ibid, Vol. 1, P. 150.
- 98- Froissart: Ibid, Vol. 1, P. 150.
- 99- Dictionnaire Historique – Portatif, Tome. Premiere, P. 277., Bainville. J. : Op. Cit, P. 58., Seward. D: Op. Cit, P. 104., Verbruggen. J. F.: Op. Cit, P. 108., Henneman. J. B: Charles V, Medieval France, An Encyclopedia, P. 377., Kelly Devries And Robert Smith: Op. Cit, P. 147., Tony Jaques: Op. cit, Vol. 1, P. 251., Deborah. A. Fraioli: op. Cit, P. 77.
- 100- Froissart: Op. Cit, Vol. 1, P. 151., James Pettite And Andrews. F. A.S: Op. Cit, Vol. 1, P. 383, Tony Jaques: Ibid, Vol.1, P. 251.
- 101- Bainville. J: Op. Cit, P. 58., Seward. D. Op. cit, P. 104., Tout. F: Op. Cit, P. 400.
- ١٠٢- توفي في الأول من يناير ١٣٨٧م، وفي السنوات الأخيرة قبل وفاته؛ ادعى أن شارل الخامس حاول قتله بالسم ، وعلى حد قول بعض المؤرخين إنه توفي في حادث حريق.
- * Deborah. A. Fraioli: Op. Cit, P. 84.
- 103- Oman. C.W.C.B.A.: The Art of War in The middle Ages, Oxford And London, 1885, P. 107., Dictionnaire Historique- Protatif, Tome Premiere, P. 277., Kelly Devries And Robert. D. Smith: Op. Cit, P. 147.,
- ديفز . هـ. و: أوربا في العصور الوسطى، ت. عبد الحميد حمدي، الاسكندرية، ١٩٥٨، ص ١٥٨.
- 104- Michelet. J; Histoire De France Tome. Qatrieme Paris, 1861, P. 11FF., Leon Lacabane. M: Op. Cit, P. 73., Bainville. J: Op. Cit, P. 58., Dana Carleton Munro and Raymond James Sontag: Op. Cit, P. 427., Charlotte M. Walters: Op. Cit, P. 143.
- ١٠٥- شارل السادس أو " الملك التعس " على حد قول بعض المؤرخين، الملك القاصر، الذي جلس على العرش وعمره لا يتجاوز الثانية عشرة، والذي أصيب بمرض، أو على حد قول بعض المؤرخين أصبح "مخبولا" عندما بلغ الرابعة والعشرين عاما ، على الرغم من أنه يحظى ببعض فترات من صفاء الذهن أو التفكير. فقدت سياسة الأوصياء (أعمامه لويس ويوحنا وفيليب) على ثمار المجهود الإصلاحى لشارل

الخامس، وظل الفرنسيون في منازعات، وأهملوا القواعد والمبادئ التي خلفها شارل الخامس، ودي جويسكلين لتكون أساس التنظيم العسكري.

- Dictionnaire Historique- Portatif, Tome. Premiere, P. 278., Davis. C. M: History of Holand, Vol. 1, London, 1841, P. 176., Vallet De Viriville .M: Essais Critiques Sur Les Historiens Originaux Du Regne De Charles VII, Chronique De Cousinot. In. Bibliotheque D'Ecole De Chartes, Tome. Troisieme, Paris, 1857, P. 12., Alphpillard De Saint- Aiglan. M: Notice Sur Jean Boutillier, Auteur De Le Somme Rural, In. Bibliotheque DeL' Ecole Des Chartes, Tome. Qatrieme, Paris, 1847, 1848, P. 101., Deroziere. M: Op. Cit, P. 152., Gaillard. H: Essai De Biographie De Jean De Floeville, Prevot De Paris sous Charles VI, In Biobliotheque De L' Ecole Des Chrates, Tome. 69, paris, 1908, P 371FF., Richard. C. Famiglietti: Charles VI, Medieval France, An Encyclopedia, New York and London, 1995, pp. 378, 379., Samuel. K. Cohn. J. R: Op. Cit, P. 100FF.,

يوهان هويزنجا: اضمحلال العصور الوسطى "دراسة لنماذج الحياة والفكر والفن بفرنسا والأراضي المنخفضة"، ت. عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٨، موريس بيشوب: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ت. على السيد على، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤، ص. ٣٦٤.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: مختصرات مستخدمة في حواشي البحث:

- R.H.G.F: Recueil Des Historiens De Gaules Et De La France.

دوائر المعارف:

- 1- Dictionary of the middle Ages, 1982.
- 2- Medieval France An Encyclopedia, New York and London, 1995.
- 3- Medieval Europe, An Encyclopedia, New York, 2006.
- 4- The Crusades, An Encyclopedia, California, Denever, Oxford, 2006.

ثانياً: قائمة المصادر:

- 1- Alhpillard De Saint Aiglan. M: Notice Sur jean Boutillier, Auteur De La Somme Rural, In. Bibliotheque DeL'Ecole Des Chartes, Tome. Qatrieme, Paris, 1847, 1848.
- 2- Austin. F.OGG. A.M: Asource Book of Medieval History, New York, Cincinnati, Chicago, 1907.
- 3- Bloss. C.A: Heroine of The Crusades, New York, 1852.
- 4- Boutarie. M. E: Les Premiere Etats Generaux (1302-1314), In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. Premiere, Paris, 1860.
- 5- Capitularia Caroli Calvi, In. R.H. G.F, Tome. VII, Paris, 1870.
- 6- Chronologie Des Baills Et Des Senechaux Jusqu' AL' Avenement De Philippe De Valois, In. R.H. G.F, Tome. XXIV, Paris, 1904.
- 7- Davis. C.M: History of Holland, Vol. 1, London, 1841.
- 8- Deloziere. M: De Erreurs De Date Contenes Dans Les Registre Du Tresor Des Chartes, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, tome. Troisieme, Paris, 1857.
- 9- De Mas Latrie. M. : Documents Sur Le Commerce Maritime Du Midi De La france, Extraits De Quelques Archives D'Italie, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. Troisieme, Paris, 1857.
- 10- Histoire De L'Ile De Chypre Sous Le Regne De Princes De La Maison De Lusignan, Vol. 11, Paris, 1852.
- 11- Dictionnaire Historique – Portatif, Tome. Premiere, Paris, 1760.
- 12- De Smet. J.J: Recueil Des Chronique De Flander Puplie Sous- a Direction De La Commission Royale D' Histoire, Tome. 111, Bruxelles, 1856., In. Bibliotheque De L' Ecole Des Chartes, Tome Troisieme, Paris, 1857.
- 13- Duchesne. A: Chronique Des Comtes D'Eu Depuis 1130 Jusqu' En 1390, In. R.H. G.F, Tome. XXIII, Paris, 1894.
- 14- Froissart: The Chronicles of Froissart, Tr. By. Bouchier. J, Vol. 1, London, 1930.
- 15- Freville. M. E: Des Grandes Compagnies Au Quatorzieme Siecle, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. Cinquieme, Paris, 1843.

- 16- Gaillard. H.: Essai De Biographie De Jean De Floeville, Prevot De Paris Sous Charles VI, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome 69, Paris, 1908.
- 17- Gussard. M: Gaulet Du Le Sire De Gaules (1380-1423), In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. Qatrieme, Paris, 1847, 1848.
- 18- Hugues De Morville: L'obtuaire De L'hotel – Dieu De Saint – Lo, In. R.H.G.F, Tome. XXIII, paris, 1894.
- 19- James ESQ. G.P.P: The History of Chivalry, New York, 1885.
- 20- James Pettite And Andrews. F.A.S: The History of Great Britain From Caesar's Invation to the Deposition and Death of Richard II, Vol. 1, London, 1794.
- 21- Kichin. G. W. M. A: History of France, Oxford, 1873.
- 22- Leon Lacabane. M: Recherches Sur Les Auteurs De Grands Chroniques De France, Dites De Saint Denys, In. Bibliotheque DeL 'Ecole Des Chartes, Tome. Deuxieme, Paris, 1810.
- 23- Leopold Delisle : Dux Letters De Bertrand De Guesclin Et De Jean Le Bon Comte D'Angoulme, Vol. 45, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Paris, 1884.
- 24- Luce. M. S: De Role Politique De Jean Maillard En 1358, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. Troisieme, Paris, 1857.
- 25- Examen Critique De L'ouvrage Intitute' Etienne Marcel Et Les Gouvernement La Bourgeoisie Au XIve Siecle (1356-1358), In. Bibliotheque De L' Ecole Des Chartes, Tome. Premiere, Paris, 1860.
- 26- Mary. G. Honston: Medieval Costum In England And France, New York, 1871.
- 27- Massellino. J.: Altera Chronici Rotomagensis Continualione, In. R.H. G.F, Tome. XXIII, Paris, 1894.
- 28- Maxwell- Stuart. P. G: Chronicle of the popes, London, 1997.
- 29- Michelet. J: Histoire De France, Tome. Qatrieme, Paris, 1861.
- 30- Michelet. M: The History of France, London, 1846.
- 31- Milles. C: The History of the Crusades, Vol. 2, London, 1821.
- 32- MR Rapin De Thoyras: The Hisotry of England, Tr. By. Tindal. N. M. A, Vol. 1, London, 1743.
- 33- Necrologio Hospitalis Beatae Mariae Magdalenae Rotomagensis, R.H.G.F, Tome. XXIII, Paris, 1894.
- 34- Obituario Monasterri Motisburgensis, In. R.H.G.F, Tome. XXIII, Paris, 1894.
- 35- Obituario Sanctae Trinitatis De Exaquio, In. R.H. G.F, Tome. XXIII, Paris, 1894.
- 36- Oman. C.W.C.B.A: The Art of war in The middle Ages, Oxford and Lodon, 1885.
- 37- Philip Schaff: History of the Christian Church, Vol. VI (The Middle Ages), 1294-1517, 1882.
- 38- Pierre Cochon: Chroniques, In. R.H. G.F, Tome. XXIII, Paris, 1894.
- 39- Raimond Du Temple. Architecte Du Roi Charles V, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. Troisieme, 1846.

- 40- Tierney. B: Sources of The Middle Ages, Vol. 1, U.S.A, 1999.
- 41- Vallet de Viriville M: Essais Critiques Sur Les Historiens Originaux Du Regne De Charles VII, Chronique De Cousinot, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. Troisieme, Paris, 1857.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- 1- Adoumie. V: Histoire Geographie, Paris, 2007.
- 2- Alan Muray: The Crusades, An Encyclopedia, Vol.IV, California, Denever, Oxford, 2006.
- 3- Allmand. C: War Government And Power In Late Medieval France, In. Craig TAYLOR: War Propaganda and Diplomacy In Fifteenth Century (France and England), Oxford, 2000.
- 4- Anne. J. Duggan: Nobles and Nobility in Medieval Europe, Great Britain, 2000.
- 5- Bainville. J: Histoire De France, Paris, 1924.
- 6- Bradburg. J: The Medieval Archer, Great Britain, 1985.
- 7- Carlton. N: Medieval History, Vol. 1, New York, 1963.
- 8- Charlotte. M. Walters: An Economic History of England (1066-1874), London, 1925.
- 9- Coredon. C: Dictionary of Medieval Terms and Phrases, Great Britain, 2004.
- 10- Dana Carleton Munro and Raymond James Sontag: The middle Ages (395-1500), London and New York, 1921.
- 11- Deborah. A. Fraioli: Joan of Arc and The Hundred years war, U.S.A, 2005.
- 12- Delorme. J: Les Grand Dates Du Moyen Age, Paris, 1967.
- 13- Denys Hay: A general History of Europe, New York and London, 1989.
- 14- ----The Medieval Centuries, London, 1963.
- 15- Emmerson. R.K: Key figures, In Medieval Europe, An Encyclopedia, New York and London, 2006.
- 16- Flynn. J. : Medieval History, U.S.A, 1955.
- 17- Henneman. J. B: Bertrand Du Guisclin, Medieval France, An. Encyclopedia, New York and London. 1995.
- 18- Bourbon, Medieval , France, An Encyclopedia.
- 19- Brigand Medieval, France, An Encyclopedia.
- 20- Brignais, Medieval, France, An Encyclopedia.
- 21- Charles V , Medieval, France, An Encyclopedia.
- 22- Hume. D: History of England, London, 1910.
- 23- Johnston. H.M.A: England (Edward I, Edward II), In. Cambridge Medieval History, Vol. VII, Cambridge, 1968.
- 24- Jordan. W.C.: Taxation French, In. Strayer J.P: Dictionary of The Middle Ages, Vol. 11, 1982.
- 25- Kaplan. M: Le Moyen Age XI^e XV^e, Rome, 1994.

- 26- Kelly Devries and Robert Smith: Medieval Weapons, California, Denever, oxford, 2007.
- 27- Koenigsberger. H. G. And Asa Briggs: A history of Europe (Medieval Europe), 1400-1500, New York, 1987.
- 28- Lavissee. E: Histoire De France (Les Premiere Valois Et La Guerre De Cent Ans) 1328-1422, Tome. IV, Premier Partie, Par. A. Coville, Paris, 1911.
- 29- ----Histoire de France, Livre Trios(La Guerre De Cent Ans), Paris, 1913.
- 30- Malcom Val: Princely Court (Medieval Courts and Culture In North west Europe), 1270-1380, Oxford, 2001.
- 31- Marten and Carters: Histories, Vol. 2, the middle ages, (1100-1485), oxford, 1926.
- 32- Mckisack. M: The fourteenth century (1307-1399), Oxford, 1959.
- 33- Patricia carcon: The Fair face of Flanders, Ghent, 1969.
- 34- Personne. E And others: Histoire De France, Paris, 1954.
- 35- Pirenne. J: The Tides of History, Vol. 11, 1963.
- 36- Pounds. N: The Medieval City, London, 2005.
- 37- Ramsay. J. H: Genisis of Lancaster or, The Three Reigns of Edward II, Edward III, And Richard II, (1307-1399), Vol. 1, 1913.
- 38- Regaudiere. A: The Theory And Practice of Government In Western, Europe In the Fourteenth century, In. The New Cambridge Medieval Hisotry, Vol. VI, 1300-1415, Cambridge, 2008.
- 39- Richard. C. Famiglietti: Charles VI, Medieval France, An Encyclopedia, New York and London, 1995.
- 40- Samuel. K. Cohn. Jr: The Politics of Social Revolt In Medieval Europe, 1200-1425, Italy- France- And Flanders, Cambridge, Massacusetts and London, 2006.
- 41- Seward. D: The Hundred years war (1337-1453), New York, 1982.
- 42- Stoddard. W.S: Lyon, Medieval France, An Encyclopedia, New York And London, 1995.
- 43- Synan. E.A: Clement V Pope, In. Strayer. J. R: Dictionary of The Middle ages, Vol. 3.
- 44- Thomas. M.I. Bicki: Avignon papacy, Medieval France, An Encyclopedia, New York and London, 1995.
- 45- Tony Jaques: Dictionary of Battles and Sieges, Vol. 1, London, 1907.
- 46- Tout. F: The History of England From The accession of Henry III To Death of Edward III (1216-1377), The political Hisotry of England, Vol. 111, London, 1905.
- 47- Verbruggen. J. F: The Art of warfare In western Europe Druing Middle Ages. Tr. By. Summer Willard and MRS. R.W. Southern, Great Britain, 1997.
- 48- Viard. J: La France Sous Philippe VI De valois, Paris, 1986.

- 49- Vickers. K. H: England In Later Middle ages, London, 1913.
50- Wergeland. A. M: History of The Working classes In France (Medieval period), In Journal of political Economy, Vol. 11, No. 4, September, 1903.
51- Willard. C.C: Christine De Pizan, Medieval France, An Encyclopedia. New York and London, 1995.

رابعاً: المراجع العربية والمعرية:

- ١- توماش ماستناك: السلام الصليبي، ت. بشير السباعي، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩.
- ٢- جوزيف داهموس: سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٢.
- ٣- سبعة مؤرخين في العصور الوسطى، ت. محمد فتحي الشاعر، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٩.
- ٤- جوناثان ريلي سميث: الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ت. محمد فتحي الشاعر، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٩.
- ٥- راوس. ا. ل: التاريخ الإنجليزي، ت. محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٦م.
- ٦- سعيد عاشور: قبرص والحروب الصليبية، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٢.
- ٧- على السيد على محمود: الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي (دراسة مقارنة بين الشرق والغرب)، المجلة التاريخية المصرية، م ٣٣، ١٩٨٦م.
- ٨- فاطمة عبد اللطيف: تتويج الملك الكارولنجي شارل الأصلع (٨٢٣-٨٧٧م)، مجلة وقائع تاريخية، العدد السابع، يناير، ٢٠٠٧.
- ٩- حملات الأمير الإنجليزي الأسود على فرنسا، مجلة بحوث كلية الآداب (جامعة المنوفية)، العدد الرابع والسبعون، يوليو، ٢٠٠٨.
- ١٠- قاسم عبده قاسم: الحملة الصليبية الأولى "نصوص ووثائق"، العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥م.
- ١١- لويس الحاج: الجيش الفرنسي، دار المكشوف، ١٩٤٥م.
- ١٢- مورييس بيشوب: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ت. على السيد على، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤.
- ١٣- نظير حسان سعداوي: تاريخ إنجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطى، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨م.
- ١٤- نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في أوربا، ج٢، دمشق، ١٩٩٣.
- ١٥- هنري بيرين: تاريخ أوربا في العصور الوسطى "الحياة الاقتصادية والاجتماعية"، ت. عطية القوسي، هيئة الكتاب، ١٩٩٦م.
- ١٦- ول ديورانت: قصة الحضارة، ت. عبد الحميد يونس، م ١، ج٦، بدون تاريخ.
- ١٧- يوهان هويزنجا: اضمحلال العصور الوسطى دراسة لنماذج الحياة والفكر والفن بفرنسا والأراضي المنخفضة، ت. عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

دور بنك روما الاقتصادي في ولاية طرابلس الغرب "ليبيا"

"١٩٠٧-١٩١١م"

د. محمد عزيز محمد
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة سوهاج

مقدمة:

استولت أسبانيا على مدينة طرابلس عام ١٥١٥م، على عهد الأمبراطور شارل الخامس، ليتخذها جيبا صليبيًا بجانب الجيوب الصليبية التي أقامها، وتناثرت على طول الساحل الشمالي لإفريقية، إلى أن تنازل عنها شارل الخامس إلى فرسان القديس يوحنا، عام ١٥٣٥م، لكي يتفرغ للحرب ضد سكان الجزائر وتونس، وكذلك لمواجهة السلطان العثماني "سليمان المشرع" (١٥٢٠-١٥٦٦م)^(١). وفي البداية: وقع عبء الكفاح على أهالي طرابلس الغرب، سواء ضد الأسبان أو فرسان القديس يوحنا، ولكن جهودهم أخفقت في هذا السبيل لضعف إمكانياتهم الحربية والبشرية، ومواردهم المالية كانت ضعيفة، فاستجدوا بالدولة العثمانية، واستجاب لهم السلطان سليمان المشرع فأرسل لهم قوة عثمانية بقيادة "مراد أغا"، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها، فأرسل إلى السلطان العثماني طالبا تعزيز قواته، فأرسل سليمان المشرع: سنان باشا الصدر الأعظم "رئيس الوزراء" إلى طرابلس على رأس الأسطول العثماني، واستطاع ضرب منشآت الميناء، ودخل المدينة عام ١٥٥١م. وكان دراجون باشا ممن أعان سنان باشا في عملياته الحربية. وصدر فرمان عثمانى من السلطان العثماني بتعيين مراد أغا واليا على طرابلس الغرب في ذات العام فكان بذلك أول الولاة العثمانيين عليها، ثم خلفه دراجون باشا الذي استطاع أن يقضى على فلول فرسان القديس يوحنا من إقليم طرابلس بعد فترة بلغت ستة عشر عاما، وأصبحت طرابلس منذ عام ١٥٥١م ولاية عربية تحت السيادة العثمانية^(٢)، ترسل إليها الولاة ليتولوا حكمها حتى عام ١٧١١م، بعد أن نجح مؤسس الأسرة القرمانيّة "أحمد القرماني" في تولى الحكم هناك تحت السيادة العثمانية، ليتوارث من بعده أفراد الأسرة القرمانيّة حكم تلك الولاية، حتى عام ١٨٣٥م، لتعود ولاية طرابلس الغرب بدءا من ذلك العام - عام ١٨٣٥م - تحت السيادة العثمانية المباشرة^(٣)، ومنذ ذلك الحين صارت ولاية طرابلس الغرب مطمعا وهدفا لكثير من القوى الاستعمارية الكبرى، وخاصة منذ نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، بعد أن دب الضعف في كافة أوصال الدولة العثمانية، لتصبح رجل أوروبا المريض، الذي

تتهافت عليه القوى الاستعمارية الكبرى لتقسيم أملاكه وتفتيت أوصاله، وكانت إيطاليا من أكثر الطامعين في تلك الولاية العثمانية "ولاية طرابلس الغرب".

ترجع علاقة إيطاليا بشمال إفريقيا، إلى العصور القديمة، حينما امتد نفوذ الرومان إلى إفريقيا الشمالية، حتى إنه كان يطلق على البحر المتوسط "بحيرة رومانية". ومع ظهور العرب كقوة كبرى في القرن السابع الميلادي، امتد نفوذهم إلى الشمال الإفريقي، فتم صبغ الشمال الإفريقي كله بالصبغة العربية. وبرغم ذلك لم تنقطع صلة إيطاليا بالشمال الإفريقي خلال تلك الفترة. فلقد قامت في العصور الوسطى، وأوائل العصور الحديثة، علاقات قوية بين مدن (بيزا - جنوة - البندقية) وغيرها من الولايات الإيطالية، وبين المدن الساحلية بالشمال الإفريقي، حيث اتسمت هذه العلاقات بالطابع التجاري^(٤).

وحينما حدث تنافس استعماري، بين الدول الاستعمارية الكبرى، للسيطرة على الشمال الإفريقي، منذ بداية العصور الحديثة، كانت إيطاليا بالطبع تتطلع، هي الأخرى، لأن تلعب دوراً هاماً في هذا المجال، بحكم موقعها الجغرافي القريب من البحر المتوسط، وبحكم صلاتها التاريخية بتلك المنطقة.

إلا أن إيطاليا قد شغلت بتحقيق وحدتها في تلك الفترة، لذلك تركت هذا المجال الاستعماري لغيرها من الدول، للمنافسة على الاستعمار في الشمال الأفريقي.

لم يستمر ذلك طويلاً، فبعد أن اتحدت الولايات الإيطالية، وأصبحت دولة موحدة مستقلة، عام ١٨٧١م^(٥)؛ بدأت إيطاليا الموحدة في التطلع والبحث عن المصالح والمكاسب التجارية والاستعمارية لها في قارة أفريقيا، أسوة بالدول الأوروبية الأخرى، التي سبقتها في هذا المجال.

وعندما حدث الاحتلال الفرنسي لتونس، في ١٢ مايو عام ١٨٨١م، كان له عميق الأثر عند الإيطاليين، فقد اعتبره الإيطاليون ضربة قوية لمصالحهم في البحر المتوسط.

لقد كان هذا العامل من أقوى العوامل التي دفعت إيطاليا للعمل على بسط نفوذها على منطقة البحر المتوسط وشمال إفريقيا، ولكنهم اتجهوا إلى الشرق الإفريقي^(٦)، فنجحوا في إقامة مستعمرات إيطالية لهم في إريتريا واصومال، كما اتجهوا إلى إقامة مستعمرات إيطالية لهم في إثيوبيا، وجاءت هزيمة إيطاليا في معركة "عدوة" على يد الإثيوبيين، في مارس عام ١٨٩٦م^(٧)،

لتحول أنظار الإيطاليين من الشرق الإفريقي إلى الشمال الإفريقي، حيث رأوا أن الشمال الإفريقي هو المجال المناسب للتوسع الإيطالي، وليس الشرق الإفريقي. حيث بدأت إيطاليا في اتخاذ الخطوات الجادة بعد هذه الهزيمة- التي تمكنها من احتلال ولاية طرابلس الغرب^(٨)، بعد أن كانت إيطاليا قد زادت من نشاطها الاقتصادي في تلك الولاية، كتمهيد لاحتلال فعلى لها .

فكما أشرنا من قبل: أنه بعد فشل إيطاليا في احتلال تونس، نتيجة لاحتلال فرنسا لها، في مايو عام ١٨٨١م^(٩)، وإثر تفاقم أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن وحدتها^(١٠)؛ عقدت إيطاليا جلسة برلمانية، في ٦ يونيو سنة ١٨٨١م، لمناقشة قضية مصالحها في منطقة البحر المتوسط، وفي ذلك الاجتماع أثار أعضاء البرلمان الإيطالي أهمية الدور الذي يمكن أن تقوم ولاية "طرابلس الغرب" في خدمة المصالح الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية الإيطالية، وبخاصة أن هذه الولاية لها موقع استراتيجي غاية في الأهمية، بالنسبة لسواحل الجنوب الإيطالي^(١١). وهكذا فإنه منذ ذلك الانعقاد أخذت الحكومة الإيطالية تظهر اهتماما ملحوظا بالتأسيس لهذه المصالح في ولاية طرابلس الغرب، في كافة النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية^(١٢). وأخذت إيطاليا تعمل على زيادة تعاملها التجاري مع ولاية طرابلس الغرب، من خلال زيادة حركة السفن والسلع والبضائع المتبادلة معها. وقد كانت هذه الزيادة واضحة بشكل كبير وملفت للنظر، وذلك من خلال الأرقام والإحصائيات التي اهتمت بحركة التبادل التجاري الإيطالي مع ولاية طرابلس الغرب؛ إذ وضعت هذه الإحصائيات إيطاليا في مطلع القرن العشرين، في المرتبة الثانية مع بريطانيا، بعد أن كانت قبل ذلك في المرتبة الرابعة^(١٣). وكان الهدف من هذه الزيادة هو: رغبة الإيطاليين في تحويل ولاية طرابلس الغرب "ليبيا" إلى سوق رائجة لمنتجاتهم المختلفة، فشجعوا رعاياهم على الهجرة للعمل والاستثمار فيها فازدادت بذلك أعداد المهاجرين الإيطاليين، الذين انخرط أغلبهم في ممارسة مختلف الأنشطة الاقتصادية، كالصناعة والتجارة والحرف الأخرى، لتصبح الجالية الإيطالية، في ليبيا، من أهم الجاليات الأجنبية الموجودة في ولاية طرابلس الغرب^(١٤). فلقد كانت الجالية الإيطالية، في ولاية طرابلس الغرب، حريصة على تدعيم مصالحها التجارية والاقتصادية وتأمينها، واستغلال أطماع الحكومة الإيطالية ونواياها الاستعمارية هناك، عبر عقد الصفقات التجارية مع تلك الولاية، لمواجهة المنافسات الأجنبية الأخرى، كالبريطانيين والفرنسيين والألمان وغيرهم .

تأسيس مصرف روما (Banco di Roma) :

وجدت الحكومة الإيطالية في الجالية الإيطالية وسيلة هامة لمتابعة تدخلها الاقتصادي في شئون ولاية طرابلس الغرب، وقد مهد وجود هذه الجالية لحكومتها عملية إقناع السلطات العثمانية بالسماح لها بمزاولة أنشطة تجارية واقتصادية عديدة، والمتمثل في النشاط التجاري والمالي الذي كان يقوم به مصرف روما Banco di Roma ، والذي ارتبط اسمه بسياسة التغلغل الاقتصادي السلمي^(١٥)، والتمهيد للأطماع الاستعمارية الإيطالية في ولاية طرابلس الغرب^(١٦).

لقد افتتح مصرف روما، في ٩ مارس عام ١٨٨٠م في مدينة لازيو "Lazio" الإيطالية، وتوسعت أنشطة المصرف بشكل ملحوظ بعد ذلك حيث افتتحت عدة فروع له خارج إيطاليا، عام ١٩٠٠م، في حوض البحر المتوسط؛ كقواعد اقتصادية تساعد على التوسع الإيطالي في منطقة البحر المتوسط، التي تعتبرها إيطاليا المجال الحيوي لنشاطها الاستعماري، ومن بين هذه الفروع التي افتتحتها المصرف: فرع الإسكندرية، ومالطة، وطنجة، فكان بذلك أول مصرف إيطالي يتجه إلى هذا النشاط^(١٧).

وتمكن مصرف روما أيضا من فتح فرع له في مدينة طرابلس، يوم ١٥ أبريل ١٩٠٣م، بناءً على قرار مجلس الإدارة المنعقد في ٢٨ مارس ١٩٠٣م، غير أن نشاطه الفعلي لم يبدأ إلا بعد توقيع العقد المبرم بروما، في ١٦ أبريل سنة ١٩٠٧م، ويحضر وكيل القنصلية العثمانية في روما^(١٨) وأسندت رئاسة هذا الفرع إلى رجل الأعمال الإيطالي "السنير بريشيانى" Bershiani "أحد دعاة السياسة الإيطالية الاستعمارية، والذي سبق له أن اشتغل بالأعمال المصرفية في المستعمرات الإيطالية بشرق إفريقيا، وصارت لديه بعض الخبرات الإدارية والمالية^(١٩). وكان بريشيانى كثير التجول في ليبيا لبحث الدعاية المغرضة للاطلاع على أحوال البلاد، وكان يبذل المال عن سعة، وفي كل مناسبة، ويتصل بالأعيان يتخذ منهم أصدقاء وعيونا له^(٢٠). ويذكر محمد عبد الكريم الوافى: "بأن اختيار هذا الرجل يؤكد لنا الطبيعة الاستعمارية لهذا المصرف، حيث كان الهدف الأساسى من إنشاء هذا الفرع هو خلق مصالح مادية لإيطاليا في ليبيا، تتمثل في مشاريع اقتصادية وتجارية في مختلف المدن الليبية، بحيث تصبح ركيزة لإيطاليا، عندما تحين ساعة الغزو ثم الاستعمار"^(٢١). ولتحقيق هذه السياسة: ازداد نشاط المصرف

بشكل ملحوظ، ففتح فروعاً له بعد ذلك في بنغازي "ديسمبر سنة ١٩٠٧م"، وفي مصراتة "يوليو سنة ١٩٠٨م"، وفي الخمس "ديسمبر سنة ١٩٠٨م"، وفي زليطن "أبريل سنة ١٩٠٩م"، وفي درنة "نوفمبر سنة ١٩٠٩م"، وذلك لكي يتوسع النشاط الاقتصادي الإيطالي في كافة أرجاء ولاية طرابلس الغرب^(٢٢). وأنشأ المصرف لخدمة أغراضه عدة مطابع منها: مطبعة أريب^(٢٣)، ومطبعة فنون الطباعة^(٢٤)، كما أنشأ أكثر من جريدة تتحدث بأسمه، وتدافع عن مصالحه: منها "جورنالي دي تريبولي" "Giornale Di Tripoli"^(٢٥)، و"إيكو دي تريبولي" (Echo Di Tripoli)^(٢٦)، حيث حاولت إدارة البنك بث الدعاية الإيطالية بين الأهالي، وتقديم النموذج الإيطالي على أنه النموذج الأمثل من خلال هذه الجرائد^(٢٧). وبلغت استثمارات البنك عام ١٩١١م ما يقرب من ٢٤٥ مليون ليرة إيطالية، أي ما يقارب خمسة ملايين دولار^(٢٨).

كان مصرف روما أحد الوسائل الرئيسية التي استغلتها الحكومة الإيطالية في عملية التغلغل السلمي، حيث رأى الساسة الإيطاليون: أنه من الضروري لتحقيق أهدافهم، البحث عن جهاز مالي يمكنه أن يتولى القيام بأعباء العمليات الاقتصادية المزمع إجراؤها في ولاية طرابلس الغرب، كي تعطى إيطاليا امتيازاً لها في الميدان الاقتصادي كمقدمة للضم السياسي^(٢٩).

كانت فروع بنك دي روما، بولاية طرابلس الغرب، من أبرز المصالح الإيطالية هناك، وقد دار حوله الكثير من النقاش والجدل، وبخاصة فيما يتعلق بحقيقة الأهداف التي أقيم من أجلها هذا البنك في تلك الولاية، وقد جاء إنشاء فرع بنك روما الإيطالي في مدينة طرابلس، والعديد من المدن الليبية الأخرى فيما بعد، بدعم من القوى السياسية والاقتصادية والدينية الإيطالية، وكان هذا البنك أحد أهم وسائل تغلغل المؤسسات والشركات التجارية الإيطالية في ولاية طرابلس الغرب^(٣٠).

ومن جهة أخرى: فعلى الرغم من أن مصرف روما - من الناحية النظرية - كان مملوكاً للقطاع الخاص، إلا أنه، في الواقع، كان له ارتباط عضوي مع الحكومة الإيطالية للأسباب الآتية: ^(٣١)

أولاً: كان رومولو تيتوني Romolo Tittoni - الذي شغل منصب نائب رئيس المصرف - شقيقاً لتوماسو تيتوني Tomasso Tittoni وزير الخارجية الإيطالية، في الفترة من ١٩٠٦-١٩٠٩م، وهي الفترة التي تزامنت مع فتح فروع لمصرف روما في ولاية طرابلس الغرب .

ثانياً: كانت معظم الأموال التي استعملت من قبل المصرف، لشراء الأراضي وبعض الاستثمارات الأخرى، في ولاية طرابلس الغرب، قد منحت للمصرف من قبل الحكومة الإيطالية والفاتيكان Vatican (٣٢). وبخاصة أن هذا البنك كان مرتبطاً بالدوائر الحاكمة من ناحية، وبالأوساط الكاثوليكية ذات النفوذ الديني من ناحية أخرى. حيث حرصت الحكومة الإيطالية، والمؤسسة الدينية، على إضفاء الصبغة الدينية لمصرف روما، لذلك كان الدعم الديني لمصرف روما واضحاً، حيث ساهمت أموال الكنيسة في إنشاء هذا البنك، دعماً لنشاطاته في ولاية طرابلس الغرب، واتخذت الحكومة الإيطالية من "البابوية" مركزاً للدعاية لذلك المصرف، كما عمل مديراً لهذا المصرف "أرنستو باتشيلي" Arnesto Batchili وهو عم لأحد وجهاء الفاتيكان وهو: "يفجيني باتشيلي" Yavgieny Batchili، الذي أصبح فيما بعد البابا بيوس الثاني عشر (٣٣). لقد حرصت الحكومة الإيطالية على الحصول على الدعم المعنوي من الفاتيكان، ومختلف طبقات رجال الدين، لمصرف روما ضماناً لتبريكاتهم الروحية (٣٤).

ثالثاً: دعم الحكومة الإيطالية لعمليات خطوط المواصلات البحرية التي أنشأها مصرف روما حيث ربطت هذه الخطوط بين السواحل الليبية والسواحل الإيطالية، تيسيراً على البنك لتحقيق أغراضه وأهدافه، ولقد كان هذا الدعم من قبل الحكومة الإيطالية للمصرف، في هذا الشأن؛ تحفيزاً لعمليات المصرف الوطنية، من وجهة نظر الحكومة الإيطالية.

رابعاً: منحت الحكومة الإيطالية فرع مصرف روما، في مدينتي طرابلس وبنغازي، الحق في القيام بالخدمات البريدية، منافسة بذلك مكتب البريد الإيطالي، بتلك المدينتين، والذان كانا يقومان بنفس الوظيفة (٣٥).

خامساً: كان مدير البنك أرنستو باتشلي صديقاً للبارون "سونيتو" Baron Sonito الزعيم المحافظ، وصاحب جريدة "جورنالي دي إيطاليا" Giornale Di, Italia وهي جريدة متطرفة في كاثوليكيته وتعصبها.

سادساً: كان بعض أعضاء الحكومة الإيطالية هم من أصحاب المصالح المالية في ذلك البنك.

ومن هنا يمكن القول: إن مصرف روما كان في الواقع، وكما اعترف الإيطاليون بذلك، أداة في يد الحكومة الإيطالية، من أجل تنفيذ سياسة التغلغل السلمي الإيطالي في ولاية طرابلس الغرب. (٣٦)

ويقول محمد عبد الكريم الوافي "إن وقوف الحكومة الإيطالية، والمؤسسة الدينية، وراء المساهمة في تمويل فروع المصرف بولاية طرابلس الغرب، يؤكد أن هذا المصرف لم يكن مؤسسة ذات أهداف اقتصادية صرفة، تتعلق بالربح والخسارة، وإنما كان مؤسسة استعمارية تهدف إلى: إيجاد قاعدة اقتصادية لتبرير التدخل العسكري الإيطالي لحماية المصالح الإيطالية، وهو يهدف من جهة أخرى إلى: إيجاد علاقة بين ممثل هذه المؤسسات وبين الليبيين (٣٧)". وسنرى في الحديث عن نشاطات ذلك البنك: أنه حاول تقديم القروض لبعض الليبيين، كما قام المصرف بتمويل المصانع والمشاريع الاقتصادية الأخرى، بهدف تهيئة العقلية الليبية للتعامل مع المصالح الإيطالية، ومحاولة كسب أنصار من الليبيين يتعاطفون مع فكرة استعمار إيطاليا لبلادهم، وهو من جهة أخرى تأكيد للإدعاءات الأوروبية بنشر التقدم في المستعمرات وتطوير حياتها الاقتصادية، عن طريق إنشاء مثل هذه المؤسسات، بحيث تتمكن إيطاليا من خلق ركيزة لها في تلك الولاية. حيث كان مصرف روما هو الركيزة التي استند عليها دعاة الاستعمار الإيطالي؛ في تنفيذ برامجهم وتحقيق أغراضهم في ولاية طرابلس الغرب، حيث استطاع هذا المصرف أن ينشئ لإيطاليا قواعد اقتصادية هامة، تمثلت في: أنشطة زراعية وصناعية وتجارية، وغير ذلك، في مختلف مناطق تلك الولاية. (٣٨)

وهكذا يتضح لنا أن إنشاء مصرف روما في مدينة طرابلس، وبعض المدن الليبية الأخرى، لم يكن مجرد مؤسسة تبنى حساباتها على الربح والخسارة، بل كان أداة رسمية لإيطاليا في إطار تمهيدها لغزو ولاية طرابلس الغرب، ومن هذا المنطلق: تعددت أوجه نشاط هذا المصرف في تلك الولاية، من حيث الكم، بعد أن نجح في افتتاح فروع له في الكثير من المدن الليبية، وكذلك من حيث الكيف، حيث تنوعت نشاطات ذلك المصرف بما يخدم السياسة الاستعمارية الإيطالية في ليبيا. ولعل أبرز نشاطات مصرف روما كانت على النحو التالي : -

أولاً: - مصرف روما وشراء الأراضي :

من المعروف أن الزراعة في ليبيا تعتمد على مياه الأمطار، وخاصة في المناطق الساحلية ، وقد يؤدي عدم سقوطها، في بعض السنوات، إلى سوء ظروف المزارعين الذين يعتمدون، بشكل كامل، على إنتاج مزارعهم من المحاصيل المختلفة، بالإضافة إلى الضرائب الباهظة التي كانت تفرضها الإدارة العثمانية على الفلاحين، فكان

السكان غير القادرين على دفع الضريبة: يستدينون أموالاً لكي يتم دفع الضريبة، خوفاً من الأذى الذي سيلحق بهم من جراء عدم دفع الضريبة الإلزامية، وبالتالي لا يكون أمام المزارعين سوى أن يقدموا أراضيهم كرهينة، حتى يتم تسديد المبلغ المقترض، وإما أن يتنازلوا عنها مقابل ذلك المبلغ^(٣٩).

لقد صانف إنشاء مصرف روما، في ولاية طرابلس الغرب، حدوث جفاف شديد في عام ١٩٠٧م، ففي تقرير للفتنسية البريطانية، بولاية طرابلس الغرب، أشار إلى أنه: "لم يكن هناك أي إنتاج من الشعير هذا العام - عام ١٩٠٧م - كما فقدت البلاد جزءاً كبيراً من ثروتها الحيوانية، إن الوضع الاقتصادي في البلاد في هذا العام لا يبشر بالخير"، وأضاف التقرير: "إن العائلات التي هي في الحالات العادية تعد صاحبة دخل جيد؛ اضطرت هذا العام أن ترهن بعض حليها وحتى منازلها كضمان لقروض أخذوها من بنك روما."^(٤٠)

وتأسيساً على ماتقدم: نجد أن فروع البنك في الولاية كانت تستغل سوء الأوضاع العامة للفلاحين، من خلال إقراضهم، مقابل رهن، لشراء مساحات كبيرة من الأراضي، لغرض الالتفاف على القانون العثماني الصادر سنة ١٨٦٧م، بشأن السماح للأجانب، كأفراد دون المؤسسات، بشراء الأراضي وامتلاكها، وقام البنك المذكور بتسجيلها بأسماء أفراد من الجالية الإيطالية المقيمين في الولاية. وبهذه الطريقة شرع البنك في شراء مساحات كبيرة من أراضي الولاية؛ والتي كان أصحابها في أشد الحاجة إلى بيعها. وكان البنك بدوره مثلهفاً إلى الشراء بأي صورة، وبأي ثمن، الأمر الذي شجع الناس على التحايل والتلاعب لابتزاز ما يمكن من أموال البنك، وتوريطه في قضايا ومشاكل قانونية. وقد تمادى البنك في شراء الأراضي بطرقه الملتوية، واعتبر رفض تسجيلها عرقلة للنشاط الإيطالي في ولاية طرابلس الغرب، واشترى البنك أكثر من مئة عقار في ضواحي بنغازي؛ كانت مستندات أغلبها غير صحيحة، واستطاع أن يشتري عدداً كبيراً من الأراضي، ومعظمها في أطراف بنغازي: في القوارشة، واللثامة، والرحبة، وطابليينو.^(٤١)

وبالإضافة إلى ما سبق، قام المصرف بعمليات شراء الأراضي من بعض أفراد الجاليات الأجنبية الأخرى، ممن لم يتمكنوا من مقاومة الإغراءات المالية العالية؛ التي كان يقدمها مصرف روما، وبلغت في بعض الأحوال ثلاثة أضعاف القيمة الحقيقية للأراضي، أي أنه كان استثماراً سياسياً، وليس اقتصادياً.^(٤٢)

وبالتالى يمكن القول بأن مصرف روما قد واجه صعوبات فى شراء الأراضى، بصورة مباشرة، وذلك نظرا لأن السلطة العثمانية كانت تمنع بيع العقارات للمؤسسات الأجنبية، ولذلك لجأ مصرف روما إلى الاحتياى والطرق الملتوية، لتحقيق أهدافه، وحتى يتجنب القانون المذكور: اعتمد المصرف سياسة خاصة تمثلت فى الآتى:-

يقوم المصرف بتسليف أموال إلى أفراد من الجالية الإيطالية أو اليهودية، المشمولين بالحماية الإيطالية، أو حتى بعض أفراد العائلات الغنية الليبية؛ التي كان أفرادها يتمتعون بنظام الحماية الإيطالية، بغرض أن يشتري هؤلاء الأراضى لحساب المصرف، وتتم هذه العملية بأن يقوم الشخص المتعامل مع المصرف بشراء الأرض، ويتم التسديد عن طريق قرض مصرفى، وبضمان رهن الأرض المشتراة، وبعد اتمام عملية البيع يتظاهر المشتري بأنه عجز عن سداد الأقساط المستحقة عليه لمصرف روما، وبذلك يحجز المصرف على الأرض، ويتم نقل ملكيتها إلى المصرف، وبهذه الحيلة يتخطى المصرف قانون منع بيع الأراضى للمؤسسات الأجنبية^(٣).

ومما لاشك فيه: أن الطرق التى اتبعها المصرف لتنفيذ سياسة إيطاليا الاستعمارية، ومنها منح قروض لأفراد الجالية الإيطالية أو غيرهم، لشراء الأراضى من الليبيين، قد ساعدت المصرف على تحقيق غايتين هما^(٤):

١- ضمان تحويل ملكية هذه الأراضى من أيدي ليبية إلى أيدي إيطالية، فى إطار السياسة العامة للمصرف بالاستحواذ، على أكبر قدر ممكن من الأراضى .

٢- تشجيع الهجرة الإيطالية إلى ولاية طرابلس الغرب، عن طريق هذه التسهيلات، حيث زاد عدد المهاجرين الإيطاليين إلى ليبيا، بعد إنشاء هذا المصرف، بشكل ملحوظ^(٥).

لقد نجح المصرف، بواسطة هذه الطرق الملتوية، من الاستحواذ على مساحات كبيرة من الأراضى. على أن المساحة الحقيقية للأراضى التي اشتراها المصرف، أو أصبحت تحت يده، لم تعرف بعد بالتحديد، وذلك لأن القانون العثماني كان يمنع المؤسسات الأجنبية من امتلاك الأراضى فى ولاية طرابلس الغرب، الأمر الذي دفع المصرف أن يسجل الأراضى التي اشتراها بأسماء أفراد؛ تحايلاً على القانون المذكور^(٦). وأصبحت هذه الأراضى تشكل قاعدة اقتصادية تبرر لإيطاليا التدخل لحماية مصالحها فى ولاية طرابلس الغرب، وهو ماكانت تهدف إليه الحكومة الإيطالية عندما ساهمت فى إنشاء هذا المصرف، ودعمت نشاطاته فى ليبيا^(٧).

ثانياً: - النشاط الصناعي لمصرف روما :

كان للثورة الصناعية، التي شهدتها أوروبا، دور كبير في دفع عجلة الاستعمار الأوروبي للحصول على المواد الخام اللازمة لتشغيل المصانع، والأسواق اللازمة لتصريف الإنتاج. ومن ثم فإن النشاط الصناعي كان له مكانة مميزة في خطة مصرف روما؛ للتغلغل الاقتصادي في ولاية طرابلس الغرب، وكان هذا النشاط يهدف إلى: تأكيد الادعاءات الاستعمارية الإيطالية بالعمل على تحسين أوضاع تلك الولاية، وتكوين مؤسساتها الاقتصادية. ومما يدلنا على هذا الهدف: أن النشاط الصناعي لمصرف روما، في تلك الولاية، قد توافق مع الحملة الصحفية للتشهير بالنظام العثماني هناك، والإشارة إلى تخلف أساليبه الاقتصادية، ورافقت هذه الحملة: تأكيد مزاعم بازدهار الولاية اقتصادياً بعد انتقالها للإدارة الإيطالية. من هذا المنطلق قام فرع مصرف روما، في طرابلس، بتخصيص مبالغ كبيرة لإنشاء بعض المصانع، حيث تم إنشاء عدة مصانع لعصر زيت الزيتون، في ديسمبر سنة ١٩٠٧م، وفي أغسطس سنة ١٩١٠م، افتتح مطحناً كبيراً للدقيق^(٤٨)، ومصنعاً للصابون، وفي سبتمبر من العام نفسه: افتتح مصنعاً آخر لصناعة الورق من نبات الحلفاء، وأنشأ أيضاً مصنعاً للإسفنجة، في يناير سنة ١٩١١م. وأول ما يلاحظ على هذه المصانع: أنها كانت مرتبطة بتصنيع المواد الخام المتوفرة في ولاية طرابلس الغرب مثل: زيت الزيتون، والحبوب، والحلفاء، والإسفنجة، مما يعطى انطبعا باهتمام الإيطاليين بهذه المنتجات. ومن جهة أخرى: فإنه من الممكن اعتبار هذه المصانع نماذج مغربية لتهيئة الليبيين للتعامل مع إيطاليا؛ عبر هذه المنجزات الحضارية التي ستغير أوضاعهم، على حد زعم الدعاية الإيطالية^(٤٩).

ولم يكتف الإيطاليون، في إطار نشاطهم الصناعي في ليبيا، باستغلال المواد الخام المعروفة، بل عمل المصرف على البحث عن الموارد المعدنية في البلاد واستغلالها، وخاصة الفوسفات والكبريت، وكلف البنك في هذا الخصوص المهندس أسفورزا Sforza برئاسة بعثة إيطالية، عام ١٩١٠م، للبحث عن المعادن، والقيام بإجراء الدراسات الجيولوجية، وساعده في ذلك سان فيليبو San Filippo، وبالفعل قامت هذه البعثة بجمع المعلومات عن تواجد هذه المعادن وإمكانات استغلالها من جانب البنك، إلى جانب مهام أخرى^(٥٠).

ويؤكد لنا أنريكو أنساباتو Enrico Insabato^(٥١) أن إنشاء هذه المصانع لم يكن عملية اقتصادية بغرض الربح، بل كانت ذات أهداف بعيدة؛ وهو أن بعض هذه المصانع قد تعرض لخسائر مالية جسيمة، مثل مطحنة الدقيق في بنغازي^(٥٢). ونتيجة لذلك تساءل فرانسيس ماكولا: "أليس من الأفضل أن تكون هذه المطحنة قد بنيت في أبوليا A polia أو كلابريا Cala biria، حتى يمكن على الأقل أن تفيد الإيطاليين..." وذلك بعد أن أشار إلى عدم إمكان تشغيل المطحنة بكامل قوتها^(٥٣). وعلى الرغم من ذلك: استمر المصرف في سياسته الصناعية، بهدف تأسيس قاعدة اقتصادية تمهد للغزو الإيطالي لليبيا^(٥٤).

ثالثاً: - النشاط التجاري لمصرف روما :

لقد بدأ المصرف نشاطه التجاري في ليبيا بفتح وكالات تجارية في اثنتي عشر مدينة ليبية^(٥٥) تقوم بشراء الأراضي لإقامة المشروعات التابعة للمصرف، وتشرف على النشاط التجاري في هذه المدن. ولاشك أن هذه السياسة كانت تستهدف التحكم في توريد وتصدير السلع الإيطالية إلى ليبيا، والترويج لأهمية هذه العلاقة الاقتصادية، حتى يتم ربط الاقتصاد الليبي، في ذلك الوقت، بالاقتصاد الإيطالي. كما عمل المصرف على تشجيع حركة التجارة الإيطالية مع ليبيا، عن طريق تخفيض الضرائب الجمركية على البضائع الإيطالية المتجهة إلى ولاية طرابلس الغرب^(٥٦) مما دفع عجلة تصدير البضائع الإيطالية إلى ليبيا. وكان من بين هذه الصادرات: النسيج، والأخشاب، والرخام، والنبذ، والسكر، والأرز، والحب، والورق، وغيرها من السلع التجارية الإيطالية بحيث تحولت ولاية طرابلس الغرب، مع مطلع القرن العشرين، عملياً إلى مستعمرة اقتصادية إيطالية^(٥٧). كما مارس البنك، عن طريق القسم التجاري له في طرابلس الغرب، عمليات بيع وشراء السلع والبضائع المحلية والإفريقية، كالحبوب والحلفا، وريش النعام والعاج، وكانت معظم تلك الصادرات والواردات تتقل بواسطة مجموعة من البواخر المملوكة لفرع البنك المذكور. كما دعم القسم التجاري للبنك جهود الشركة العامة الإيطالية للتصدير Soieta Generale Esportatrice ومقرها ميلانو Milano^(٥٨)، والتي كانت تتقل البضائع بين طرابلس وبين كل من: مالطة وتونس وإيطاليا^(٥٩).

وقد تمكنت إيطاليا بفعل هذه النشاطات، التي قام بها المصرف، من أن تحتل المرتبة الثانية في التعامل التجاري مع، ولاية طرابلس الغرب، بعد بريطانيا^(٦٠). وهكذا

نجح المصرف - إلى حد ما - في ضمان السيطرة الاقتصادية في ولاية طرابلس الغرب، عن طريق تشجيع التجارة الإيطالية إليها، والسيطرة على تصدير المنتجات الليبية إلى إيطاليا. وقد اتبع المصرف، في سبيل إنجاح هذه السياسة، بعض الطرق الملتوية. ويذكر لنا "أنريكو أنساتو" إحدى هذه الطرق التي كان يقوم بها مصرف روما، ليسيّط على الاقتصاد الليبي، في ذلك الوقت: أنه كان عندما يتجه التاجر الصغير إلى مصرف روما، طالبا المساعدة، يبادر المصرف بالرفض أولا، ثم يقترح المصرف على هذا التاجر الصغير أن يبيع مؤسسته، وإذا رفض يعمد المصرف إلى إنشاء مؤسسة مماثلة^(٦١)، وذلك يعني إفلاس التاجر الصغير، كما عمل المصرف على توريط التجار الليبيين، حيث يقرضهم أموالا مقابل أن يرهن التاجر شيئا ما يساوي ما يستلمه من نقود^(٦٢) وهي سياسة خبيثة تجعل التاجر يتنازل عن مورد رزقه لهذا المصرف، بموجب القانون .

لقد انتهج المصرف سياسة خاصة في منح القروض، فعمل على السيطرة على طالبي القروض، أو فقدانهم لأعمالهم، وبخاصة صغار التجار، حيث إن المصرف كان ينافسهم في تجارتهم؛ عندما يعلم بأنهم يمرون بضائقة مالية، وبهذا فقد العديد من المواطنين موارد رزقهم، وتحولت التجارة إلى عائلات يهودية، والمشمولين بالحماية الإيطالية مثل: عائلات حسان، وناحوم، وأريب، ولابى. والذين كانوا يسيطرون على جانب هام من التجارة والورش الموجودة في ولاية طرابلس الغرب^(٦٣) .

رابعا: - مصرف روما والسيطرة على الطرق الملاحية :

من المعروف أن العامل الجغرافي كان أحد أسباب الاتجاه الإيطالي لغزو ولاية طرابلس الغرب، فوقوعها على الشاطئ الجنوبي للبحر المتوسط، في الجانب المقابل لإيطاليا، قد شجع الساسة الإيطاليين على احتلال هذه البقعة؛ لأن إمكانات نقل المواد الخام منها وتصدير المنتجات إليها، سيتم بصورة ميسورة، ومن ثم فإن أحد أهم أهداف مصرف روما: كان السيطرة على الملاحة البحرية، سواء بين مدن ليبيا الساحلية أو بين المدن وبين الموانئ الإيطالية، حيث فتح المصرف خطا بحريا بين طرابلس ومصراتة عام ١٩٠٧ م^(٦٤) وفي ٢٣ إبريل سنة ١٩١٠ م، قام المصرف كذلك بالتعاون مع المجلس الإيطالي الاستعماري: "Societa Coloniale Italiana" بملكية وتسيير خطين بحريين يربطان ولاية طرابلس والمدن الساحلية الليبية بإيطاليا^(٦٥).

وكان من أبرز أعمال المصرف في هذا المجال: قيامه في ٢٧ يناير سنة ١٩١١م، بشراء خط الملاحة الذي كان يمتلكه رأسمالي إيطالي يدعى " فلوريا روبا تيونو" Floria Roia Tiono، ونتيجة لذلك: أصبح المصرف يسيطر على خطوط الملاحة بين المدن الساحلية الليبية والموانئ الإيطالية، وكان هو المشرف على عملية تنظيم خطوط الملاحة البحرية بين هذه الموانئ . (٦٦)

إضافة إلى ذلك: فقد قام المصرف بربط خط الإسكندرية البحرى بالخط البحرى الذى يربط الموانئ الليبية: "طبرق، ودرنة، وبنغازى، ومصراتة، والخمس، وطرابلس"، كما ربط المصرف خط الموانئ الليبية بخط آخر يتصل بالموانئ الإيطالية عن طريق مالطة . وقد أمدته الحكومة الإيطالية بمئتى ألف ليرة إيطالية، لتغطية مشروع خط الإسكندرية. (٦٧)

خامسا : مصرف روما ودوره فى توظيف بعض الليبيين لصالحه :

وفى مجال الوظائف: فقد وجد عدد كبير من أصحاب النفوذ، فى طرابلس، وظائف فى بنك روما، وأصبحوا يأخذون مرتبات منه، حسب ما يقدمونه من خدمات جليلة ضد وطنهم. وكان إذا استغنت حكومة طرابلس عن بعض الموظفين لخطأ جسيم ارتكبه فى حق بلدهم، أو لتصرف يتنافى مع الأمانة العامة فى العمل، ومايجب أن يلتزم به الموظف من الدقة والحرص على عدم إفشاء أية أسرار تتعلق بعمله، وتمس سلامة وطنه؛ يسرع بنك روما بتوظيفهم، حتى أصبح كثير من الموظفين الليبيين يتصفون بعدم الامبالاة، انكالا على حماية القنصلية الإيطالية لهم (٦٨).

وهكذا أصبح هذا المصرف يسيطر على كثير من الأنشطة التجارية والاقتصادية فى ولاية طرابلس، وصار له أتباع وعملاء كثيرون. وقد كان للنجاح الجزئى الذى حققه مصرف روما، فى بعض المجالات الاقتصادية، صدها الواسع فى الصحف الإيطالية، فيذكر محمد مصطفى الشركسى، نقلا عن جريدة البعث الإيطالية، تعدد أنشطة البنك: "إن صناعاته عديدة ومغازله ومحاجر مواد البناء التابعة له وبأكثر أهمية تجارة الحلفا والحبوب والإسفنج وريش النعام والعاج والصوف والمطحن الكهربائى وميكنة صناعة عصر الزيوت إنها آمال عظيمة لبنك يحمل اسم إيطاليا" (٦٩).

وهكذا يمكن القول: إن مصرف روما قد حقق بعض النجاحات فى البداية، بالنسبة لسياسة التغلغل السلمى الإيطالى، فى ولاية طرابلس الغرب، وذلك يرجع إلى (٧٠) :

أولاً: كان مصرف روما يقرض التجار أموالاً بفائدة قدرها ٩%، في مقابل أن يرهن التاجر شيئاً يساوي ما يستلمه من نقود، وكان بالبلاد كثير من المرابين يقرضون التجار أموالاً بفائدة قدرها ٦٠%، وكان معظمهم من اليهود.

ثانياً: اعتمد المصرف، وبشكل رئيسي، على بعض العناصر، أو الأفراد الليبيين، ممن كان لهم نفوذ محلي أي من الأعيان، حيث استطاع المصرف أن يستميل هؤلاء للتعاون معه، ليقدموا له معلومات جليلة عن وطنهم، في مقابل حفنة من الأموال.

الموقف الرسمي والشعبي من أنشطة مصرف روما :

أولاً: موقف الإدارة العثمانية "الموقف الرسمي" :-

نظراً لسياسة المصرف التوسعية، ونجاحه في التغلغل في الأنشطة الاقتصادية المختلفة، في ولاية طرابلس الغرب، وقدرته على شراء مساحات هائلة من الأراضي، كان لابد أن يحدث صراع مع الإدارة العثمانية، صاحبة الولاية على طرابلس الغرب، منذ عام ١٥٥١م. حيث إن العمليات التي قام بها البنك كانت تخرج عن سياق العمل المصرفي، وبخاصة التركيز على شراء الأراضي، فلقد لفت ذلك انتباه الإدارة العثمانية، والتي عملت على عرقلة نشاط ذلك المصرف، وخاصة فيما يتعلق بشراء الأراضي. إن دخول المصرف في صدامات مفتعلة مع السلطات العثمانية دليل على انتهاجه للخط السياسي المرسوم له من قبل الحكومة الإيطالية، كان موضوع سياسة المصرف، في شراء الأراضي، وفي القروض، معقداً حقاً. فالحكومة الإيطالية أرادت من السلطات العثمانية هذا الطلب؛ على اعتبار أن القانون العثماني يحرم على أية مؤسسة أجنبية شراء الأراضي في ولاية طرابلس الغرب. وقد اتهم الإيطاليون السلطات العثمانية بأن هذا القانون وضع أصلاً ضد مصرف روما، ولهذا الغرض. والحقيقة أن قرار منع بيع الأراضي للمؤسسات الأجنبية وضع قبل تلك الفترة، وذلك عندما طلبت الدولة العثمانية من المواطنين في تلك الولاية: ضرورة تسجيل أراضيهم لدى السجل العقاري .^(٧١)

وهكذا يمكن القول بأن هذا القانون، المشار إليه، كان موجوداً بالفعل قبل إنشاء مصرف روما وفروعه، في ولاية طرابلس الغرب، لكن الولاية في تلك الفترة لم يضطروا لتطبيقه، وذلك لأنه لم يحدث أن حاولت مؤسسة أجنبية شراء أراض في تلك الولاية، قبل مجيء مصرف روما.

١- موقف رجب باشا (١٩٠٤-١٩٠٨ م): (٧٢)

ارتبط الموقف الرسمي العثماني، في ولاية طرابلس الغرب، بشخصية الوالي ومدى حرصه ووعيه لهذه السياسات الاستعمارية، حيث قاوم بعض الولاة أنشطة المصرف التغلغلية في أعمال ولاية طرابلس الغرب، وأرسلوا الاحتجاجات إلى الباب العالي يحذرونه من أعمال مصرف روما في تلك الولاية، الأمر الذي نذر بالخطر، إلا أن الضغوط السياسية التي مارستها الحكومة الإيطالية، لدى الباب العالي، فتحت الباب على مصراعيه أمام أنشطة مصرف روما في تلك الولاية. ولعل أبرز هؤلاء الولاة الذين قاموا بدور إيجابي في التصدي لنشاطات فرع مصرف روما، بولاية طرابلس الغرب، كانا: رجب باشا، وإبراهيم أدهم باشا (١٩٠٩-١٩١١ م) (٧٣).

حاول "رجب باشا" معارضة تأسيس بنك روما، في ولاية طرابلس الغرب، لأنه أدرك أن مثل هذه المشروعات الاقتصادية التي كان يقوم بها ذلك المصرف، ماهي إلا وسيلة لتحقيق أهداف سياسية أخرى وباعتباره مؤسسة مالية إيطالية تسعى إلى التغلغل في تلك الولاية، ومن ثم ابتلاعها، لكن حكومة الآستانة أوعزت إليه بعدم التشدد، خوفا من إثارة القلاقل السياسية، فأنشئ البنك رغم أنفه، وبدون استصدار مرسوم من حكومة استنبول، أو موافقة السلطات المحلية الحاكمة. (٧٤) وعلى الرغم من رضوخ الحكومة العثمانية للضغوط الإيطالية، وسماعها بإنشاء هذا البنك، إلا أن الوالي "رجب باشا" كان يمانع في بيع الأراضي للبنك (٧٥) عن طريق معاقبة المشتركين فيه من المواطنين، إذ أنه لم يكن في إمكانه معاقبة معظم المشتركين فيه من الإيطاليين، أو اليهود المشمولين بالحماية الإيطالية، وذلك لأن هؤلاء يعيشون تحت نظام الامتيازات الأجنبية. وحتى معاقبة المشتركين فيه، من الليبيين، قد زادت من حدة الخلاف مع الإيطاليين، وذلك لأن بعضهم كان أيضا تحت نظام الحماية الإيطالية. بعدها رفض الوالي "رجب باشا" تسجيل الأراضي التي أخذها المصرف بإسم المصرف نتيجة عدم تمكن أصحابها من الوفاء بديونهم للاعتبار السابق نفسه، وهو أنه لا يجوز طبقاً للقانون العثماني تملك الأراضي للمؤسسات الأجنبية في ولاية طرابلس الغرب، وأوعز رجب باشا إلى المحاكم العثمانية بطرابلس بأن لا تقبل قضايا بنك روما؛ لأنه لم تتوافر في تأسيسه الشروط القانونية. وقد أدت جهود ذلك الوالي إلى احتجاج مدير بنك روما "أرنستو باتشيلي" Arnesto Batchili لدى حكومة استنبول فأصدرت الأوامر بوجوب قبول القضايا من بنك روما في المحاكم العثمانية (٧٦).

كما أن الحكومة الإيطالية، بحسب مذكره القنصل الألماني بطرابلس، السير مارشال Marshall (١٨٩٧-١٩١٢م)، كانت ترى في المواقف التي يتخذها "رجب باشا" تجاه المصالح الاقتصادية الإيطالية، في طرابلس، أعمالاً وصلت إلى درجة غير مقبولة، وأن إيطاليا لم تعد قادرة على احتمالها. لقد صار الخلاف حاداً بين الوالي "رجب باشا" والمصرف والذي لجأ -أى مصرف روما- في يناير عام ١٩٠٨م، إلى القنصل الإيطالي في ولاية طرابلس الغرب المسيو "ميدانا" Medana، لرعاية مصالحه، وعليه كتب القنصل العام الإيطالي المسيو "ميدانا" إلى حكومته يقول "بأنه نظراً لسياسة الوالي العثماني في ولاية طرابلس الغرب "رجب باشا" فإن التغلغل الاقتصادي الإيطالي مستحيل، وذلك حسب قول القنصل - لكرهيته المزمنة والطبيعية للإيطاليين. وعليه فإن الاحتلال: هو الطريق الوحيد لتأمين مصالح إيطاليا" (٧٧).

فالإيطاليين كانوا يدعون بأن محاولاتهم، المعروفة بإسم التغلغل السلمي الاقتصادي، لم تتجح كما كان يؤمل لها، والسبب - من وجهة نظرهم - "يرجع إلى التفرقة العثمانية التي كانت تمارسها الحكومة العثمانية ضد كل عمل إيطالي"، أما العثمانيون: فقد صرحوا بأنهم لم يمارسوا أي تفرقة ضد المؤسسات التابعة للدول الأخرى. المشكلة - كما ذكر العثمانيون - أن الإيطاليين كانوا يهدفون إلى تمكين مؤسساتهم من السيطرة على مقدرات البلاد، وهذا أمر مرفوض كلية، لكن الحكومة الإيطالية رفضت هذا التعليل العثماني.

على أية حال: فلقد قامت الحكومة الإيطالية بدورها باستتكار موقف الوالي المعادى لنشاط مصرف روما، وأبلغت استتكارها هذا إلى السفير العثماني في روما "إبراهيم حقي باشا"، فبعث بدوره إلى حكومته برسالة جاء فيها "إن إيطاليا تبذل جهداً كبيراً لمساعدة الحكومة العثمانية، ومن الواجب على الباب العالي أن يتسامح مع مصرف روما تدعيماً لأواصر المودة بين الدولتين، وإحكاماً لعلاقات الصداقة بينهما" (٧٨).

ويمكن تفسير موقف "إبراهيم حقي باشا" هذا بأنه كان يعمل سفيراً لبلاده في إيطاليا، وزوجته كانت إيطالية، لذلك كان يتغاضى عن أعمال الإيطاليين المناهضة لدولته في ولاية طرابلس الغرب، ومن ثم فهو متهم بالتواطؤ، مع الإيطاليين، في تدعيم النشاطات المختلفة لمصرف روما، بكل فروعه، في ولاية طرابلس الغرب، مما وجد معه الولاة صعوبة خاصة في محاولات التصدي لنشاطات مصرف روما بتلك الولاية (٧٩).

إزاء ذلك: حول الوالي العثماني الأمر كله إلى استنبول بعد اشتداد الخلاف بينه وبين القنصل الإيطالي في طرابلس. حيث وضح في رسالة، مؤرخة بتاريخ ٢ فبراير سنة ١٩٠٨م، أن مصرف روما يعمل على الإعداد للاستيلاء على البلاد^(٨٠). وكتب الوالي في رسالته هذه ملخصاً الوضع برمته، ومؤكداً على أن أعمال وتصرفات مصرف روما بأنها نوع من الإعداد للاستيلاء على البلاد في المستقبل. وأشار أيضاً إلى أن شراء المصرف للأراضي قصد من ورائه: إعدادها للمهاجرين الإيطاليين. ثم طلب بعدها "رجب باشا" من استنبول تزويده بالأوامر، مذكراً رئاسة الوزراء ووزارة الداخلية: بأنه طبقاً للقانون العثماني لا يجوز للمؤسسات الأجنبية تملك أراض في الولاية^(٨١). ومن أجل إفشال محاولات بنك روما استغلال الظروف المالية الصعبة التي كان يعاني منها بعض الأهالي، لغرض شراء الأراضي: دعا الوالي رجب باشا، في رسالته للديوان الملكي العثماني، إلى تأسيس وفتح فرع للأموال السلطانية، بالسرعة الممكنة، في هذا القطر، تكون أولى مهمته شراء الأملاك التي يراد بيعها للأجانب، على أن يتوسع تدريجياً في نشاطه^(٨٢).

كذلك اتهم الوالي "رجب باشا" المصرف بأنه كان يعطى قروضاً بقصد السيطرة على طالبيها. وأضاف أيضاً أنه في بعض الحالات: كان المصرف يرفض إعطاء قروض لكي يرغم طالبيها على ترك أعمالهم. وقد أشار "رجب باشا" إلى أن هناك العديد من المواطنين من فقد عمله نتيجة لأسلوب المصرف هذا.

على أية حال: فإنه بالرغم من الجهود الإيجابية لهذا الوالي؛ فإنه لم ينجح تماماً في الحد من نشاطات ذلك المصرف؛ لأن هذه الجهود كانت فردية لم تساندها حكومة قوية، ولذلك لم تتجح هذه الجهود الفردية في صد التيار الاستعماري، بل نجد أن هذا التيار قد جرف هذا الوالي نفسه، عندما لم يرضخ لرغبات السياسة الاستعمارية الإيطالية، حيث لعبت الاتصالات السرية بين روما واستنبول دورها في عزل رجب باشا عن ولاية ليبيا، ليتولى حكم الولاية من بعده فوزى باشا، وكان ضعيف الشخصية، حيث خضع للإغراءات الإيطالية إلى أن نجحت ثورة "الشبان الأتراك" "الاتحاد والترقي"^(٨٣) في عزله من حكم ولاية طرابلس الغرب، وكلفت إبراهيم أدهم باشا بتولى حكم تلك الولاية.

٢- موقف إبراهيم أدهم باشا : - " ١٩٠٩-١٩١١م :

كان لقيام ثورة "الشبان الأتراك" "الاتحاد والترقي" وإعلان سياستهم المضادة للاستعمار - أملاً كبيراً للمواطنين في جهمهم القاضي بالحد من التغلغل الاقتصادي الإيطالي في ولاية طرابلس الغرب. فخرجت جرائد مثل: المرصاد، والترقي، وأبو قشة، منادية باتخاذ مواقف أكثر حدة ضد الإيطاليين في تدخلهم السلمي في شئون ولاية طرابلس الغرب، وضد كل من يهدف إلى احتلالها،^(٤٤) ولذلك فقد تعرض التغلغل الاقتصادي الإيطالي، في ولاية طرابلس، خلال عام ١٩٠٩م، بعد ثورة الاتحاديين، في استنبول لهزة عنيفة، وأصبحت حكومة استنبول الجديدة لانتق في الدول الأوروبية التي أخذت توسع في دائرة أعمالها في ولايات الأمبراطورية العثمانية، ومنها ولاية طرابلس الغرب .

وهكذا نجد أن الأمور قد ازدادت تعقيدا بعد وصول الاتحاديين إلى السلطة عام ١٩٠٩م، حيث أشار جيوليتي Giolitti رئيس الوزراء الإيطالي إلى روح التعصب التي أثارها الاتحاديون لدى سكان ولاية طرابلس الغرب، بتبنيهم إلى مطامع إيطاليا في تلك الولاية، والمتمثلة في النقاط التالية^(٤٥) :-

١- **نظام الحماية:** وقد اتخذته إيطاليا للتدخل في الشئون الداخلية لولاية طرابلس الغرب، حيث كان كل مواطن يحصل على الحماية الإيطالية يصبح غير خاضع للقوانين العثمانية .

٢- **الامتيازات الأجنبية:** والتي كانت إيطاليا تحصل عليها من الحكومة العثمانية، وطالبت بالمزيد منها، مدعية أنها الدولة الأولى صاحبة الامتيازات في ولاية طرابلس الغرب .

٣- **سياسة مصرف روما:** في شراء الأراضي وفي منح القروض: وهذه النقطة هي السبب الرئيسي في ازدياد حدة التوتر بين الإدارة العثمانية وإيطاليا .

كلفت حكومة الشبان العثمانيون والياً جديداً على البلاد هو: إبراهيم أدهم باشا، وطلبت منه ضرورة السعي للحفاظ على استقلال تلك الولاية، والتصدي لمحاولات التغلغل الإيطالي في شئونها، والتصدي بكل حزم، للأطماع الإيطالية هناك. لذلك قام "إبراهيم أدهم باشا" فور توليه منصبه الجديد، بالتحقيق في أمور البنك، ووقف على الكثير من التجاوزات التي تدين هذه المؤسسة، وكان كل ذلك في إطار مقاومته لمحاولات التغلغل السلمي للمؤسسات الاقتصادية الإيطالية، في ولاية طرابلس الغرب.

وقد تمخض التحقيق عن الآتي :

أولاً: أن المصرف كان يتحايل على القانون العثماني الذي يمنع المؤسسات الأجنبية من حق تملك الأراضي في الولاية .

ثانياً: وجد التحقيق أيضاً أن كل الأراضي المشتراة، حتى تاريخ إجراء التحقيق، قد آلت إلى المصرف بعد أن أدعى مشتروها عدم قدرتهم على سداد القرض المصرفي، وبالتالي تنازلوا عن تلك الأراضي للمصرف.

ثالثاً: أثبت التحقيق أن معظم الأموال التي استعملها البنك في شراء الأراضي هي في الواقع أموال من الحكومة الإيطالية ومن الفاتيكان^(٨٦).

وعلى إثر هذا رفض الوالي "إبراهيم أدهم باشا" إعطاء إيطاليا أية امتيازات أخرى، بل إنه عمل على تشجيع شركات أجنبية، غير إيطالية، للدخول في العطاءات؛ فقد منحت الإدارة العثمانية لمؤسسة مالية المانية يترأسها "هيريت وانكه Herbert Wanka" بعض العطاءات، وقد تفوقت هذه المؤسسة بعملياتها التجارية على بنك روما. وقد أثار هذا العديد من المشاكل للسيناتور بانتشيللي^(٨٧) مدير البنك، وبهذا شعرت إيطاليا أن مصالحها في خطر؛ بازدياد النفوذ الاقتصادي للدول الأوروبية. وقد علق على ذلك جيوليتي Giolitti رئيس الوزراء الإيطالي حيث قال: "إن الرسائل والبرقيات الواردة إلينا من ولاية طرابلس الغرب، تحمل إجراءات تعسفية، وتشكل خطراً اقتصادياً على مصالحنا هناك، وفي مقدمتها نشاطات مصرف روما، وإن عرقلة الدولة العثمانية لتفوقنا الاقتصادي في ولاية طرابلس الغرب، والتأمر عليه ومنح امتيازات لدول أجنبية أخرى؛ يضع سياسة التغلغل السلمي الإيطالي على المحك، ويساعد على التعجيل بالاحتلال العسكري^(٨٨)".

لقد أخرجت نتائج هذا التحقيق "الحكومة الإيطالية" التي كانت تنفي وجود أية مشاكل، أو تورط من قبلها، في المسألة، وعبرت الحكومة الإيطالية عن صفاء نيتها، وأنها في الواقع تحترم استقلال وسلامة الأراضي العثمانية، وهذا غير صحيح. وعلى الرغم من هذا التبرير الإيطالي، فإن ما أكدته التحقيقات الرسمية التي قامت بها السلطات العثمانية، في الولاية، كانت على مكانة من الخطورة، بحيث لم يعد في الإمكان إغفالها، فأرسلت استتبول لجنة خاصة بغرض دراسة الوضع، واقتراح بعض الحلول. وفي نوفمبر ١٩٠٩م أوصت اللجنة بالآتي:

أولاً: أن تتوقف كل عمليات شراء الأراضي من قبل كل الإيطاليين، حتى يعاد النظر في الأمر، وحتى تبت السلطات العثمانية في هذا الأمر.

ثانياً: رفضت اللجنة طلب حكومة إيطاليا لإعطائها معاملة خاصة، أو امتيازات، فيما يتعلق بالعطاءات والمشروعات الاقتصادية في الولاية. وبدلاً من هذا اقترحت اللجنة: دخول شركات أخرى - غير إيطالية - في العطاءات حتى يمكن تجنب حدوث أية سيطرة إيطالية في هذا الخصوص .

ثالثاً: أوصت اللجنة بأن نشاطات مصرف روما يجب أن تقتصر على المدن حتى تبت إستنبول في الأمر.

وفي الخامس من ديسمبر عام ١٩٠٩م، وافقت استنبول على كل مقترحات اللجنة المذكورة. وفي اليوم التالي، أى السادس من ديسمبر، أصدر السلطان العثماني محمد الخامس^(٩) إرادة سنية بخصوص موضوع الأراضي في الولاية. حيث أشارت الإرادة المذكورة إلى: أن الأرض الميري، أي الأرض التي كانت مملوكة من قبل الدولة، لا يمكن بيعها. كذلك لا يجوز لأهالي الولاية أن يبيعوا أراضيهم لأي مؤسسة أجنبية. أي أن الإرادة أكدت القانون العثماني الموجود، والذي سبقت الإشارة إليه. وفي ذيل الإرادة؛ أشار السلطان العثماني إلى وجوب إعلام الإيطاليين بالأمر، حتى يكونوا على بينة من الموضوع.^(١٠)

لقد أغضب هذا القرار الإيطاليين؛ الذين اعتقدوا أن هذا القرار ربما يدفع بعض الدول إلى الطمع في ولاية طرابلس الغرب، هذا على الرغم من أنه، في عام ١٩٠٩م، ومقابلها كانت الدول الأوروبية الكبرى قد أعطت الضوء الأخضر لإيطاليا باحتلال تلك الولاية^(١١)

لقد استمر "إبراهيم أدهم باشا" في التصدي لمحاولات بنك روما في التغلغل الاقتصادي السلمي، في ولاية طرابلس الغرب على الرغم من الإغراءات المالية المقدمة إليه، والعراقيل التي وضعت في طريقه، الأمر الذي دفع القنصل الإيطالي، في ولاية طرابلس الغرب، المسيو "ميدانا" إلى إتهام "إبراهيم أدهم باشا" بأنه يحمل كراهية خاصة للإيطاليين، وأنه كان رافضاً التعامل مع القنصلية الإيطالية، حتى في الأمور البسيطة. الأمر الذي اضطرت معه الدولة العثمانية إلى قبول الضغوط الإيطالية، وسحبت "إبراهيم أدهم باشا" إلى الأستانة، للتحقيق معه في الشكاوى المقدمة ضده من مصرف روما، في ولاية طرابلس الغرب. وهكذا استجابت السلطات العثمانية للطلبات الإيطالية؛ التي رأت

فى "إبراهيم أدهم باشا" أنه يمثل عقبة كؤود أمام نشاطات مصرف روما، وكذلك فى الوقوف، بصفة عامة، فى وجه التغلغل الاقتصادى لإيطاليا فى تلك الولاية؛ لىتم فى النهاية عزله من قبل السلطات العثمانية، بهذه الطريقة غير اللائقة، استجابة للرغبات الإيطالية^(٩٢). وذلك فى سبتمبر سنة ١٩١١م وبينما هو فى أستنبول للتحقيق معه، إذ بالعدوان العسكرى الإيطالى يقع على ولاية طرابلس الغرب، وهى بدون وال^(٩٣).

ثانيا: الموقف الشعبى :

أما عن الموقف الشعبى تجاه سياسة التغلغل السلمى لمصرف روما، فى ولاية طرابلس الغرب، فلا بد من الإشارة إلى الأوضاع التى عاشها المجتمع الليبى، فى فترة إنشاء مصرف روما، ونشاطاته فى الولاية، فمن الناحية السياسية: كان الحكم حكرا على الولاية العثمانين، وكانت العلاقة سيئة، فى أغلب الأحيان، بين الولاية وبين الشعب. أما من الناحية الاقتصادية فكان الفقر منتشر بين أبناء الولاية، بسبب الضرائب المفروضة من الولاية العثمانين عليهم، وبسبب الاعتماد على مياه الأمطار؛ التى قد تشح فى بعض الأعوام، فتسبب أزمات اقتصادية^(٩٤).

وقد استغل مصرف روما هذه الأوضاع السيئة، خير استغلال، فكان يعرض أموالا مغرية لتشجيع الليبيين على بيع أراضيهم، ووجدت هذه الإغراءات مكانة لدى نفوس بعض الليبيين، بسبب الأوضاع التى أشرنا إليها، وبسبب وجود بعض الأعيان الذين باعوا ضمايرهم ووطنيتهم بحفنة من الأموال الإيطالية^(٩٥). وبالرغم من هذه الظروف السيئة؛ فإننا نجد أن بعض الأهالى قد وقفوا مواقف إيجابية معارضة للنفوذ الاقتصادى لمصرف روما، من بينها ماحدث فى الثامن عشر من مايو سنة ١٩٠٨م، حيث قام بعض الأهالى بعقد اجتماع فى مدينة الخمس، حضره مندوبون من طرابلس ومصراتة ودرنة وزليطن وسرت؛ وقرروا فيه عدم التعامل مع مصرف روما وحظر بيع الأراضي إليه أو الاقتراض منه، وعدم استخدام خطوط البواخر الإيطالية، كما توجهوا إلى السلطات العثمانية يطلبون منها: عدم نقل بريدها بواسطة البواخر الإيطالية^(٩٦).

وفى برقية مؤرخة بتاريخ ٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨م، أرسلها الوالى "رجب باشا" إلى الإدارة العثمانية فى أستنبول، يشير فيها إلى أن بعض الوطنيين فى ولاية طرابلس

الغرب، قاموا بإلقاء المنشورات وألقوا بعضاً منها بمناطق مختلفة من مدينة طرابلس، تنديداً بالمساعي الإيطالية للتدخل في شئون البلاد. كما أشار رجب باشا في هذه البرقية إلى تحريض بعض الوطنيين للأهالي على مقاطعة السلع التي تصل إلى طرابلس، عن طريق السفن الإيطالية، وكذلك امتناعهم عن تفريغها^(٩٧).

لقد أدى انتقال الثروة إلى الأيدي الأجنبية إلى رد فعل قاسٍ وشديد من قبل الأهالي؛ الذين فقدوا أعمالهم، فقاطع هؤلاء الأسواق، وخاصة تلك التي كان يمتلكها إيطاليون، كما قاموا بمظاهرات؛ متهمين الإدارة العثمانية بالموقف المتخاذل أمام سياسة التغلغل السلمي الإيطالي، في ولاية طرابلس الغرب، وبالمساهمة في انحطاط الاقتصاد الوطني. وفي عريضة مؤرخة بتاريخ ٢٨ يناير عام ١٩٠٩م، وقعها كثير من المواطنين، وسلمت إلى الوالي العثماني "إبراهيم أدهم باشا"، حيث اقترح الموقعون في هذه العريضة، على الإدارة العثمانية: تصحيح الوضع في ولاية طرابلس الغرب عن طريق^(٩٨) :

أ- معاقبة كل المنضوين تحت نظام الحماية الإيطالية .

ب- تكوين شركة وطنية- أي رأس مالها وطني- تقوم بتنفيذ بعض العطاءات.

ج- عدم إعطاء أية امتيازات للشركات الأجنبية؛ لأن ذلك قد يكون خطوة أولى تجاه سيطرة الإيطاليين على البلاد .

وعلى أثر ورود هذه البرقية من "إبراهيم أدهم باشا"، إلى الإدارة العثمانية في استنبول، قامت الحكومة العثمانية بالتحريض على مساندة الليبيين في مناهضتهم لسياسة التغلغل السلمي الإيطالي في ولاية طرابلس الغرب بصفة عامة، ولمصرف روما بصفة خاصة، قائلة: "... حكومتنا - يقصد بها حكومة الإتحاد والترقي - بعدما تخلصت من عهد الاستبداد، ودخلت تحت الإدارة المشروعة وعهد التحرر، ازدادت وعلت مكانتها السياسية، ولم يبق سبب للتدخل، لأية دولة أوروبية، في أي جهة من الممالك العثمانية؛ لذلك نرفض تدخل الإيطاليين في ليبيا". وقد بدأ بالفعل تحريض المواطنين، منذ سنة ١٩٠٩م، على تقويض المصالح الإيطالية بولاية طرابلس الغرب، وساد شعور عام بين معظم المواطنين بأن تصرفات مصرف روما قد حادت كلية عن الصواب^(٩٩).

رد الفعل الإيطالي :

مما لا شك فيه أن جميع أنشطة مصرف روما في ولاية طرابلس الغرب، قد تحققت بفضل التنسيق والتفاهم الكامل مع الحكومة الإيطالية، باعتبار المصرف ممثلاً للمصالح الإيطالية في الولاية، وبالتالي فإن أي مساس به لابد أن تتعكس آثاره، في إيطاليا، في صورة تصريحات أو تعليقات، وعندما اصطدم المصرف بالسلطات العثمانية؛ صرح وزير الخارجية الإيطالي "دي سان جوليانيو Di San Giuliano" قائلاً: "إن قصد السلطات العثمانية، في تلك البلاد، هو إثارة حرب ضد المصالح الاقتصادية والتجارية الإيطالية، وذلك بمنع المواطنين العرب من أن تكون لهم علاقة بمصرف روما، بل منع المصرف ذاته من الحصول على الاعتراف القانوني أمام المحاكم المحلية" (١٠٠).

والواضح أن هذا التصريح يبين المكانة التي كان يتمتع بها البنك لدى ساسة إيطاليا، ويعكس التأثير المتبادل الذي يمكن أن يمارسه أحد الطرفين - البنك أو الساسة - على الطرف الآخر، وهو ما شرع فيه البنك بالفعل، فقد أشاع أن الألمان سوف يشيدون مصنعاً نموذجياً لعصر الزيوت، في مدينة طرابلس، ينافس المصنع الذي يديره البنك، وأن تجارة المانيا سوف تزدهر عقب تسيير الخط الملاحي الذي تديره الوكالة الألمانية للملاحة، ثم أخذ البنك يمارس ضغطاً أكثر على صانعي القرار السياسي الإيطالي، عن طريق التلويح بضيايع المصالح الاقتصادية لإيطاليا؛ إذا لم تتدخل الحكومة الإيطالية لإنقاذ هذه المصالح، وأعلن البنك أنه سيبيع مصالحه للبنك الألماني؛ لأنه لم يعد قادراً على العمل بحرية في ولاية طرابلس الغرب، وأن الحكومة الإيطالية لم تتدخل لمساعدته (١٠١). ويؤكد ماذهبنا إليه: اعتراف "جيوليتي Giolitti" رئيس الوزراء الإيطالي في مذكراته قائلاً: "لقد بلغت الأمور درجة دفعت بنك روما إلى الشروع في مفاوضات، مع جماعة مصرفية المانية نمسوية، للتخلي لها عن مصالحه هناك، بعد أن رأى نفسه معرضاً لأخطار كثيرة دون معونة من أحد" (١٠٢).

إزاء ذلك أوعز مصرف روما إلى بقية المؤسسات التجارية الإيطالية؛ التي كانت قائمة في ولاية طرابلس الغرب، بأن تتخذ نفس الموقف، كنوع من الضغط على صانعي القرار السياسي في إيطاليا، لاتخاذ قرار بالإسراع في غزو الولاية، وأعلنت بعض المؤسسات الإيطالية بدورها: أن شركة كروب الألمانية "Krupp" والبنك الألماني دويتش "Deutsch Bank" على وشك الهيمنة الاقتصادية على ولاية طرابلس الغرب، تمهيداً

للاحتلال الألماني المنتظر، وأن مفاوضات سرية كانت جارية بين حكومتي برلين واستنبول؛ لتأجير ميناء طبرق للأسطول الألماني^(١٣).

وكان كل ذلك كافياً ليصيب الساسة والحكومة الإيطالية مجتمعة بالذعر، ويدعوها لاتخاذ الاستعدادات النهائية لغزو ولاية طرابلس عسكرياً. وخاصة بعد أن قدم أحد الساسة الإيطاليين تقريراً أوضح فيه موقف بنك روما المؤيد للغزو على النحو التالي : (١٤)

أولاً: أن المشروعات الصناعية والتجارية المماثلة لمشروعاتنا؛ تساعد السلطات المحلية بدون أدنى شك، لذا فهي تكون ضراً ظاهراً لوضعنا السياسى والاقتصادى فى ولاية طرابلس الغرب ، وقد تخلق، مع الزمن، حالة مضادة لمصالحنا فى المستقبل .

ثانياً: ليس لدينا أية طريقة لمنع العثمانيين من مساعدة المشروعات الأجنبية التى تضر بالمشروعات الإيطالية، وليس لدينا أيضاً أية طريقة لمنع الرعايا الأجانب من القيام بصفقات تجارية فى ولاية طرابلس الغرب، والحكومة العثمانية تمارس واجبها المقدس فى مقاومة تغلغلنا الذى تخشاه وحده.

ثالثاً: كلما تأخر الحل المنطقى الوحيد للمشكلة الطرابلسية "الاحتلال" كلما زادت صعوبة حلها.

والملاحظ أن هذا التقرير يرمى إلى إظهار الوضع الخطير الذى يهدد المصالح الإيطالية، محاولاً التأثير على صانعى القرار السياسى، فيجد هؤلاء أنفسهم أمام مسلك واحد لا بديل عنه وهو: تحطيم التردد، والانتقال بصورة حاسمة للقيام بالغزو.

لقد كان لمصرف روما دور مهم فى تحريض الرأى العام الإيطالى ضد سياسة الدولة العثمانية فى الولاية، ووفقاً لما جاء على لسان وزير الخارجية الإيطالى "دى سان جوليانو" بأن جزءاً كبيراً من اللوم فى توجيه الرأى العام الإيطالى وإثارته؛ يقع على مصرف روما؛ الذى أثر على الرأى العام الإيطالى بشأن غزو ولاية طرابلس الغرب (١٥)، وهو ما أدى إلى ظهور فريق من المتشددىين الإيطاليين، يرون أن ولاية طرابلس الغرب لهم وحدهم، وعندما لم يمكنهم العثمانيون من الاستيلاء على تلك الولاية اقتصادياً بالكامل، صاروا يفكرون فى حل واحد وهو: الأخذ بالحرب ما عجزوا عن أخذه بالسلم.

وقد لعبت الصحافة الإيطالية، كذلك، دوراً كبيراً فى دفع الحكومة الإيطالية نحو الحرب، وكذلك لتهيئة الرأى العام من أجل تقبل فكرة الغزو والاحتلال الإيطالى

لولاية طرابلس الغرب^(١٠٦)، لذلك صرح وزير الخارجية الإيطالي "دى سان جوليانو" فى مارس عام ١٩١١م، للفنصل الألمانى بطرابلس "السير مارشال Marshall" بأن الرأى العام الإيطالى قد أصبح مشحونا، وذلك يرجع إلى الدور الفعال الذى لعبه مصرف روما فى إثارته، وتحريضه للرأى العام الإيطالى^(١٠٧).

كما اتهم القوميون الحكومة الإيطالية بالتهاون، وعدم حماية مصالح الإيطاليين، وكذلك المؤسسات الإيطالية العاملة فى ولاية طرابلس الغرب، وخاصة مصرف روما، فقد كتب السيناتور "ببازا Piazza" فى جريدة لاتريبونا La Tribuna فى عددى أبريل ومايو عام ١٩١١م، عدة مقالات يهدد فيها العثمانيين، وبشجع بلاده على احتلال ولاية طرابلس الغرب، وأدعى بعضهم من أمثال: روميو جالينجا Romeo Gallenga -عضو مجلس النواب الإيطالى - بأن المصالح الإيطالية الاقتصادية تتأخر فى الولاية فى حين تتقدم مصالح دول أخرى كالألمانيا والنمسا^(١٠٨)، نتيجة لذلك لعب القوميون دورا رئيسيا فى دفع إيطاليا نحو الحرب^(١٠٩)، حيث أسسوا عدة صحف قومية مثل: صحيفة كورير دى إيطاليا Corriere d'Italia التى كان يرأس مجلس إدارتها إنريكو كوراديني Enrico Coradini^(١١٠)، ويقول هذا الكاتب: "إن القومية هى طريقنا للتحرر من فرنسا وإنجلترا وألمانيا".^(١١١).

وقد أعلن "جيوليتى" رئيس الوزراء الإيطالى، بأن الأمور وصلت إلى أن دفعت بنك روما إلى الشروع فى مفاوضات مع جماعة مصرفية نمساوية المانية، للتخلى عن مصالحه فى ولاية طرابلس الغرب، بعد أن رأى نفسه معرضا لأخطار كثيرة^(١١٢) ولذا كان السيناتور "أرنستو بريشيانى" مدير مصرف روما فى ولاية طرابلس الغرب، متشوقا للحرب؛ لأن الأمر بالنسبة لبنكه: إما الحرب أو الإفلاس، وقد سرب "بريشيانى" هذا الخبر: "التخلى عن نشاط مصرف روما لجماعة نمساوية المانية"، بهدف تشجيع الحكومة الإيطالية على احتلال ليبيا. لذا يعد بنك روما من أكثر المسؤولين عن نشوب تلك الحرب، فعندما بدا له أن الحكومة الإيطالية مترددة فى أمر الحرب، هدد بالتخلى عن جميع مقومات نشاطاته، ومصالحه فى ولاية طرابلس الغرب، مدعيا أن هذه الخطوة -خطوة الحرب واحتلال ولاية طرابلس الغرب- هى حماية للمصالح الإيطالية. وقد كان هذا أشبه بالإنذار النهائى من قبل إدارة مصرف روما للحكومة الإيطالية، باتخاذ قرار الحرب وفى أسرع وقت. وقد علق "سالفيمينى" Salvemini -أحد المعارضين للحكومة الإيطالية- على سياسة مصرف روما هذه ومطالبته -أى مصرف روما- للحكومة الإيطالية بضرورة غزو ليبيا، فى

صحيفة لافوتش La Foutch بقوله: "إن المصرف يعقد صفقات مريبة ومصطنعة دون أن يكون له تفويض رسمي من السلطات الإيطالية، وبأن البنك بدأ يهدد الحكومة بالتنازل عن حقوقه في ولاية طرابلس الغرب مالم تضمن له تلك الحكومة الإيطالية حماية فعالة لمصالحه" (١٣) . وهكذا بدأ إعداد الأسطول الإيطالي، لكي يتولى تنفيذ الاحتلال العسكري لولاية طرابلس، بعدما آلت سياسة مصرف روما في التغلغل السلمي الإيطالي، في تلك الولاية، إلى الفشل. وفي ١٦ سبتمبر عام ١٩١١م حصل جوليتي رئيس الوزراء الإيطالي؛ على موافقة الملك الإيطالي "فيكتور عمانويل Victor Emmanuel" للتدخل العسكري واحتلال ليبيا. وفي ٢٦ سبتمبر، من العام نفسه، أرسل وزير الخارجية الإيطالي "دي سان جوليانو" إلى "دي مارتينو De Martino" القائم بأعمال السفارة الإيطالية في استنبول: نص الإنذار الإيطالي، لتقديمه إلى الباب العالي ، وبعده بساعات قليلة تم الاحتلال الفعلي لولاية طرابلس الغرب من قبل الإيطاليين، ولم يأت منتصف أكتوبر، من العام ذاته، حتى كانت كل أرجاء الولاية قد خضعت بالكامل للسيادة الإيطالية .

خاتمة:

- من خلال العرض السابق: يمكن أن نستنتج بأن النشاط الاقتصادي لمصرف روما، وسياسة التغلغل السلمي الإيطالي في ولاية طرابلس الغرب، قد فشلت في نهاية المطاف، مما نتج عنه التدخل العسكري الإيطالي المباشر؛ لاحتلال تلك الولاية . ويمكن أن نوضح الأسباب الرئيسية التي أدت، في نهاية المطاف، إلى فشل مصرف روما في سياسة التغلغل السلمي الإيطالي في ولاية طرابلس الغرب، في النقاط الآتية :
- ١- يقظة الشعب الليبي وانتباهه للأخطار المحدقة به، بعد أن وقعت أراضي أشقائه في الجزائر وتونس ومصر في قبضة الاستعمار الأوروبي .
 - ٢- موقف بعض الولاة العثمانيين المخلصين أمثال: رجب باشا، وإبراهيم أدهم باشا، اللذين تصديا بكل قوة للأطماع الإيطالية وعرقلوها، استجابة للضغوط والمطالب الشعبية بتلك الولاية .
 - ٣- اتجاه السياسة العثمانية لخلق صراع مضاد للمصالح الإيطالية في ليبيا، بإيجاد منافسين ومزاحمين للنفوذ الاقتصادي الإيطالي، ومن أمثلة ذلك وتشجيعهم للمشروعات الاقتصادية الألمانية .

٤- ضحالة التجربة الاستعمارية الإيطالية؛ التي جعلتها تعلن عن نواياها من خلال التصريحات والبيانات والخطب ومقالات الصحف، والموقف السياسى الواضح والمكتشوف الذى التزمه مصرف روما فى ليبيا، على نحو ما أشرنا إليه بعاليه .

أيضا اتضح من خلال العرض السابق: أن مصرف روما قد أسهم فى استغلال الصحافة، ووسائل الإعلام الأخرى، فى تهيئة رأى العام الإيطالى لقبول فكرة الغزو، من خلال استغلال المشاكل التى زعم مصرف روما أنها كانت معوقا لنشاطه الاقتصادى، وأن المؤسسات الإيطالية العاملة فى طرابلس الغرب على وشك الإنهيار ومنها مصرف روما. وبدورها أوعزت تلك الصحف بأن الحرب سوف ترفع الظلم والاضطهاد عن الإيطاليين المقيمين فى تلك الولاية، وبذلك نجحت تلك الصحافة فى أن تشكل عنصر ضغط على صناع القرار السياسى فى الحكومة الإيطالية، من أجل اتخاذ قرار بالغزو العسكرى الإيطالى لولاية طرابلس الغرب .

إضافة إلى: أن الحكومة الإيطالية قد نجحت فى الحصول على دعم الفاتيكان المالى للمصرف، منذ تأسيسه على نحو ما أشرنا إليه، لذلك كان المصرف يهتم بتنفيذ رغبات الفاتيكان، برغم الخسائر الاقتصادية الفادحة التى كان يتعرض لها. كما أن الحملة الإيطالية المزمع القيام بها على ولاية طرابلس الغرب؛ ستدعم النفوذ الكاثوليكي فى شمال إفريقيا، وتضعف من مكانة الإسلام. وعلى هذا النحو أسهم الفاتيكان، عمليا وبنشاط مكثف، فى تهيئة رأى العام الإيطالى بمدى أهمية الحملة الإيطالية المزمع القيام بها، والتى يتوقع لها أن تعيد أمجاد الحضارة الرومانية القديمة فى تلك المناطق، وكذلك إعادة المسيحية لأمجادها فى الشمال الإفريقى .

هوامش الدراسة:

(١) يطلق كثيرون من الباحثين على هذا السلطان صفة القانونى فيسمى بسليمان القانونى . ولكن كلمة المشرع أكثر دقة من حيث الصياغة اللفظية، لأن هذا السلطان كان يتمتع بموهبة عظيمة فى وضع التشريعات ، والتعرض لأدق التفاصيل عند وضع أى تشريع، فلم تكن تشريعاته تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا تعرضت لها، فجاءت جامعة مانعة، كما أن هناك فرقا بين اللفظين: المشرع والقانونى، يتضح ذلك من تقسيم السلطات فى الدولة العثمانية إلى ثلاث هيئات، السلطة التشريعية، السلطة القضائية، السلطة التنفيذية، ويلوح أن أحد الباحثين القدامى قد أطلق - دون تمحيص - القانونى على سليمان. وجاء الباحثون بعد ذلك، وطبقاً للتقليد الأعمى، فأطلقوا عليه سليمان القانونى، والتصقت به هذه التسمية، كما التصقت فى أذهان الأجيال المتعاقبة، أما المراجع الأجنبية، الإنجليزية والفرنسية منها، فقد كانت تطلق الصفة الصحيحة على سليمان وهى: المشرع. عبد العزيز محمد الشناوى: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، سنة ١٩٨٠م. ص ٤٤.

- (^٢) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، الجزء الثانى مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، سنة ١٩٨٠م . ص ٩٢٧ وما بعدها. صلاح أحمد هريدى على: دراسات فى تاريخ العرب الحديث، الناشر دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م. ص ٤٨ وما بعدها.
- (^٣) كان من بين مظاهر السياسة العامة للدولة العثمانية عدم الإبقاء على الولاية لمدة طويلة فى حكم الولاية، ولعل ذلك يعود إلى عدم إتاحة الفرصة أمام هؤلاء الولاة لكى لايفصلوا عن الدولة العثمانية . وقد طبقت هذه السياسة على ولاية طرابلس الغرب، وخاصة بعد رجوع السيادة العثمانية الكاملة على ولاية طرابلس الغرب، بعد أن حكمتها الأسرة القرمانيّة مايقرب من قرن وربع قرن من الزمان، فى الفترة من "١٧١١-١٨٣٥م". وعلى أثر انتهاء حكم تلك الأسرة لولاية طرابلس الغرب، عام ١٨٣٥م، تتابع الولاة على حكم تلك الولاية، فيما يسمى تاريخيا بالعهد العثماني الثانى، حيث أصبحت تلك الولاية تحكم مباشرة من استنبول وكان سلاطين آل عثمان يرسلون الولاة إلى ولاية طرابلس الغرب بفرمان عثمانى. وقد تتابعت على حكم ولاية طرابلس الغرب منذ ذلك العهد فى الفترة ما بين ١٨٣٥-١٩١١م ثلاثة وثلاثون واليا تفاوتت مدة ولاياتهم من عام إلى أربعة أعوام ، فيما عدا حكم وال واحد وهو أحمد راسم باشا الذى بقى فى حكم الولاية من عام ١٨٨٢ إلى ١٨٩٦م . للمزيد انظر: أوبكر سالم المهدي الشيباني : أثر جهاد الليبيين فى تطور العلاقات العربية - التركية ١٩١١-١٩١٢م رسالة ماجستير أجازت بقسم التاريخ ، كلية الآداب، جامعة سبها، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، سنة ٢٠٠٨م، ص ٥٣. وعن تاريخ الأسرة القرمانيّة، وحكمها لليبيا تحت السيادة العثمانية، وعلاقاتها بالقوى الأوروبية انظر: عمر عبد العزيز محمد عثمان: علاقات ليبيا بالدول الأوروبية فى عهد الأسرة القرمانيّة "١٧١١-١٨٣٥" رسالة دكتوراة غير منشورة، أجازت بقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ١٩٧٧م. ص ٢٠٩ وما بعدها.
- (^٤) شوقى عطالله الجمل: المغرب العربى الكبير من الفتح الإسلامى إلى الوقت الحاضر (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب الأقصى "مراكش")، المكتب المصرى للتوزيع والمطبوعات، حدائق الزيتون، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٧م ص ٣٦٨.
- (^٥) كانت إيطاليا قد توحدت تحت تاج "بيمنت" ونودى بالملك فيكتور عمانويل Victor Emmanuel ملكا على إيطاليا الموحدة فى فبراير عام ١٨٦١م، ولم تضم البندقية وروما لهذه المملكة الإيطالية إلا فيما بعد، فلم تكتمل الوحدة الإيطالية إلا عام ١٨٧١م. للمزيد انظر: شوقى عطالله الجمل: تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٠م، ص ٣٥١ وما بعدها، عبد المولى صالح الحرير : التمهيد للغزو الإيطالى وموقف الليبيين منه، بحوث ودراسات فى التاريخ الليبيى ١٩١١-١٩٤٣م، مجموعة من الأساتذة والباحثين، الجزء الثانى، إشراف د. صلاح الدين حسن السورى، ود. حبيب وداعة الحسناوى، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى، سلسلة الدراسات التاريخية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، سنة ١٩٨٤م ص ١٩.
- (^٦) كان عامل القرب الجغرافى الذى ربط إيطاليا بشعوب شمال إفريقيا وكذلك للروابط التاريخية بينهما دافعا قويا لأن تبدأ إيطاليا نشاطها الاستعماري فى تلك المنطقة خاصة بعد الاحتلال الفرنسى لتونس عام ١٨٨١م ولكنها اتجهت إلى منطقة الشرق الافريقى، الأبعد جغرافيا والأكثر فقرا، ويمكن لنا أن نجمل أسباب ذلك فى الآتى:

أ- حدث بعد الاحتلال الفرنسى لتونس أن سارعت الدولة العثمانية بإرسال تعزيزات عسكرية إلى ولاية طرابلس الغرب للدفاع عن ولايتها فرأت إيطاليا أن تتمهل إلى أن يأتى الوقت المناسب حتى لا تصطدم بالدولة العثمانية .

ب- كان التوسع الإيطالي في شرق إفريقيا يلقى تأييداً من جانب إنجلترا التي رأت أن من مصلحتها أن تساند إيطاليا وتؤيد نشاطها في تلك الجهات، وبذلك يمكن لإنجلترا أن تتخذ إيطاليا حليفاً لها في المسألة المصرية حيث كان الفرنسيون يضغطون على إنجلترا منذ احتلالها لمصر عام ١٨٨٢م ويطالبونها بالجلء أو تحديد تاريخ معين لذلك، وظل الأمر كذلك حتى تم عقد الاتفاق الودي بينهما عام ١٩٠٤م .

ج- نصحت إنجلترا حليفها إيطاليا ألا تتعجل في احتلال ولاية طرابلس الغرب حتى يحين لها الوقت المناسب لتنفيذ مخططاتها ، وقد انصاعت إيطاليا لنصيحة حليفها إنجلترا .

د- رأت إنجلترا أن مساندتها لإيطاليا في شرق أفريقيا يمكن أن يكون درعاً لمقاومة توسع حكومة الدراويش في السودان .

هـ- لم تكن القوة العسكرية الإيطالية، في ذلك الوقت بالقوة الكافية لمواجهة التنافس الاستعماري بين القوتين الكبيرتين (إنجلترا وفرنسا). والمنافسة بينهما في الشمال الإفريقي. ومن هنا لجأت إيطاليا إلى تكوين مستعمرات إيطالية في الشرق الأفريقي البعيد عن الطموحات الاستعمارية لكل من إنجلترا وفرنسا . انظر: شوقي عطاء الله الجمل : المغرب العربي الكبير المرجع السابق، ص ٣٦٩-٣٧٠،

شوقي عطاء الله الجمل: تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها المرجع السابق، ص ٣٥٣-٣٥٤، عبدالله عبد الرازق إبراهيم، شوقي عطاء الله الجمل: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٧م، ص ١٩٨.

٧) أستطاع الإثيوبيون في هذه المعركة بهجومهم الساحق أن يقتلوا من الإيطاليين ستة آلاف ويأسروا مثلهم ، كما قتل وأسر أغلب قواد الحملة واستولى الإثيوبيون على جميع قطع المدفعية الإيطالية، فكانت هزيمة من أبشع الهزائم التي منيت بها أمة في القرن التاسع عشر. وللمزيد من التفاصيل عن معركة عدوة انظر: شوقي عطاء الله الجمل: تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها المرجع السابق، ص ٣٦٩ وما بعدها، عبدالله عبد الرازق إبراهيم ، شوقي عطاء الله الجمل: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، المرجع السابق، ص ٢٠٧ وما بعدها.

٨) رأت إيطاليا في ولاية طرابلس الغرب المنطقة المناسبة لتكوين مستعمرة إيطالية لها في الشمال الإفريقي بعد فشلها في الشرق الإفريقي، وكانت هناك عدة عوامل قد دفعت إيطاليا لإختيار ولاية طرابلس الغرب كمستعمرة إيطالية في الشمال الإفريقي وهي كما يلي:

أ- كانت ولاية طرابلس الغرب هي المنطقة غير المستعمرة المتبقية من شمال إفريقيا المطلة على البحر المتوسط والذي تكاد إيطاليا تلامسه في بعض المواقع حيث يربط بينهما البحر المتوسط. ب- كانت إيطاليا ترى في ولاية طرابلس الغرب أنه المكان الذي يمكن أن تشكل منه في المستقبل رأس حربة لتوسعات إيطاليا في المستقبل .

ج- رأت إيطاليا في ولاية طرابلس المجال الحيوي الهام للهجرة والعمل للإيطاليين، فلقد كانت ولاية طرابلس والشمال الإفريقي في هذا المجال أنسب وأفضل من الشرق الإفريقي .

- د- كان للعامل التاريخي أثره في توجيه النشاط الاستعماري الإيطالي ناحية ولاية طرابلس الغرب - فكما سبق أن أوضحنا - كان الإيطاليون يعتبرون أنفسهم ورثة الإمبراطورية الرومانية، فإتجاه إيطاليا إلى الشمال الأفريقي وطرابلس الغرب بالتحديد، كان في نظرها وضعاً طبيعياً، حيث كانوا يعتبرونها من أهم أجزاء الإمبراطورية الرومانية القديمة. انظر: شوقي عطا الله الجمل: المغرب العربي الكبير، المرجع السابق، ص ٣٧١. عبدالله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي عطا الله الجمل: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص ٢٣٧-٢٣٨.
- ^(٩) سالم عبدالله عمر الزناني: الأطماع الاستعمارية الإيطالية في ولاية طرابلس الغرب وبرقة العثمانية ١٨٨١-١٩١١م، رسالة ماجستير غير منشورة، أجازت بمعهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، سنة ١٩٩٧م، ص ٤٠.
- ومما يجب ملاحظته أن اهتمام الإيطاليين بإقامة مستعمرات، انصب في المقام الأول على تونس أولاً ثم طرابلس الغرب "ليبيا" ثانياً، لاسيما وأن قرب تونس من إيطاليا، قد أدى إلى وجود علاقات اقتصادية وسياسية هامة في العصور القديمة بين هذا الجزء من شمال إفريقيا الذي كان يطلق عليه قرطاجنة وبين إيطاليا، ومنذ ذلك الوقت أخذ كل من شمال أفريقيا وإيطاليا يؤثر في الآخر ويتأثر به. إلا أن تعجيل فرنسا باحتلال تونس عام ١٨٨١م قد جعل إيطاليا تتجه بأنظارها إلى القطر المجاور لتونس في الشمال الإفريقي "ولاية طرابلس الغرب" خاصة وأنها كانت كانت خاضعة للدولة العثمانية، ولم تكن قد خضعت بعد لأية من القوى الاستعمارية الكبرى. ولم يتبق أمام إيطاليا لإحتلالها سوى توفيق أوضاعها مع هذه القوى، لتنفرد بتلك الولاية دون حدوث تصادم مع تلك القوى الاستعمارية الكبرى. للمزيد انظر: رأفت غنيمي الشيخ: العرب في التاريخ المعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٨م، ص ٤٥٣ وما بعدها.
- ^(١٠) عبد المولى صالح الحرير: المرجع السابق ص ١٩.
- ^(١١) سالم عبدالله عمر الزناني: المرجع السابق ص ٤٠. مصطفى حامد رحومة: المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الإيطالي أكتوبر ١٩١١- أكتوبر ١٩١٢م، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، سلسلة الدراسات التاريخية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، سنة ١٩٨٨م. ص ٥٦-٥٧.
- ^(١٢) أحمد صدقي الدجاني: ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي أو "طرابلس الغرب" في أواخر العهد العثماني الثاني (١٨٨١-١٩١١م)، الطبعة الأولى، القاهرة سنة ١٩٧١م، ص ٣٣٨-٣٤٠.
- ^(١٣) جلال يحيى: المغرب الكبير، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، الجزء الثالث، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، بيروت. سنة ١٩٨١م، ص ٧١٥. كانت المنتجات الإيطالية تنقل إلى ولاية طرابلس الغرب على بواخر خطوط الملاحة الإيطالية العامة التي كان يديرها مصرف روما حيث كانت لها خطوط أسبوعية منتظمة بين الموانئ والمراسي الليبية. وكان ميناء جنوة في الجنوب الإيطالي أهم الموانئ الإيطالية وأكثر الموانئ الإيطالية علاقة بطرابلس الغرب، وكانت البضائع الإيطالية التي تصدر إلى ولاية طرابلس الغرب الدقيق والقهوة والتوابل والنيذ والمصنوعات اليدوية والحريز والمنسوجات والخردوات والورق والمكرونة والبطاطا والمواد الغذائية والأسلحة والخشب والرخام والأعشاب الجافة والأثاث والصابون والثياب والزجاج والعطور ومواد طبية وكيمياوية وغيرها.

وكانت إيطاليا تستورد من ولاية طرابلس الغرب الدواجن والجلود غير المصنعة والحديد الخردة وغيرها . وكانت إيطاليا تأتي في الترتيب بعد إنجلترا وفرنسا ومالطة في مجال التصدير حيث كانت تحتل المرتبة الرابعة في التجارة العامة بنحو ٦% من تصديرها بالنسبة للدول الأخرى. والسبب الكامن وراء ذلك يرجع إلى تشابه منتجات ولاية طرابلس الغرب مع منتجات الجنوب الإيطالي، إلا أن حركة التجارة لولاية طرابلس الغرب مع إيطاليا قد نمت نموا ملحوظا بدءا من عام ١٩٠٥م لتحتل إيطاليا المرتبة الثانية بعد إنجلترا للمزيد .انظر: فرانثسكو كورو: ليبيا أثناء العهد العثماني، تعريب وتقديم: خليفة محمد التليسي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٤م ص ٧٣-٨٠، تيسير بن موسى: المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، دراسة تاريخية اجتماعية، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م ص ١٩١.

(٤) يرجع تواجد الجالية الإيطالية في ليبيا إلى فترات تاريخية بعيدة تعود إلى العصور الوسطى، وبالتحديد إلى فترة ما أسماه البعض بعهد التجارة الكبرى بين ولاية طرابلس الغرب والمدن الإيطالية: جنوة والبندقية و نابولي، ومن دون شك فإن هذا التواجد المبكر للجالية الإيطالية، في ولاية طرابلس الغرب، كان من أسبابه القرب الجغرافي بين ولاية طرابلس الغرب وإيطاليا، والدور المهم الذي لعبه البحر المتوسط باعتباره وسيلة وصل بين موانئ البلدين الموجودة على ساحليهما الشمالي والجنوبي. والسبب الآخر يكمن في أهمية العلاقات التي كانت لولاية طرابلس الغرب مع البلدان الإفريقية، وبخاصة في المجال التجاري، ذلك أن موقع ليبيا الجغرافي الممتاز في الشمال الإفريقي، جعل منها بوابة مهمة تطل منها إفريقيا على العالم الأوروبي وبالعكس، مما سهل حركة التبادل التجاري بين القارتين، وتصريف المنتجات الإيطالية إلى ولاية طرابلس الغرب، مما جعل من هذه الولاية منطقة جذب للجالية الإيطالية، كما أن الفقراء والجوعى والعاطلين عن العمل في إيطاليا قمو إلى ولاية طرابلس الغرب وهم يرون فيها مأوى لهم وحلا لمشاكلهم ومعاناتهم. وما أن تمت الوحدة الإيطالية عام ١٨٧١م حتى فتحت إيطاليا قنصلية لها بمدينة طرابلس؛ لتتولى رعاية الشئون الإيطالية، ولحماية مصالح أفراد الجالية الإيطالية. وبحسب تعداد النفوس الذي أجرى في زمن والي العثماني حافظ باشا، (١٨٩٩-١٩٠٣م) كان بطرابلس حوالي ٢٣٥ إيطاليا، منهم ١٢١ من الذكور و ١١٤ من الإناث، وفي مدينة الخمس كان يوجد هناك ٦ من الذكور. أما تعداد عام ١٩٠٤م في عهد ولاية رجب باشا "١٩٠٤-١٩٠٨م" فقد بلغ بحسب تقرير القنصل الإيطالي المسيو ميدانا Medana " ١٩٠٢-١٩٠٧م" حوالي ٦٣٦ نسمة. وقد زاد هذا العدد حتى وصل في عام ١٩١١م في عهد ولاية إبراهيم أدهم باشا "١٩٠٩-١٩١١م" إلى قرابة ٩٣٠ نسمة منهم ٨٠٠ بطرابلس و ١٢ في الخمس و ٦ في مصراتة و ١٢ في برقة أما في بنغازي، فقد كان عددهم ١٠٠ نسمة بينهم نائب القنصل الإيطالي برنابي Bernabi الذي كان يرعى شئون ومصالح إيطاليا ورعاياها بينغازي . وكانت الجالية الإيطالية في ولاية طرابلس الغرب من أكثر الجاليات نشاطا في مزاوله الأنشطة التجارية والاقتصادية بصفة عامة إذ أنها امتلكت العديد من المؤسسات التجارية والاقتصادية، وسيطر أفرادها على الحركة التجارية في البلاد وعلى الأشغال العامة والمهن والحرف المختلفة، وبخاصة في مدينة طرابلس . للمزيد انظر: جلال يحيى: المغرب الكبير، الجزء الثالث، المرجع السابق، ص ٧١٥ وما بعدها، فرانثسكو كورو: المرجع السابق، ص ٢١-٢٢، راقى محمد عبد الكريم عبد القادر: المصالح الأوروبية في ليبيا ١٨٣٥-١٩١١م، رسالة دكتوراة غير منشورة أجازت بقسم

- التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، سنة ٢٠١١م، ص ١٣٦ وما بعدها، عمر محرم أحمد عبد الرحمن: جرازاني ودوره في مد نفوذ إيطاليا الاستعماري في ليبيا والقرن الإفريقي، رسالة دكتوراة غير منشورة، أجيّزت بقسم التاريخ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، سنة ١٩٩٥م، ص ٢٢ وما بعدها.
- ^{١٥} "التغلغل السلمي" مصطلح سياسي دخل القاموس السياسي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وهو اصطلاح قصد به واضعوه من رجالات الاستعمار ذلك المجهود الذي تبذله الدولة الاستعمارية ومواطنوها في القطر المراد استعمارها، عن طريق خلق شبكة من المبادرات والمصالح الاقتصادية التي تساعد على الامتصاص والابتلاع التدريجي الخفي للبلاد المراد استعمارها، والعمل على ضمها دون إطلاق رصاصه واحدة. ويعتبر بعض المؤرخين بأن توماس نيتوني وزير الخارجية الإيطالي (١٩٠٣-١٩٠٩م) هو المهندس الفعلي لهذه السياسة التي كان قد خطط لها منذ عام ١٩٠٥م. بينما يرى البعض أن "فرانشيسكو كرسبي" - تولى رئاسة الوزارة الإيطالية مرتين الأولى ١٨٨٧-١٨٩١ والثانية ١٨٩٣-١٨٩٦- كان قد بدأ فعلا في اختراق سلمي في ولاية طرابلس الغرب منذ عام ١٨٩٠م حيث شهدت فترة وزارته الأولى بداية تنفيذه على شكل اتفاقيات أقامها مع بعض الأعيان والزعماء المحليين بهدف الحصول على نفوذ سياسي في الأوساط الشعبية في ولاية طرابلس الغرب، وفي وزارته الثانية كان قد حرص بالفعل على احتلال ولاية طرابلس الغرب. انظر فرانسيسكو مالجرى: الحرب الليبية ١٩١١-١٩١٢م، تعريب وهبي البوري، الدار العربية للكتاب، تونس، سنة ١٩٧٨م ص ٢٠-٢١، مصطفى حامد رحومة: المرجع السابق، ص ٥٥.
- ^{١٦} أحمد صدقي الدجاني: المرجع السابق، ص ٣٢٧.
- ^{١٧} محمد عبد الكريم الوافي: الطريق إلى لوزان، الخفايا الدبلوماسية والعسكرية للغزو الإيطالي لليبيا، دار الفرجاني للنشر، طرابلس، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٧م، ص ٤٦، عمر محرم أحمد عبد الرحمن: المرجع السابق ص ٢٤.
- ^{١٨} وثائق تاريخ ليبيا الحديث، الوثائق العثمانية، (١٨٨١-١٩١١م) وثيقة رقم (١٢١). وثيقة غير منشورة، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، شعبة الوثائق العثمانية. وكالة لإدارة فرع مصرف روما في طرابلس بتاريخ ١٥ مايو سنة ١٩٠٧م، عبد المولى صالح الحرير: المرجع السابق ص ٣٠.
- ^{١٩} وثائق تاريخ ليبيا الحديث، الوثائق العثمانية، (١٨٨١-١٩١١م). وثائق غير منشورة، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، شعبة الوثائق العثمانية. وكالة لإدارة مؤسسة مصرفية في طرابلس وبنغازي وثيقة رقم (١٢٢) بتاريخ ١ يونيو سنة ١٩٠٧م. كذلك: انظر النص المعرب لقرار مجلس إدارة مصرف روما في: عبد السلام أدهم: وثائق تاريخ ليبيا الحديث، الوثائق العثمانية ١٨٨١-١٩١١م، (بيروت ١٩٧٤م) ص ١٩٠-١٩٥، عبد المولى صالح الحرير: المرجع السابق ص ٣٠، مصطفى حامد رحومة: المرجع السابق، ص ٦٥-٦٦.
- ^{٢٠} شوقي عطا الله الجمل: المغرب العربي الكبير المرجع السابق، ص ٣٦٣. أحمد صدقي الدجاني: المرجع السابق، ص ٣٤٠.
- ^{٢١} محمد عبد الكريم الوافي: المرجع السابق، ص ٤٦.

- ^{٢٢} مصطفى عيسى الصادق: حياة الليبيين تحت الاحتلال الإيطالي، ١٩١١-١٩٤٣م، دراسة في التاريخ الاجتماعي، رسالة ماجستير غير منشورة، أجازت بقسم التاريخ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، بدون تاريخ، ص ٤٥، عبد المولى صالح الحرير: المرجع السابق ص ٣٠.
- ^{٢٣} أنشئت عام ١٩٠٨م وكانت تقع بشارع جامع محمود واتخذت في سنة ١٩٠٩م اسم "المطبعة العالمية لصاحبها أريب" وكانت أول مطبعة تدخل الحروف اللاتينية إلى ولاية طرابلس الغرب، وقد طبعت هذه المطبعة أول جريدة إيطالية بالولاية "جورنالي دي تريبولي" *Giornale Di Tripoli* انظر: فرانشيسكو كورو: المرجع السابق ص ١٢٨.
- ^{٢٤} جلال يحيى: المغرب الكبير، الجزء الثالث، المرجع السابق، ص ٧١٦. مطبعة فنون الطباعة *Tipografia Arti Grafiche* أسست سنة ١٩٠٩م، وكان مقرها قرب ميدان بنك روما "الميدان الواقع حاليا قرب مدرسة عثمان باشا بباب البحر" انظر: فرانشيسكو كورو: المرجع السابق ص ١٢٩.
- ^{٢٥} كانت هذه الجريدة تصدر باللغة الإيطالية، ومديرها البروفيسور زاناسي *Zanassi* وكانت تصدر يومى السبت والأربعاء من كل أسبوع، وقد صدر عددها الأول في ٨ يناير سنة ١٩٠٩م، وتوقفت عن الصدور في سنة ١٩١١م. للمزيد انظر: فرانشيسكو كورو: المرجع السابق ص ١٣٠.
- ^{٢٦} طبع العدد الأول منها في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٠٩م وكانت تصدر يومى السبت والأربعاء، وكانت تطبع في المطبعة العالمية لصاحبها أريب، وتحرر باللغة الإيطالية. تعطلت عن الصدور عدة مرات، وتوقفت نهائيا سنة ١٩١٢م، عقب دخول القوات الإيطالية طرابلس، وكانت جريدة سياسية إخبارية ترعى المصالح الإيطالية في ظل السيادة العثمانية للمزيد انظر: فرانشيسكو كورو: المرجع السابق ص ١٣١.
- ^{٢٧} أرويعى محمد على قناوى: بشير السعداوى ودوره في الحركة الوطنية الليبية ١٨٨٤-١٩٥٢م، رسالة دكتوراة غير منشورة، أجازت بقسم التاريخ، بكلية الآداب، جامعة عين شمس، سنة ٢٠١١م، ص ١٦، رأفت غنيمي الشيخ: تاريخ التعليم في ليبيا، رسالة دكتوراة غير منشورة، أجازت بقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ١٩٧١م، ص ١٣٤. وللمزيد من التفاصيل عن الصحافة بولاية طرابلس الغرب أثناء العهد العثماني انظر: فرانشيسكو كورو: المرجع السابق ص ١٢٧-١٣٢.
- ^{٢٨} رأفت غنيمي الشيخ: تاريخ التعليم في ليبيا، المرجع السابق، ص ١٣٤. عبد المولى صالح الحرير: المرجع السابق ص ٣٠. كذلك انظر :-
- Eugene Stanley: War and Private Investor, (N.Y.1967) P.62.
- ومما هو جدير بالذكر أن العملة الرسمية التي كانت سائدة في تلك الفترة بولاية طرابلس الغرب هي الليرة العثمانية، وكانت وحتها الأساسية تعرف بالقرش الفضى، وتنتج مضاعفاته النقدية وأجزاؤه على النحو التالي: ١- الليرة الذهبية العثمانية قيمتها ١٠٠ قرش ٢- نصف الليرة الذهبية وقيمتها ٥٠ قرشا ٣- المجيدى عملة فضية قيمته الرسمية ٢٠ قرشا ٤- نصف المجيدى ويساوى عشرة قروش ٥- البشليك ويساوى خمسة قروش ٦- المثلث ربع القرش، وبصك من معدن البرنز ٧- نصف القرش وهو من الفضة ٨- البارة تساوى ١/٤٠ من القرش، أى أن كل قرش يساوى ٤٠ بارة، وهي نحاسية، كما كانت هناك عملات غير عثمانية، وهي القرش الطرابلسي وقيمه أعلى من قيمة القرش العثماني ووصل سعره إلى الضعف أى أن قرشين عثمانيين يعادلان قرشا طرابلسيا. للمزيد من التفاصيل عن النقود والعملات المتداولة في ولاية طرابلس الغرب خلال تلك الفترة انظر: تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص ٢٠٢-٢٠٨.

- (^{٢٩}) عمر محرم أحمد عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٢٢.
- (^{٣٠}) راقى محمد عبد الكريم عبد القادر: المرجع السابق، ص ٦٦.
- (^{٣١}) عمر محرم أحمد عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ٢٤-٢٥، فرانسيس ماکولا : حرب إيطاليا من أجل الصحراء، ترجمة عبد المولى صالح الحرير، طرابلس، مركز الجهاد الليبي، سنة ١٩٩١م، ص ٦٠، مفتاح مجيد الشريف عبدالله: السياسة الاقتصادية الإيطالية في ليبيا ١٩١١-١٩٤٣م، رسالة ماجستير غير منشورة، أحيزت بقسم التاريخ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، سنة ٢٠٠٦م، ص ٣٠. أحمد صدقي الدجاني : المرجع السابق، ص ٣٤٠، عبد المولى صالح الحرير : المرجع السابق ص ٣١. كذلك : انظر: Eugene Stanley: op.cit.p. 68.
- (32) عبد المولى صالح الحرير: المرجع السابق ص ٢٩.
- (^{٣٣}) مصطفى عيسى الصادق : المرجع السابق، ص ٤٥، أحمد صدقي الدجاني : المرجع السابق، ص ٣٤٠. عبد المولى صالح الحرير : المرجع السابق ص ٢٩-٣٠.
- (^{٣٤}) عبد المولى صالح الحرير : المرجع السابق ص ٣٢
- (^{٣٥}) أنشئ مكتب البريد الإيطالي بمدينة طرابلس عام ١٨٦١م، كما أسس مكتب للبريد الإيطالي في بنغازي سنة ١٩٠٥م، وكان المكتبان يقعان في النقاط الرئيسية من المدينتين، وكانت الخدمة التي يوفرها المكتبان تلقى إعجابا وإقبالا من الأهالي بالنظر لما تميزت به من دقة في المواعيد، والتزام في العمل. للمزيد انظر : فرانيسكو كورو: المرجع السابق ص ٥٠.
- (^{٣٦}) وليم أسكيو: أوروبا والغزو الإيطالي لليبيا ١٩١١-١٩١٢م، تعريب ميلاد المقرحي، مراجعة عقيل البريار، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، سلسلة الدراسات المترجمة - ١٤ - طرابلس سنة ١٩٨٨م. ص ٤١.
- (^{٣٧}) محمد عبد الكريم الوافي : المرجع السابق، ص ٤٦.
- (^{٣٨}) محمود العرفاوي: مخاض الأمبريالية والفاشية الإيطاليتين "عسر ولادتها ودفنها في ليبيا" الجزء الأول، تعريب عمر الطاهر، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، سنة ١٩٩١م، ص ٣٩٨-٣٩٩، فرانسيسكو مالحيري : المرجع السابق، ص ١٩.
- (^{٣٩}) صلاح الدين السورى: ليبيا والغزو الثقافى الإيطالي، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، سنة ١٩٨٨م، ص ١٣٦.
- (^{٤٠}) تقرير للفتنسية البريطانية بولاية طرابلس الغرب عن حالة الجفاف وتدهور الأوضاع الاقتصادية بصفة عامة بولاية طرابلس الغرب عام ١٩٠٧م نقلا عن مفتاح مجيد الشريف عبدالله: المرجع السابق، ص ٣٠، عقيل محمد البريار: دراسات في تاريخ ليبيا الحديث، طرابلس، سنة ١٩٩٦م، ص ١٠٥.
- (^{٤١}) كارلو فوتي بورشيناى: (مذكرات) العلاقات العربية - الإيطالية من ١٩٠٢ - ١٩٣٠م، تعريب عمر البارونى، مراجعة عبد الرحمن المحيسنى، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سنة ١٩٨٠م، ص ١٦٠.

- (٤٢) محمد مصطفى الشركسي: لمحات عن الأوضاع الاقتصادية في ليبيا أثناء العهد الإيطالي ، طرابلس، سنة ١٩٧٦م ، ص ١٤ .
- (٤٣) مفتاح مجيد الشريف عبدالله: المرجع السابق ص ٢٩-٣٠ .
- (٤٤) مصطفى عيسى الصادق: المرجع السابق، ص ٤٨-٤٩ .
- (٤٥) محمد عبد الكريم الوافي: المرجع السابق، ص ٤٧ .
- (٤٦) نيكولاى ليتس بروشين: تاريخ ليبيا في نهاية القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٦٩م تعريب عماد حاتم، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، سنة ١٩٨٨م ، ص ٣٨٨ .
- (٤٧) مصطفى عيسى الصادق: المرجع السابق، ص ٤٩ .
- (٤٨) كان هذا المطحن من أكبر المشروعات التي أنشأها مصرف روما في ولاية طرابلس الغرب وقدرت تكاليف إنشائه بنحو ٢ مليون ليرة إيطالية ، وكان يطحن من ٥ إلى ٦ أكياس طن من القمح يوميا . للمزيد انظر : وليم أسكيو : المرجع السابق ، ص ٤١ .
- (٤٩) مصطفى عيسى الصادق : المرجع السابق، ص ٤٩-٥٠ .
- (٥٠) فرانسيسكو مالجيري : المرجع السابق ، ص ٢٦ ،، كذلك : عبد المنصف حافظ البوري: الغزو الإيطالي لليبيا، دراسة في العلاقات الدولية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، أجازت بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، قسم العلوم السياسية، جامعة القاهرة، سنة ١٩٧١م ، ص ٢٢٣ .
- مما يجدر نكوه أن مهمة هذه البعثة كانت في الظاهر التفتيش عن معدن الفوسفات وإجراء حفريات أثرية ، لكنها في حقيقة الأمر كانت مهمتها الحقيقية مهمة تجسسية حيث اشغلت تلك البعثة أيضا - إلى جانب أعمالها الظاهرية - بوضع المصورات والخرائط الجغرافية التي كانت لازمة للعمليات العسكرية المزمع القيام بها من قبل الحكومة الإيطالية . توغلت البعثة في داخل البلاد فوصلت إلى الخمس ولقت وجودها أنظار القادة الوطنيين ومتصرف المدينة الدكتور رشيد بك ، فهؤلاء قد فطنوا إلى أغراضها الحقيقية ، وفي خداعهم وحدثت مواجهة صريحة بين الزعماء الوطنيين وبين أفراد تلك البعثة وعلى رأسهم سفورزا Sforza . وبرز في تلك الأثناء الزعيم الوطنى بشير السعداوى الذى أجرى مقابلة مع سفورزا ونبهه إلى أن أهل البلاد يعرفون البواعث الحقيقية الكامنة وراء نشاط تلك البعثة ، حتى تم أسرهم من طرف قوات المجاهدين الليبيين وبقوا في الأسر حتى أطلق سراحهم في نوفمبر سنة ١٩١٢م بعد توقيع معاهدة "أوشى لوزان " بين الدولة العثمانية وإيطاليا. للمزيد انظر: زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ، ص ٤١٩ ومابعداها. وللمزيد من التفاصيل عن معاهدة "أوشى لوزان " الموقعة بين الدولة العثمانية وإيطاليا وأهم بنود تلك المعاهدة انظر : وليام بيهلر: تاريخ الحرب التركية - الإيطالية ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١م - ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٢م ترجمة عبد القادر مصطفى - عبد المولى صالح الحرير - مراجعة محمد الطاهر الجرارى ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية - سلسلة الدراسات المترجمة - ٢٦- الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ، سنة ١٩٩٠م . ص ٩٣-١٠٧ . محمد عبد الكريم الوافي: المرجع السابق ، ص ٢٠٧-٢١٣. محمد على التركى : حركة الجهاد العربى الليبى فى الفترة من بداية سنة ١٩٢٤م إلى مارس سنة ١٩٢٧م ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، سلسلة الدراسات التاريخية - ٣٧ - ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، سنة ٢٠٠٠م ص ١٧-١٨ .

- ^{٥١} أنريكو أنسباتو كان يعمل في المخابرات الإيطالية ، وكان بحكم عمله لديه اهتمامات واضحة بالشأن الليبي للمزيد : انظر : الهاشمي محمد بالخير الهاني : الغزو الإيطالي وبداية حركة المقاومة المسلحة، منشورات جامعة الفاتح ، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الاحتلال الإيطالي، موسوعة الجهاد الليبي، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، سنة ١٩٨٥ م ، ص ٢٦ .
- ^{٥٢} أنريكو أنسباتو: العلاقات العربية- الإيطالية، تعريب عمر الباروني، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ١٦٣ .
- ^{٥٣} فرانسيس ماکولا: الغزاة ، تعريب عبد الحميد شقوف ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس، طبعة أولى ، سنة ١٩٧٩ م ، ص ٤٠-٤١ .
- ^{٥٤} أنريكو أنسباتو : المرجع السابق ، ص ١٦٣ .
- ^{٥٥} نيكولاى اليتش بروشين : المرجع السابق ، ص ٩٦ .
- ^{٥٦} أحمد صدقي الدجاني : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ .
- ^{٥٧} عبد المولى صالح الحرير : المرجع السابق ، ص ٣١ .
- ^{٥٨} جبرى لين فاوئر : الإستيطان الزراعى الإيطالى فى ليبيا ، منطقة طرابلس، تعريب عبد القادر مصطفى عبد القادر المحيشى، مراجعة عبدالله إبراهيم على، طرابلس ، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى ، سلسلة الدراسات المترجمة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٨ م ، ص ٤٨ .
- ^{٥٩} جلال يحيى: المغرب الكبير، الجزء الثالث ، المرجع السابق ، ص ٧١٦ .
- ^{٦٠} نيكولاى اليتش بروشين : المرجع السابق ، ص ٣٨٦ .
- ^{٦١} أنريكو أنسباتو : المرجع السابق ، ص ١٦١ .
- ^{٦٢} مصطفى حامد رحومة : المرجع السابق ، ص ٦٦ .
- ^{٦٣} جلال يحيى: المغرب الكبير، الجزء الثالث، المرجع السابق، ص ٧١٥، عقيل محمد البريل: المرجع السابق، ص ١٠٨ .
- ^{٦٤} محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق، ص ٤٦ .
- ^{٦٥} شوقى عطالله الجمل: المغرب العربى الكبير، المرجع السابق ص ٣٦٤، محمد مصطفى الشركسى: المرجع السابق ص ٩٠، عمر محرم أحمد عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ٢٦، كذلك: أرويعى محمد على قناوى : المرجع السابق ، ص ١٦ .
- ^{٦٦} محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق ص ٤٧ .
- ^{٦٧} مصطفى حامد رحومة : المرجع السابق ، ص ٦٨-٦٩ .
- ^{٦٨} شوقى عطالله الجمل : المغرب العربى الكبير ، المرجع السابق ، ص ٣٦٤ .
- ^{٦٩} محمد مصطفى الشركسى : المرجع السابق ، ص ٨٧-٩٣ .
- ^{٧٠} مصطفى حامد رحومة : المرجع السابق ، ص ٦٦-٦٧ .
- ^{٧١} مفتاح مجيد الشريف عبد الله : المرجع السابق ص ٣٢، كارلوفوتى بورشيانى: المرجع السابق، ص ١٦٤ .
- ^{٧٢} عين رجب باشا واليا على ولاية طرابلس الغرب، فى الفترة من سنة ١٩٠٤-١٩٠٨ م، وكان برتبة مشير، ويعتبر من أشد الولاة العثمانيين معارضة للمشاريع الإيطالية فى ليبيا. انظر: أنتونى جوزيه

- كاكيا: ليبيا خلال العهد العثماني الثاني ، دار الفرجاني، طرابلس، سنة ١٩٧٥م. ص ١٧٨.
- مصطفى حامد رحومة : المرجع السابق ، ص ٦٤.
- ^(٧٣) عين إبراهيم أدهم باشا واليا على ليبيا في الفترة من عام ١٩٠٩ م إلى عام ١٩١١ م . وكان يعتبر نفسه زعيما في نفس الوقت الذي كان فيه واليا وقائدا للحامية العثمانية في ولاية طرابلس الغرب، فكان يعقد المؤتمرات ويخاطب الأهالي ويناقشهم في الأمور الوطنية، ويحذرهم من بيع أراضيهم لبنك روما . وكان يخاطب عواطف الأهالي، وخاصة من الناحية الإسلامية. وأدى كل ذلك إلى أن يلتف الأهالي حوله وحول حكومته، ويقبلون على الإنتظام في سلك الجندية. للمزيد من التفاصيل عن أهم أعمال إبراهيم أدهم باشا في فترة ولايته القصيرة على ولاية طرابلس الغرب. انظر: جلال يحيى: المغرب الكبير، الجزء الثالث، المرجع السابق ، ص ٧٢٩-٧٣١.
- ^(٧٤) شوقي عطا الله الجمل : المغرب العربي الكبير ، المرجع السابق، ص ٣٦٣
- ^(٧٥) راقى محمد عبد الكريم عبد القادر: المرجع السابق ، ص ٧٢.
- ^(٧٦) الطاهر أحمد الزاوي: جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، بيروت، لبنان، دار الفتح للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٧٣م ، ص ٣٢.
- ^(٧٧) محمد مصطفى الشركسي: المرجع السابق ، ص ١٧. أحمد صدقي الدجاني: المرجع السابق ، ص ٤٣٨ - ٤٤٠.
- ^(٧٨) الطاهر أحمد الزاوي : المرجع السابق ، ص ٣١.
- ^(٧٩) عزيز سامح : الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ، الطبعة الأولى، تعريب عبد السلام أدهم ، دار لبنان للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٦٩م. ص ٢٢١. نتيجة لموقف حقي باشا المتهاون مع نشاطات مصرف روما في ولاية طرابلس وإظهار نواياه الطيبة تجاه أنشطة هذا المصرف ؛ توسطت الحكومة الإيطالية لدى الباب العالي لتلعب دورا كبيرا في اختيار حقي باشا صدرا أعظم " رئيس وزراء " (١٩٠٩-١٩١١م) وهذا المنصب كان من أعلى المناصب في الدولة العثمانية ، حيث إنه يلي السلطان العثماني في الأهمية والمكانة ، وكان بمثابة الحاكم الفعلي للدولة العثمانية ، خاصة في فترات ضعف سلاطين آل عثمان . عبد المنصف حافظ البوري : المرجع السابق ، ص ٢٢١، الطاهر أحمد الزاوي : المرجع السابق ، ص ٤٣-٤٤.
- ^(٨٠) مفتاح مجيد الشريف عبدالله : المرجع السابق، ص ٣٢، عقيل محمد البريار: المرجع السابق، ص ١٠٨.
- ^(٨١) كارلو فوتي بورشيناوي: المرجع السابق ، ص ١٦٤ - ١٦٥ . صدرت الأوامر والقوانين الخاصة بوضع حد لبيع الأراضي في عام ١٨٨٣م وجددت في عام ١٩٠١ م .
- ^(٨٢) وثائق تاريخ ليبيا الحديث: الوثائق العثمانية ١٨٨١-١٩١١م وثيقة رقم (١١٩) وثيقة غير منشورة، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، شعبة الوثائق العثمانية، رسالة من الوالي العثماني إلى الديوان الملكي العثماني بتاريخ ١٤ فبراير سنة ١٩٠٥م بخصوص تأسيس وفتح فرع للأملاك السلطانية.
- ^(٨٣) قامت هذه الثورة في نهاية ١٩٠٨م ، وتزعمتها جماعة الاتحاد والترقي في إستنبول ضد السياسة الإستبدادية للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني " ١٨٧٦-١٩٠٩م "، حيث طالبت هذه الجماعة عبد

الحميد الثاني بإعادة العمل بدستور سنة ١٨٧٦م، الذي وضعه مدحت باشا، واتباع النظم الديمقراطية في الحكم، فلما رفض عبد الحميد الثاني؛ اندلعت تلك الثورة، حيث نجحت في خلع السلطان عبد الحميد عن العرش، ليتولى بدلا منه السلطان محمد الخامس في إبريل سنة ١٩٠٩م، ويتولية الأخير يبدأ عصر جديد للدولة العثمانية، هو عصر الاتحاد والترقي. أحمد زكريا الشلق: فصول من تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، مطبعة علاء الدين، سنة ٢٠٠٧م، ص ٨٢.

^(٨٤) على مصطفى المصراي: صحافة ليبيا في نصف قرن، طرابلس، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سنة ٢٠٠٠. ص ١٠٩-١١٣، مصطفى حامد رحومة: المرجع السابق، ص ٧١.

^(٨٥) عقيل محمد البربار: المرجع السابق، ص ١٠٦، جيوليتي: مذكرات جيوليتي، الأسرار السياسية والعسكرية، لحرب ليبيا ١٩١١-١٩١٢م، تعريب خليفة محمد، مصراتة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، والإعلان، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٦م، ص ٤٩.

^(٨٦) بولو مالتيزي: ليبيا أرض الميعاد، تعريب عبد الرحمن سالم العجيلي، الطبعة الثانية، طرابلس، مركز جهاد الليبيين عام ١٩٩٢ م، ص ١١٢، عقيل محمد البربار: المرجع السابق، ص ١١٠.

^(٨٧) فرانسيس ماكولا: المرجع السابق، ص ٦٤.

^(٨٨) جيوليتي: المرجع السابق، ص ٥٦، مفتاح مجيد الشريف عبدالله: المرجع السابق، ص ٣٣-٣٤.

^(٨٩) السلطان محمد الخامس " ٢ نوفمبر ١٨٤٤ - ٣ يوليو ١٩١٨م " هو السلطان الخامس والثلاثون للدولة العثمانية ابن عبد المجيد الأول تولى الحكم في ٢٧ إبريل سنة ١٩٠٩م بعد أخيه السلطان عبد الحميد الثاني " ١٨٧٦-١٩٠٩م ". وكان عمره ٦٥ عاما عند توليه عرش السلطنة العثمانية، وهو شقيق كل من السلطان مراد الخامس وعبد الحميد الثاني ومحمد السادس وعمره السلطان عبد العزيز الأول وابن عمه السلطان عبد المجيد الثاني، وظل في الحكم حتى وفاته في ٣ يولية سنة ١٩١٨م وعمره ٧٤ عاما، وخلفه السلطان محمد السادس " ٤ يولية ١٩١٨م حتى ١ نوفمبر سنة ١٩٢٢م " ولقد لقب السلطان محمد الخامس بالسلطان محمد رشاد أي "مرشد الإسلام ". انظر: ويكيبيديا السلطان العثماني "محمد الخامس " :-

Ar. Wikipedia. Org/wik.

^(٩٠) مصطفى حامد رحومة: المرجع السابق، ص ٧١ وما بعدها.

^(٩١) إلى جانب سياسة التغلغل الاقتصادي التي اتبعتها إيطاليا في ولاية طرابلس الغرب، فإنها قد عقدت عدة اتفاقيات مع القوى الأوروبية الكبرى وذلك لسيطرتها على ولاية طرابلس الغرب، وحتى لاتصطم بأطماع هذه الدول، حيث عقدت إيطاليا سلسلة من الاتفاقيات السرية مع الدول الإستعمارية الكبرى من أجل هذا الغرض. كان أولها الاتفاقية السرية بين إيطاليا وبريطانيا عام ١٨٨٧م وفيها أيدت إيطاليا النفوذ البريطاني في مصر في مقابل دعم بريطانيا للنفوذ الإيطالي في ولاية طرابلس الغرب. كذلك عقدت إيطاليا اتفاقية سرية أخرى مع فرنسا في أواخر عام ١٩٠٠م حيث اعترفت فيها إيطاليا بالنفوذ الفرنسي في مراكش في مقابل اعتراف فرنسا بالنفوذ الإيطالي في طرابلس وبنى غازي. وفي عام ١٩٠١م عقدت اتفاقية أخرى بين الدولتين (إيطاليا - فرنسا) نصت على أن الحقوق التي اعترفت بها فرنسا بالنفوذ الإيطالي في طرابلس وبنى غازي تضاف إليها فزان. وفي عام ١٩٠٢م

شرعت إيطاليا في تجديد الاتفاقية الإيطالية - البريطانية المعقودة في عام ١٨٨٧م لمواصلة التوسع في أفريقيا ، فقد استغلت إيطاليا حاجة بريطانيا لصادقتها ومساندتها في مصالحها الاستعمارية في مصر وشرق أفريقيا ، حيث تم الاتفاق على الاحتفاظ بالأمر الواقع في بلدان البحر الأبيض المتوسط ، وإذا ماحدث مايبغير هذا الواقع؛ فإن بريطانيا ستحتفظ بحق إيطاليا في ولاية طرابلس الغرب ، على أن تساند إيطاليا بريطانيا في مقابل ذلك في قضية احتلالها لمصر ، وعلى ذلك استطاعت إيطاليا كسب حياء بريطانيا نحو أطماعها فولاية طرابلس الغرب ، على أن تساند إيطاليا بريطانيا في قضايا أخرى خاصة قضية احتلال بريطانيا لمصر . وفي عام ١٩٠٩م عقدت إيطاليا مع روسيا اتفاقاً سرياً تعهدت فيه الأخيرة بالنظر بعين العطف إلى مصالح إيطاليا في ولاية طرابلس الغرب ، في مقابل أن تنتظر إيطاليا بعين العطف إلى مصالح روسيا في المضائق التركية ، أي أن إيطاليا حصلت على الاعتراف بأطماعها في طرابلس الغرب من بريطانيا مقابل مصر ، ومن فرنسا مقابل مرلكش ومن روسيا مقابل المضائق التركية.

وتأسيساً على ما تقدم يتضح لنا مما سبق أن إيطاليا قد مهدت بالفعل الطري إلى إحتلال ولاية طرابلس الغرب . ولم يكن أمامها إلا أن تختار الوقت المناسب لتوجيه ضربتها إلى تلك الولاية . وفي أوائل عام ١٩١١م، رأت إيطاليا أن الوقت قد حان للاستيلاء على ولاية طرابلس الغرب، لأن فرنسا قد انتهت من مساوماتها ومفاوضاتها مع ألمانيا بشأن مرلكش ، وباشرت احتلال المدن في مرلكش، كما أن أسبانيا شرعت في احتلال منطقة الريف في مرلكش أيضاً ، فأصبح من حق إيطاليا احتلالولاية طرابلس الغرب بحكم اتفاقياتها الإستعمارية السابقة. للمزيد عن الاتفاقيات السرية التي عقدتها إيطاليا مع القوى الاستعمارية الكبرى، والتي مهدت للغزو الإيطالي لليبيا انظر: عبد المنصف حافظ البوري : المرجع السابق، ص ١٦٣-٢٠٠ ، شوقي عطالله الجمل: المغرب العربي الكبير، المرجع السابق، ص ٣٦٢-٣٦٣، مصطفى حامد رحومة : المرجع السابق ص ٥٩-٦١، عبد المولى صالح الحرير : المرجع السابق ص ٢٣-٢٨.

(٩٢) جلال يحيى: المغرب الكبير ، الجزء الثالث، المرجع السابق ، ص ٧٣١.

زاهية قدورة: المرجع السابق، ص (٤٢١) .^{٩٧}

(٩٤) مصطفى عيسى الصادق : المرجع السابق ، ص ٥٢.

(٩٥) الطاهر أحمد الزاوي : المرجع السابق ، ص ٣٤.

(٩٦) نيكولاى ليتش بروشين : المرجع السابق ، ص ٣٨٩.

(٩٧) مصطفى حامد رحومة : المرجع السابق ، ص ٧٠-٧١.

(٩٨) الطاهر أحمد الزاوي : المرجع السابق ، ص ١٤.

(٩٩) مصطفى حامد رحومة : المرجع السابق ، ص ٧٠-٧١.

(١٠٠) زينانيد يافوتتا ياخموفتش: الحرب التركية - الإيطالية ، تعريب هاشم صالح التكريتي، بيروت، سنة ١٩٧٠ م، ص ٢٢٥.

101) Barclay, T.: The TORki-Italian War, (London1912) P.P.58- 60.

(١٠٢) جيوليتي : مذكرات جيوليتي ، المرجع السابق، ص ٥٤.

- (^{١٠٣}) عبد المنصف حافظ البورى : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ . Barclay, T.: OP.CIT. P.62 .وللمزيد من التفاصيل عن التنافس الاقتصادي الألماني -الإيطالي في ولاية طرابلس الغرب انظر : Smith, D.M.: Storia d, Italia del 1861 at 1969 Vol 2, (Roma 1972) p.p.423- 438.
- (^{١٠٤}) عبد المنصف حافظ البورى : المرجع السابق ، ص ٢٢٦-٢٢٧.
- (^{١٠٥}) نقلا عن وليم أسكيو : المرجع السابق ص ٥١ ، جيوليتي : منكرات جيوليتي ، المرجع السابق، ص ٢٠٥-٢٠٦ . وفقا لرواية أحد الدبلوماسيين الروس في الفاتيكان " بأن الرأي العام الإيطالي قد حمل مصرف روما مسئولية الحرب الإيطالية - العثمانية" . انظر وليم أسكيو : المرجع السابق ص ٤٨.
- (^{١٠٦}) فرانسيسكو مالجيري: المرجع السابق ، ص ٤٧ وما بعدها، وليم أسكيو : المرجع السابق ص ٤٧-٤٨.
- (^{١٠٧}) عبد المولى صالح الحرير : المرجع السابق ، ص ٣٢.
- (^{١٠٨}) نقلا عن عقيل محمد البربار : المرجع السابق ، ص ١١٢.
- (^{١٠٩}) عقد القوميون مؤتمرا في فلورنسا Florence في سنة ١٩١٠م، وترأس المؤتمر سكيبيو سيفلي، Scipio Slghele، وقد عارض المؤتمرين سياسة السلام التي كانت تنتهجها الحكومة الإيطالية، وتلى هذا المؤتمر عدة لقاءات في مدن إيطالية مختلفة. مفتاح مجيد الشريف عبدالله : المرجع السابق ص ٣٤.
- (^{١١٠}) أنريكو كورديني، أحد كبار محرري صحيفة الفكرة الوطنية Idia Nazionale ورئيس الرابطة القومية التي تحولت إلى الحزب القومي عام ١٩١٠م ، كان من المؤيدين بشدة لفكرة الغزو الإيطالي لولاية طرابلس الغرب. انظر : عبد المنصف حافظ البورى : المرجع السابق ص ١٠٨.
- (^{١١١}) الهاشمي محمد بالخيرالهاني : المرجع السابق ، ص ١٩-٢٣.
- (^{١١٢}) جيوليتي : المرجع السابق، ص ٦٣.
- (^{١١٣}) نقلا عن باولو مالنيزي : المرجع السابق، ص ١١٢

ثبت بالمصادر والمراجع

أولا : الوثائق العربية غير المنشورة : -

- وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، شعبة الوثائق :-
- ١- وثائق تاريخ ليبيا الحديث : الوثائق العثمانية (١٨٨١-١٩١١م) وثيقة رقم (١١٩) . وثيقة غير منشورة، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، شعبة الوثائق العثمانية. رسالة من والي العثماني إلى الديوان الملكي العثماني بتاريخ ١٤ كانون الثاني سنة ١٩٠٥م، بخصوص تأسيس وفتح فرع للأملاك السلطانية .
- ٢- وثائق تاريخ ليبيا الحديث، الوثائق العثمانية، (١٨٨١- ١٩١١م) وثيقة رقم (١٢١). وثيقة غير منشورة، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، شعبة الوثائق العثمانية. وكالة لإدارة فرع مصرف روما في طرابلس بتاريخ ١٥ مايو سنة ١٩٠٧ م .

- ٣- وثائق تاريخ ليبيا الحديث ، الوثائق العثمانية، (١٨٨١-١٩١١م) . وثائق غير منشورة ، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، شعبة الوثائق العثمانية . وكالة لإدارة مؤسسة مصرفية فى طرابلس وبنغازى وثيقة رقم (١٢٢) بتاريخ ١ يونيو سنة ١٩٠٧ م .
- ثانيا: المراجع العربية والعربية :**
- ١- أحمد زكريا الشلق: فصول من تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، مطبعة علاء الدين، سنة ٢٠٠٧م .
- ٢- أحمد صدقى الدجاني : ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالى أو " طرابلس الغرب " فى أواخر العهد العثمانى الثانى (١٨٨١-١٩١١م) ، الطبعة الأولى ، القاهرة سنة ١٩٧١م .
- ٣- الطاهر أحمد الزاوى : جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، الطبعة الثالثة، بيروت ، لبنان، دار الفتح للطباعة والنشر، سنة ١٩٧٣م .
- ٤- الهاشمى محمد بالخير الهانى: الغزو الإيطالى وبداية حركة المقاومة المسلحة، منشورات جامعة الفاتح ، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الاحتلال الإيطالى، موسوعة الجهاد الليبى ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ، سنة ١٩٨٥م .
- ٥- أنتونى جوزيه كاكيا : ليبيا خلال العهد العثمانى الثانى ، دار الفرجاني، طرابلس ، سنة ١٩٧٥م .
- ٦- أنريكو أنسباتو: العلاقات العربية- الإيطالية ، تعريب عمر البارونى ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى، طرابلس ، سنة ١٩٨٠م .
- ٧- باولو مالتيزى: ليبيا أرض الميعاد، تعريب عبد الرحمن سالم العجيلى ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى طرابلس، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٢م .
- ٨- تيسير بن موسى: المجتمع العربى الليبى فى العهد العثمانى، دراسة تاريخية اجتماعية ، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م .
- ٩- جلال يحيى : المغرب الكبير ، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، الجزء الثالث، دار النهضة العربية ، للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٨١م .
- ١٠- جبرى لين فاوهر : الإستيطان الزراعى الإيطالى فى ليبيا، منطقة طرابلس، تعريب عبد القادر مصطفى عبد القادر المحبشى ، مراجعة عبدالله إبراهيم على ، طرابلس ، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى، سلسلة الدراسات المترجمة، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٨م .
- ١١- جيوليتى: مذكرات جيوليتى، الأسرار السياسية والعسكرية لحرب ليبيا ١٩١١-١٩١٢م، تعريب خليفة محمد، مصراته، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، والإعلان، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٦م .
- ١٢- رأفت غنيمى الشيخ : العرب فى التاريخ المعاصر ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٨م .
- ١٣- زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، بدون تاريخ .
- ١٤- زينانيد يافوتتا ياحموفتش: الحرب التركية- الإيطالية، تعريب هاشم صالح النكريتى، بيروت، سنة ١٩٧٠م .
- ١٥- شوقى عطاء الله الجمل: تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، الناشر مكتبة الأنجلوالمصرية، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٠م .

- ١٦- شوقي عطاء الله الجمل: المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب الأقصى "مراكش") ، المكتب المصري للتوزيع والمطبوعات، ١٨ ش محطة الزيتون ، حدائق الزيتون . الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٧م.
- ١٧- صلاح أحمد هريدي على : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، الناشر دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ،سنة ١٩٩٩-٢٠٠٠ م .
- ١٨- صلاح الدين السورى : ليبيا والغزو الثقافى الإيطالى، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى، طرابلس، سنة ١٩٨٨ م .
- ١٩- عبد السلام أدهم: وثائق تاريخ ليبيا الحديث، الوثائق العثمانية (١٨٨١-١٩١١م)، بيروت، سنة ١٩٧٤ م .
- ٢٠- عبدالله عبد الرزاق ابراهيم ، شوقي عطاء الله الجمل : تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٧م.
- ٢١- عبد العزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، الجزء الأول ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٠ م .
- ٢٢- عبد العزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، الجزء الثانى. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٠ م .
- ٢٣- عبد المولى صالح الحرير : التمهيد للغزو الإيطالى وموقف الليبيين منه ، بحوث ودراسات فى التاريخ الليبى ١٩١١-١٩٤٣م، مجموعة من الأساتذة والباحثين : الجزء الثانى ، إشراف د. صلاح الدين حسن السورى ، ود. حبيب وداعة الحسناوى، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى ، سلسلة الدراسات التاريخية ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، سنة ١٩٨٤ م .
- ٢٤- عزيز سامح: الأتراك العثمانيون فى أفريقيا الشمالية، الطبعة الأولى، تعريب عبد السلام أدهم ، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت ، سنة ١٩٦٩م.
- ٢٥- عقيل محمد البريار : دراسات فى تاريخ ليبيا الحديث، طرابلس، سنة ١٩٩٦ م .
- ٢٦- على مصطفى المصراتى: صحافة ليبيا فى نصف قرن، طرابلس، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سنة ٢٠٠٠.
- ٢٧- فرانسيسكو مالجيرى : الحرب الليبية ١٩١١-١٩١٢م "، تعريب وهبى البورى " الدار العربية للكتاب ، تونس ، سنة ١٩٧٨ م .
- ٢٨- فرانسيس ماکولا : الغزاة ، تعريب عبد الحميد شقوف " الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٩ م .
- ٢٩- فرانسيس ماکولا: حرب إيطاليا من أجل الصحراء، تعريب عبد المولى صالح الحرير، طرابلس، مركز الجهاد الليبى ، سنة ١٩٩١ م .
- ٣٠- فرانشيسكو كورو: ليبيا أثناء العهد العثمانى تعريب وتقديم : خليفة محمد التليسى ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٤ م .
- ٣١- كارلو فوتى بورشيناى:(منكرات) العلاقات العربية -الإيطالية من سنة ١٩٠٢ إلى ١٩٣٠م ، تعريب عمر البارونى ، مراجعة عبد الرحمن المحيسنى ، طرابلس مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، سنة ١٩٨٠ م .

- ٣٢- محمد عبد الكريم الوافى: الطريق إلى لوزان ، الخفايا الدبلوماسية والعسكرية للغزو الإيطالى لليبييا، دار الفرجانى للنشر ، طرابلس ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٧م .
- ٣٣- محمد على التركى : حركة الجهاد العربى الليبى فى الفترة من بداية سنة ١٩٢٤م إلى مارس سنة ١٩٢٧م، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات التاريخية رقم(٣٧)، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، سنة ٢٠٠٠م.
- ٣٤- محمد مصطفى الشركسى: لمحات عن الأوضاع الاقتصادية فى ليبيا أثناء العهد الإيطالى، طرابلس، سنة ١٩٧٦م .
- ٣٥- محمود العرفاوى: مخاض الأمبريالية والفاشية الإيطاليتين " عسر ولانتها ودفنها فى ليبيا" الجزء الأول، ترجمة عمر الطاهر، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ليبيا، سنة ١٩٩١م .
- ٣٦- مصطفى حامد رحومة: المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الإيطالى (أكتوبر ١٩١١- أكتوبر ١٩١٢م)، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى، طرابلس، سلسلة الدراسات التاريخية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، سنة ١٩٨٨م .
- ٣٧- نيكولاى اليتش بروشين: تاريخ ليبيا فى نهاية القرن التاسع عشر، حتى سنة ١٩٦٩م، تعريب عماد غانم، مراجعة ميلاد المقرحى، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سنة ١٩٩٨م .
- ٣٨- وليام بيهلر: تاريخ الحرب التركية - الإيطالية ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١م - ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٢م ، تعريب عبد القادر مصطفى، عبد المولى صالح الحرير ، مراجعة محمد الطاهر الجرارى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية - سلسلة الدراسات المترجمة - ٢٦- الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، سنة ١٩٩٠م .
- ٣٩- وليم أسكيو: أوروبا والغزو الإيطالى لليبييا ١٩١١-١٩١٢م، تعريب ميلاد المقرحى ، مراجعة عقيل البربار، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى، سلسلة الدراسات المترجمة - ١٤- ، طرابلس ، سنة ١٩٨٨م .

ثالثا: الرسائل الجامعية :

- ١- أبوبكر سالم المهدي الشيبانى : أثر جهاد الليبيين فى تطور العلاقات العربية -التركية ١٩١١- ١٩١٢م رسالة ماجستير غير منشورة، أجازت بقسم التاريخ،كلية الآداب ،جامعة سبها ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ، سنة ٢٠٠٨م .
- ٢- أرويعى محمد على قناوى : بشير السعداوى ودوره فى الحركة الوطنية الليبية ١٨٨٤-١٩٥٢م ، رسالة دكتوراة غير منشورة، أجازت بقسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، سنة ٢٠١١م .
- ٣- سالم عبدالله عمر الزناني : الأطماع الاستعمارية الإيطالية فى ولاية طرابلس الغرب وبرقة العثمانية ١٨٨١- ١٩١١م، رسالة ماجستير غير منشورة ،أجازت بمعهد البحوث والدراسات العربية ، سنة ١٩٩٧م .
- ٤- رأفت غنيمى الشيخ: تاريخ التعليم فى ليبيا، رسالة دكتوراة غير منشورة، أجازت بقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، سنة ١٩٧١م .
- ٥ - راقى محمد عبد الكريم عبد القادر: المصالح الأوروبية فى ليبيا ١٨٣٥- ١٩١١م رسالة دكتوراة غير منشورة، أجازت بقسم التاريخ ،كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، سنة ٢٠١١م .

- ٦- عبد المنصف حافظ البورى: الغزو الإيطالى لليبيا، دراسة فى العلاقات الدولية، رسالة ماجستير غير منشورة، أجيّزت بقسم العلوم السياسية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، سنة ١٩٧١ م .
- ٧- عمر عبد العزيز محمد عثمان : علاقات ليبيا بالدول الأوروبية فى عهد الأسرة القرومانلية " ١٧١١-١٨٣٥ " رسالة دكتوراة غير منشورة، أجيّزت بقسم التاريخ ،كلية الآداب، جامعة القاهرة ، سنة ١٩٧٧ م .
- ^٨ - عمر محرم أحمد عبد الرحمن : جرازيانى ودوره فى مد نفوذ إيطاليا الاستعماري فى ليبيا والقرن الأفريقى ، رسالة دكتوراة غير منشورة ،أجيّزت بقسم التاريخ ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة ، سنة ١٩٩٥ م .
- ٩- مصطفى عيسى الصادق : حياة الليبيين تحت الاحتلال الإيطالى ١٩١١- ١٩٤٣ م ، دراسة فى التاريخ الاجتماعى ، رسالة ماجستير غير منشورة، أجيّزت بقسم التاريخ ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة بدون تاريخ.
- ١٠- مفتاح مجيد الشريف عبدالله : السياسة الاقتصادية الإيطالية فى ليبيا ١٩١١-١٩٤٣ م رسالة ماجستير غير منشورة، أجيّزت بقسم التاريخ ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، سنة ٢٠٠٦ م .

رابعاً: المراجع الأجنبية :-

- 1- Barclay, T.: The TURki -Italian War, (London1912)
- 2-Eugene Stanley: War and Private Investor, (N.Y.1967).
- 3-Smith, D.M.: Storia d, Italia Del 1861 at 1969 Vol 2, (Roma 1972).

خامساً : المواقع الإلكترونية :

- 1- Ar. Wikipedia. Org/wik-

الموقف السوفيتي تجاه اضطرابات بوزنان في بولندا

يونيه-أكتوبر ١٩٥٦

د. شريف محمد أحمد عبد الجواد

مدرس بكلية الآداب جامعة المنيا

انتهت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، وقد خرجت الولايات المتحدة الأمريكية؛ أغني وأقوي دولة في العالم، وتضاعفت ثروتها بتضاعف إنتاجها الصناعي، هذا في الوقت الذي ضعفت فيه دول أوروبا وتصدع اقتصادها. أما في السياسة الخارجية: فقد تزعمت الولايات المتحدة المعسكر الغربي، واتجهت للتصدي للخطر الشيوعي، وحماية الدول التي تعادي الشيوعية.

وعلى الجانب الآخر: فقد سيطر الاتحاد السوفيتي على الثلث الشرقي من ألمانيا، والقطاع الكبير الذي احتله من النمسا، بل تجاوز الأمر بالسيطرة على دول شرق أوروبا الواقعة على حدوده الغربية، والتي حررها من الاحتلال النازي، وهي: بولندا، وتشيكوسلوفاكيا، والمجر، ورومانيا، وبلغاريا، ويوغوسلافيا وألبانيا. ومن هذا المنطلق تأسست في هذه الدول حكومات تسير على النهج الشيوعي، وتكونت منها كتلة شيوعية تسير في فلك الاتحاد السوفيتي، عدا يوغوسلافيا.^(١)

وبنهاية الحرب؛ أثار نظام بولندا مع نظام ألمانيا جدلاً شديداً بين الحلفاء، ومن منطلق اهتمام ستالين Joseph Stalin^(٢) بوضع بولندا؛ كان يرفض الحكومة الموجودة في لندن، ويؤيد لجنة لوبلن المؤقتة -نسبة إلى مدينة Loblin- التي تسود فيها العناصر الشيوعية ويرأسها بوليسلاف بيروت Boleslaw Bierut - سكرتير أول لحزب العمال البولندي ١٩٤٨ إلى ١٩٥٦- والتي استقرت في فارسوفيا في أول يناير ١٩٤٥، ولكن تدخل الدول الغربية في شهر يونيو ساهم في توسيع هذه اللجنة؛ بضم أربعة أعضاء من حكومة لندن، وكان منهم ستانيسلاس ميكولايتشيك الزعيم السابق لحزب الفلاح، حيث حصل في التشكيل الجديد على صلاحيات نائب رئيس الوزراء مع وزارة الزراعة، وكان هذا تنازلاً مؤقتاً من الشيوعيين.

وفي بوتسدام ^(٣) حصل ستالين في ٢١ يوليو ١٩٤٥ علي الاعتراف بحدود بولندا الغربية، حسب مجري نهري الأدور والنايس الغربي ^(٤)، ومنذ ذلك الوقت اتجه الشيوعيون البولنديون لبذل كل المحاولات التي تمكنهم من الاستيلاء علي السلطة، بشكل كامل، وبعد أن كان "ميكولايتشيك" ثاني رجل في الحكومة، سُحق في انتخابات يناير ١٩٤٧، واضطر إلي أن يلجأ للمنفى. ^(٥)

لقد سافر ميكولايتشيك إلي الغرب، في شهر أكتوبر ١٩٤٧، تاركاً بولندا تحت سلطة الائتلاف الشيوعي الاشتراكي، والذي عمل منذ شهر ديسمبر ١٩٤٨ علي إنشاء حزب العمال الموحد ^(٦)، الذي انحاز لسياسة الكرملين، هذا علي الرغم من معارضة بعض زعمائه مثل "فلاديسلاف جومولكا Wladislaw Gomulka" ^(٧)، والذي رفض في أغسطس ١٩٤٨ الاشتراك في الحملة التي نظمها ستالين ضد تيتو ^(٨) في يوغوسلافيا. وانطلاقاً من هذا اتهم جومولكا بالتيتوية، وجرّد من وظائفه في المكتب السياسي، وحل محله "بيروت" أكثر الموجهين البولنديين ستالينية.

وبذلك يظهر من سياق الأحداث: مدي سيطرة ستالين علي حزب العمال البولندي الموحد، والعمل علي التخلص من أي معارضة، حيث طرد جومولكا من الحزب في نوفمبر ١٩٤٩، بل وتم سجنه. ^(٩)

اتجهت الولايات المتحدة الأمريكية، بعد الحرب العالمية الثانية، للتصدي للاتحاد السوفيتي، وحصاره بسلسلة من الأحلاف الدفاعية، وذلك في محاولة لتخفيف قبضة السوفييت علي منطقة شرق أوروبا. وفي هذا الاتجاه قرر الكونجرس، في عام ١٩٥١، رصد مبلغ ١٠٠ مليون دولار - يجدد هذا الاعتماد في السنوات التالية- لتشجيع العصيان والاضطراب في منطقة شرقي أوروبا والاتحاد السوفيتي، وكانت هذه الأموال تصرف للأشخاص الذين يتم اختيارهم من المقيمين بشرقي أوروبا والاتحاد السوفيتي، أو الفارين منها، وذلك لتكون منهم عناصر تنضم إلي القوات الحربية التي يستند إليها حلف شمال الأطلسي. ^(١٠)

سياسة خروتشوف Khrushchev^(١١) التحريرية وأثرها على بولندا:

بعد وفاة ستالين في مارس ١٩٥٣؛ أصبحت السلطة تمارس بشكل جماعي مع سكرتير أول الحزب نيكيتا خروتشوف. وسرعان ما تطورت الأحداث في الاتحاد السوفيتي، خلال مؤتمر العشرين للحزب الشيوعي، في فبراير ١٩٥٦، حيث أدان خروتشوف الستالينية وأساليب ستالين في الحكم، وقد منح هذا الاتجاه شعبية واسعة، وأدى إلي وقوع أزمة حادة في البلاد التابعة للاتحاد السوفيتي.^(١٢)

كان لمحاولات التخلص من الستالينية في الاتحاد السوفيتي -بعد موت ستالين- انعكاسات واضحة علي حزب العمال البولندي الموحد، وكان ذلك واضحاً خلال المؤتمر الثاني بفارسوفيا، في ١٠ مارس ١٩٥٤، فعلي الرغم من تثبيت "بيروت" في وظائفه، أميناً أول للجنة المركزية، إلا أنه ترك مكاناً لبعض الأحرار، وألغيت وزارة الأمن العام. واستمراراً في هذا الاتجاه: استسلم بيروت للنقد أمام اللجنة المركزية، ومن هذا المنطلق؛ كانت النخبة البولندية تسعى لتحقيق المزيد من الإصلاحات العميقة في بنيات الدولة والحزب، ولكن سرعان ما تطورت الأمور بمرض بيروت الذي توفي، في ١٢ مارس ١٩٥٦، ليحل محله في رئاسة الحزب "إدوارد أوشاب Edward Ochab".^(١٣)

وعلي الرغم من أن مؤتمر العشرين قد شجب الأخطاء التي وقعت في عهد ستالين، في العلاقات بين الدول الاشتراكية، إلا أن قرارات المؤتمر تركت، في نفس الوقت، أثراً كبيراً في مجال المزيد من تطور النظام الاشتراكي ونموه، وكذلك السعي إلي توسيع العلاقات الأخوية مع البلدان الاشتراكية الأخرى. كما حث المؤتمر علي مزيد من الاحترام لتاريخ كل بلد تسير في طريق إعادة البناء لظروفها الخاصة بها.^(١٤)

كانت موسكو، بعد المؤتمر العشرين، تولي قدراً كبيراً من الاهتمام بالتطورات في بولندا. وقد تمثل ذلك في زيارة خروتشوف إلي وارسو، في ١٥ مارس ١٩٥٦، لحضور جنازة بيروت، وقد بقي لمدة خمسة أيام، للمشاركة في مناقشات الاجتماع السادس للجنة المركزية لحزب العمال البولندي الموحد، وفي نفس الوقت: كان يجري محادثات مع

المكتب السياسي، والتي لم يعرف محتواها، ولكن ربما شارك في قرار اقتراح "إدوارد أوشاب" لمنصب السكرتير الأول للحزب البولندي. وقد اجتمع خروتشوف، في ٢٠ مارس، مع النشطاء البارزين في الحزب، ثم شارك في مناقشات اجتماع اللجنة المركزية، والذي كان حدثاً غير مسبوق في تاريخ العلاقات البولندية- السوفيتية.^(١٥)

علي أيه حال؛ فإن مظاهر القضاء علي الستالينية، في بولندا، ظهرت بواورها في إعادة الاعتبار للعديد من الشخصيات، في مارس ١٩٥٦، والتي كان في مقدمتها "جومولكا" الأمين العام السابق لحزب العمال. ومن هذا المنطلق انقسمت البلاد بين الفريق التقدمي والفريق الستاليني الحاكم، وعندما اتجه الفريق التقدمي لتدعيم المطالب العمالية: تم التصدي له واتهامه بالعمالة للامبريالية.^(١٦)

لقد سهل موت "بيروت" اتخاذ إجراءات اعترف خليفته أوشاب بضرورتها، ومنها العفو عن أكثر من ٣٠ ألف مسجون سياسي، وعزل عدد من كبار الموظفين. ولكن النخبة من المثقفين طالبت بتحقيق المزيد من الإصلاحات، ولكن قامت الصحافة بإظهار تشدها، كما أن بعض العمال قاموا بمهاجمة أخطار المنظمات الاقتصادية، وطالبوا بالتسيير الذاتي علي الطريقة اليوغوسلافية.^(١٧)

وبذلك يظهر من سياق الأحداث: تأثير مؤتمر الحزب الشيوعي السوفيتي العشرين علي تطور الأحداث في بولندا، فقد بدا واضحاً الانفصال عن المعتد الستاليني الخاص بالدور القيادي للأجهزة الحزبية. وبدأت الحياة السياسية والفكرية البولندية تتمحور حول فريقين: فريق المحافظين يشدهم الحنين إلي الستالينية، وفريق أنصار التغيير.^(١٨)

علي كل حال فإن سوء الأوضاع الاقتصادية في بولندا أعطي دافعاً لعدم استقرار الوضع السياسي، وكرد فعل لخفض الأجور ونقص الدعم؛ أرسل العمال وفداً ينوب عنهم إلي وارسو، ليطالب بتحسين الأحوال الاقتصادية والمعيشية. هذا في الوقت الذي حذر فيه العمال من أن استمرار الأحوال علي هذا النمط، سيؤدي إلي اندلاع الاحتجاجات والتظاهرات في بوزنان، ولكن النظام- البيروقراطي- البولندي لم يفعل شيئاً، ولم يتحرك أي خطوة ليرضي هؤلاء العمال.^(١٩)

اضطرابات بوزنان ١٩٥٦ :

لقد اندلعت الاحتجاجات والتظاهرات في بوزنان، في ٢٨ يونيو ١٩٥٦، حيث طالب العمال بتحسين أحوالهم الاقتصادية، وسرعان ما تطورت هذه التظاهرات للمطالبة بالحرية الدينية، والتحرر من سيطرة الاتحاد السوفيتي، ولكن قوات الأمن تمكنت من القضاء علي تلك التظاهرات، في ٢٨ و ٢٩ يونيو ١٩٥٦^(٢٠)، وعلي الرغم من أن التظاهرات بدأت احتجاجاً علي سوء الأحوال الاقتصادية والمعيشية، إلا أنها سرعان ما تطورت من حالة عدم الرضا التام إلي الرغبة في الانفصال والعداء للاتحاد السوفيتي، والرغبة في الاستقلال عنه.^(٢١)

ولقد ذهب ضحية اضطرابات بوزنان، تبعاً لتصريح المدعي العام البولندي، ٥٣ قتيلاً، منهم عدد من جنود البوليس، و ٣٠٠ جريح، و ٣٢٠ قيد المحاكمة، منهم ٦٤ قاموا بأعمال سلب ونهب، و ٣٣ مسجون هارب.^(٢٢)

وانطلاقاً من هذه الأحداث: قامت حكومة "أوشاب" بفصل عدد من كبار المسؤولين الموالين لستالين، حيث تعرض النظام للانحيار الاقتصادي، كما انتشرت مجالس العمال في جميع أنحاء البلاد، مستقلة عن الحزب والنقابات، مما كان يشير إلى الحاجة لإجراء إصلاحات سياسية، لمواكبة التغيرات الإدارية.^(٢٣)

وعقب هذه الأحداث: صرحت الحكومة البولندية أن بعض الصعوبات الاقتصادية هي التي أوجدت التذمر بين العمال، والذي حدث خلال انعقاد المعرض الدولي الخامس والعشرين بمدينة بوزنان الصناعية، حيث يوجد عدد كبير من الأجانب والصحفيين البولنديين. ومن هذا المنطلق أشارت الحكومة البولندية إلي الأمريكيين و البريطانيين؛ بوصفهم أعداء للدولة والشعب، والذين استغلوا الوقت المناسب وبدقة متناهية.

وبذلك يظهر، من سياق الأحداث، أن سوء الأوضاع الاقتصادية في بولندا قد لعب دوراً في هذا التذمر، هذا بالإضافة إلي إقدام بولندا علي سياسة تصنيعية ضخمة فوق قدراتها، والتي هددت، خلال التذمر، الكيان السياسي والاقتصادي للدولة.^(٢٤)

لقد أظهرت حوادث بوزنان، في ٢٨ يونيو ١٩٥٦، سوء الأوضاع الاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد، وكان ذلك راجعاً إلى تصنيع البلاد بسرعة زائدة عن حدود الإمكانيات القائمة، فقد كان التصنيع السريع عملية سيئة التخطيط في الغالب^(٢٥) وبدون الاهتمام بتوفير المواد الخام. هذا بالإضافة إلى أن برنامج التسليح، الذي بدأ في عام ١٩٥١، وصل إلى حافة الإفلاس في عام ١٩٥٣، وبذلك ظلت بولندا تعاني الضيق إلى أن قامت ثورة جومولكا في ١٩٥٦.^(٢٦)

ومن منطلق اهتمام موسكو بالوضع في بولندا: زار رئيس الوزراء نيكولاي بولجانين (Nikolai Bulganin) وارسو في يوليو ١٩٥٦ - للاحتفال بالعيد الوطني في بولندا - وذلك خلال الاجتماع السابع للجنة المركزية لحزب العمال البولندي الموحد، حيث حذر من محاولات إضعاف علاقات دول الكتلة الاشتراكية؛ تحت راية ما يسمى "الخصوصيات الوطنية"، وضد محاولات تقويض قوة دول الديمقراطيات الشعبية، تحت قناع نشر الديمقراطية، هذا بالإضافة إلى انتقاده الاتجاهات الرجعية في الصحافة البولندية.^(٢٧)

ولقد أكدت أحداث بوزنان رأي مولوتوف وفصيله، داخل الحزب السوفييتي، الذي ظل يناهز به قبل المؤتمر العشرين، في أن إعطاء القليل من الحرية للدول التابعة يمثل خطراً على السوفييت، وعلي الرغم من ذلك: فقد كان خروتشوف لا يزال بإيمانه حشد أغلبية لهيئة الرئاسة، بشأن التحرر المحكم في الدول التابعة. هذا بالإضافة إلى أن اللجنة المركزية للحزب السوفييتي، في ٣٠ يونيو ١٩٥٦، أصدرت قراراً لشرح وتبرير تشويه سمعه ستالين، والذي أكد مرة أخرى صحة الحملة ضد عبادة الفرد، هذا في الوقت الذي نفت فيه اللجنة المركزية وجود أزمة في الاشتراكية الدولية. وبذلك يظهر، من سياق الأحداث، خوف السوفييت من انتقال أحداث بوزنان للأحزاب الشيوعية في البلدان التابعة.^(٢٨)

وفي تلك الأثناء، ومن واقع الحرب الباردة بين المعسكرين العالميين، عملت الولايات المتحدة الأمريكية على استغلال الأزمة، لكي تخترق الكتلة الشيوعية، ومن هذا المنطلق: انتهزت أحداث بوزنان في محاولة لتخفيف الضغط على دول أوروبا الشرقية،

فقد كانت السياسة الأمريكية تزي: أن تحكّم السوفييت في أوروبا الشرقية ساهم - بعد الحرب العالمية الثانية- بشكل بارز في اختلال موازين القوى في تلك المنطقة، ومن هذا المنطلق: أصبح هذا الاتجاه يُشكل تهديداً علي الولايات المتحدة الأمريكية، هذا بالإضافة إلي أن تشكيل حلف وارسو في مايو ١٩٥٥^(٢٩)، كحلف مجابه لحلف الناتو، ساعد في بسط النفوذ العسكري السوفيتي، والتحكم في الإمكانات العسكرية لجهة أوروبا الشرقية. ومن منطلق تأسيس تيتو لنظام حكم شيوعي مستقل عن موسكو، والتحدي الناجح للكرملين: أظهر الغرب استعداداه لمساعدة القيادات الشيوعية الوطنية في تحقيق استقلالها، في البلدان التابعة للسوفييت.^(٣٠)

علي أيه حال: فإن الدعاية الغربية حاولت استغلال النقد الذي وجه لستالين في عبادة الفرد، وذلك لمهاجمة الاتحاد السوفيتي وغيره من البلدان الاشتراكية، وكذلك إقناع الجماهير بأن عقيدة الفرد تنبع من طبيعة الاشتراكية. ومن هذا المنطلق: شجعت القوى الغربية، وعلي رأسها الولايات المتحدة، أحداث بوزنان، ولقد حاولت استغلال المتاعب والأخطاء الاقتصادية التي تمر بها بولندا. فقد رصد الكونجرس الأمريكي اعتمادات إضافية، بمبلغ ٢٥ مليون دولار، بخلاف المائة مليون المخصصة كل عام، وذلك لأعمال التجسس و التخريب في البلدان الاشتراكية، حيث اعترفت الصحافة الأمريكية بأن القصد من هذه الأموال: كان تمويل بعض الأعمال التي تحققت في بوزنان.^(٣١)

وبذلك يظهر من سياق الأحداث أن المسؤولين في بولندا اتجهوا لتهدئة الأمور مع العمال في الداخل، وكذلك تفادي النقد الموجه من المعسكر الغربي من الخارج، والذي اتخذ من هذه الاضطرابات مادة خصبة للدعاية ضد المعسكر الشرقي. ومن هذا المنطلق جاءت اضطرابات بوزنان علي رأس مناقشات الاجتماع السابع للجنة المركزية لحزب العمال البولندي الموحد، والذي أعلن السير في إقصاء المستويات الإدارية في الحزب، لمسئوليتها عما حدث؛ وذلك لعدم رفعها شكاوي العمال لسكرتارية الحزب. وجدير بالذكر؛ أن النتائج التي ظهرت بعد اجتماع حزب العمال البولندي، لم تحمّل الغرب كل الوزر في قيام الاضطرابات، ولكنهم اعترفوا بسوء الحالة الاقتصادية، والتي استغلها الغرب لقيام هذه الاضطرابات. وبذلك اتجه

الحزب والحكومة لمنح الأفراد الحرية التجارية الخاصة، بدلاً من سيطرة الحكومة التامة علي كافة أوجه الحياة الاقتصادية، وكذلك الاتجاه للصناعات الخفيفة بدلاً عن الصناعات الثقيلة، وبذلك يتضح اتجاه بولندا إلي اللامركزية الاقتصادية.^(٣٢)

ولقد جاءت نتائج احتجاجات عمال بوزنان في حصولهم، عن طريق الاضطراب، علي مطالبهم، فقد زيدت أجورهم إلي ٢٠%، ولكن هذا الاتجاه من التهدة لم يكن امتداداً لسياسة ادوارد أوشاب- سكرتير حزب العمال البولندي- عقب موت "بوليسلاف بيروت" السكرتير الأول للحزب، ولكن جاء بهدف القضاء علي حركة التذمر^(٣٣) ومنع انتشارها، داخل بولندا أو خارجها، إلي دول الديمقراطيات الشعبية.^(٣٤)

وبذلك يتضح أن أحداث بوزنان قد أظهرت ضرورة تغيير السياسة التي يؤيدها المحافظون، الذين يستندون لتأييد موسكو. ومن هذا المنطلق: أعيد إدخال "جومولكا" إلي الحزب في أغسطس ١٩٥٦، وبعد مناقشات متوترة وصعبة، وتهديدات بالتدخل العسكري، أعطى المسؤولين السوفييت، والذين دعاهم كل من تيتو وماو تسي تونج إلي الاعتدال، والموافقة على تعريف "الطريقة البولندية للاشتراكية".^(٣٥)

ثورة جومولكا :

في التاسع عشر من أكتوبر ١٩٥٦: كانت اللجنة المركزية لحزب العمال البولندي علي وشك انتخاب جومولكا سكرتيراً أول. ومن هذا المنطلق أمرت القيادة السوفيتية قواتها، المرابطة في شمال وغرب بولندا، بالتحرك نحو وارسو^(٣٦) لتخويف القيادة البولندية. ولكن ردت القوات البولندية، الموالية لجومولكا، باتخاذ مواقع دفاعية حول العاصمة.

وبذلك يظهر من سياق الأحداث أن القيادة السوفيتية كانت في موقف صعب بشأن التعامل مع البولنديين، وذلك في ظل إصرار القيادة البولندية، في سبتمبر ١٩٥٦، علي مغادرة المستشارين السوفييت لبولندا، والذي كان يمثل إهانة للسوفييت من وجهة نظرهم.^(٣٧)

علي كل حال: فقد قامت حركة قوية لحل المكتب السياسي، وجعل جومولكا رئيساً للحزب، وسرعان ما تطور الموقف بسرعة كبيرة؛ جعلت خرونشوف يجئ إلي وارسو، في ١٩ أكتوبر، علي رأس وفد يضم معظم أعضاء المكتب السياسي السوفيتي^(٣٨)، وبالرغم من محاولات التدخل السوفيتي، إلا أنها لم تجد نفعاً، فقد تم حل المكتب السياسي البولندي لصالح جومولكا.

ولكن لماذا أخفق السوفييت في استخدام القوة الروسية الموجودة في بولندا؟

لأن العمال البولنديين كانوا علي استعداد لتأييد النظام الجديد؛ وذلك لأن الفرصة أصبحت مواتية لهم في السيطرة علي المصانع، وعلي أحوالهم العمالية. فقد أعلن العمال مرابطتهم في المصانع، استعداداً للقيام بالتظاهرات تأييداً لجومولكا. وبذلك وجد السوفييت أن الشعب البولندي يسير وراء جومولكا، كما أن جومولكا لا يزال شيوعياً، ومخلصاً لحلف وارسو والتحالف الروسي، فلم يجد السوفييت أمامهم، في النهاية، سوي قبول الثورة البولندية.^(٣٩)

لقد وصل المسئولون السوفييت إلي وارسو، علي نحو مفاجئ، دون دعوة لمتابعة مجريات الأحداث والتأثير فيها إن أمكن، وعلي الرغم من التحفظات السوفيتية، فقد تم انتخاب جومولكا سكرتيراً أول للحزب. وبالرغم من تأكيد جومولكا علي الحاجة لسياسة داخلية مستقلة، إلا انه أكد علي بقاء بولندا علي ولائها لحلف وارسو. وبذلك يتضح أن مطالب جومولكا كانت ترمي إلي تحقيق الاستقلال القومي، دون إثارة السوفييت؛ وذلك لأن تحالف بولندا مع موسكو كان ضرورياً، للمحافظة علي السلامة الإقليمية للبلاد، في ضوء الحق الذي تدعيه ألمانيا الغربية في بعض الأراضي الإقليمية البولندية.^(٤٠)

وعند النظر بدقة للمفاوضات التي جرت بين الوفد السوفيتي والبولنديين، يتضح مدى تصميم جومولكا وزملائه علي الدفاع عن كل ما يحدث في بولندا، فقد أكدوا للوفد السوفيتي أن التدابير والإجراءات المتخذة لن يكون لها تأثير سلبي على علاقات بولندا بالاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي، ولكن ظهر جلياً خلال المفاوضات قلق السوفييت من إزاحة الزملاء البولنديين من المكتب السياسي، والذي كان من بينهم روكوسوفسكي (Konstantin Rokossovskii Marshal) ذو الأصول البولندية الذي لم يتخل عن جنسيته السوفيتية.^(٤١)

ولكن حدوث المناورات السوفيتية، داخل الأراضي البولندية، أثار حفيظة جومولكا، وأخذت المناقشات بين الوفدين تأخذ طابع الحدة، ولكن جومولكا كان مصمماً على الحفاظ على استقلال بولندا، حيث أكد هو وزملاؤه أنهم لن يتركوا استقلالهم، ولن يسمحوا لأي شخص بالتدخل في الشؤون الداخلية البولندية.^(٤٢)

ولكن لماذا لما يلجأ السوفييت للعمل العسكري في بولندا ؟

ربما يرجع ذلك لتحذير "المارشال روكوسوفسكي" بأن الجيش البولندي كان معادياً، وسيقف وراء جومولكا ويقاثل معه. كما ذكر خروتشوف في مذكراته: "كانت قد تألفت قيادة بولونية مقبولة من الرفاق جومولكا وسيرناكيوفكز، وآخرين من الرفاق الذين نثق بهم. فكان لدينا من الأسباب ما يحملنا علي الاعتقاد بأن الموقف في بولونيا كان يتجه نحو الاستقرار".^(٤٣)

وبذلك يظهر من سياق الأحداث: مدى صلابة البولنديين في مفاوضاتهم مع السوفييت، من أجل تحقيق استقلالهم، هذا في الوقت الذي كان فيه السوفييت يحاولون استخدام الضغوط السياسية والعسكرية، دون الصدام المباشر مع البولنديين، وقد ظهر ذلك جلياً بعد عودة وفد الحزب الشيوعي السوفيتي إلى موسكو، حيث تم إرسال خطاب رسمي إلى اللجنة المركزية لحزب العمال البولندي الموجه من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، والتي نصت على أن الأمر يرجع إلى الجانب البولندي في أن يقرر: ما إذا كان سيرسل المستشارين السوفييت والجنرالات الذين يحملون الجنسية السوفيتية للعودة إلى الاتحاد السوفيتي.^(٤٤)

وبصفة عامة يظهر من التطورات، بين شهري يونيو وأكتوبر ١٩٥٦، أن شعار ثورة بوزنان "الحرية والخبز" قد جسد تلك المسلمات من الشعب البولندي، والتي تمثلت في الآتي:

- استقلال بولندا عن روسيا.
- حرية الدين والفكر والقول.
- إزالة جهاز الحزب الشيوعي من الممارسة المباشرة للحكومة.
- توسيع حقوق البرلمان.
- إلغاء الشرطة السرية واستعادة المحاكم المستقلة.
- إقامة العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية مع الغرب.
- السماح بالمزارع الفردية في الزراعة وإلغاء التسليم الإلزامي.
- الحكم الذاتي للعمال، وإعادة الحرف اليدوية.

وبذلك يتضح مما سبق أن ثورة أكتوبر لم تولد من الصيغ العقائدية الجاهزة، ولكن من المعاناة اليومية خلال سنوات طويلة من شن النضال ضد كل أشكال العنف السياسي، والاستغلال الاجتماعي، والتدهور الاقتصادي.^(٤٥)

وعقب اختيار جومولكا لقيادة اللجنة المركزية للحزب: تحدث عن عبث المحاولات لإبعاد بولندا عن حلفها الأخوي مع الاتحاد السوفيتي فقال: " لو خيل لأحد الناس أن في إمكانه إثارة مشاعر العدا للوفيات في بولنده. فإنه سيكون جد مخطئ. فلن نسمح لأحد بان يضر بالمصالح الحيوية للدولة البولندية، وبقبضة البناء الاشتراكي في بولنده ".^(٤٦)

وبينما طالبت الجماهير البولندية بعودة الجيوش الروسية إلي الأراضي السوفيتية، والحرية التامة لبولندا، إلا أن الساسة البولنديين كانوا يفضلون الحرية الفردية الداخلية، ويرون أن انسحاب القوات السوفيتية يمثل صعوبة كبيرة، وخطراً علي بولندا، وذلك لارتباطها بالتزامات حلف وارسو، وكذلك ملاصقتها لحدود روسيا من جهة-وقوعها في الوسط- وألمانيا من جهة أخرى جعلها في موقف صعب. ولقد أكد جومولكا علي ضرورة هذه الصداقة مع السوفييت، في ٢٤ أكتوبر ١٩٥٦، أثناء خطابه للجماهير في ميدان الحضارة بوارسو، وذلك رداً علي هتافات العداية ضد روسيا.^(٤٧)

وبالنظر غرباً كانت بولندا بصفة خاصة قلقة من الولايات المتحدة، باعتبارها زعيمة التحالف الغربي، ومصدراً للمساعدات المحتملة، ولكن أثبتت التجربة منذ ١٩٥٦ أن بولندا لا يمكن أن تحصل علي ما يكفيها من الولايات المتحدة، لتكون بديلاً عن الاتحاد السوفيتي. ولكن الفرصة الحقيقية لبولندا في التحول الجذري، وغير المتوقع، في موازين القوي العالمية، وهو ليس من خلال توازن محفوف بالمخاطر، وسط ظروف تصاعد التوتر، ولكن من خلال الاسترخاء في أوروبا، والمفاوضات والاتفاقات الممكنة بين الشرق والغرب، والتي سوف تعطي للبولنديين المزيد من الفرص لاتخاذ قراراتهم بأنفسهم.^(٤٨)

وبذلك يظهر من سياق الأحداث أن جومولكا قد أعيد اعتباره واستعاد مركزه، كما صحب ذلك تدعيم المبادئ الاستقلالية، برغم حضور الوفد السوفيتي المفاجئ إلي وارسو،

وعودتهم دون تحقيق مأربهم، وهو: تخفيف حدة الاندفاع نحو السياسة الاستقلالية. وجدير بالذكر أن نجاح جومولكا في ذلك جاء من تأييد الشعب، له بعد أن قدم الوعود بحرية الانتخابات، والمناقشة في البرلمان وحرية الصحافة، وحق العمال في الإضراب، وبذلك فإن جومولكا كان متجهاً نحو التحرر في الاستقلال، دون اندفاع في تلك السياسة.^(٤٩)

وفوق كل ما ذكر: يجب أن نشير إلى الانتصار الكبير الذي حققته بولندا في استقلالها القومي، دون القطيعة مع الاتحاد السوفيتي، ويرجع ذلك إلى أن الموجهين الجدد في بولندا حافظوا على علاقاتهم الطيبة بموسكو، وربما يُفسر هذا الاتجاه بالخوف من التدخل السوفيتي، في حال الانقلاب في سياسة بولندا الخارجية، هذا بالإضافة إلى أن بقاء العلاقات مع السوفييت يساعدهم في ضمان الحدود البولندية الغربية، على خط الأور-نيس.^(٥٠)

والخلاصة أن: ثورة أكتوبر قد ساهمت في توحيد البولنديين في النضال من أجل الاستقلال، والحرية والعدالة الاجتماعية. وجدير بالذكر أن قبول موسكو لسياسات تيتو: خلق صعوبات في العلاقات الخارجية للاتحاد السوفيتي في الدول التابعة، وفي هذا الاتجاه قبل السوفييت بهذا الوضع الجديد في بولندا، لتفادي حدوث ثورة في الحزب، هذا في الوقت الذي يعدّ هذا التغيير بمنزلة تجديد وإعادة بناء النظام، وذلك في ظل تمسك القادة البولنديين بالمحافظة على المبادئ الاشتراكية.

وتجدر الإشارة إلى أن وضع بولندا كان مختلفاً عن يوغوسلافيا-التي تم طردها من الكومينفورم ١٩٤٨- وذلك لأن بولندا لم تتحدى الكرملين، ولم تتجه للاستقلال الكامل في الشؤون الخارجية. هذا بالإضافة إلى الناحية الاستراتيجية والاقتصادية، حيث تقع بولندا في الوسط بين الاتحاد السوفيتي وألمانيا من جهة، وكذلك لاحتياجها للمعونات الاقتصادية من السوفييت من جهة أخرى. وبذلك يتضح مدي حاجة المسؤولين البولنديين للصداقة مع السوفييت.

هوامش الدراسة:

- (١) عبد الحميد البطريق: التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥-١٩٦٠، المركز الدولي للبحث والنشر، القاهرة، ١٩٨٠، ص ص ٤٤٩-٤٥١.
- (٢) جوزيف ستالين (١٨٧٩-١٩٥٣): سياسي سوفيتي، وزعيم شيوعي. انتخب عام ١٩٢٢ أميناً عاماً للحزب الشيوعي السوفيتي، وبعد موت لينين خلفه في إدارة شئون الحكم، ولكنه سرعان ما جعل حكمه مطلقاً بتصفية معارضيه. وفي عام ١٩٤١ نصب ستالين نفسه رئيساً للوزراء بدلاً من مولوتوف. وعندما هاجم هتلر الاتحاد السوفيتي في يونيو ١٩٤١، انضم ستالين لجبهة الحلفاء حتى تحقق لهم النصر عام ١٩٤٥. استمر ستالين في حكمه للاتحاد السوفيتي حتى مارس ١٩٥٣. لمزيد من التفاصيل أنظر: محمد شفيق غريال: الموسوعة العربية الميسرة، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٥، ص ٩٦٢.
- (٣) عقد هذا المؤتمر بمدينة بوتسدام الألمانية في الفترة من ١٧ يوليو - ٢ أغسطس ١٩٤٥، وقد جدد فيه الحلفاء إقرار الشروط التي ستحكم ألمانيا بمقتضاها، والاتفاق علي محاكمة مجرمي الحرب الألمان، ومسألة التعويضات. للمزيد أنظر: عبد الحميد البطريق: مرجع سابق، ص ٤٣٨.
- (٤) هو الخط الذي يفصل الحدود بين ألمانيا الديمقراطية وبولندا الاشتراكية، وقد تقرر هذا الخط في اتفاقية موسكو في أغسطس ١٩٤٧ ولمزيد من التفاصيل أنظر: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ج ١، ط ١، ص ٣٨٤.
- (٥) جماعة من المؤلفين الغربيين: تاريخ عصرنا منذ ١٩٤٥، تعريب نور الدين حاطوم، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٠-١٩٧١، ص ص ٢٦٠-٢٦١.
- (٦) جلال يحيى: العالم المعاصر منذ الحرب العالمية الثانية، الدّول الغنية الرأسمالية الغربية والاشتراكية واليابان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٤٤١.
- (٧) جوملكا (١٩٠٥-١٩٨٥): سياسي بولندي، الأمين العام لحزب العمال البولندي حتي ١٩٤٨، سجن بتهمة ملفقة ١٩٥١-١٩٥٤. انتخب السكرتير الأول للجنة المركزية لحزب العمال البولندي الموحد أكتوبر ١٩٥٦ علي الرغم من التهديدات السوفيتية، وحتى عام ١٩٧٠. أنظر: Ripp (Zoltán) : Hungary's Part in the Soviet-Yugoslav Conflict, 1956-58, Contemporary European History, 1998, P. 223.
- (٨) يوسف بروز تيتو: ولد في ٢٥ مايو ١٨٩٢ في كرواتيا، وقد استدعى تيتو لأداء الخدمة العسكرية في زغرب عاصمة كرواتيا. وخلال الحرب العالمية الأولى أسر بواسطة القوات الروسية، ولكنه استطاع الهرب من المعتقل، واشترك في الثورة الروسية ١٩١٧. انضم تيتو عقب عودته إلى

- زغرب في ١٩٢٠ للحزب الشيوعي اليوغوسلافي، وخلال ١٩٣٧ أصبح تيتو سكرتيراً عاماً للحزب. قبيل نهاية الحرب اختير تيتو في مارس ١٩٤٥ رئيساً للوزراء، وظل تيتو رئيساً للوزراء بعد إعلان الجمهورية اليوغوسلافية في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٥، إلى أن تم انتخابه رئيساً للجمهورية في يناير عام ١٩٥٣. لمزيد من التفاصيل أنظر: يوسيب بروز تيتو: تيتو في الميدان، ترجمة: السيد فرج، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص ص ١٣-١٧.
- (٩) جماعة من المؤلفين الغربيين: مرجع سابق، ص ٢٦٢.
- (١٠) ريتشارد ميللر: داج همرشولد ودبلوماسية الأزمات، ترجمة: عمر الأسكندراني، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٢١٧.
- (١١) نيكيتا خروتشوف Nikita Khrushchev (١٨٩٤-١٩٧١): زعيم شيوعي ورجل دولة سوفيتي، ولد في مقاطعة كورسك الواقعة على الحدود الفاصلة بين روسيا وأوكرانيا. حكم خروتشوف الاتحاد السوفيتي من ١٩٥٣-١٩٦٤، وتميز حكمه بالمعاداة الشديدة للستالينية، وإرساء الدعائم الأولى لسياسة الانفتاح الدولي و التعايش السلمي. لمزيد من التفاصيل أنظر: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ج ٢، ط ١، ص ص ٦١١-٦١٣.
- (١٢) فرنسو جورج دريفوس وآخرون: موسوعة تاريخ أوروبا العام، أوروبا من عام ١٧٨٩ حتى أيامنا، ترجمة: حسين حيدر، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ج ٣، ط ١، ١٩٩٥، ص ص ٤٥٦-٤٥٧.
- (١٣) جماعة من المؤلفين الغربيين: مرجع سابق، ص ٢٦٢.
- (١٤) مجموعة من كبار الكتاب السوفيات- واي بوجوش وآخرون: السياسة الخارجية السوفياتية بين عامي ١٩٥٥-١٩٦٥، تعريب وتعليق: خيرى حماد، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٥٤.
- (15) Persak (Krzysztof): The Polish – Soviet Confrontation in 1956 and the Attempted Soviet Military Intervention in Poland, Europe-Asia Studies, Vol. 58, No. 8, December 2006, P.1287.
- (١٦) رياض الصمد: العلاقات الدولية في القرن العشرين، الجزء الثاني لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٩٨٣، ط ١، ص ٢٢٧.
- وأنظر كذلك: ج. ب. دروزيل: التاريخ الدبلوماسي، تاريخ العالم من الحرب العالمية الثانية إلى اليوم، تعريب نور الدين حاطوم، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٨، ط ٢، ص ٣٢٩.
- (١٧) جلال يحيى: مرجع سابق، ص ٤٦٣.
- (١٨) فلاديمير تيسمانيانو: تاريخ أوروبا الشرقية، ترجمة: أمل رواش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦، ص ٩٣.

- (19) Foreign Relations of the United States, 1955-1957, Vol. XXV, Eastern Europe, United States Government Printing Office, Washington ; 1990, Telegram from the Embassy in Poland to the Department of State, Warsaw, July 2, 1956, P.185.
- (20) Ibid., Memorandum of a Telephone Conversation Between the Secretary of State and the Director of Central Intelligence (Dulles), Washington, June 28, 1956, P.181.
- (21) Ibid., Telegram from the Embassy in Poland to the Department of State, Warsaw, July 3, 1956, PP.187-188.
- (٢٢) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، أرشيف البلدان، محافظ بولونيا، فيلم رقم ٧٢، محفظة رقم ١٠٨، ملف رقم ٣، السفارة المصرية بمدينة وارسو، من السفير إلي وكيل وزارة الخارجية، بشأن: النتائج النهائية لاضطرابات بوزنان، بتاريخ ١٩٥٦/٧/٢٥، سري.
- (23) Granville (Johanna): Reactions to the Events of 1956: New Findings from the Budapest and Warsaw Archives, Journal of Contemporary History, Vol. 38, No. 2 (Apr., 2003), P. 266.
- (٢٤) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، أرشيف البلدان، محافظ بولونيا، فيلم رقم ٧٢، محفظة رقم ١٠٨، ملف رقم ٣، السفارة المصرية بمدينة وارسو، من السفير إلي وكيل وزارة الخارجية، بشأن: اضطرابات البوزنان، بتاريخ ١٩٥٦/٦/٢٩، سري جداً. وأنظر كذلك: نفس الفيلم والمحفظة والملف، تقرير السفارة المصرية = بمدينة وارسو، من السفير إلي وكيل وزارة الخارجية، بشأن: اضطرابات البوزنان، بتاريخ ١٩٥٦/٦/٣٠، سري جداً. وأنظر كذلك: ك. م. وورهاوس: السياسة الخارجية البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية، ترجمة: حسين القباني، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر، القاهرة، دت، ص ٩٠.
- (٢٥) لمزيد من التفاصيل عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في دول أوروبا الشرقية خلال الفترة من ١٩٤٩-١٩٥٦، وكذلك عمليات التصنيع في بولندا والتي أدت زادت إلي أربعة أضعاف وبشكل أكثر تحديداً في الفترة ما بين عامي ١٩٤٩-١٩٥٦ أنظر:
- * BRZEZIŃSKI (ZBIGNIEW) & DZIEWANOWSKI (M. K.): WHY POLAND HAS HAD A SUCCESSFUL REVOLUTION WHILE THE OTHER SATELLITES DID NOT, The Polish Review, Vol. 4, No. 3 , 1959, PP. 10-11.
- (٢٦) د. ف. فلمنج: الحرب الباردة وأصولها (١٩١٧-١٩٦٠)، ج ٤، ترجمة: وهيب زكي، إدارة المطبوعات والنشر بالقوات المسلحة، ١٩٦٦، ص ٤٠.
- (27) Persak (Krzysztof): Op. Cit., P.1290.

(28) Central Intelligence Agency, Soviet Staff Study (The Tie that binds – Soviet Intrabloc Relations Feb 1956 - Dec 1957), 29 July 1958, Secret, confidential, P.14.

(٢٩) تم التوقيع علي معاهدة حلف وارسو في ١٤ مايو ١٩٥٥ بين كل من: الاتحاد السوفيتي، ألبانيا، بلغاريا، بولونيا، المجر، رومانيا، تشيكوسلوفاكيا، الجمهورية الألمانية الديمقراطية، هذا بالإضافة إلي حضور رئيس وزراء الصين بصفة مراقب. وقد أصبحت هذه المعاهدة نافذة في ٦ يونيو ١٩٥٥. وتجدر الإشارة إلي أن هذا الحلف جاء ردًا علي انضمام ألمانيا الغربية إلي حلف الأطلسي. وللمزيد من التفاصيل عن حلف وارسو أنظر: بطرس بطرس غالي، محمود خيرى عيسى: المدخل في علم السياسة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠، ط٩، ص ٤٢٣-٤٢٥.

(30) F.R.U.S, 1955-1957, Vol. XXV, Eastern Europe, National Security Council Report, Washington, July 3, 1956, PP.190-192.

- (٣١) مجموعة من كبار الكتاب السوفيات - واي بوجوش وآخرون: مرجع سابق، ص ٥٥-٥٦.
- (٣٢) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، أرشيف البلدان، محافظ بولونيا، فيلم رقم ٧٢، محفظة رقم ١٠٨، ملف رقم ٣، السفارة المصرية بمدينة وارسو، من = السفير إلي وكيل وزارة الخارجية، بشأن: النتائج النهائية لاضطرابات بوزنان، بتاريخ ١٩٥٦/٧/٢٥، سري.
- (٣٣) بدأت محاكمات بوزنان في ٢٨ سبتمبر ١٩٥٦، وفي ٨ أكتوبر أصدرت المحكمة أحكاماً خفيفة جداً كان أشدها الحكم بالسجن لمدة أربع سنوات ونصف. أنظر: د. ف. فلمنج: مرجع سابق، ص ٤٠-٤١.
- (٣٤) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، أرشيف البلدان، محافظ بولونيا، فيلم رقم ٧٢، محفظة رقم ١٠٨، ملف رقم ٣، السفارة المصرية بمدينة وارسو، من السفير إلي وكيل وزارة الخارجية، بشأن: اضطرابات البوزنان الخطيرة، بتاريخ ١٩٥٦/٧/١، سري جداً.
- (٣٥) جلال يحيى: مرجع سابق، ص ٤٦٣.
- (٣٦) أنظر شكل رقم (١).

(37) Granville (Johanna): Op. Cit., P. 266.

- (٣٨) تألف الوفد من نيكيتا خروتشوف (Nikita Khrushchev)، فياتشيسلاف مولوتوف (Vyacheslav Molotov)، نيكولاي بولجانين (Nikolai Bulganin)، لزار كاغانوفيتش (Lazar Kaganovich)، انستاس ميكويان (Anastas Mikoyan)، وكان يرافقه القائد الأعلى لحلف وارسو المارشال إيفان كونييف (Ivan Konev)، والجنرالات الآخرين. أنظر:
- Kramer (Mark): The Soviet Union and the 1956 Crises in Hungary and Poland: Reassessments and New Findings, Journal of Contemporary History, Vol. 33, No. 2 (Apr., 1998), P.169.

- (٣٩) د. ف. فلمنج: مرجع سابق، ص ٤١. وأنظر كذلك:
- Kemp-welch (Tony): Dethroning Stalin: Poland 1956 and its Legacy, Europe-Asia Studies, Vol. 58, No. 8, December 2006, PP.1272-1273.
- (٤٠) فلاديمير نيسمانيانو: مرجع سابق، ص ٩٤.
- (٤١) عين المارشال الروسي روكوسوفسكي قائداً أعلى للجيش البولندي ووزيراً للدفاع القومي البولندي، في شهر نوفمبر ١٩٤٩. أنظر: هارولد تمبرلي، أ.ج. جرائد: أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩-١٩٥٠، ج٢، ترجمة: محمد علي أبودة ولويس اسكندر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٤٩٤.
- (42) Jan Svoboda's Notes on the CPSU CC Presidium Meeting with Satellite Leaders, October 24, 1956, DOCUMENT NO. 5 , See: [Source: SUA, Fond 07/16, Svazek 3. Originally published in English in the Cold War International History Project Bulletin no. 5 (Spring 1995): 53-55. First published in Hungarian by Tibor Hajdu, "Az 1956 október 24-i moszkvai értekezlet," in Évkönyv 1992, I., ed. János M. Bak et al. (Budapest: 1956-os Intézet, 1992), 149-156. Translated by Mark Kramer.]
- (٤٣) نيكيتا خروشوف: خروشوف يتذكر، مقدمة وتعليق وملاحظات : ادوار كراتشكو، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧١، ص ٤١٢. ولمزيد من التفاصيل عن خطبة خروشوف السرية في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي أنظر: ص ص ٥٢٧-٥٨٧. وأنظر : Kemp-welch (Tony): Op. Cit., P.1273.
- (44) Jan Svoboda's Notes on the CPSU CC Presidium Meeting with Satellite Leaders, October 24, 1956, DOCUMENT NO. 5 , Op. Cit.
- (45) Strzetelski (Stanislaw): The True Force Behind the October Revolution in Poland, The Polish Review, Vol. 2, No. 2/3, 1957, P.27.
- (٤٦) مجموعة من كبار الكتاب السوفييات - واي بوجوش وآخرون: مرجع سابق، ص ٥٦.
- (٤٧) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، أرشيف البلدان، محافظ بولونيا، فيلم رقم ٧٢، محفظة رقم ١٠٨، ملف رقم ٣، السفارة المصرية بمدينة وارسو، من السفير إلي وكيل وزارة الخارجية، بشأن: الموقف في بولندا بعد تولي فودسولف جوموكا رئاسة الحزب، بتاريخ ١٠/٢٥/١٩٥٦، سري جداً.
- (48) Campbell (John C.), Poland's International Position Since 1956, The Polish Review, Vol. 4, No. 3, 1959, PP.53-54.
- (٤٩) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، أرشيف البلدان، محافظ يوغوسلافيا، فيلم رقم ٨١، محفظة رقم ١٢١، ملف رقم ٤، سفارة جمهورية مصر بمدينة بلجراد، من السفير إلي وكيل وزارة الخارجية، بشأن: التطورات الأخيرة في العلاقات بين يوجوسلافيا والكتلة الشرقية، بتاريخ ١٠/٢٩/١٩٥٦، سري.
- (٥٠) رياض الصمد: مرجع سابق، ص ٢٢٨. وأنظر كذلك: ج. ب. دروزيل: مرجع سابق، ص ٣٣٠.

ملحق رقم (١)

SECRETARY CENTRAL COMMITTEE PUWP

Comrade W. GOMULKA

1. During comrade Ochab's stay in Moscow, on his way to China, comrade Ochab, in his 11 September [1956] conversation with the Central Committee of the CPSU, transmitted the view of the CC PUWP that it was now time to abolish the institution of Soviet advisers attached to the Committee for Public Security of the PPR. At the same time, comrade Mikoyan told comrade Ochab that the position of the Polish comrades corresponds with the main line of the Communist Party of the Soviet Union.

In connection with this, the Presidium of the CC CPSU has decided to recall all Soviet advisers that have been sent, at the time at the request of the Polish Government, to assist the work of the PPR organs of security.

During the same conversation, comrade Ochab transmitted the view of the CC PUWP about the need, after the institution of Soviet advisers is abolished, to create new forms of collaboration between the organs of security of the USSR and Poland, with the aim to create a new representative office of the USSR Committee for State Security attached to the PPR Committee for Public Security.

The CC CPSU, in principle, agrees with such a position and is ready to consider this question when concrete proposals are received from the CC PUWP.

2. According to the requests made by the Polish Government, and in accordance with agreements between our governments, there is a certain number of Soviet officers and general officers still posted together with personnel of the Polish Army.

The CC CPSU believes that if in the opinion of the CC PUWP there is no longer a need for the remaining Soviet officers and general officers on the staff of the Polish Army, then we agree in advance on their being recalled. We ask you to prepare the proposals about how this could be solved when the delegation from the Politburo of the CC PUWP arrives in Moscow.

SECRETARY CENTRAL COMMITTEE CPSU

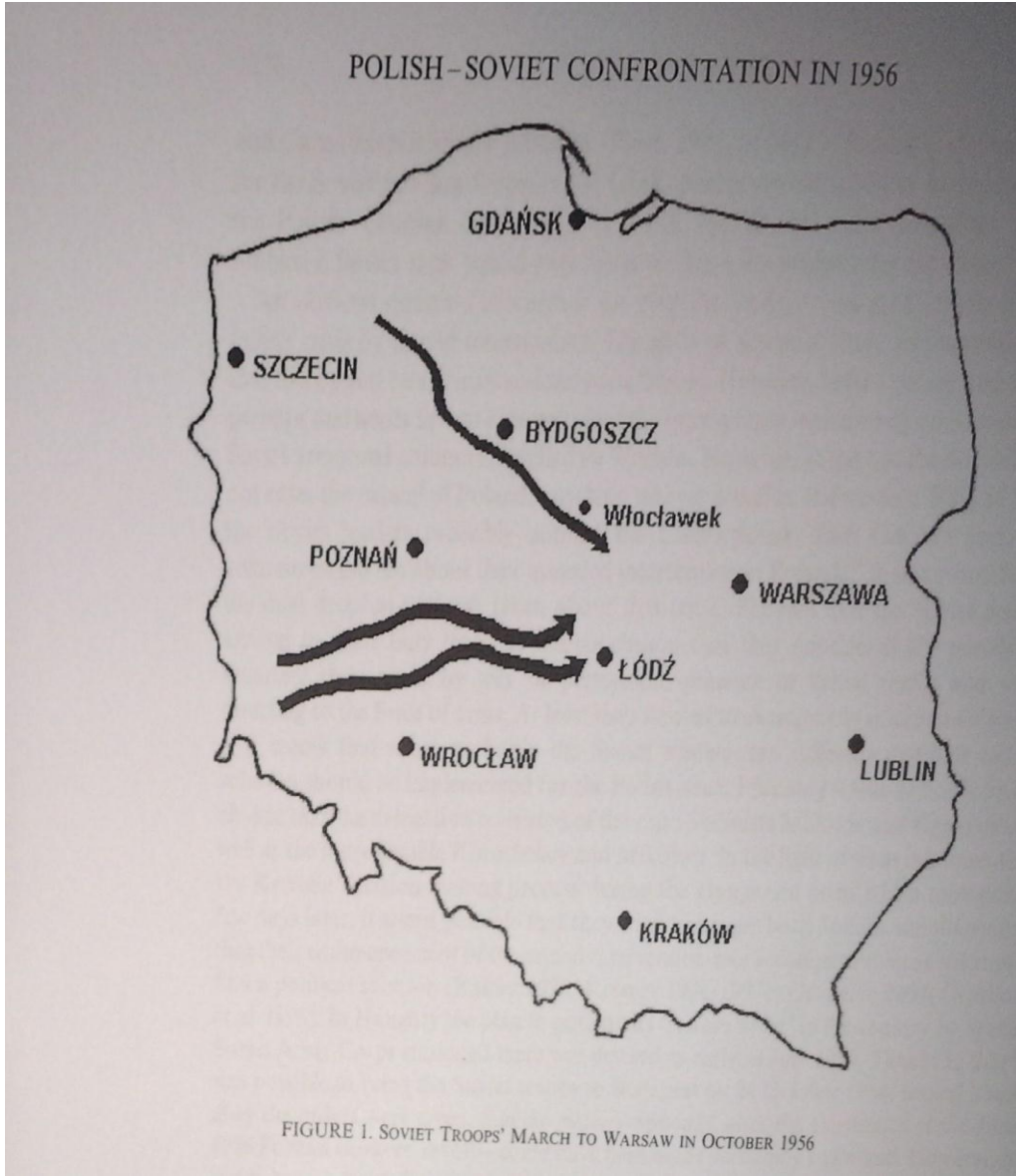
N. KHRUSHCHEV

22 October 1956

[Unsigned. Above the date and handwritten in Polish it reads: "Handed to me personally by Comrade Ponomarenko" and initialed by Gomulka.]

*** Source:** Memorandum from Khrushchev to Gomulka Recalling Soviet Advisors, October 22, 1956, translated from the Polish to English by L.W. Gluchowski, <http://digitalarchive.wilsoncenter.org/document/116957>.

شكل رقم (١)



* **Source:** Persak (Krzysztof) : The Polish – Soviet Confrontation in 1956 and the Attempted Soviet Military Intervention in Poland, Europe-Asia Studies, Vol. 58, No. 8, December 2006, P.1295.

ثبت المصادر والمراجع

* أولاً: الوثائق (وثائق غير منشورة):

* وثائق وزارة الخارجية المصرية - دار الوثائق القومية :

أرشيف البلدان (عواصم الدول) :

أ - محافظ بولونيا (فاروسوفيا): رول (فيلم) رقم ٧٢ :

- محفظة رقم (١٠٨) : الملف رقم: ٣ (حصر) ١٤/٧/٤١ ج

التقارير السياسية لسفارة مصر في وارسو " عن بولونيا " ١٩٥٥-١٩٥٦.

ب - محافظ يوغوسلافيا (بلجراد): رول (فيلم) رقم ٨١ :

- محفظة رقم (١٢١) : الملف رقم: ٤ (حصر) ١٦/٧/٣

التقارير المختلفة للسفارة المصرية في بلجراد " عن يوغوسلافيا " ١٩٤٨-١٩٥٦.

* الوثائق الأمريكية :

1. Foreign Relations of the United States, 1955-1957, Vol. XXV, Eastern Europe, United States Government Printing Office, Washington ; 1990.
2. Central Intelligence Agency, Soviet Staff Study (The Tie that binds – Soviet Intrabloc Relations Feb 1956 - Dec 1957), 29 July 1958, Secret, confidential.

* الوثائق البولندية :

- Memorandum from Khrushchev to Gomulka Recalling Soviet Advisors, October 22, 1956, translated from the Polish to English by L.W. Gluchowski,
<http://digitalarchive.wilsoncenter.org/document/116957>.

* الوثائق السوفيتية :

Jan Svoboda's Notes on the CPSU CC Presidium Meeting with Satellite Leaders, October 24, 1956, DOCUMENT NO. 5 , See: [Source: SUA, Fond 07/16, Svazek 3. Originally published in English in the Cold War= =International History Project Bulletin

no. 5 (Spring 1995): 53-55. First published in Hungarian by Tibor Hajdu, "Az 1956 október 24-i moszkvai értekezéslet," in Évkönyv 1992, I., ed. János M. Bak et al. (Budapest: 1956-os Intézet, 1992), 149-156. Translated by Mark Kramer.]

ثانياً: المذكرات الشخصية:

١. نيكيتا خروشوف: خروشوف يتذكر، مقدمة وتعليق وملاحظات : ادوار كرانشكو، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧١.

ثالثاً: المراجع العربية:

- ١- بطرس بطرس غالي، محمود خيرى عيسى: المدخل في علم السياسة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠، ط٩.
- ٢- جلال يحيى: العالم المعاصر منذ الحرب العالمية الثانية، الدّول الغنية الرأسمالية الغربية والإشتراكية واليابان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨.
- ٣- رياض الصمد: العلاقات الدولية في القرن العشرين، الجزء الثاني لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٩٨٣، ط١.
- ٤- عبد الحميد البطريق: التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥ - ١٩٦٠، المركز الدولي للبحث والنشر، القاهرة، ١٩٨٠.

رابعاً: المراجع المترجمة:

١. ج. ب. دروزيل: التاريخ الدبلوماسي، تاريخ العالم من الحرب العالمية الثانية إلى اليوم، تعريب نور الدين حاطوم، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٨، ط٢.
٢. جماعة من المؤلفين الغربيين: تاريخ عصرنا منذ ١٩٤٥، تعريب نور الدين حاطوم، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٠-١٩٧١.
٣. د. ف. فلمنج: الحرب الباردة وأصولها (١٩١٧-١٩٦٠)، ج٤، ترجمة: وهيب زكي، إدارة المطبوعات والنشر بالقوات المسلحة، ١٩٦٦.

٤. رتشارد ميللر: داج همرشولد ودبلوماسية الأزمات، ترجمة: عمر الاسكندراني، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة، ١٩٦٢.
٥. فرنسوا جورج دريفوس وآخرون: موسوعة تاريخ أوروبا العام، أوروبا من عام ١٧٨٩ حتي أيامنا، ترجمة: حسين حيدر، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ج٣، ط١، ١٩٩٥.
٦. فلاديمير تيسمانيانو: تاريخ أوروبا الشرقية، ترجمة: أمل رواش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦.
٧. ك. م. وورهاوس: السياسة الخارجية البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية، ترجمة: حسين القباني، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأبحاث والنشر، القاهرة، د.ت.
٨. مجموعة من كبار الكتاب السوفييات- واي بوجوش وآخرون: السياسة الخارجية السوفياتية بين عامي ١٩٥٥-١٩٦٥، تعريب وتعليق: خيرى حماد، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨.
٩. هارولد تمبرلي، أ.ج. جرانت: أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩-١٩٥٠، ج٢، ترجمة: محمد علي أبودة ولويس اسكندر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٤٩٤.
١٠. يوسيب بروز تيتو: تيتو في الميدان، ترجمة: السيد فرج، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨.

خامساً: الدوريات الأجنبية:

1. Johanna Granville : Reactions to the Events of 1956: New Findings from the Budapest and Warsaw Archives, Journal of Contemporary History, Vol. 38, No. 2 (Apr., 2003).
2. John C. Campbell: Poland's International Position Since 1956, The Polish Review, Vol. 4, No. 3, 1959.
3. Krzysztof Persak: The Polish – Soviet Confrontation in 1956 and the Attempted Soviet Military Intervention in Poland, Europe-Asia Studies, Vol. 58, No. 8, December 2006.

4. Mark Kramer : The Soviet Union and the 1956 Crises in Hungary and Poland: Reassessments and New Findings, Journal of Contemporary History, Vol. 33, No. 2 (Apr., 1998), P.169.
5. Stanislaw Strzetelski : The True Force Behind the October Revolution in Poland, The Polish Review, Vol. 2, No. 2/3, 1957.
6. Tony Kemp-welch: Dethroning Stalin: Poland 1956 and its Legacy, Europe-Asia Studies, Vol. 58, No. 8, December 2006.
7. ZBIGNIEW BRZEZIŃSKI & M. K. DZIEWANOWSKI: WHY POLAND HAS HAD A SUCCESSFUL REVOLUTION WHILE THE OTHER SATELLITES DID NOT, The Polish Review, Vol. 4, No. 3, 1959.
8. Zoltán Ripp: Hungary's Part in the Soviet-Yugoslav Conflict, 1956-58, Contemporary European History, 1998.

سادساً: الموسوعات:

- عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ج ١، ط ١.
- موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ج ٢، ط ١.
- محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥.